

مكتبة البرق الشامي

١١٦٦/٥٥٦٢ م : ١١٨٧/٥٥٨٣ م

إختصار
الفتح بن حلي البرق

من كتاب
البرق الشامي
للعقاد الكاتب الأصفهاني

تحقيق

دكتور فتحية النبراوي

أستاذ التاريخ الاسلامي المساعد
جامعة الزهر

١٩٧٩

الناشر
مكتبة الخاخي بمصر

حقوق إعادة طبع ونشر هذا المخطوط
محفوظة للمحققة

المحتويات

الاشهاد

تقديم

الفصل الأول : التعريف بالخطوط ومؤلفه ومختصره وخطة العمل

الفصل الثاني : نص الخطوط مع التحقيق والضبط

الفصل الثالث : الفهارس

محتويات الخطوط

فهرس الاعلام

فهرس الاماكن

قائمة المصادر والمراجع .

الافتاء

إلى شهباء العالم

إلى زوجي الأستاذ الدكتور سعد محمد فتحي أحمد

مع الصديقين والشهداء .

تقديم

أبدى المؤرخون المسلمون فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين اهتماما كبيرا بتسجيل أحداث الصراع بين الشرق والغرب ممثلا فى الحروب الصليبية التى استمرت فترة طويلة تجرى أحداثها على أراضى الدول الإسلامية بينما كان تخطيطها وإمدادها وتمويلها تقوم به الدولة والكنيسة معا فى أوروبا .

وتأتى أهمية الكتابات التاريخية الإسلامية لهذه الفترة من تاريخ الأمة الإسلامية من الحقيقة القائلة بأن كاتبها أو من بين كاتبها شهود عيان عاصروا الأحداث وعاشوها ، ولسوا الموقف عن قرب ، كما كان من بينهم من شغل مناصب رسمية فى الدولة مما أتاح لهم فرصة الاطلاع على الوثائق والأوراق الرسمية والمعاهدات والاتفاقيات ، والخطابات المتبادلة بين حكام وأمراء المسلمين ، فاستخدموها وأفادوا منها .

وقد كان لأحياء حركة الجهاد المقدس وتعبئة الأمة الإسلامية بشريا وماديا وعسكريا لمواجهة الغزو الخارجى اثره فى قيام المؤرخين المسلمين بدورهم فى هذا المجال وتسجيل أحداثه ومن هؤلاء القاضى الفاضل ، والقاضى بهاء الدين بن شداد قاضى عسكر الجيش الصلاحى ، وأسامة ابن منقذ ، وابن الأثير ، وأبى شامة ، وابن واصل ، والعماد الكاتب الأصفهائى السكرتير الخاص لصلاح الدين ، والفتح بن على البندارى الذى اهتم اهتماما بالغا بأعمال العماد الكاتب وقام باختصار معظمها ومن بينها المخطوط الذى بين أيدينا سننا البرق الشامى .

وتجب الإشارة الى أن الحركة الصليبية قد حظيت باهتمام مماثل من المؤرخين المسيحيين ، فكتبوا تاريخ هذه الحرب وسجلوا أحداثها ، ومن أشهر وأهم هؤلاء المؤرخين وليم الصورى أسقف صور ، وأنا كومنينو ابنة الامبراطور البيزنطى الكيسوس كومنينوس .

وهذا يفيد الباحث خاصة فى دراساته المقارنة للمادة التاريخية التى تنتجها هذه المصادر مع المصادر الإسلامية لنفس الفترة ولنفس القضية .

وبالمقارنة حظيت الحروب الصليبية فى مطلع هذا القرن باهتمام بالغ من المشتغلين بالدراسات الشرقية فى جامعات أوروبا ، فقدّموا العديد من الأبحاث القيمة حول تفصيلات الحركة الصليبية ومفهومها وتطورها ، والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين ، وبين المسيحيين فى أوروبا واخوانهم الشرقيين فى بيزنطة ، وموقف المسيحيين الذين استقروا فى الاراضى المقدسة وبين اخوانهم القادمين من الغرب ، كما اعتنوا أيضا بنشر الكثير من المخطوطات العربية التى سجلت أحداث الحروب الصليبية . وسنأ البرق الشامى واحدة من هذه المخطوطات الهامة التى تحتوى على كثير من التفصيلات القيمة عن الحروب الصليبية فى عصر صلاح الدين الايوبى ، بل انها بالاحرى تمثل تاريخا سياسيا لعصر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب الذى كان أهم أحداثه النصر المؤزر فى حطين ، واسترداد بيت المقدس بعد أسر استمر ما يقرب من المائة عام .

وقد كانت هذه المخطوطة جزءا من رسالة الدكتوراه التى تقدمت لنيلها من جامعة كامبردج عام ١٩٧١ . وقد علق أحد الاساتذة الانجليز على هذه المخطوطة قائلا ، بأن ظهورها يعتبر كشف تاريخى هام . واننى هنا أتقدم بالشكر والعرفان والامتنان لاساتذتى فى جامعة كامبردج وأخص بالذكر منهم الاستاذ الدكتور روبرت سارجنت رئيس قسم الدراسات الاسلامية بكلية الدراسات الشرقية بجامعة كامبردج ، واستاذى الدكتور مالكولم ليونز من كلية بمبروك الذى أبدى كثيرا من الاهتمام بهذا المخطوط ، مما ساعد على اخراجه الى النور .

وقد كنت أتوى اخراج هذا المخطوط وطبعه قبل ذلك ، لكن الظروف حالت بينى وبين تحقيق ما أردت فى الفترة الماضية ، واليوم أقدم للدارسين والقراء الأفاضل هذا العمل آمل أن تتحقق به الفائدة ، والنفع العلمى ، وادعو الله أن اتمكن من مواصلة العمل فى هذا المجال ، اسهاما فى احياء التراث الاسلامى فى مجال التاريخ ذلك ان ثروة علمية هائلة ماتزال تحتاج الى جهد المخلصين من أبناء هذه الأمة العلماء لاخراجها لقرى النور وتروى ظمأ الباحثين عن الحقيقة .

والله أسأل التوفيق والسداد ..

فتحية التبراي

مدينة نصر ١٩٧٩/٤/٥

الفصل الأول

التعريف بالمخطوط وتاريخه

ومؤلفه ومختصره وخطة العمل في التحقيق

بين أيدينا نص مختصر لكتاب البرق الشامي للكاتب عماد الدين الأصفهاني السكرتير الخاص لصلاح الدين الأيوبي . وقد قام على اختصار البرق الشامي أحد مؤرخي القرن الثالث عشر وهو الفتح بن علي البنداري من رجال بلاط الملك المعظم عيسى حاكم دمشق .

والبرق الشامي الأصل يقدم تاريخا سياسيا لعصر صلاح الدين كتبه مؤلفه في سبع مجلدات ضاعت في معظمها ما عدا المجلدين الثالث والخامس واللذين تحفظهما لنا مكتبة البودليان في أكسفورد تحت رقم MSS

Marsh 425, Vol. 5

ورقم

Bruce 11 Vol. 3

أما سنا البرق الشامي الذي يمثل ستة أجزاء من الأصل فقد عثرت عليه عام ١٩٦٧ في مكتبة السليمانية في استانبول برقم
Ms. Asad Efindi 2249

وأمام الحقيقة القائلة بضياع البرق الأصل في معظمه يقف سنا البرق مكملا ، وبديلا لهذا العمل الذي يعتبر من المصادر الأصلية لدراسة تاريخ صلاح الدين السياسي ، وتاريخ الفترة بصفة عامة ، لما لهما من أهمية في تاريخ الأمة الإسلامية فالقرن الثاني عشر الميلادي شهد اللقاء العسكري بين الشرق والغرب ، بين المسيحية والإسلام ، ذلك اللقاء الذي خرج منه الإسلام منتصرا مظفرا ، بعد أن استطاع زعماء الجبهة الإسلامية أن يحققوا الوحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية للمنطقة ويجندوا القوة البشرية ليجابهوا بهذا جميعا الخطر الذي داهم أراضي الإسلام .

وأما أن تلقى الأضواء على كاتبين الأول صاحب البرق الشامي الأصل وهو العماد الكاتب الأصفهاني ، والثاني الفتح بن علي البنداري الذي قام باختصار البرق تحت اسم سنا البرق الشامي .

عماد الدين الكاتب الأصفهاني ٥١٩ : ٥٩٧ هـ / ١١٢٥ : ١٢٠١ م .

هو عماد الدين أبو عبد الله بن صفى الدين أبو الفرج محمد ابن نفيس الدين ، بن على بن محمود بن هبة الله المعروف بأله (١) الملقب بالكاتب الأصفهاني والمشهور بابن أخى العزيز ، ولد فى أصفهان عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م وتوفى فى دمشق عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م .

قدم العماد الكاتب الى بغداد فى سن مبكرة حيث التحق بالمدرسة النظامية وتعلم بها ، وفى العراق تدرج فى وظائف الدولة حتى شغل منصب نائب الوزير ابن هبيرة فى البصرة ثم فى واسط . وعندما توفى الوزير عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م (٢) ، اعتقل العماد الكاتب دون ما سبب ظاهر الى أن أخلى سبيله الخليفة العباسى المستنجد (٣) .

غادر العماد الكاتب العراق الى سورية ووصل دمشق عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م حيث استقبله قاضى المدينة كمال الدين الشهرزوى . وقدمه الى نور الدين محمود الذى أحسن اليه ، وعينه مدرسا فى المدرسة النورية (عرفت فيما بعد بالمدرسة العمادية) ، وظل يعمل بها الى أن توفى نور الدين محمود عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م . وشغل العماد أيضا وظيفة كاتب الانشاء واستطاع خلال فترة قصيرة أن يصبح مشرفا على الديوان كله .

واتصل العماد بصلاح الدين الأيوبي بعد وفاة نور الدين محمود وكان لقاءه به فى دمشق حيث بدأ يظهر فى الحياة الثقافية فى المدينة . وقد كان لعلاقته الوطيدة بالقاضى الفاضل وزير صلاح الدين اثرها فى تقريب العماد الى نفس صلاح الدين الذى عينه نائبا للفاضل وقد كانت هذه الوظيفة هى التى عمقت الصلة بين الكاتب وصلاح الدين الأيوبي اذا سرعان ما أصبح العماد سكرتيرا خاصا له ، وقد كانت هذه الوظيفة هى التى مكنت العماد من الاطلاع على كثير من الوثائق والمكتابات الرسمية للدولة مما يضىء على كتابته وتاريخه أهمية بالغة .

(١) لفظة فارسية تعنى العقاب .

(٢) ابن خلكان . وفيات الأعيان . ج ٢ . ص ٣٢٦ وما بعدها .
ويذكر ابن خلكان وفاة الوزير عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ وصحتها ما ورد بالنص .

(٣) انظر خريدة القصر . العراق ج ١ . ص ٣٦ ، ٣٧ .

وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي كرس العماد الكاتب حياته للعلم والكتابة حيث ألف أهم أعماله العلمية وهو البرق الشامي ، بالإضافة الى عدد آخر من المؤلفات .

وقد عرف العماد الكاتب كمؤرخ إلا أنه اشتهر بالكتابة وقد وصفه الفتح بن علي البنداري بذى البلاغتين . وكتب العماد كثيرة ومتنوعة منها الأدبي والتاريخي والمعاجم وهي :

١ - البرق الشامي . (غير منشور) .

٢ - الفتح القسي في الفتح القدسي (منشور) .

٣ - خريدة القصر وجريدة أهل العصر وهذه من أهم مؤلفاته حيث كتبها في عشرة مجلدات وقسمها الى أربعة أقسام ، وكلها الآن محققة ومنشورة . القسم الأول يتضمن شعراء العراق والقسم الثاني يتناول شعراء الشام ، والثالث يتحدث عن شعراء مصر والرابع خصصه لشعراء المغرب (١) .

٤ - خطفة البارق وعطفة الشارق (رسالة) .

٥ - العتبي والعتبي (رسالة) .

٦ - نحلة الرحلة (رسالة) .

والأعمال الثلاثة السابقة اختصرها أبو شامة (٢) ، وذكرها كل من

(١) شعراء العراق تحقيق بهجت الأثرى في جزعين بغداد ١٩٥٠ ، ١٩٦٤ .

شعراء الشام تحقيق شكري الفيصل في جزعين . دمشق ١٩٥٥ ، ١٩٥٩ .

شعراء مصر تحقيق أحمد أمين ، وشوقي ضيف في جزعين القاهرة ١٩٥١ .

شعراء المغرب تحقيق محمد المرزوقي . تونس ١٩٦٦ .

(٢) أبو شامة . الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، الطبعة الأولى ج ٢ ص ٢٣٣ ، ٢٤٥ .

ابن واصل (١) ، وياقوت الحموى (٢) ، والفتح البندارى (٣) والصفدى (٤) .
وبالإضافة الى ذلك قام العماد بترجمة كتاب فتور زمان الصدور
وصدور زمان الفتور من الفارسية الى العربية وهو عبارة عن مذكرات
الوزير خالد انوشروان (٥) وكتاب كيمياء السعادة للإمام الغزالى (٦) .

٧ — نصرة الفترة وعصرة القطرة ٤٤٧ : ٥٨٢ هـ / ١٠٥٥ : ١١٨٦ م
وهذا عبارة عن تاريخ للدولة السلجوقية وقد اختصرها أيضا الفتح بن على
البندارى بعنوان زبدة النصرة ونخبة العصرة وقام على تحقيقها هوتسما ،
وفى هذا الكتاب اشار البندارى الى اختصاره لكتاب البرق الشامى للعماد
الكتاب الأصغرى .

اما كتاب البرق الشامى الذى يعتبر أهم أعمال العماد فليس لدينا منه
سوى الجزء الثالث ، والجزء الخامس وكان قد كتبه فى سبعة أجزاء بحيث
يتضمن تاريخ صلاح الدين الأيوبى وعلاقاته بالصليبيين فى الفترة من ٥٦٢ :
٥٨٩ هـ / ١١٦٦ : ١١٩٣ م وتظهر المادة التاريخية المأخوذة من هذا الكتاب
فى كتب المؤرخين اللاحقين لعماد الدين أمثال أبى شامة الذى يذكر بأمانة
ما نقل عنه ، ويورد أجزاء كاملة من البرق فى كتابه الروضتين ، ويمكن
القول انه فى غياب كثير من أجزاء البرق يقوم الروضتين بسد الفجوة وملء
الفراغ التاريخى الناتج عن ذلك .

كذلك استخدم ابن الأثير البرق الشامى دون أن يذكر العماد سوى مرة
واحدة فى كتابه الكامل فى التاريخ .

(١) ابن واصل . مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ج ٣ ص ١٥ وما بعدها .

(٢) ياقوت الحموى . ارشاد الأريب لمعرفة الأديب ج ٧ ص ٨٥ .

(٣) الفتح بن على البندارى . سنا البرق ص ٩ ، ١٣ .

(٤) الصفدى . الوافى بالوفيات ج ١ ص ١٤٠ .

CF : C. Brockelmann, GAL. Suppl. I. p. 549.

(٥) Th. Houtsma ; Recueil de Text Relatifs à L'Histoire

Des Seljoucides, II, p. 4. CF : AKS. Lambton, Anu Shurwan, E. I. 2.

(٦) أبو شامة . الروضتين فى أخبار الدولتين (الطبعة الأولى) ج ٢

ص ٢٠
M. Watt, Chazali. E. I. 2,

قارن :

وقد ذكر كل من ابن خلكان والصفدى وحاجى خليفة ان العماد كتب كتابه فى سبعة أجزاء ، بينما يذكر السنخاوى فى جواهر الدرر ان الكتاب ألف فى تسعة أجزاء أما ياقوت فقد ذكر أنه كان يتكون من عدة أجزاء .

وقد ضاع البرق الشامى ما خلا الجزعين السابق الاشارة اليهما ، أما الجزء الثالث فهو ما زال مخطوطا .

ويحمل هذا المخطوط تاريخ ٦٨١ هـ كعام النسخ ويحتوى على ١٤٦ ورقة ، ويفطى أحداث الأعوام من ٥٧٣ : ٥٧٥ هـ / ١١٧٧ : ١١٧٩ .

وقد وصف الأستاذ جب هذا المخطوط فقال انه مخطوط صحيح وواضح (١) .

أما الجزء الخامس فيقع فى ١٤٠ ورقة ويناقش الأحداث بين عامى ٥٧٨ : ٥٧٩ هـ ١١٨٢ : ١١٨٣ م وقد ذكر جب أن هذا المخطوط قد أضيفت اليه بعض الاضافات فى تاريخ لاحق لتاريخ النسخ ، ولم تكن فى مجموعها صحيحة ، وأن عددا من صفحاته الأولى مفقود .

وقد ذكر فى تذكرة النوادر العثمانية أن نسخة أخرى لهذا المخطوط محفوظة فى مكتبة لئنجراد ، الا أن الأستاذ كاهل ذكر فى دراسة قدمها عن البرق الشامى أن هذا المخطوط لا وجود له (١) .

كذلك أكد الأستاذ كريم الذى حقق الفتح القدسى انه طلب الى المسؤولين فى مكتبة لئنجراد أن يمدوه بنسخة من البرق التى أشارت اليها

(١) H.A.R. Gibb. al-Barq al-Shami, W.Z.K.M. 1953. pp. 95 — 102.

(٢) AL. Nadawi, Tathkirat al-Nawadir al-'Uthmaniyya., Haidar Abad, 1931, p. 81.

P. Kahle., «Eine wichtige Quelle zur Geschichte des Sultans Saladin», Die Welt Orients, Stuttgart, 1947, pp. 299 — 301.

النوادر العثمانية فكانت أجابتهم أنهم لا يمتلكون مخطوطا للبرق الشامى (١) .

وقد ثنى كراتشكوفسكى على هذا التأكيد بأن ليننجراد لا يوجد في حوزتها مخطوطا للبرق الشامى ، وانما يوجد بها مخطوط للفتح القدسى (٢) .

وقد ذكر سوفاجيه في مقدمته لتاريخ الشرق الاسلامى انه توجد مخطوطة للبرق الشامى في المغرب ، الا أن هذا القول لم يتأكد بعد ذلك أن سوفاجيه لم يذكر اسم المكتبة التى تمتلك هذا المخطوط (٣) .

ومما تجدر الإشارة اليه ان كلا من كاهل وكريم قد قدما دراستيهما بعد سوفاجيه ولم يشر أيهما الى نسخة المغرب .

وقد ذكر لى الأستاذ محمد بن تأويت الطنجى ان هذه النسخة لا يحتمل وجودها في المغرب .

وأخيرا وجدت اشارة للبرق في كتالوج مكتبة ليدن برقم Cod or 1592 وقد أهدتنى مكتبة ليدن (٤) هذا المخطوط ، واننى هنا أتقدم بالشكر والعرفان للعاملين فيها . وبدراسة هذا المخطوط ومقارنته خلصت الى النتيجة التالية :

ظل الاعتقاد سائدا بأن هذا المخطوط هو نسخة من البرق الشامى للعماد الكاتب الأصفهائى ، ولكن بدراسته ثبت لدى انه لا يمثل البرق بل

J. Kraemer, Der Struz des Konigreichts Jerusalem, (١)
583 — 1187. Weisbaden, 1952.

Catalogue of Arabic Mss. In Institute Narodov (٢)
Moscow ; 1965.

لم يذكر هذا الكاتالوج شيئا عن البرق الشامى ، وانما ذكر البرق
اليمائى . (حقق عام ١٩٦٨) .

J. Sauvaget, Introduction to the History of Maslim (٣)
East., Los Angeles, 1965, p. 63.

P. Voorhoeve, Hand list of Arabic Manuscripts in (٤)
the Library of the University of Leiden, London, 1957, p. 42.

هو عبارة عن مقتطفات متفرقة من كتابات العماد وأشعاره بالإضافة إلى ما وقع فيه الناسخ من أخطاء كثيرة .

وقد امتازت كتب العماد بالانفاضة والاطناب ، ولهذا قام على اختصارها عدد من المؤرخين والكتاب .

اختصر خريدة القصر وجريدة أهل العصر رضائي على بعنوان عود الشباب ، وتوجد في مكتبة نور عثمانية برقم ٢٦٩ كما توجد نسخة أخرى لها في فيينا برقم ٢٦٤ (١) .

كذلك اختصر الفتح القدسي مجد الدين طاهر محمد بن الفيروز أبادي الشيرازي وتوجد صورة له في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (٢) .

أما البنداري فقد قام باختصار وتهذيب تاريخ آل سلجوق وكذلك البرق الشامي .

الفتح بن علي البنداري :

ليس لدينا معلومات وافية عن الفتح بن علي البنداري سوى انه من مؤرخي القرن الثالث عشر الميلادي الذين عملوا في بلاط الملك المعظم عيسى في دمشق ، وهذا يجعلنا لا نستطيع أن نقدم له ترجمة كاملة .

أما معلوماتنا عنه فنستقيها من أعماله التي قام بها وهي اختصاراته لكتب العماد الكاتب الأصفهاني وأهمها بطبيعة الحال المخطوط الذي بين أيدينا سنا البرق الشامي .

سنا البرق الشامي :

تضم المكتبة السليمانية باستانبول النسخة الوحيدة من سنا البرق الشامي برقم أسد أفندي ٢٢٤٩ .

N. Elisseff, Nur al-Din, I, p. 28.

(١)

(٢) فؤاد سيد . فهرس المخطوطات المصورة . ج ٢ ص ٢٦٨

ويقع سنا البرق في تسع وسبعين ورقة من القطع الكبير من ١٦٣ ب ؛
 ١٢٤٢ . وقد وجدته مجلداً مع كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة
 لجلال الدين السيوطي . وعلى الصفحة الأولى من المخطوط (كتاب حسن
 المحاضرة في تاريخ مصر القاهرة ويليها الجزء الأول من كتاب سنا البرق
 الشامي لعماد الدين الكاتب الأصفهاني) ويبدأ بمقدمة كتبها البنداري ويذكر
 انه انتهى من اختصاره للبرق عام ٦٢٢هـ / ١٢٢٤م وباستعراض الموضوعات
 الواردة في الأوراق الاثنتي عشر الأولى يتضح لنا عدم انتظامها وعدم تتابعها
 ففي ورقة ١٦٤ ب يذكر وصول العماد الى الشام في ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م ،
 ويتبع ذلك وصول شاور الى دمشق عام ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م ثم يذكر حملة
 اليمن ، وفجأة يذكر موت نور الدين محمود ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م .

ويأتى خلال ذلك اشارة الى بعثة ابن القيسراني الى مصر ويلى ذلك
 مؤامرة عمارة اليمنى ضد صلاح الدين عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م .

وربما حدث ذلك خلال اختصار البنداري للنص ، أو ربما وقع من الناسخ
 خلال كتابته له في عصر لاحق .

وينتظم بعد ذلك المخطوط الى أن نصل الى الأوراق الثلاثة الأخيرة
 فنجد ان المادة التاريخية بها غير منتظمة ، وغير مترابطة .

والمخطوط على العموم مكتوب بخط غير جميل ، وهناك كثير من
 الفجوات ، والاطفاء الاملائية ربما حدثت خلال النسخ وكان هدف التحقيق
 هو تصحيح وضبط النص .

وقد شكى الفتح البنداري وغيره من المؤرخين صعوبة اسلوب العماد
 وطوله واسهابه ، وتمقيده .

فقد ذكر الصفدي أن شعره الطف من نثره لأنه أكثر الجناس فيه وبالع
 حتى يعود كلامه كأنه درب من الرقي والمزاييم وقد عاب الناس ممن له ذوق
 ونظرة سليمة كثرة الجناس لأنه دليل التكلف .

وُقد ذهب أبو شامة نفس المذهب في وصفه لأسلوب العماد فقال بأنه مسهب مطنب يصيب الانسان الكلل والملل من قراءته .

أما ياقوت وابن خلكان فقد ذكرا ان العماد والقاضى الفاضل كانا يميلان الى التلاعب بالالفاظ مثال ذلك (سر فلا كباك الفرس) ، (ودام علا العماد) ومثل هذه العبارات يمكن قراءتها من اليمين الى اليسار أو من اليسار الى اليمين .

ومما هو جدير بالاشارة ان البندارى حين اختصر البرق كان أميناً ، ولم يحاول التغير في الاسلوب والتزم بخطة واضحة طوال النص .

أما مصادر التحقيق فقد تمثلت بالضرورة في الجزعين الثالث والخامس من البرق الشامى الأصل وقد شكل هذان الجزعان مصدرا هاما من مصادر التحقيق خاصة في غياب نسخة أخرى تفيد في المقارنة .

كذلك كان للمقتطفات التى وردت في كتاب الروضتين لأبى شامة أهمية كبيرة فقد ملأت العديد من الفجوات وساعدت في ضبط الكثير من أجزاء النص وقد اعتبرت ما تبقى من البرق بالاضافة الى مقتطفات أبى شامة أصلا ثانيا للتحقيق .

هذا بالاضافة الى الاستعانة بالمصادر اللاحقة على البرق الشامى كالكامل في التاريخ لابن الاثير ، ومفرج الكروب لابن واصل ، والخطط لتقى الدين المقرئى ، وكلها قد أفاد كاتبوها من مؤلفات العماد الكاتب لا سيما البرق الشامى . كذلك اعتمدت على بعض المصادر غير المنشورة كتاريخ ابن أبى الهيجاء ، والمسجد المسبوك ، ورسائل القاضى الفاضل ،

وتجب الاشارة الى أن البندارى ذكر في مقدمته انه سوف يذيل مختصره بمقتطفات من رسالتى العماد العقبى والعقبى ، وخطة البارق وعطفه الشارق الا انه لم يفعل . وربما كان سبب ذلك انه لم يستكمل البرق ، فيقول العنوان الجزء الاول من سنا البرق الشامى ، ايماء الى انه سيكون هناك جزء ثان ، ولكننا لم نعثر عليه .

الفصل الثاني

وما توفيقى إلا بالله

(١٦٣) لنا بعد حمد الله على نعم نافحة الرياض ، ومنح طائفة الحياض ، وترتفع في سارحها ليلا ونهارا ، ونكرع في شارعها سيرا وجهارا ، ونلبس فضفاضتها سائغا ونرد غياضها سائغا ثم الصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الانام المظل من المجد على الغارب (١) والسنام ، المالحى بانوار صبح هدايته ظلم ليالى الباطل المحلى بقلاليد رسالته بحر الزمان العاطل وعلى آله وأصحابه مصابيح الرحمة ومجاديح (٢) الحكمة ومفاتيح الجنة .

فانى لما رايت أبلغ المراتب (٣) وأنجح الوسائل الى خدمة مولانا السلطان الملك المعظم ملك ملوك العرب والمعجم أبى الفتح عيسى (٤) ابن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب لا زالت سماء الجلالة موشحة بدرارى سيره الزاهرة ومطالع الاقبال منورة بأشعة مكارمه الباهرة ، والتمسك (٥) بعصم العلوم وأهداب الآداب والتوسل باخراج درر الكلم من لجج الحكم الطامية العباب . حبست نفسى ووقفت نفسى مشسيعا متأثر حضرته العالية ، سالكا مناهج الاخلاص فى السريرة والعلانية . فالجنان يضم الولاء النافع ، واللسان ينشر الثناء الشايع ، والبنان يحرر بل يجيز

(١) فى الأصل غير واضحة . أعلى مقدم السنام . . . قيل غارب كل شىء أعلاه . لسان العرب ١ - ٦٤٤ .

(٢) فى الأصل غير واضحة ومجاديح كما ضبطت يستقيم بها المعنى ، وتعنى نجوم كما ورد فى لسان العرب ٢ - ٤٢١ ومفردها مجدح .

(٣) فى الأصل : الموت .

(٤) الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل بن أيوب صاحب دمشق ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ - ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ . كان حنفى المذهب بين أفراد الأسرة الأيوبية . انظر ترجمته فى ابن خلكان ١ - ٥٠١ - ٥٠٢ . ومن الجدير بالذكر أن ابن خلكان لم يذكر شيئا عن البفدارى رغم اشارته الى اهتمام الملك المعظم بالأدب والأدباء .

(٥) فى الأصل الواو ساقطة .

من مدحه الوشايح افرغ وسع الاستطاعة جريا على مقتضى الخدمة والطاعة فيها يرجع بتخليد آثار بيته الكريم ، ويعود بأعلى صيته العظيم في نظم تطبيق فضائله الآفاق وتملاً بمناقبه خراسان والعراق ، ونثر ينشر حلل مصاليه في محافل السلاطين وأندية الملوك ، ويث عرف ايديه وينظم عقد مساجيه مثل العنبر المفروك والجوهر المسلوك .

ولما ترجمت لخزائنه العالية كتاب شهنامه (٦) التي توجت فيه سير الملوك الاولين والسلاطين الاقدمين بغير مفاخرة وفضلت قلايد مناقبهم وعقود مكارمهم بزهر مآثره نظرت في الكتاب الموسوم بالبرق الشامى للامام السعيد عباد الدين الكاتب الاصفهانى فوجدت عمايه تتدفق (٧) بأنواع الفوايد، وكمايه تتفق عن أنوار الفوايد ، تحتوى من البلاغة على أكارها وعونها ، وتشتمل من البراعة على غررها وعيونها ، فيه من السير السلطانية الناصرية والعادلة وماير الدوحة الكريمة الأيوبية ما ينطبق على مثله كثير من الكتب المصنفة في التواريخ والسير القديمة منها والحديثة . لكنى وجدت درر مقاصدة مكنونة في بحار أسجاعة المتلاطمة الامواج ، ورأيت غرر فوايده مغمورة في غمار أوصافه المتتابعة الانواج ما بين قرأين تشابكت قرون لواحقها في أصلاء سوابقها ، وأفانين تشاجرت فنون أغصانها في أرجاء حدائقها ، فشذبت شجراتها وأدنت جنا جنايتها لقاطفيها وجنائها ، واقتصرت منها على الفاظ هى كالمعارض لخرايد معانيها الرايقه ، وكالواسطة في قلايد قرأينها المتناسقة ، وكشفت أطباق حجبها بل استار سحبها عن محتلى درارى سماتها ، وأرحت قساطل خيلها وغياطل ليلها عن مطالع مسياتها ، وتباشر اسمائها ولم احم من الكتب المنشأة في الوقائع المذكورة الا حول جهة من الكلم الجليلة الفاضلية ، ونبذ من الكتب البديعة العبادية سالكا مسلك الاختصار وناهجا منهج الاقتصار ثم وقفت له على رسالتين في ثلاث مجلدات وسم احدهما بالعقبى والعقبى (٨) وهى مشتملة على ما جرى بعد الأيام

(٦) ملحمة تاريخية فارسية كتبها الفردوسى في ٣٩٠ هـ / ٩٩٠ م للسلطان محمود الغزنوى ترجمها الفتح البندارى الى العربية . انظر دائرة المعارف الاسلامية : مقال شهنامه .

(٧) فى الأصل : أنواء .

(٨) واحد من أعمال العماد التاريخية . تسمى أيضا عقبى الزمان فى عقبى الحدثن . انظر خريدة القصر . القسم العراقى ١ ٤٨ — ٤٩ .

الصلاحية مدة ثلاث سنين ، ووسم الثانية بخطفة البارق (٩) وهي محتوية على الوقائع التي جرت من مفتتح سنة ثلاث وتسعين الى رمضان سنة سبع وتسعين وفيها تصرمت أيامه (١٠) رحمه الله .

(١٦٤ ١) / فرأيت أن (١١) أذيل بما أنتخبه منهما هذا المختصر لاشتمالهما على طرف من السير الكريمة العادلية أنار الله برهانهما ولع من مطالع انوار دولة السلطانين العادلين مولانا الملك الكامل (١٢) ومولانا الملك المعظم خلد الله سلطانهما وأعز انصارهما وأعوانهما وننتف في مديحهما الزاهرة ومحامدهما الباهرة ونبذ من احوالهما في مفتتح جلالهما ومقبل اقبالهما وريعان سلطانهما وعنفوان شأنهما خدمة منى للمواقف الكريمة والعتبات العلية وقضاء لبعض حقوق نعمهما العابدة البادية ويايديها الرابحة العادية وسميته سنا البرق الشامى واستصفت في ذلك وفي جميع امورى بالله سبحانه وتعالى وهو حسبى ونعم الوكيل .

قال الامام العالم ذو البلاغتين عماد الدين ابو عبد الله محمد بن محمد ابن حسامد الكاتب الاصفهاني رحمه الله في صدر كتابه الموسوم بالبرق الشامى .

وبعد فان الكريم من عرف حق المنعم عليه وشكر فضل المحسن اليه واذا خدم مخدوما أوجد كرمه بذكره وان صار معدوما وعرف من بين ما (١٢) عرفه ما كان مكتوما ومن استكفانى بالانشاء لتفويض اوامره في حياته كافية بالاحياء في انشاء مفاخره في مماته وهو الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ابو المظفر يوسف بن ايوب رحمه الله . فانى صحبتته فكان خير مصحوب ، وخطبت وده فالفيتة الآن مخطوب ، ولما انقضى عصره وانقضت عمره

(٩) خطفة البارق وعطفة الشارق وهي أيضا من الأعمال المفقودة . انظر دائرة المعارف الاسلامية مقال عماد الدين . رغم انها لا تشير الى هذين العاملين الا انها تقدم مختصرا لحياة وأعمال العماد الأخرى . انظر ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٩٧٢ وما بعدها .

(١٠) المقصود بها عماد الدين الكاتب الاصفهاني .

(١١) اضافة يقتضيها سياق الجملة .

(١٢) ابو المعالي محمد بن الملك العادل الملقب بالملك الكامل ناصر

الدين توفي في ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م انظر وفيات الأعيان ٢ — ٦٥ : ٧٠ .

(١٣) اضافة يقتضيها السياق .

خشيت أن ينقرض ذكره فأنشأت هذا الكتاب واعطيته من البلاغة حظا واعزته من الفصاحة لخطا وافكرت وابتكرت صياغته معنى ولفظا وسميته البرق الشامي لأنى وصلت في شعبان سنة اثنتين وستين وخمسائه في دولة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى سقى الله عهده عماد الرحمة فصادت الدولة في أيامه والأيام الصلاحية الى السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين متناسقة (١٤) المحاسن وهيبتها بطيها مستمرة على حسنيتها مستقرة ، ثم التفت فإذا هي كبرق ومض وطرف غمض وما أسرع ما انقضت وانقرضت تلك الليالى والأيام والشهور والأعوام .

وقد انقضت تلك السنون — وأهلها فكأنها وكانهم أحلام .
قال وأنا أقدم في هذا الكتاب ذكر نبذ من أحوالى مع السلطان ثم أبتدىء بذكر معرفتى به وخدمتى (١٥) له وأصف مبادئ دولته الى أن وصل الى الشام وحضرت خدمته ، وأصف سيره كل سنة وآتى بشرح حسناته بكل حسنة .

قال : ولم يزل قلمى (١٦) لسيفه مشاركا وللكه مداركا هذا للرزق وذاك للأجل ، وهذا للأمن وذاك للوجل . وكان السلطان يعتمد على قلمى (١٧) وينصر كتابته وهو يقول : الحمد لله الذى لم يضع على العباد اعتيادى وحاط الى سداه سدادى ثم ما وفى أحد بعهده وفائى بعهده من بعده فائى سريت معانى معاليه بالفاظى الفاضلة وخلدت ذكره فى مصنفاتى الى قيام الساعة وأحييت ذكره بالوفاء بعد الوفاة وأهديت له حياة ثانية بعد الحياة . ولما نقله الله الكريم الى جناب جناته واقترسم (١٨) أولاده ممالكه قلت يسلكوا مسالكه وينسكوا مناسكه وأنهم يعرفون مقدارى ويرفعون منارى ويشرحون صدرى ولا يضعون قدرى فأخلف الظن حتى قطعوا رسومى ومنعوا مرسومى وغوروا منابعى وكدروا مشارعى . قال ومما كتبته

(١٤) فى الأصل « متناسبة » وكذا يستقيم المعنى .
(١٥) اتصلت خدمة العماد الأصفهاني بالسلطان صلاح الدين فى عام ٥٧٠ هـ — ١١٧٥ م .

(١٦) يعتبر عماد الدين من شهود العيان الذين صاحبوا صلاح الدين فى كل غزواته كما يقول العماد نفسه والمركة الوحيدة التى تغيب عنها كانت وقعة الرملة .

(١٧) هذا يوضح مكانة العماد الرسمية فى الدولة الصلاحية .

(١٨) إضافة الواو هنا يقتضيها السياق .

في كتاب يتضمن شكوى الحال ما حال ما غصبت أملاكه ونصبت
أشراكه أشراكه فكتبت الى المولى الاجل الفاضل في فصل يسلم فيه على
ولدى القاضي الولد مقبل العين ويحييه الى أن تصل القبل الى اليدين وإلى
ان يسر والده اذ هما في الفضل ثاني اثنين وما احسن قول سيدنا غصبت
أملاكه. أملاكه ونصبت أشراكه أشراكه واستحسننت ازدواج هاتين الكلمتين
ووقعنا منى بموقع بمشاركتي له في المكروهين قال وتنام هذا الفصل من
الكتاب الفاضلى وقد شرح من احواله واعتزاله وضبره واحتماله وتلطفه
في تجويز الوقت واحتياله وشكره لقوم لا على ايصال مالهم اليه ولكن على
ايصاله الى ماله ماذكرنى بابن (١٩) حيوس (٢٠) وقد مظهر صاحب دار الوكالة
ببيع بضاعة له .

مضى الكرماء صانوا ماء وجهي بـجود لا يرفق بالسؤال
وما أنا بعد هم في الناس أبغى كريماً يشترى حمدي بمالي (٢١)

قال ومما كتبت الى الاجل الفاضل في شكوى الحال قصيدة منها :
دمشقاً تقصد عظمى بعرقه أى عرقه
اخفائى لرجائى فيها وللقلب خفائى
أقمت فيها وحيدا كالدر ضمته حقه

(١٩) في الاصل حتى زائدة .

(٢٠) هو الأمير أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس
الغنوي الدمشقي . أحد الشعراء الفحول ولد بدمشق عام ٣٩٤ هـ . وكان
شاعر انوشكين وإلى دمشق ثم اتصلت بعد ذلك خدمته بالمرداسيين وعاش
في ظلهم وتوفي عام ٤٧٣ هـ . وله ديوان كبير . انظر ابن خلكان وفيات
الاعيان ٢ — ١٢ — ١٦ . انظر الخريدة — العراق . ج ٢ — ١٩٩ — ٢٠٠
انظر ايضا مقدمة ديوان الشاعر ج ١ ص ٥ وما بعدها .

(٢١) ورد هذان البيتان في ديوان ابن حيوس كالتالي .

مضى الكرماء صانوا ماء وجهي
بما بذلوه عن ذل السؤال
وما أنا بعدهم في الناس أبغى
كريماً يشترى شكري بمالي

انظر الديوان ج ٢ — ٤٦٨

ذكر الوصول الى الشام في سنة اثنتين وستين وخمسمائة

قال : وصلت الى دمشق في أيام جلاء (٢٢) حسننها وانجلاء (٢٣) حرّتها وغناء افنائها (٢٤) بالاغاريد وانتشاء انشائها بالاناشيد فقدمتها في اطياب زمان ونزلت من المدرسة التي وليتها في احسن مكان . وكان ملكها والذي يتولى ممالكها الملك العادل نور الدين ابو القاسم (٢٥) محمود بن زنكى اعف الملوك واتقاهم واتقبهم واتقاهم واسلحهم عملا واتحجهم املا وارجحهم رأيا واوضحهم آيا (٢٦) . وهو الذى اعاد رونق الاسلام الى بلاد الشام فاستفتح معانها واستخلص عقابها وكانت للفرنج في أيام غيره على بلاد الشام قطايح فقطعها وعلى رسومها ومنعها ونصره الله عليهم مرارا حتى أسر ملوكهم وبدد سلوكهم وصان الثغور منهم وحماها عنهم واحيا (٢٧) معالم العلوم الدوارس وبنا لمذاهب السنة والجماعة المدارس وانشأ الخانات للصوفية وكثرها فى كل بلد وكثر وقوفها وأجد الأسوار والخنادق وأمر فى الطرقات ببناء الربط والخانات وهو الذى اعان على فتح مصر واعمالها وانشأ (٢٨) دولتها (٢٩) ورجالها .

وكان صلاح الدين احد خواصه واخلص ذوى استخلاصه ولد نجم الدين أيوب من اكابر امرائه لا يفارقه راكبا في ميدانه ولا جالسا في ايوانه يقف على رأسه والاده من جلاسه وقد اقتدى به في جميع ما اتصف به من التقى والعفة والنزاهة والنباهة وآداب الملك واحكام السلطنة فتلقت منه مبادئ الخيرات ثم جلوز بها في أيامه الغايات .

وكانت بيننا وبين نجم الدين أيوب معرفة قديمة من تكريت حيث كان

(٢٢) في الاصل : جلا .

(٢٣) في الاصل : انجلا .

(٢٤) في الاصل : الالف الاولى ساططة .

(٢٥) أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكى بن آقسنقر الملقب بالملك العادل نور الدين . انظر ترجمته في الوفيات . ابن خلكان ٢ — ١١٥ .

(٢٦) انظر الروضتين ٢ — ١ — ١ — ٢٠ .

(٢٧) في اصل واحيى .

(٢٨) في الاصل : بانثبا . (٢٩) دولته .

بها واليا وسببه ان عمى العزيز (٣٠) أحمد بن حامد ، رعه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه (٣١) في قلعة تكريت اشفاقا عليه من قصد من صار في منصبه فجد في نصيبه وبذل فيه ثلثمائة الف دينار ليعتقل ويحضر هو ما بذله ويعجل فمال الى المال وسير العزيز الى تكريت برسم الاعتقال وذلك في سنة خمس وعشرين وخمسمائة فسمى ذلك الوزير في قتل السلطان بالسهم واجلس اخاه طغرل في السلطنة وتفرد بالحكم فعلق رهن العزيز ودأب مرارا الى تكريت من يباشر قتله فلم يثبل واليهما نجم الدين خدعه وقتله وتولى اخو الوالى أسد الدين شيركوه صوته ولم يزل في حمايته وعونه (٣٢) . قال وسمعت أسد الدين في سنة اثنتين وستين وهو يحكى الى نصرته لعمى فلما كنت جالسا في المحراب يوما عنده وهو يقرأ من القرآن ورده فسمعت هاتفا يقول : قد جعلك الله عزيزا كما دافعت عن العزيز فالتفت الى وقال : أعمل واعلم . قال أسد الدين : فمن ذلك اليوم سمت همتى وتمت عزمتى وبدهاء عمك العزيز طمعت في مصر وان أصير عزيزها وحرصت على أن املكها وأحرزها .

ذكر سبب وصولي الى دمشق

قال : وكان انصراقى من بغداد ووصولي الى الشام لا لقصد أحد من الكرام ولكن استوحشت هناك لفارط اعجز الاستدراك وذلك أن الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة (١) مال لفضله الى فضلى واقطعنى

(٣٠) أبو نصر أحمد بن حامد بن محمد بن عبد الله عزيز الدين المستوفى توفي في ٥٢٦ هـ . كان متولى خزانة السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه . انظر ترجمته في ابن خلكان ١ — ٧٥ أيضا انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٣٦ حاشية رقم ٤ . انظر أيضا الخريدة عراق ج ١ — ٧ ، ٨ ، ٧١ ، ٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢٧٦ عن وظيفة المستوفى وعمله انظر ابن ممانى قوانين الدولوين ٣٠١ .

(٣١) أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقى الملقب مغيث الدين أحد الملوك السلاجقة . انظر وفيات الأعيان ابن خلكان ٢ — ١١٤ — ١١٥ .

(٣٢) واو الاضافة ساقطة في الأصل .

(١) أبو المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة بن سعد ابن الحسين بن أحمد بن الحسن بن جهم بن عمرو بن هبيرة . تولى الوزارة في ٥٤٤ هـ — ١١٤٩ وكان عالما فاضلا وله كتب منها الافصح عن شرح المعانى الصحاح وهو ١٩ مجلدا . وكتاب المقتصد . انظر ابن خلكان ٢ — ٣٢٦ — ٣٣٣ وقد ذكر ابن خلكان وفاته في ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ بينما ذكرها ابن الاثير في ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ . قارن ابن الاثير . تاريخ الاتابكة ص ٢٣٥ ، انظر الخريدة — عراق ١ — ٩٦ — ٩٨ .

اليه وولاني نيابته بالبصرة تارات وبواسط كرات وعرفت به فلما توفي في سنة ستين اتمت بغداد بعده وكل من هو اليه منسوب مكبوت ومكبوب وما طرقتني بحمد الله آفة ولا عرتني مخالفة وأنا الى الفقهاء منقطع وبالمناظرة وبالباحنة معهم منتفع ، ومنهم فقيه من اهل دمشق يصف طيب رياضها وبهجة جواهرها واعراضها وصحة هوائها وقلة امراضها فراقنتني معرفته وشاقتني صفته فقلت اجعلها سنة فرجة واسافر لاسفار صبحي بسرى دلجه واقصد ايناس قلبي وتنفيس كربى ورافقنى وما فارقتني حتى وصل بى الى قرب دمشق فائقطع عنى وساء بعد الاحسان به ظنى فلم ادر فى اى مطار طار والى اى مصر صار فبقيت غريبا وحيدا ولقيت من استيحاشى هما شديدا وقلت لأصحابى : أضربوا لى خيمة عسى أن نعرف احدا يسدى يدا فقد رضينا بمصيف ومقيل بلا مقيل وظل ولو انه غير ظليل . وقد نى خبرى الى بعض الصوفية فدخل الى القاضى كمال الدين ابى الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى (٢) وهو يومئذ قاضى دمشق وقال له فلان قد ورد البلد فبينما نحن فى تحرير وتفكر وتوهج وتسعر اذ جاء خواص القاضى وحجابه وعدول مجلسه ونوابه يعتذرون عن تأخره لأمر (٣) اناله وانه يخفى عنك سؤله ويقول انزل حيث تختار النزول فآثرت النزول بالمدرسة فنزلت فى المدرسة التى انا الآن مدرستها وترددت الى القاضى فى محافل علمه ومجالس حكمه واستدلت واعتضت فى الأصول والفروع على الأئمة الفحول . وعرف / (١٦٥) الأمير نجم الدين بالوصول فبعثته معرفة العم العزيز على التعرف بى فبكر الى منزلى لتبجيلي وتحقيق تأميلي واستقبلته وأسعرت الى بساط الأدب فقبلته وخدمته بهذه القصيدة فى اواخر شوال سنة اثنتين وستين وأخوه أسد الدين شيركوه وولده صلاح الدين يوسف قد توجهوا فى هذه السنة الى مصر وهى النوبة الثانية . قلت واول القصيدة :

يوم النوى ليس من عمرى بمحسوب ولا الفراق الى عيشى بمنسوب

(٢) هو أبو الفضل محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد القاسم الشهرزورى الملقب بكمال الدين ولد فى ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ وتوفى فى ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م تولى القضاء بدمشق لكل من نور الدين وصلاح الدين . انظر ابن خلكان ١ - ٥٩٧ - ٥٩٩ .

(٣) فى الأصل لام .

لم أنس أنسى بكم والشمل مجتمع وعيشتى ذات تطريز وتذهيب
أرجو أيايى اليكم ظافرا عجلا فقد ظفرت بنجم الدين أيوب
ومنها فى ذكر أخيه وابنه وما تفرس فيهما من ملك مصر وقد تم ذلك
بعد سنتين .

غدا يشبان فى الكفار نار وغى بلقها يصبح (٤) الشبان (٥) كالشيب
ويسـتقر بمصر يوسف وبه تقرب بعد التئائى عين يعقوب
ويلتقى يوسف فيها بأخوته والله يجمعهم من غير تريب
فأرجو الإله فعن قرب بنمرته سيكشف الله بلوى كل مكروب

فصل

قال : كان شاور وزير مصر فى أيام العاضد قد وصل الى دمشق فى
سنة ثمان وخمسين يوم الخميس سادس شهر ربيع الأول ملتجأ الى نور
الدين فنصره على عدوه وسير معه أسد الدين شيركوه يوم الخميس العشرين
من جمادى الأول سنة تسع وخمسين على قرار عينه وأمر بينه فمضى معه
ونصره واسترد له موضعه واعاده الى مجلس عادته وأظهره بعدوه فلما
تمكن من منصبه قال لأسد الدين : اذهب فقد وقع عنك الغنى وغدر بعهد
واخلف فى وعده فأنف أسد الدين وأقام يتأسد ويبرق ويرعد . وكان شاور
قد شاور الفرنج وهدهام فى حرب الاسلام النهج فوصلوا بحميتهم وجمرتهم
فتحصن شيركوه ومن معه بمدينة بلبس وشاور فى جنود مصر وحشودها
والفرنج فى قوامصها وكنودها . حاصروه ثلاثة أشهر فيها وهو يحبها
حتى فلت جدودهم وملت جنودهم فبذلوا (٦) له قطيعة يأخذها منهم وينفصل
عنهم وكانت المحاصرة فى مستهل شهر رمضان الى مستهل شهر ذى الحجة .

قال : وفى تلك السنة اغتتم نور الدين خلو الشام من الفرنج وقصدهم
واجتمعوا على حارم فـضرب معهم المصاف ورزقه الله الانتقام منهم وقتلهم
واسرهم ووقع فى الاسار ايرنس انطاكية وقومص طرابلس وابن جوسلين
ودوك الروم وذلك الحادى العشرين من شهر رمضان سنة تسع وخمسين
وتسلم منهم باتياس . وعاد أسد الدين الى الشام وجرى على عادته فى

(٤) فى الأصل كلمة « يصبح » غير منقوطة .

(٥) فى الأصل « الشان » وكذا يستقيم المعنى .

(٦) فى الأصل سه فبدنو .

خدمة نور الدين وفي قلبه من شر شاور الاحن وكيف تمت بتقديره تلك المحن (٧) الى ان دخلت سنة اثنتين وستين وخمسائه فجمع وسار في أمل ووصل في سادس شهر ربيع الآخر الى اطفيح وعبر منها الى الجانب الغربى واناخ بالجيزة واقام عليها نيفا وخمسين يوما على محاذاة مصر واستعان شاور بالفرننج واستنجد بالكفر وفسح لهم في طروق الديار وجوس خلال الابهصار ورتبوا لهم بالقاهرة سوقا واشاعوا كفرا وفسوقا وعبر بهم من البلاد الغربية الى الغرب وساقوا لموافقتهم على الحرب فلما عرف أسد الدين عبورهم رحل قدامهم فقتلوا منه في موضع يعرف بالبايين فعبي صفوفه واطال في الملتقى وقوفه وحشا قلبه باثقاله وجماله وطبوله واعلامه ووقف جانبا برجاله وابطاله وظنوا انه في القلب فحملوا عليه وقلوه وبغوا الى ذلك الجمع وغلبوه وأسد الدين بمعزل من القلب وساق اكثرهم وراء المنهزمين ووقف الباقون وقوف المغيرين . وكان صلاح الدين واقفا في صحبه في ابطال من حزيه فاعتنم خلو العرصة وانتهاز بدو الفرصة وحمل على القوم وهم المقدمون فكسرهم وأسرههم وركب اكتاف فتاكهم واعرى بيضه وسمره بهلاكهم وكان فيهم ملكهم وقد كاد يدركه ويدركهم . واجتمع الى صلاح الدين من المفلولين (٨) جماعة فما شعروا الا بالفرننج من وراء المنهزمين عابدة وكان ملك الفرنج في نفريسير وشاور معه وكاد يظفر به العسكر الاسلامى لكن الأصحاب / (١٦٥ ب) رأوا الفرنج عابدة اشتغلوا بهم وقتلوا منهم ومن تبعهم من المصرية الوفا وضايقوهم وأوسعوهم حتوفا وحصل سبعون فارسا من فرسانهم (٩) في الاسار وقيدوا في خرايم الذل والانتسار ولما تمت لصلاح الدين النصرة اقام وجمع الفل وجاء عمه أسد الدين وساروا بمن معهم الى الاسكندرية ودخلوها ووجدوا مساعدة أهلها وحلوها ثم قال أسد الدين : انا لا يمكننى ان احصر نفسى وجماعتى في البلد فأخذ العسكر وسار الى بلاد الصعيد واستولى عليها وجبى خراجها وصام بها واقام الى انقضاء العيد ، واقام صلاح الدين بالاسكندرية متحصنا بها .

واما شاور والفرننج فما كانت لن سلم منهم قوة ولا نهضة وراء القوم مرجوة فعادوا الى القاهرة وصمموا على قصد الاسكندرية فحاصروا صلاح

(٧) تارن الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٣٣٧ .

(٨) في الأصل — غير منقوطة .

(٩) في الأصل غير واضحة وأرجح ذلك وهو ما يقتضيه السياق .

الدين ودام الحصار شهورا فما زاد المحصور على الحاصر الا ظهورا وبلغ الحصار اربعة شهور وقوى اسد الدين بقوص واستنفض لقصد القوم العموم والخصوص فسمح الفرنج ذلك فرجعوا عن الحصار للخوف والاستشعار مما هو عليه من الاستظهار . وكان شاور قد استمال جماعة من التركمان الذين كانوا معه بالدينار . فلما راسلوه في المهادنة أجاب الى القرار وطلب منهم عوض ما غرمه فبذلوا له خمسين الف دينار ورجع صلاح الدين من الاسكندرية فمقلوا الى دمشق ودخلوها بكرة يوم الاثنين ثامن عشر ذى القعدة وعادوا الى عادة السعادة من الخدمة النورية والحسنى والزيادة .

قال : ولما دخل أسد الدين الى دمشق عرف خبرى فحضرت عنده للسلام وتلقانى بالاكرام والاحترام وكان يجلس كل ليلة للافاضل وأكثر حديثه معى فى تقرير عى العزيز وتأيينه ووصلنى بمعرفته ومعرفته وخصنى من عموم بره بصنوفه فخدمته بهذه القصيدة ليلة الجمعة السابع والعشرين من ذى القعدة سنة اثنتين وستين .

بلغت بالجد ما لا يبلغ البشر ونلت ما عجزت عن نيله القدر
اسكندر ذكروا اخبار حكيمته ونحن فيك راينا كل ما ذكروا
ورستم خبرونا عن شجاعته وصار فيك عيانا ذلك الخبر
يستعظمون الذى ادركته عجا وذاك فى جنب ما ترجوه محتقر

قال : واتصلت بينى وبين صلاح الدين مودة ولم يزل يستهينى نظمى ونثرى وأول ما خدمته بهذه الكلمة قلت ومن سرها :

نار قلبى لضيف طيفك تبدر كل ليل فيهدى ويزور (١٠)
كيف يصحو من سكره مستهام مزجت كأسه الحسان الحور
أورثته سقامها الحدق النجل واهدت له النحول الخصور
ولكم عودة الى مصر بالنصر على ذكرها تمر العصور
فاستردوا حق الامامة ممن خان فيها (١١) فانه مستعير

قال : وكان صلاح الدين فى خدمة نور الدين المساعد والمعين وبهذه المعرفة السالفة من الاسلاف خصصت منه أيام دولته بالاسعاد والاسعاف .

(١٠) أبو شامة يضيف — كيف قلت بمقلتيه فتور وأراها بلا فتور تجور
قارن الروضتين (٢) ١ ٢ — ٣٦٩ — ٣٧٠ .

(١١) يقصد هنا ان تسترد حقوق الخلافة العباسية السنية ممن خان ويقصد الخلافة الفاطمية الشيعية فى القاهرة .

ذكر دخولي في خدمة نور الدين

قال : عرفني اليه القاضي كمال الدين الشهرزوري ورغبه في استثنائي وقرر لديه من حساب آمالي مالم يكن في حسابي . وقال : لا بأس بان تكتب اليه أبياتا ونحن نرجوا لك في دولة ثباتا وفي (١) روضته نباتا فانشأت هذه القصيدة وعرضت من جانب القاضي وهي التي أولها :

لو حفظت يوم النوى عهودها ما مطلت بوصلكم وعودها
ماذا جنت قلوبنا حتى غدا في النار من شوقكم خلودها
لم أنسها اذ نثرت دموعها في خذا ما نظمت عقودها
اذ قررتني للوداع نحوها فبان في وصلها صدودها
كأسهم الرامي متى قريبها يكون في تقربها بعيدها

(١٦٦ ا) / قال فرتبني في ديوانه منشيا وذلك لاستقبال سنة ثلاث وستين قال : ودخلت سنة ثلاث وستين ورحل الملك العادل نور الدين رحمه الله وأقام بخص اياما ، ورتب بها اسبابا واحكاما ، وخرجت معه وراه ورحلت معه الى حماه وأنزلني أسد الدين شريكه في حماه وضرب لي خيمة بقربه وأنا أمضى كل يوم الى الديوان مبكرا ومبا أقدم عليه فمن خدمة لا دربة لي بها مفكرا على ان أهل ديوانه ينظرونني شذرا ويعدون كثير ما عندي من الفضل نذرا وكنت اظن أن صناعة الكتابة لا سيما الانشاء صعب حتى قرأت كتب الايجار والمراسلات الواصلة من سائر الاقطار فوجدتها في غاية من الركة وياليتها كانت بعبارات معسولة فتجرات على الكتابة وغيرت تلك الأوضاع الوضيعة واخترعت أسلوبا ما عرفوه والفت مصنوعا ما افوه ووفيت بالبلاغتين ، ونفيت الفش عن المصياغتين ، وكتبت الى الأعاجم وصارت نواب ديوانه يستغربون ويستهنئون ويهمزون وأرشدتهم من ضلالتهم فحكيت نسج المداراه وما سلكت نهج الماراه حتى جرى بسكوئي وسكوئي قلبي وعلا بمنار علمي علمي ورجعوا الى واجتمعوا على وأنا على مر الجديدين اتجدد في بناء الفباهة واجلوا بأسارير وجه الوجاهة وزاد نور الدين دنوى نورا وملأت صبح دولته ووجه مملكته بما أمليه أسفارا وسفورا وتأكدت رغبته وتمهدت محبته وتكررت موهبته .

ولما اراد قصد حلب حل أسد الدين شريكه قبله بأيام فوصى بي ابن أخيه صلاح الدين وترك الخيمة المضروبة لي بما فيها من جميع الآلات فاقمت مدة مقامه ارافقه ولا افارقه حتى مضى نو الدين الى حلب ونزل في

(١) واو ساقطة في الاصل يقتضيها هنا السياق .

قلعتها وشتى في ذروتها ونزلت في مدرسة ابن العجمي وكان الشتاء كالها
يابسا ووجه الدهر عابسا وكنت اتردد الى صلاح الدين في منزله واسترسل
اليه في تفاصيل املى وجهله واستدعى (١٢) منى أن أعمل له أبياتا في الشوق
يرضع بها كتبه الى من يشائقه ويحبه فمنها ما نظمته له :

وحرمة الود الذى بينا ومالنا من كرم العهد
ما نقضت عهدى لكم جفوة ولا احوالت حالة ودى
ولا تغيرت ويأبى الهوى ذلك فى قرب وفى بعد

عاد الحديث الى ما تجدد لنور الدين قال : واتفق ان صاحب منبج ابن حسان
ارتكب العصيان فبعث اليه من حاصره وائتزعها منه ثم تمكن عنه وتوجه
اليها لتهديب احوالها وترتيب أعمالها وسار منها الى قلعة نجم (٢) وعبر
الفرات الى الرها وانتظم بأمره أمرها وكان بها قطب الدين ينال بن حسان
عم غازى صاحب منبج فذقله اليها متطعا وواليا واعاد ذلك الصفع باياله
حاليا واتام بها مدة فى قلعتها قال ومدحتة بهذه الكلمة وتحجب لى فى عرضها
عنده صلاح الدين قلت ومن هذه الكلمة قوله :

ماصين عنك الصنين لـو حاولنـها والمشرقان فكيف منبج والرـها
مالملوك لدى ظهورك رونق فاذا بدائشمس الضحى خفى السـها (٣)

قال : وعدنا الى حلب فى شهر رجب وضربت خيمة نور الدين فى رأس
الميدان الأخضر ، وكان مولعا بضرب الكرة وربما دخل الظلام فلعب بها
بالشموع ويركب صلاح الدين مذاكرا كل بكرة وهو عارف بأدائها فى
الخدمة وشروطها المعبرة . واتطعه فى تلك السنة ضيعتين احداهما من

(٢) فى الأصل استرعى .

(٣) قلعة حصينة مطلة على الفرات على جبل تحتها ريش عامر وعندها
جسر يعبر عليه وهى المعروفة بجسر منبج ، وتعتبر على هذا الجسر القوافل
من حران الى الشام ، معجم البلدان ٣ — ٨٦٠ ، ٤ — ١٦٥ .

(٤) قصيدة طويلة جاءت فى الروضتين تتضمن هذين البيتين وتبدأ
كالتالى :

أدركت من الزمان المنتهى وبلغت من نيل الامانى المنتهى

الروضتين (٢) ح ١ — ٢ ص ٣٨١ — ٣٨٢

ضياع كفر طاب (٥) مدكين والاخرى من ضياع حلب وزردنا (٦) وزعم انه بلغ به المنتهى في المنى .

نكر أسد الدين والانعام عليه بخص

قال : ولما كان ثغر حمص اخطر الثغور تعين أسد الدين لحمايته وحفظه ورعايته لتفرد به بجده واجتهاده وبأسه وشجاعته فانعم نور الدين عليه بها فسار اليها وضبط امورها وكان / (١٦٦ ب) نور الدين قد جدد سورها وسأله في السلو عن حب مصر وشريط على نفسه الحمل في كل سنة وكان لما اراد أسد الدين الانفصال عن الديار المصرية وصلاح الدين عن الاسكندرية اجتمع الكامل بن شاور بشهاب الدين محمود خال صلاح الدين وقال له : اوصل الى نور الدين سلامى وعرفه شغفى بخدمته وغرامى وانا اتوسط في جمع الكلمة ورد هذه القلوب المتبددة الى عقود القلوب المنتظمة ، واتكفل بها احمله من مالى على وجه الهدية اقصد بها سلامة البلاد والرعية فلما وصل شهاب الدين محمود اعاد على نور الدين مقاله وذكر سؤله وسؤاله وسأله مكانة الكامل والرضا بما التزم به التزام الكافي وكان دخوله اليها يوم الاربعاء ودخلناها يوم الخميس .

نكر توجه فخر الدين شمس الدولة تورانشاه بن أيوب من مصر الى بلاد اليمن مستهل رجب سنة تسع وستين

قال كان فخر الدين أكبر اخوة صلاح الدين وقد شاع صيت مروته ، وكان لا يفى بوجود مصر بجوده ورأى ان حظسه من قوص منقوص ولم يرضه أرض تضيق عن سما سماحته فسمت همته وتصممت عزيمته ، وكان بمصر شاعر من اليمن يقال له عمارة (١) ولم يزل يمدحه ويكثر فيه

(٥) بلدة بين المعرة ومدينة حلب في بركة معطشة ليس لهم شرب الا ما يجمعونه من مياه الأمطار في الصحاريح . . . معجم البلدان ٤ - ٢٨٩ (٦) فيما يتعلق بهذم النقطة انظر تاريخ ابن الهيجاء مخطوط برقم (٩٤٥ تاريخ) ورقة (١٥٥ ب) نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة . وقد وردت في الأصل وزدنا ويبدو انها زردنا وهى بليدة من نواحي حلب الغربية - معجم البلدان ٢ - ٩٢٤ .

(١) عمارة اليمنى وهو الفقيه أبو محمد عمارة بن أبى الحسن على ابن زيدان بن أحمد الحكيم اليمنى الملقب بنجم الدين . وصل مصر في خلافة الفائز في ٥٥٠ هـ ووزارة الصالح بن رزيك وقد كان فقيها شافعيا . انظر ابن خلكان وفيات ١ - ٤٧٥ - ٤٧٧ انظر أيضا الروستين (٢) - ٢ - ٥٧٢ وذكره أيضا ياقوت في مواضع كثيرة في معجمه .

المدح ويحثه على ملك اليمن ويرغبه فيه . ولما اشتد عزمه واحضر عسكره ورحل مستهل رجب ووصل السير بالسرى وقلا القلا وجاز اجوازها وغاز بالوصل الى مكة ثم خلف وراءه غور الأرض ونجدها وحجازها واستدل بسماعته ونحا البيد نحو زبيد (٢) فغلب عليها وقبض على عبد النبي الخارجي وسلمه الى ناييه الأمير سيف الدولة المبارك بن متقذ فرأى ان مصلحة الملك في هلكه غارداه وشمس الدولة غايب ، ومضى الى عدن وفيه ياسر وخرجوا من البلد الى الصحراء للقتال فغلبوا ونهبوا ثم ولى عدن الأمير عز الدين عثمان (٣) الزنجيلي (٤) واستنابه وفتح القلاع ومنح ملكا عظيما وفتح اقليها وبأفترع بكرا وخلف ذكرا .

قال : واما سيف الدولة ابو الميمون المبارك بن كامل بن متقذ المستناب في زبيد فانه كان من الكرماء الكفاه وذوى الآراء والدهاة والحمس الكهاة ولم يزل بشيمته منكرما وبحسن الذكر متوسما دأبه وآدابه والفضل شبرعه والأفضال صنعه ومن شعره .

لما نزلت الدير قلت لصاحبى	تم فاخطب الصهباء من شماسه
فأتى وفي يمينه كأس خلقتها	مقبوسة في الليل من نبراسه
وكان ما في كأسه في حده	وكان ما في حده من كاسه (٥)

قال : وفي هذه السنة كان تسيير نور الدين المذهب أبا الحسن على ابن عيسى بن النقاش الى الديوان العزيز للاعلام بمسير شمس الدولة الى اليمن لأخذها والبشارة بكسر الروم ثانية وفقدتهم كلما وكان قديما اسيرا عند نور الدين من نوبة حصارم وفداه بخمسة وخمسين الف دينار وخمسمائة وخمسين ثوب اطللس وهو اسير (٦) معه اسراء في الروم وذلك في شعبان سنة تسع وستين .

قال : وكان المذهب النقاش كنعته مهذبا وبآرائه للدول مرتبا ، وهو من أهل بغداد وقد سافر الى الشام وشاع صيته بالفضل لا سيما في علم

(٢) مدينة مشهورة باليمن بازائها ساحل غلافقه وساحل المندب . معجم البلدان ٢ - ٩١٥ - ٩١٦ .

(٣) في الأصل : عثمان .

(٤) في الأصل : - الزنجارى . هكذا كما ضبط تسمية المصادر العربية منها انظر الروضتين (٢) ١ - ٥٥١ أيضا مفرج الكروف ٢٤٣ ، ٢ - ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٥) انظر الروضتين (٢) ١ - ٥٥٥ .

(٦) في الأصل : سير .

الطب ومعرفته ونفق عليه (٧) نور الدين واقطعه ضيعة وملكه أخرى ، وكل طبيب في الشام يستحجج الآن بأنه تلميذه ، وعرض جناحه وتقاصر عنه اثنيائه ونجح سعيه لنور الدين في مرضاته ونجح سؤله للفوز بمرضاته وصار له عنده قبول وخروج دخول ورأى مقبول (٨) وسمى بالنجاح مكفول فندبه نور الدين في هذه السنة للسفارة .

قال : وكلف نور الدين في هذه السنة بافادة اللطاف والزيادة في الأوقاف وتكثير الصدقات ، وتوفير النفقات وتغيير آثار الأيام واسقاط كل ما يدخل تحت شبه الحرام . وأمر تكتب منشور لجميع البلاد باطلاق الطرف من الرسوم والتلاد فما أبقي سوى الجزية والخراج وما يحصل من تسببة الغلات على قوايم المنهاج . وحسبنا ما تصدق به على الفقراء في تلك الأشهر فزاد على ثلاثين ألف دينار من الذهب الأحمر قال : وكان إذا أمر بصدقة غلة أو ذهب تقدم خازنه باحضار جماعة من أمثال البلد وعدوله من أهل كل محلة فيقول لكل واحد : كم تعرف في جوارك من ذى اضاقة (٩) وصاحب فائقه / (١٦٧ ١) ومستحق ومقتدر ومصيل وغيرهم فيقول : أعرف كذا وكذا فيبسط اليه صدقات أولئك الأعداد حتى يستقرىء بالسؤال جميع الحاضرين من الامجاد ثم يأتيه كل منهم ثبت بما فرقه .

قال : وكان يرسم نفقته الخاص في كل شهر من جزية أهل الذمة مبلغ ألفى قرطيس صرفه في كسوته ونفقته ومأكوله ومشروبه وحوائجه المهمة حتى اجرة خياطه وخطيه وأبرته وجامكية طباخه وقدره ومعرفته من ذلك المقرر المعين النزر ثم يستفضل ما يتصدق به في آخر الشهر ويفضه على المساكين وأهل الفقر . وأما ما يهدى له من الثياب والألطف والبرود (١٠) والأقواف (١١) وهدايا الملوك من المناديل والسكاكين والمهاميز (١٢) والدبابيس وكل كثير وقليل ودقيق وجليل لا يتصرف في شيء منه بل يعرض بنظره عنه

(٧) في الأصل : على .

(٨) كذا . معقول بالأصل .

(٩) في الأصل : اضافة .

(١٠) البرود . البرد من الثياب . البرد ثوب فيسه خطوط . وخص بعضهم به الوشى . والجمع أبراد وأبرد وبرود . لسان العرب ٣ — ٨٧ .
(١١) الأقواف جمع قوف . يقال برد أقواف وحلة أقواف بالاضافة والفوف ثياب رقائق من ثياب اليمن موشاه . لسان العرب ٩ — ٢٧٣ — ٢٧٤ .

(١٢) المهاميز عصى واحدها مهزمة . وهى عصا رأسها حديدية وتجمع أيضا مهامز ، لسان العرب ٥ — ٤٢٥ .

وأذا اجتمع يخرج به الى مجلس القاضي ليحصل اثباتها المفورة ويعبر عنها في عمارة المساجد المهجورة . وأمر بإحصاء ما في محال دمشق من مساجد هجرت وخربت فأفاق على مائة مسجد وموضع يتبرك به ومشهد فأمر بعمارة ذلك كله وعين له وقوما وأدنى له من جهات استثمرها قطونا . قال : ولو اشتغلت بإحصاء وقوفه وصدقاته في كل بلد لطال الكتاب ولم أبلغ الى امد ومشاهدة ابنيته الدالة على خلوص نيته يغنى عن خبرها بالعيان ، ويكفي أسوار البلدان فضلا عن المدارس والربط . وواظب على عقد مجالس الوعاظ واكبرهم قطب الدين النيسابوري وهو شقوف ببركة انفاسه . ووفد من بغداد ابن الشيخ أبي النجيب الأكبر ونصب له في كل أسبوع المنبر وشاقه وعظه وراقه لفظه ، وكذلك وفد اليه الفقيه شرف الدين عبد المؤمن بن شورو ونال منه الحظوة وما أيمن تلك الأيام وأبرك تلك الشتوة .

قال : وفي يوم الاثنين رابع شهر رمضان ركب نور الدين على العادة وكنا نحن في ايوانه وكل منا متفرغ لشغله أخذ في شأنه فجاءني من اخبرني ان نور الدين نزل الى المدرسة التي تتولاها وبسط سجاده في قبتها لسنة الضحى (١٣) وصلها فمقت في الحال فلقيته في الدهلج خارجا لما رأيته توقف فقلت له : ان الموضوع قد تشرف اما تراه انه من أيام الزلزلة كيف تشعث فقال : نعيده الى العمارة ، ثم حملت اليه وجوه سكر وشيئا من ثياب وطيب وغنبر وكتبت معها .

عند سليمان على قدره هدية للنمل مقبولة
لا تقصر الملوك عن نملة عندك والرحمة مأولة
رقى ملولانا وملكى له وذمتى بالشكر مشغولة (١٤)

قال : ورأى محراب المدرسة غير مفصصة فنفذ لعمارتها فصوصا

(١٣) قال صلى الله عليه وسلم :

ثلاث لا ادعهن حتى أموت صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر . صحيح البخارى ٣ — ٢٢٢ — ٢٣٣ . وصلاة الضحى ركعتان وعن عقبة بن عامر قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نصلى الضحى بسورتها والشمس والضحى . وقتها من ارتفاع الشمس الى الاستواء . صحيح البخارى ٣ — ٢٣٢ .

(١٤) انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٥٧ حيث يضيف أبو شامة . وكيف يقضى الحق ذومنة ضميعة بالعجز معلولة وانما شيمة مولى الورى ظاهرة بالخسر مجبولة

مذهبة وذهبا ثم حم مقدور حماله دون اتهامه . ووتعت الى الموصل فرأينته ليلة في المنام يقول : ما يعود الى المدرسة معناه فقلت ان المدرسة قد استتبعت فيها من يتولاها فقال : الصلاة فلما انتهيت (١٥) عرفت انه أشار الى المحراب وانه الآن على هيئة (١٦) الخراب فكتبت الى الفقيه الذى كان الذهب عنده مودعا ان يشرع فى عمارته مسرعا فلما عدت الى دمشق فى الايام الصلاحية دخلتها يوم فراغ الصانع من عمارة المحراب وفزت من الغنيمة بحسن الاياب .

نكر تغويض شحنة (١) دمشق

الى القاضى كمال الدين الشـهرزورى رحمه الله

قال : ولما استقط نور الدين الجهات المحظورة عزل الشحن وصرف عن الرعية بصرفهم المحن وقال للحاكم (٢) انظر أنت فى العوادي وما يجرى فيها من الدعاوى وميز بين المحاسن والمساوى واحمل الأمور فيها على الشريعة فرتب على بابيه حاجبه أبا نصر وأمره بما يصلح فى كل أمر وحمل للخزائن من عنده من الاطلس مائة ثوب واراد الخالص فلم يخل من شوب ، ولم يكن كمال المواريث الحشرية (٣) حاصل ولا لديوانه طائل فجعل نور الدين ثلث ما يحصل من الحشرى للقاضى كمال الدين فوضحت حواده (٤) وصحت مواده وكان من قبل لا يخلو الحشرى من وصية يثبت محضرها وقضية يحرق مورها ومصدرها ، ودين يدعى وجانب يرعى فلما صار ثلثه للقاضى ازال نوابه نوابيه وصرفوا عنه شاييه ووفروه وكثروه وأعذبوا عده / (١٦٧) وأعزروه وما كان نور الدين يحاسب القاضى على الوقوف وقال : أنا قد قلدته أن يتصرف بالمعروف وما فضل من مصارفها وشروط واقفها يأمره فى بناء الاسوار وحفظ الثغور وكانت دولته نافذة الأوامر منتظمة الأمور .

(١٥) فى الأصل انتهيت وكذا يجرى السياق .

(١٦) فى الأصل : هيأة .

(١) الشحنة وظيفة يقوم المكلف بها بالجمع أحيانا بين الحكم والقضاء ، وقد فسر لسان العرب الشحنة كالتالى — شحنة الكورة من فيهم من الكفاة لضبطها من أولياء السلطان انظر لسان العرب ٣ — ٢٣٤ .

(٢) القاضى كمال الدين .

(٣) الأموال والممتلكات التى يهوت أصحابها دون وصية وليس لهم وارث تعود الى الدولة انظر قوانين الدواين ٥٤٣ حيث يقول المواريث التى ترتد الى الديوان لعدم وجود وارث شرعى لها .

(٤) فى الأصل — حواد .

عاد حديث مصر وما دبره صلاح الدين قال : **ولما رجع رسول (ه)** نور الدين وهو الموفق خالد أطلعته على كل ما فيه ، أحصى له الطريف والتالد وقال : هؤلاء الأجناد فأعرضهم واثبت أخبارهم وتأمل اعتبار انطاعاتهم ومقادير واجباتهم ولا يضبط مثل هذا الاقليم (٦) الا بالمال العظيم ، وشرع في جمع مال يسيره ويحملة بجهد ويبدله وقال : **الموارد مشفوهة والشدايد مكروهة وحصل لخالد ما لم يحصل في خلده وجاء مطرف غناه أضعاف مثله .**

قال : واجتمع جماعة من دعاة الدولة المصرية (٧) وتوازروا وتزاوروا واعتقدوا منية عادت عليهم بالعقبى منية ، وعينوا الخليفة والوزير ، وأحكموا الرأي والتدبير وكان عمارة اليمنى الشاعر فيهم عقيدهم ودعا للدعوة قريبهم وبعيدهم وكانوا قد ادخلوا عدة من انصار الدولة الناصرية في جملتهم وكان الفقيه الواعظ زين الدين على بن نجا يناجيهم فيما زين لهم من اعمالهم ويدخلهم مطلعا على احوالهم فجساء واطلع صلاح الدين على فسادهم وطلب ما لابن كامل الداعي من العقار والدور وكل ماله من الموجود والمذخور فبذل له صلاح الدين كل ما طلبه وامره بمخالطتهم فصار امرهم يقوى وحديث حادثهم يروى فأمر صلاح الدين باحضار مقدميهم واعتقالهم لاقامة السياسة فيهم . وصلب يوم السبت ثانى شهر رمضان جماعة منهم عمارة ورجل يعرف بالعويرس وآخر يعرف بعبد الصمد وآخرون وانقطع حديثهم وهلك جريرهم (٨) وبعيئهم . وكان منهم داعى الدعوة ابن عبد القوى وكان عارفا بخبايا القصر وكنوزه وخفايا السر ورموزه فهلك دون اخفائها وباد ولم يسمح بابدائها وبقيت تلك الخزائن مدفونة وتلك الدفائن مكنونة وقد دفن دافئها وخزن تحت الثرى خازنها الى ان يأذن الله في الوصول اليها والاطلاع عليها .

قال وهذه لمع من شعر عمارة فمنها قوله في قصيدة :

ملك اذا قابلت بشر جبينه فارقته والبشر فوق جبينى
واذا لثمت يمينه وخرجت من ايوانه لثم الملوك يمينى

(٥) ساقطة في الأصل — الضبط من الرضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٥١ .

(٦) في الأصل — الاقليم .

(٧) المقصود هنا انصار الدولة الفاطمية .

(٨) نسبة الى جرير الشاعر — هو أبو حزمة بن عطية بن الخطنى

واسمه حذيفة من فحول شعراء الاسلام توفى في ١١٠ هـ — انظر ابن خلكان —

وفيات الاعيان ج ١ ص ١٢٧ : ١٣٠

ومنها قوله في شمس الدولة تورانشاه بن أيوب من تصيدة .

لى في هوى الرشاء العذرى عذرا لم يبق لى مذ اقر الدمع ازكار (١)
لى في القدود وفي لثم الخدود وفي ضم النهود لبانات وأوطار
هذا اختياري فوافق ان رضيت به أو لا فدعنى وما أهوى واختار

اول كتاب فاضلى من صلاح الدين الى نور الدين : ادام الله تعالى
سلطان المولى الملك العادل نور الدين وحرس من النعم ما خوله وانهضه
بالامر الذى حملته وحى من الكدر منهله وصان من الغير منزلته ومنزله
ولا زالت الايام مطايه الى بلوغ الامانى والكتب تتفتح اليه بمعانى التهاني
وزمانه مسفرا عن نيل المراد في اهل الالحاد واقامة حدود الله فيهم بالفراغات
الشداد والسيوف الحداد .

قال : وامر نور الدين ولده الملك الصالح استعاعيل يوم عيد الفطر
واحتفلنا لهذا الامر وغلقت محال دمشق اياما وبنيت القصور طباقا وكل
منهم رتب المغانى باغانى وطيب الأوطان بتهادى التهاني وعاش معبد (١٠)
والغريض (١١) وشاع النشيد والغريض واتفق الطهر في ايام الورد وعصر
طرده للبرد .

قال : ونظمت في الهناء بالطهر والعيد تصيدة أولها .

عيدان فطر وطهر قسريب ونصر كلاهما لك فيه حقا هناء واجر

(٩) . أورد ابن الأثير هذه الأبيات كالتالى :

لى في هوى الرشاء العذرى اعدرا لم يبق لى مذ اقر الدمع انكار
لى في القدود وفي لثم الخدود وفي ضم النهود لبانات وأوطار
هذا اختياري فوافق ان رضيت له أولا فدعنى وما أهوى واختار

الرشا . هكذا وردت في الأصل التصحيح ابن الأثير ج ١١ ص ٤١١ .

(١٠) معبد البيهقي . شدا بالمدينة وأخذ القناء من أهلها ومن جماعة

أخرى من علية المغنين بالعراق . خدم هارون الرشيد انظر الاغانى

ج ١٢ — ١٦٨ — ١٧٠ وقال أيضا معبد بن وهب وقيل ابن قطن مولى لى

قطن وقيل ابن قطن الاغانى ج ١ — ١٩ — ٣٠ .

(١١) هو عبد الملك المكنى بأبى يزيد وأيضاً بأبى مروان . والغريض

لصقت به لأنه كان طرى الوجه نضر أغص الشباب حسن المنظر فلقب

بذلك . والغريض الطرى من كل شيء . . وكان أحقق أهل زمانه بمكة

بالغناء . انظر الاغانى ٢ — ١٢٨ — ١٣٠ — انظر الخريدة — عراق

ج ١ (٧٥) حاشية رقم ٨ .

قال : وفي يوم العيد يوم الأحد ركب نور الدين على الرسم المعتاد والقدر يقول له هذا آخر الأعياد ووقف في الميدان الأخضر الشمالى لطعن الحلق ورعى القبق (١٢) وحوله كماء الكفاح ورماة الحنق والاكابر تحت ركابه وقوف والعساكر للمثول ببابه صفوف والسوابق مضمرة والبيارق مشهرة (واليوم يوم الزينة (١٣)) والنظارة أهل المدينة ، وكان قد ضرب خيمته في الميدان الأخضر / (١٦٨) وأمر بوضع المنبر وخطب له القاضى شمس الدين بن الفرائى قاضى العسكر وعاد الى القلعة طالع البهجة بهيج الطلعة وانهب سباطه العام على رسم الأتراك وأكابر الأملاك ثم حضرنا على خوانه الخاص وما وضع بشره وأوضوع نشره وأضحك سنه وأبرك يمنه وفي يوم الاثنين ثانى أيام العيد بكر وركب وكان الفلك بتسييره جار والطود الثابت (يمر مر السحاب (١٤)) فى وقار ودخل الميدان والعظماء يسائرونه والفهماء يحاورونه وفيهم همام الدين مودود وهو فى الأكابر الأكارم معدود وكان والى حلب فقال لنور الدين فى كلامه عظة لمن يغتر بأيامه : ترى تكون ههنا فى مثل هذا اليوم من العام القابل فقال نور الدين مامعناه قل هل تكون بعد شهر فان السنة بعيدة فجرى على منطقهما ما جرى به القدر الساكت فان نور الدين لم يصل الى الشهر وهمام الدين لم يصل الى العام . ثم شرع نور الدين فى اللعب بالأكرة مع خواصه فاعترضه فى حاله أمير آخر برتقش وقال له : باش فأحدث له الغيظ والاستيحاش واعتاظ على خلاف مذهبه الكريم وخلقته الحليم وزجره ونهره وساق ودخل القلعة ونزل واحتجب واعتزل ولا شك ان المرض تمكن منه وهو واكب عن اظهار ما به ناكب فبقى أسبوعا فى منزله مشغولا بنزله والناس لا هون بالختان فما انقضت تلك الأفراح الا بالاتراح وما انقضى ما اتيح من السرور الا بظهور القضاء المتاح وما نهض الجناح الا منهاض الجناح وما صلح الملك بعده الا بالملك الصلاح .

(١٢) فى الأصل . . الطبق والضبط من الروضتين (٢) ١ - ٢ - ٥٧٩

(١٣) سورة طه آية رقم ٥٩

(١٤) سورة النمل آية رقم ٨٨

ذكر وفاة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر رحمه الله بقلعة دمشق

قال : واتصل مرض نور الدين وأشار عليه الأطباء بالفصد فامتنع ، وكان مهيباً فما روجع وانتقل يوم الأربعاء حادى عشر من شوال من مرتع الفناء الى مرتع البقاء ولقد كان من أولياء الله المؤمنين وعباده الصالحين (١) وكانت له صفة فى الدار التى على النهر الداخلى الى القلعة من الشمال وكان جلوسه عليها فى جميع الاحوال فلما جئعت سنة الزلزلة بنى بازاء تلك الصفة بيتاً من الأخشاب فهو يبيت فيه ويصبح ويخلو بعبادته ولا يبرح فدفن فى ذلك البيت الذى اتخذته حى من الحمام واثن بناؤه لبانيه بالانهدام (٢) . واخرجوا يوم وفاته الملك الصالح وهو مجزور الذوايب مشقوق الجيب حاف حاسر واجلسوه فى الايوان الشمالى على التخت والدست الباقى من عهد تاج الدولة تنش فوقه الناس يضطربون ويضطرمون ولما كفن ودفن حضر القاضى كمال الدين وشمس الدين محمد بن المقدم وجمال الدولة ربحان وهو اكبر الخدم والعدل أبو صالح بن العجمى أمين الأعمال والشيخ اسماعيل خازن بيت المال وتحالفوا على ان تكون آراؤهم واحدة وايديهم متساعدة وان ابن المقدم مقدم العسكر .

قال : وأنشأت فى ذلك اليوم كتاباً عن الملك الصالح الى صلاح الدين ترجمته (٣) ولده اسماعيل بن محمود ومفتحه (٤) اطال الله بقاء مجلس سيدنا الملك الناصر السيد الاجل وأدام سموه وعظم أجرا وأجره فى والدنا السعيد الملك العادل . ومنه واجتمع أمراء الحضرة وممالك الدولة وأنشاء النعمة وأولياء الطاعة وارتقاء الخدمة على البيعة المؤكدة والايمان المفظلة والمواثيق المستحكمة بعقائد متعاهدة على الصفاء وأعضاء متعاضدة

(١) يضيف أبو شامة . . وصارت الى جنات عدن اعدت للمتقين .
الروضتين (٢) ١ — ٢ ٥٧٥ .

(٢) بعدها يضيف أبو شامة :

عجبت من الموت كيف أهتدى الى ملك فى سجايا ملك
وكيف سوى الفلك المستدير فى الأرض والأرض وسط الفلك
الروضتين ١ — ٢ — ٥٨١

(٣) يعنى بكلمة ترجمة هنا — التوقيع وامضاء الملك الصالح .

(٤) يقصد بهذا بداية الخطاب .

بالوفاء وحلف الأصاغر والأكابر والغايب والحاضر والبادي والحاضر واذعنت
الرعوس (وعنت الوجوه (هـ)) وسكنت النفوس وعمت بركات الوالد السعيد
رحمه الله في ثبات ملكه أوان زلزال طوده الشامخ وسكون الدهماء (١) بعد
حال تخلخل عزه الباذخ . ومنه وما ههنا ما يشغل السر غير شغل الفرنج
خذلهم الله وقد عرف السيد ادام الله علوه ما يتعين عليه في مثل هذا
الخطب الملم واليوم المدلهم من كل ما يعرف من خصوص وفائه وخلوص
ولائه وطيب المحتد وزكائه وكرم النجر وسنائه فما كان اعتماد مولانا السعيد
الملك العادل رضى الله عنه الا عليه وسكونه اليه الا لمثل هذا الحادث
الكارث فقد أدخره لكف أنياب التوايب وأعدده لحسم أدواء المعضلات اللوازم
وامله ليومه وغده ورجاء لنفسه وولده ومكنه قوة لعضده وايدا ليده .

قال : واتفق نزول الفرنج بعد وفاة نور الدين على الثغر وقصدهم
بانياس ورجوا ان يتم لهم الأمر ثم ظهرت خيبتهم وبان اليأس وذلك ان شمس
الدين بن المقدم خرج وراسل (٧) الفرنج وخوفهم بقصد صلاح الدين /
(١٦٨ ب) بلادهم وأنه قد عزم جهادهم وتوصلوا وتكلموا في الهدنة وقطع
مواد الحرب والفتنة وحصلوا بقطيعة استعجلوها عدة من أسارى الفرنج
استبطلقوها وتمت المصالحة وعقدت بعد المصافاة المصافحة .

قال : وانشأت في ذلك كتابا الى صلاح الدين بما تم من المصالحة
في ثالث ذى الحجة في الاعتذار عن ترك اعلامه بالحال ومنه . اتفق عند
الصدمة الأولى من الحادثة الكارثة نزول الفرنج على بانياس في أعداد من
الخيول والرجل خارجة عن حدد القياس على حين غفلة من أهلها وقلة من
ذخيرتها وخيموا على حزنها وسهلها ولم يسع الوقت لمكاتبة المجلس العالي
ثانية وظننت أن الأولى كافية ولاعنة عزايمة الى نجدتنا ثانية فأخبار الكفار
ليست بخافية .

كتاب بالانشاء الفاضلى عن الملك الناصر تعزية للملك الصالح بوفاته
والده رحمه الله أولا :

(٥) (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما) سورة
طه — آية رقم ١١١ .
(٦) في الأصل غير واضحة وكذا يستقيم المعنى .
(٧) في الأصل — وراسل .

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » (٨) أنزل الله الصبر وضاعف التأييد والنصر بالجناب العالى الملكى الصالحى وبيته فى محل الامتحان والاختيار وبصره بحجة التذكر والاستبصار وأخلصه بخالصة ذكرى الدار والهمة تدرس (٩) قوله (انما هذه الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هى دار القرار (١٠)) وهناه بالملكة التى اقتعد ذروتها وعلا محلها واحتلى عقيلتها وكان كفوها ويعلها وأورثه سريره وسريره وكان أحق بها وأهلها أن تعاطى الخادم الابانة عما دهمه من ألم الفجيعة الفظيعة والمصيبة التى رمت القلوب بالسهام المصيبة احتاج الى خاطر حاضر ولب حاضر وبنان جار وبيان محار وهيئات فالقلوب بأسرها فى أسرها والعقول بجمعها معقولة من سمعها والصدور بالهجوم مملوءة والوجوه بالوجوم ممنوه ليوم سرت الحادثة فيه مسرى الزلزال هز أعطاف كل بلد وطلع مطلع الكسوف بذ الأنوار عن كل عين ويد واستوى الخلق فيه فمن المعزى واعتدى الحق فيه بين الحزن المجتمع والشمل المجزى ياله ناعيا فجع الاسلام باسكندره فتوحا وجنودا وبحضرة ذكر مثله فى الطيب وخلودا (انا لله وانا اليه راجعون (١١)) قول من عز جزاؤه وصدع قوله وتفرقت أجزاءه وصبر مغلوبا ويرجو أن يكون على الله جزاؤه ، ولو وقى من الحمام واق أو آخر أحد من العمر فوق المقسوم قدر فواق لوفى تلك الروح الكريمة ذلك الفعل الكريم ، وتلك اليد التى ما أظلم الخطب البهيم الا طلعت بيد كيد الكريم ولكنه القدر الذى يتجرأ (١٢) على الجازع والصابر والمشرع الذى يؤلف بين الوارد والصادر والقضاء الذى يسوق الخلق الى الصعيد الواحد والمواعد الذى لا يجزى فيه والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والد حتى يرث الله الأرض ومن عليها ويعيد الخلق منها اليها ، وإذا ودعنا الدارج رضوان الله عليه بلا حول ولا قوة الا بالله فاننا نستقبل التأييم بالحمد لله شكرا على بقاء من وهب وصبرا عن لقاء من ذهب ، فان قضى أجل فقد قضى أمل ، وان صدع القلوب وجل فقد جبرها جذل ، وان خر جبل فقد علا والحمد لله جبل ، وان ثلم جانب من المجد فقد سلم جانب ، وان افل طالع من سماء المجد فقد طلع

(٨) سورة الاحزاب آية رقم ٢١

(٩) فى الأصل — تدسى

(١٠) سورة غافر آية رقم ٣٩ .

(١١) سورة البقرة . آية رقم ١٥٦ .

(١٢) فى الأصل غير منقوطة .

غارب ، وان فارقتنا العز عقدا فقد وهن منه العظم فقد استأنفناه عقد قد راق منه النظم ، وان استقل سرير الفنا بمودعه راحلا فقد استقبل بمودعه نازلا لاجرم انه سد ظم الرزية (١٣) واطلع التهنية آخذه باعناق التعزية يلتقى اللغظان فيصطرعان ويحل الضدان في القلب وعجبا لهما في محل واحد كيف يجتمعان حتى اذا تؤمل ثواب الله الذى تقدم عليه القصادم وسلطان الله الذى قدم اليه القايم زادت السلوة ورجحت واحتجبت الايام به ونجحت وكادت العيون تسترجع ماءها الذى سمخت والقلوب تنسخ آية السلو التى قال قابيل الا انها نسخت وهذه الخدمة ناييه عنه في العزاء بهذه الناييه وفى الهناء بالموهبة الثانية وللدولة من الخادم يدان فان انقبضت فعلى قايم سيف نصرها وان انبسطت فبالعطاء الذى به قيام أمرها ، وعينان عين تكلوها على البعاد وعين لولا استزادة طيف مفقودها ما صافحت يد الرقاد .

ومنه أصدرت هذه الخدمة يوم الجمعة التى اقيمت فيه الخطبة بالاسم الكريم وصرح فيه بذكره فى الموقف العظم والجمع الذى لا لغو فيها ولا تأثيم (١٤) وأشبهه يوم الخادم أسسه فى الخدمة ووفى ما لزمه من حقوق النعمة وجمع كلمة الاسلام عالما أن الجماعة رحمة والله تعالى يأخذ ملك المولى الملك الصالح ويصلح به / (١٦٩) وعلى يديه ويؤكد عهد العلماء الراهنة لديه ويجعل للاسلام باقية واقية عليه ، ويوفق الخادم لما ينويه من توثيق سلطانه وتشبيده ومضاعفة ملكه ومزيده ويسير مثال كل أمل صالح وتقريب بعيد .

قال : ولما وصل صلاح الدين ما كتب اليه من الكتب الصالحة لم يعجبه ما جرى مع الفرنج من المهادة والمهادنة وتأثر قلبه بما آثرته قلوبهم وكيف اندملت ندوبهم فكتب الى جماعة (١٥) من الاعيان بالشام كتباً دالة على التوبيخ والجلال .

قال : ولما توفى نور الدين رحمه الله اختل أمرى وأعتل سرى وفاض دمعى وغاض بحرى وغلب حسادى وبلغ مرادهم أضدادى . وكان

(١٣) فى الأصل الرزية وكذا يتطلب السياق .

(١٤) سورة الطور ٢٣ . يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم .

(١٥) اضافة يتطلبها السياق .

الملك الصالح صفيرا فصار العدل ابن العجمي وزيرا وتصرف المخالفون
فى انخزانة والدولة كما أرادوا وولوا وصرفوا ونقصوا وزادوا واقتصروا
بى على الكتابة محروم الدعوة من الاجابة فمشيت امرهم على عرج وتجلدت
على كربهم منتظر فرج وفى عزمى العودة الى العراق وشاقتنى اليه لاعمج
الاشواق ومما نظمت فى تلك الايام قبل الخروج من دمشق فى العشرين من
ذى الحجة فى الشوق والحنين ومرثية نور الدين :

ترى يجتمع الشمل ترى يتفق الوصل ترى العيش الذى مر مريرا بعدهم يحلو
ترى من شاغل الهم مؤادى المبتلى يحلو بغرى شغلوا عنى وعندى بهم شغل
وكانوا لا يملون فما بالهم ملوا وراموا سلوة المغمى والمغمى لا يسلو
ترى يرجع من طيب زمانى ذلك الفضل أخلاى ببغداد وهل لى غيركم خل (١٦)
هبوان الفيه منكم فى الارواح ما تعلوا أميدونى من الهجر فبهجرائكم قتل
لقتسد الملك العادل يبكى الملك والعدل
وقسد اظلمت الافئاق لا شمس ولا ظل
فاين الكرم والعدل واين النافل الجزل (١٧)

قال : وكانوا لضعف وثوق بعضهم ببعض يتبعون ما ابرموه امس فى
يومهم بنقض ولهم كل يوم قسم جديد على قسم حدوده ويمين يمين الحالف
بها لا محالة بما شرطوه فيها من القتال واكدوه وكم عقدوا ما حلوه
وحلوا ما عقدوه :

قال : وكان الامر كمشتكين النايب قد سمع بمرض نور الدين فاخفاه
واستأذن فى الوصول الى الشام فاذن له سيف الدين غازى وخرج وسار
مرحلتين وسمع النعى فاغذ (١٨) السير ونجا بيماله وندم صاحب الموصل على
الرضا بترحاله وكان عنده بوفاة عمه بشاره وظهرت على صفحاته منها
اماره فنودى فى الموصل يوم ورود الخبر بالنسحة فى الشرب جهارا وزال
العرف وعاد النكر وأنشد قول ابن هانئ :

(١٦) فى الأصل . . أخل

(١٧) قصيدة طويلة ذكرها أبو شامة وتتضمن هذه الابيات .

الروضتين (٢) ١ - ٢ - ٥٨٨ .

(١٨) الاغذاء فى السير هو الاسراع فيه . انظر لسان العرب

٣ - ٥٠١ .

فلا تسقنى سرا فقد أمكن الجهسر

وقيل انه اخذ المنادى على يده دفا وعليه قدح وزمر وزعم انه خرج بها أمر فلا خرج على من يفنى ويشرب ويسكر ويضطرب وعادت الضرائب والمكوس .

واما كمشتكين فانه وصل الى حلب واجتمع هناك بالأمر شمس الدين على واخيه (١٩) مجد الدين ابي بكر وهو رضيع نور الدين وقد تربى معه مفوض اليه جميع مقاصده وحكمه في ملكه وكانت حصونه به محصنة ومعاقد معاقلة بشره مبرمة وكان يسكن معه في قلعة حلب ، وشييزر مع أخيه شمس الدين على ، وقلعة جعبر (٢٠) وتل باشر مع سابق الدين عثمان (٢١) ، وحارم (٢٢) مع بدر الدين حسن وعين تاب (٢٣) وعزاز نوابه فيها وهو يصونها ويحميها ، وهم اعيان الدولة وأعضاها وأبدال أرضها وأوتادها فلما توفي نور الدين رحمه الله لم يشكوا في أنهم يكتلون بولده فأقام شمس الدين على وهو اكبرهم وأنبههم وأجودهم وأوجههم ودخل قلعة حلب وسكنها وعرف ما جرى بدمشق من الاجتماع واتفاق ذوى الاطماع فكاتبهم وأمرهم بالوصول اليه في خدمة الملك الصالح ونفذ ثم استقر الأمر المحوط واستحكمت الأسباب والشروط وحمل المال وحسنت الأحوال واستمر الأمر وسكن الدهر الى أن قصد الفرنج تلك الديار وسيأتى شرح ذلك في موضعه ان شاء (٢٤) الله تعالى .

-
- (١٩) في الاصل : اخوه .
 (٢٠) تقع على الفرات بين بالس والركة . كانت تسمى قديما دوسر ، قيل سميت قلعة جعبر لان صاحبها كان يسمى جعبر بن مالك ملكها نور الدين في ٥٦٣ هـ معجم البلدان ٢ — ٨٤ — ٨٥ . قسارن حاشية رقم ٤ في الروضتين (٢) ١ — ١ — ٢٩ .
 (٢١) في الأصل عثمان .
 (٢٢) حارم حصن وكورة من أعمال حلب تجاه انطاكية ، انظر معجم البلدان ٢ — ١٨٤ .
 (٢٣) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية وكانت تعرف بدلوك معجم البلدان ٣ — ٧٥٩ .
 (٢٤) في الاصل انشاء .

ذكر تيسير فتح قلعة جعبر

قال : كان صاحبها شهاب الدين مالك (١) بن علي بن مالك من آل عقيل من بني المسيب نازلا منها في مناط الكوكب سامي المرتى / (١٦٩ ب) والمرقب وهى التى قتل زكى بن اقسنقر (٢) وهو على حصارها وتحقق عند الناس ان القدر من انصارها . فاغتر برقعات عيون اللالى عنه ونزل فيها مسترسلا وقصد أن يتصيد فتقنصه بنو كلب وتقربوا به الى نور الدين وذلك فى رجب سنة ثلاث وستين فلم يزل عنده بحلب محبوسا وبعين حفظه محروسا فتارة يرغبه وآونة يرهبه ، مرة يعده ودفقة يوعدة . وسير فخر الدين بن مسعود الزعفرانى فحصرها ودام الحصار وابطأت فى استفتاحها الاقدار ومضى مجد الدين أبو بكر أكبر أمراء نور الدين وهو رضيعه وصنيعه فلم ير له فى فتحها مجالا فلم يزل يتوسط مع صاحبها حتى اصحب بعد جهاحه واشتط فيما اشتطره من اقتراحه وهو سروج (٣) بأمواله والمالحة (٤) وأدوم (٥) والباب (٦) بأمواله وعشرون ألف دينار فاذا تعجل له ذلك كله وحصل من اليمين على استظهار سلم القلعة عن اختيار منه وايثار فأخذ جميع ما شرط وسلم القلعة فى صورة مكره لا فى صورة مختار .

قال : ودخلت سنة أربع وستين وخمسائه وتسلم مجد الدين قلعة جعبر وصعد اليها يوم السبت منتصف المحرم ووصل كتابه الى حلب فسار نور الدين وأنا فى خدمته وطلع الى القلعة يوم الخميس العشرين من المحرم فأنشدته هذه القصيدة قالت ومنها .

اسلم لبكر الفتوح مفترحا ودم للسك البلاد منتزعا

(١) انظر ابن الاثير — الكامل ١١ — ٢٢٠ وما بعدها .

(٢) فى الأصل — قسنقر .

(٣) بلدة قريبة من حران من ديار مضر معجم البلدان ٣ — ٨٥ .

(٤) المالحة بالفتح ثم تشديد اللام وضمها وحاء مهملة . قرية كبيرة من قرى حلب معجم البلدان ٤ — ٦٢٨ .

(٥) بقرب العمق ويظن انه جبل . معجم البلدان ١ — ١٦٩ .

(٦) يعرف بباب بزاغة بليدة فى طرف زادى بطنان من أعمال حلب

بينها وبين منبج نحو ميلين والى حلب عشرة أميال وهى ذات أسواق . معجم البلدان ١ ص ٤٣٧ .

كان مقيما منها على الفلك الأعلى ششهايا بنسوره صدمها
لكنمها الششهب ما تنير اذا لاح عمود الصباح فانسطها
يدفعها طايما اليك وكيم عنها أبا بجهده دفعا (٧)

ذكر مسير الفرنج الى مصر

قال : كانت الفرنج في التوبتين اللتين استعان بهن شاور على أسد الدين
قد شاهدوا الديار المصرية واطلعوا على العورات وكشفوا المستورات
وطعموا في البلاد وتجمعوا لها بالاحتشاد وتوجهوا اليها سايرين وشايعتهم
على قصدهم من اعيان مصر جماعة ما كانت للمصريين عليهم طاعة وشاوروا
الفرنج على شاور لأنهم أعداؤه وقد أعياهم (١) دواء وهم ابن الخياط وابن
قرجلة وامثالهم وتوجهوا من عسقلان في النصف من المحرم ووصلوا الى
بلبيس أول يوم من صفر واستولوا على أهلها قتلا وأسرا وأقاموا بها خمسة
أيام ثم أناخوا على القاهرة في عاشر صفر وأحرق شاور مصر في اليوم
التاسع منه وخاف عليها من الفرنج وبقيت النار تعمل فيها الى خامس شهر
ربيع الآخر وكان غرضه أن يأمن عليها من العدو الكافر (٢) ثم ضاق الحصار
وعرف شاور أنه يضعف عن الحماية وأن مبدأ الحفظ لا يصل الى الغاية فشرع
في تمحل الحيل فأرسل الى ملك الفرنج يبذل له المودة وقال امهلني حتى
أجمع لك الدنانير وأطعمه في ألف ألف دينار معجلة ومنجمة ثم قال له :
ترحل عنا وتوسع الخناق وتظهر الإرفاق وعجل له مائة ألف دينار حيلة
وخداعا وواصل بكتبه الى نور الدين مستصرخا ومستنقرا وبما نال الاسلام
من الكفر مخبرا وسير الكتب مسودة بمداها كاسية لباس حدادها وفي
طيها ذوايت مجذوزة ظن أنها من شعور أهل القصر للأشعار بما عراهم من
بليه الحصر وأرسلها تباعا ورادف بها (٣) نجابين سراعا وعامل الفرنج
بالمطال وبالإرسال بعد الإرسال حتى أتى الغوث ولما سمع أسد الدين
بخبير الفرنج ساق من حمص في ليلة واحدة الى حلب وقال لنور الدين
إن الفرنج قد استحكم في البلاد المصرية طمهم ، وليس سنواك في الوجود

(٧) انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٣٨٧ — ٣٨٨ .

(١) في الأصل — أعداهم .

(٢) في الأصل : والكفار ، والواو زائدة .

(٣) في الأصل : بين .

من يرحمهم(٤) ومضى تجمع العسكر وكيف تدفعهم فقال له : ان خزانتي لك
فخذ منها ما تريد وأطلق له في العاجل مائتي ألف دينار وأمر خازنه ولى
الدين اسماعيل بأن يوصل اليه كثير ما يلتمسه والقليل . فمضى نور الدين
لتسلم قلعة جعبر ومضى أسد الدين وحشد التركمان ولما عاد استقل
نور الدين الى دمشق وقدم صلاح الدين اليها السبق وكان وصوله اليها
بكرة الأحد التاسع والعشرين من صفر وخرجنا الى الفوار وأسد الدين
هناك في العسكر الجرار وأطلق لكل فارس عشرين ديناراً(٥) وعرضنا أكثر
من خمسة آلاف / (١٧٠) من الرجال الأبطال وأضاف اليهم نور الدين
ألف فارس(٦) من أمراء مماليكه عز الدين جرديك وغرس الدين(٧) قليج ومن
أمراء خواصه عين الدولة ابن كوخات وبنال بن حسان ومن(٨) شذعن
ذكرهم واجتمع في يوم كتاب الديوان والبيوت والأمراء وركبت العساكر في
تلك الصحراء في عددهم الموقورة والويتهم المنشورة فعرضناهم في ساعة
واحدة بأقلام متعددة ورحلوا على قصد مصر في نصف شهر ربيع الأول
وخيم نور الدين فيمن أقام معه برأس الماء نازلاً بمنزلة الفقيع(٩) على تلها
مقيماً الى أن يأذن الله في تلك العقدة بحلها فوصل المبشر برحيل الفرنج من
القاهرة عند وصول خبر وصول العسكر فسرنا(١٠) كتب البشائر بالفتح
والظفر .

نكر ما اعتمده أسد الدين عند وصوله الى مصر وكان وصوله اليها في سابع عشر ربيع الآخر

قال : ولما سمع الفرنج نهوض عسكر الاسلام اجفلوا اجفال النعام

(٤) في الأصل يزحهم .

(٥) انظر

H. A. R. Gibb; The Armies of Saladin, Studies on Islamic Civilization, pp. 47 : 90.

(٦) فاء زائدة في الأصل .

(٧) انظر النوادر ص ٥٣ — حاشية رقم ٤ . وقد ورد في هذه الصفحة اسم غرس الدين وفي الحاشية ورد عز الدين .

(٨) في الأصل — وكما .

(٩) في الأصل : الفصيح

(١٠) في الأصل : فسرنا وكذا يستقيم الكلام .

ورحل ملكهم الى بلبيس ثم عاد الى الساحل ودخل أسد الدين في التاسع (١) منه الى الايوان وخلع عليه وفي العاشر منه نزل أهل مصر الى مصر وسكنوها وتودد شاور الى أسد الدين وتردد وتجدد بينها من الوداد ما تأكد فقال صلاح الدين هذا أمر يطول ومسألة (٢) فرضها يعول ومعنا هذا العسكر الثقيل ولا استيلاء مع استيلاء شاور ولا سيما اذا راوغ وغارر (٣) فأنفذ (٤) أسد الدين الفقيه عيسى (٥) الى شاور وقال : أخشى عليك ممن معى من الناس فلم يكثر بمقاله وركب على سبيل انبساطه واسترساله فاعترضه صلاح الدين في الأمراء النورية فبغته وشحته (٦) وقبضه وأثبتته ووكل به في خيمة ضربها له وحاول إمهاله فجاء من القصر من يطلب برأسه ، جاء الرسول بعد الرسول وأبوا أن يرجعوا الا بنجح السؤال فحم حمامه وحمل الى القصر هامة وذلك يوم السبت سابع عشر ربيع الآخر وتقلد أسد الدين الوزارة واستقل بأوزارها وعاد بالقاهرة الى دارها ونعت بالملك المنصور ولما جاء الجبر الى الشام كتبت اليه أهنية بقصيدة أولها :

بالجد أدركت ما أدركت لا اللعب كم راحة جنيت من دوحة الشعب
افخر فان ملوك الأرض قاطبة أفلاكها منك قد دارت على قطب
فتحت مصر وأرجو أن يصير بها ميسرا فتح بيت القدس عن كئيب (٧)

(١) قارن الروضتين (٢) ١ — ٢ ٣٩٨ اذ يقول : ودخل أسد الدين في الرابع من شهر ربيع الآخر ... ومن المرجح أن يكون التاريخ الذي ورد في أبى شامة غير صحيح لأن مختصر البرق يقول : ودخل في التاسع .. وخلع عليه في العاشر ... وقد كانت وزارته شهرين وخمسة أيام تبدأ من ١٧ ربيع الآخر وتنتهى في ٢٢ جمادى الآخرة وهذا يؤكد صحة التاريخ الوارد هنا (٢) في الأصل : وسئل الضبط من الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٣٩٨ .
(٣) الأصل : غاوز . والضبط من نفس المصدر نفس الصفحة .
(٤) نفذ . هكذا وردت في الأصل والضبط في نفس المصدر نفس الصفحة .

(٥) هو أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد ابن يوسف بن القاسم بن عيسى بن محمد . ويقال له الهكاري الملقب ضياء الدين . توفى في ٦٣٦ هـ وقال ابن خلكان أنه حضر الصلاة عليه . انظر ترجمة له في ابن خلكان وفيات الأعيان ١ — ٥٠٢ — ٥٠٣ .
(٦) في الأصل : وتحتة .

(٧) قصيدة طويلة ذكرها أبو شامة . انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٤٠٣ — ٤٠٤ .

وكتبت الى صلاح الدين كلمة اولها :

لو أن عسذرى لك يالاح لاح ما كنت عن سكرى ياصاح صاح
وما شفقائى وسقامى سسوى لواحظ الفيد المراض الصاحاح

قال : وكتب لأسد الدين منشورا من القصر كتب العاضد فى طرته بخطه
هذا عهد لا عهد لوزير بمثله وتقلد أمانة رآك فلان (٨) أهلا لحملها (٩) فخذ
كتابك بقسوة واسحب ذيل الفخار بأن اعتزت خدمتك الى بنوة النبوة
واتخذ للفوز سبيلا (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله
عليكم كفيلا (١٠) .

نكر وفاة أسد الدين

يوم الاحد الثانى والعشرين من جمادى الآخرة

وولاية صلاح الدين فى الخامس والعشرين منها

قال : ولما تسنى أمر أسد الدين وعلا سنا سلطانه وملك بملكه
زمام زمانه وقر غرار الكرى وغرار المظبى فى اجفائه فاجأه القدر وجاءه
الكدر فى صفائه وقضى القضاء لأمل بانقضائه فمضت ناره وغاض ماؤه وتوفى
يوم الاحد الثانى والعشرين من جمادى الآخرة .

ولما فرغ العسكر بعد ثلاثة أيام من التعزية اختلفت آراؤهم واختلطت
اهواؤهم فاجتمعت الامراء النورية على كلمة واحدة وايد متساعدة وعقدوا
لصلاح الدين ومثالوا هذا مقام عمه والزموا صاحب القصر بتوليته ونادت
السعادة بتبليته ، وشرع فى ترتيب الملك وتربيته ، وفرض ختم الخزان ومرفق
ما جمعه أسد الدين فى حياته ، ورأى أوليائه (١) تحت الويته وراياته واحبوه
ولم تزل محبته غالبية على مهابته وهو يبالغ فى تقرييهم كأنهم ذوو قرابته
وما زاده الملك الا ترفعا وما زاده (٢) الا تأصلا فى السماح وتفرعا . وكتب

(٨) يقصد الخليفة العاضد .

(٩) فى الأصل : لحمله .

(١٠) سورة النحل . آية رقم ٩١ .

(١) فى الأصل أوليائه .

(٢) فى الأصل هاء ناقصة .

له العاضد من القصر منشور الوزارة / (١٧٠ ب) ولقبه بالملك الناصر ومن الفاظ هذا المنشور في مخاطبة صلاح الدين : فيومك واسطة في المجد (بين يدك (٦)) فامسك وكل ناد من اندية الفخار لك ان تقول فيه ولغيرك ان يمسيك فيشارك ان انعمه منكم موصولة بوالد وولد وان شمس ملكه بكم كالشمس اقوى ما كانت في بيت الاسد .

قال : وكان بالقصر استاذ(٤) له على حكم القصر استحواز وبدا من شرار شره دخان ومن رشاش كيده رذاذ ، وتآمر(٥) هو ومن شايعه على ان يكتبوا الفرنج فكتبوا ملطفات بالاستدعاء وسيروها على سبيل الخفاء فاتفق ان رجلا من التركمان عبر بالبيضاء(٦) فرأى نعلين جديدين مع انسان فأخذهما على سبيل الامتحان . وقال : لو انهما للبسه لكان بهما اثر استعمال فأخذهما وجاء بهما الى صلاح الدين ووصف الحال فامر بنقبهما ووجد في طيهما حرفا مكتوبة(٧) مكتومة وتأملها فاذا هي للفرنج(٨) من القصر وكان مقصودهم ان صلاح الدين اذا سمع بخروج الفرنج خرج الى القتال ويخرجون وراءه لانتهاؤه ويقدم الفرنج على لقائه ويأخذون امامه والمصريون من ورائه فأخذ الكتاب وقال : دلوني على كاتب هذا فدلوه على يهودى من الرهط فلما احضروه ليسألوه ويعاقبوه قدم التلغظ بالشهادتين والدخول في عصمة الاسلام ثم اعترف بما جناه وان الامر به مؤتمن الخلافة فرأى اخفاء هذا السر واستشعر الخصى فما صار يخرج من القصر مخافة واذا خرج لم يبعد مسافة وصلاح الدين عليه مغضب وعنه مغض الى ان استقرسل . وكان له قصر يقال له الخرقانية(٩) فخلا فيه يوما للذة له ولم يدر انه يوم ذلته فانتهض اليه صلاح الدين من اخذ رأسه ونزع من حياته

(٣) ما بين الحاصرتين مطموس في الاصل .

(٤) يقصد مؤتمن اخلافة .

(٥) في الاصل . . تومر .

(٦) قرية قريبة من بلبس — تعرف الآن بعزبة أبى حبيب ، محافظة الشرقية .

(٧) في الاصل : حرف .

(٨) في الاصل . . من الفرنج الضبط من الروضتين (٢) ١ — ٢٥١

(٩) من قرى محافظة القليوبية قريبة من القناطر الخيرية .

لباسه وذلك في يوم الأربعاء العشرين (١٠) من ذى القعدة سنة أربع وستين . ولما قتل ثار السودان وثأروا يوم الخميس يوم قتله وكانوا أكثر من خمسين ألف . من كل أخضر ينظر من عينه الموت الأحمر ، وأغبر لا يجلوه الا اليوم الأغبر . وكانوا اذا قاموا على وزير قتلوه فحسبوا ان كل بيضاء (١٢) شحمه وان كل سوداء فحمة فأقبلوا ولضراهم حجه ولضراهم فحمة فقال اصحابنا : هذا مبدأ الروع وريعانه وعنفوان العنف وعنوانه نهاجوا الى الهيجاء وكان المقدم الأمير أبو الهيجاء المسمين فاتصلت الحرب بين القصرين وأحاطت العسكرية بهم من الجانبين ودام الشر يومين حتى أحس الاساحم بالحين وكلما لجأوا الى محلة أحرقوها عليهم وحسوا ما حوالهم وأخرجوا وأخرجوا الى الجيزة وأذلوا بالنفس عن منازلهم العزيزة وذلك يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر فما خلاص السودان بعدها من الشدة ولم يجدوا الى الخلاص سبيلا وأين ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . وسير نور الدين الأمير فخر الدين تورانشاه بن أيوب أخا صلاح الدين الى مصر وكان خروجه من دمشق عاشر شوال ووصله اليها ثالث ذى القعدة ورأى ان يمدده به ويشد به أزره ويصون مصر (١٢) بصفوة فخره ويستديم على الكفر والبدعة ظهوره وظهره قال : وكثرت كتب صلاح الدين الى اصدقائه بالشام فمنها كتاب وضمنه هذا البيت .

وانثر الدمع من قبل أبيضاً وقد حال مذ بنتم فأصبح ياقوتا

(١٠) ذكرها أبو شامة في الخامس والعشرين من ذى القعدة . انظر الروضتين ١ — ٢ (٤٥١) . وذكرها ابن واصل في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذى القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة — مفرج الكروب ١ — ١٧٥ — ١٧٦ وهو بذلك يوافق أبا شامة ويقول ابن الأثير : في أوائل ذى القعدة قتل مؤتمن الخلافة . الكامل ١١ — ٢٢٨ . ويقول المقرئ : في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذى القعدة . الخطط ٣ — ص ٣ ويرجح ان هذا هو التاريخ الصحيح .

(١١) مما يذكر هنا أن الفاطميين استعملوا عناصر غير عربية في الجيش الفاطمي . استعملوا السودان وغيرهم من الجند المرتقة ، وقد كانوا دائما يمثلون عنصر شغب في الداخل . وقد شجعت عمه الخليفة المعاضد هذا العنصر وبلغت مكانتهم شأوا عظيما حتى أن أستاذ القصر كان واحدا منهم .

(١٢) سبيل : وردت في الاصل . وبها لا يستقيم المعنى . انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ ص ٤٥١ . (١٣) في الاصل — بمصر .

ومنها كتاب آخر ضمنه هذا البيت

ما كنت بالمنظور أتنبع منكم ولتد رضيت اليوم بالسموع

قال : وفي هذه السنة قتل العاضد بالقصر ابنى شاور وعمهما يوم الاثنين رابع جمادى الآخر وذلك أنه لما قتل شاور عادوا بالقصر وكانها نزلوا في القبر .

قال : ودخلت سنة خمس وستين ونزل الفرنج مستهل صفر على دمياط وأحاطوا بها بحرا بمراكبهم وبراً بكتائبهم فوقع اليأس والبؤس وتقطعت النفوس فسبق إليها تقى الدين بن أخى السلطان وشهاب الدين خاله وتوافد إليها الأمراء فرجع إليها بعد الاشقاء الرجاء (١٤) . وأقام صلاح الدين بالقاهرة في دار ملكة ينهض إليها المدد بعد المدد واتصل الحصار واستشرى الشر لكن الاصحاب اولياء اولياء الله صبروا وصابروا وتزاوروا وامسوا على القتال وأصبحوا وتاجروا لله وربحوا وهسدوا بنيان الكفر المرصوص المرصوف وأهلكوا بالعشرات الألوف وأقاموا على دمياط أحدا وخمسين يوما ودب فيهم الفناء / (١٧١) وهب عليهم البلاء (وذهب عنهم الرجاء (١٥)) ورحلوا عنها بالذل الاكمل والصغار الاشمل .

ولما وصل الخبر الى الشام اغتم نور الدين وامر الأمير قطب الدين خسرو الهذباني أن يسير بالعسكر ويخوض بهم المعاجاج الاكدر فوصل قبل رحيل الفرنج بأسبوع فوقع روعه من الكفر في كل روع فان للنجدة قليلة كانت أو كثيرة صيتا يورث شمل العدد تشتيتا وحبل ذى العتد تبتيتا .

قال : وكتبت عن الملك العادل نور الدين الى العاضد كتابا منه :
أطال الله بقاء فلان ولا زالت عوادي نعمه محدقة بأوليائه أحداق الاجفان بالاحداق ، وعوادي نكته محرقة لأعدائه أحراق النيران أهل المشقاق وما أعلت رايات النصر للدين وتليت آيات الذكر المبين الخادم يهنئ بما أسناه (١٦) الله من الظفر الذى أضحك سنن الايمان وحصل أهل الشرك في

(١٤) فى الأصل : الدماء .

(١٥) ما بين الحاصرتين فى الأصل غير واضح وكذا يستقيم السياق .

(١٦) فى الأصل : سناه .

شرك الخذلان وأعاد جيش الكفر واهى الجأش وبدا الضلالة بادية الارتعاش حتى عاد حزب الشيطان مخذولا وسيف الله في رقاب اعدائه مسلولا وذلك ببركات الدولة التي سطع نورها ولولا صدق اهتمامه بأهل الاسلام وحفظ الاولياء الذين يذبون عن الدين ويحافظون على الذمام لكاد ركن الحق يميل لكيد الباطل فوفق الله فلانا وايده بنصره وأجرى قضاءه وقدره على وفق أمره ورد كيد العدو الكافر في نحره .

قال : وفي هذه السنة كنت رسولا بخلاط (١٧) عن نور الدين وخرجت من دمشق ضحوة نهار الأربعاء تاسع عشر ذى الحجة ومتوليها حينئذ ظهر الدين سكران المعروف بشاه أرمن ودخلت خلاط ثانی صفر وعدت على طريق ماردين (١٨) ومتوليها البی بن تهرئش بن ايلغازی ابن ارتق المنعوت بنجم الدين وعدت الى دمشق في ربيع الاول أول فصل الشتاء وعدت الى عادتي في الانشاء وكانت سفرتي في الرسالة مزوجة لم يف بشكايتها شكرنا .

قال : وفي أول هذه السنة خرج نور الدين الى داريا (١٩) فأعاد عمارة جامعها وتبرك بضريح أبي سليمان الداراني (٢٠) رحمة الله عليه وعمر مشهده وأعاد الى الحالة الحالية مسجده وشتا بدمشق . ولما دخل فصل النيروز استأذن الأمير نجم الدين أيوب في قصد ولده والخروج من دمشق الى مصر بأهله وجهائته وسبده ولبده ، وسار ووصل الى مصر في السابع والعشرين من رجب وقضى العاضد من حقه ما وجب ، وركب لاستقباله .

(١٧) خلاط بكسر اوله وهى قصبة أرمينيا الوسطى . انظر معجم البلدان ٢ — ٤٥٨ — ٤٥٩ .

(١٨) ماردين بكسر الراء والدال وهى قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على ديسر ودارا ونصيبين . معجم البلدان ٤ — ٣٩٠ .

(١٩) من قرى دمشق بالقوطية . والنسبة اليها داراني على غير قياس . انظر معجم البلدان ٢ — ٥٣٦ والروضتين (٢) ١ — ٢ — ٤٦٣ .

(٢٠) هو عبد الرحمن بن عطية الزاهد ويقال أصله من واسط . روى عن الربيع ابن صبيح وأهل العراق . توفى بداريا في ٢٥٣ هـ وتبره معروف بها يزار . معجم البلدان ٢ — ٥٣٦ .

وقال ابن خلكان : هو أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني الزاهد . والداراني نسبة الى داريا وهى قرية بقوطية دمشق والنسبة اليها على هذه الصورة من شواذ النسب . ابن خلكان وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٧ .

ولما عزم التوجه الى مصر شرع في تفريق أملاكه وتوفير ماله فيه شركة على إشراكه ، ولم يستصحب شيئا من موجوده وجعله نهبه جوده .

وكان نور الدين لما برز نجم الدين خرج الى رأس الماء بعسكره وخيامه وأرهف للجند في الجهاد حد اغرامه ثم أقام بعد توديعه والوفاء (٢١) بحق تشييعه الى ان اجتمعت عليه عساكره ثم توجهنا الى بلاد الكرك مستهل شعبان ونزلنا أياما بالبقاء (٢٢) على عمان ، وكانت الشعاب معشبة والمراعى مزرعة ، ثم سرنا على طريق الوالة الى الكرك وأقمنا عليها أربعة أيام وقاتلناها اشد قتال ونصبنا عليها منجنيقين ورجونا ان اقمنا ان نبلغ الغرض ونؤدي في فتحها المفترض لكن وصل الخبر بان الفرنج قد اجتمعوا ووصلوا الى ماعين فقال نور الدين نرى ان نصرف أعنتنا اليهم وبالله نستعين فرحلنا ومعنا أمراء بنى ربيعة وقد استصحبوا من العرب المشيخة المطيعة ومقدماء الفرنج هنفري وفيليب بن الرقيق في مائتي (٢٣) رمح والف فارس من التركبولية وراجل كثير من السرجندية فلما رأوا مئارا عجائبا ولوا مدبرين وقالوا : قد حصل مقصودنا من رحيلهم عن الحصن ولما عدنا وصلنا الى حوران واستقبلنا شهر رمضان فحُتْمنا بعشتر (٢٤) وأدينا فرض الصيام .

ذكر الزلزلة التي عمت بلاد الشام

قال : واصبحنا يوم الاثنين الثاني عشر من شوال وانا في خيمتي جالس فأحسست بالأرض تحتى تموج كالبحر اذا عصفت به الرياح الهوادج فما أروعها زلزلة وأصدعها آية من الله منزلة وتواصلت الأخبار من جميع بلاد الشام بما أحدثته من الانهداد والانهدام وان مما قد معاقها انحلت واختلت (والقت ما فيها وتخلت (١)) فرحل نور الدين من عشتر يوم الثلاثاء ووصل

(٢١) في الاصل : الوفا .

(٢٢) كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى تصببها عمان .

معجم البلدان ١ — ٧٢٨ .

(٢٣) في الاصل : ماتى .

(٢٤) موضع بحوران من أعمال دمشق . معجم البلدان ٣ — ٦٧٩ .

(١) سورة الانشقاق : آية ٤ .

الى بعلبك يوم الاربعاء وسقنا وراءه ووصلنا يوم الخميس . وقد شرع نور الدين لما تهدم / (١٧١ ب) من بنيانها في التأسيس وكانت قلعتها تعلقت فاقام بنية تشييد أركانها ثم أتاه الخبر بما تم على حمص وحماه ويعرين وحلب لأن أمر الله لا سيما بحلب غلب وزرع عمارتها وسلب السلب فتقدم بترتيب أمور العمارة ، وسلم الى الثقات مالا ووكل بالعمل صناعا ورجالا ثم سار الى حمص وظهر للم (٢) شعثها الحرص . وأما حصن بعيرين (٣) فقد كان بيد الأمير زين الدين عمر بن لاجين فلما وقع سبيه واخذ الى مصر مذهبه فانه كان صهر صلاح الدين فطلبه . ورتب نور الدين رحمه الله الأمير الكبير عين الدولة بن كوخات في خمسمائة فارس فانه كان من الفرنج على خطر فجعلهم من مجاورته على حذر . وكان الهم الكبير في حلب لانهدام مبانيها وانهداد مغانيها فوصل نور الدين اليها وجد في عمارتها وأقبل عليها ورد الى أحكم القواعد بنيانها وأما سور البلد فانه جدد منه المنهدم وكان بذلك مغرما فلم يستكثر المغرم واخذ له في كل بلد مجلسا حتى يكون من الزلزلة يعون الله مصونا .

قال : من مكتبة أنشأتها الى المواقع المقدسة المستنجدية في المعنى قد أحاط العلم الشريف لجله الله بهذه الحادثة التي ألت بالشام من الزلزلة التي تداعت له الثغور بالانحلال والمعازل والحصون بالانهداد والانهدام ولم يكن الا (عبرة لأولى الابصار (٤)) موعظة وآية من الله لعباده منذرة موقظة وقد عميت (٥) حتى عطلت كل حال وشغلت كل بال وألحقت كل جديد ببال والحمد لله على كل حال وما سكنت النفوس من رعبها الا بما دهم الكفار من أمرها فانهما وافقت يوم عيدهم وهم في الكنائس فأصبحوا للزدي مزايس (شاخصة ابصارهم ينظرون (٦)) (فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون (٧)) ولولا اشتغالهم بما عراهم حيث

(٢) في الاصل : لكم .

(٣) بليد بين حمص والساحل هكذا تتلفظ به العامة وهذا خطأ وانما

هو بارين . معجم البلدان ١ — ٦٧٢ .

(٤) سورة آل عمران آية رقم ١٣ .

(٥) في الاصل : عميت .

(٦) سورة القلم آية رقم ٤٣ .

(٧) سورة النحل آية رقم ٢٦ .

انقلعت كل قلعة لهم من أساس بنياتها ورجف كل بلدة في أيديهم بهلاك سكانها لم تؤمن في نوبة هذه النبوة معرفتهم ولم تخش بعد هذه المصرة الا مضرتهم وأن بالثغور الاسلامية شدة افتقار الى تحصينها واعادة ابنية حصونها قبل أن يستفحل الداء ويتفرغ لشغلها الأعداء وما أولى المواقف المقدسة بإيلاء الأيادي واسدائها واعانة من تكفل بسد ثغور الاسلام وصد أعدائها وما أحوج الخادم الى نظرة شافية وعارفة لهذا المحذور كافية ولا ينهض بعقب هذه النبوة الا بما يرفد به من المعونة وبما يشمله من بركات الأيام الزاهرة الميمونة (٨) .

ذكر توجه نور الدين

الى الموصل بعد وفاة أخيه قطب الدين (١)

قال : فوصل الخبر بوفاة قطب الدين مودود بن زنكى بالموصل فأشفق من أمرها المهمل أن الخادم المنعوت بفخر الدين عبد المسيح (٢) قد تعرض للحكم وأقام أحد اولاده وهو سيف الدين غازى مقام أبيه ليتحكم في الموصل وفيه فقال نور الدين انا أولى بالبلاد والشفقة على الأولاد وسار حتى عبر الفرات عند قلعة جعبر واستصحب العسكر وادلج ليلا وسار وأسرى وأصبح على الرقة وفيها أمير يستمى كردك فتمنع فأخذ منه البلد عنوة بالسلم شبيهه وأطاعه لما عجز ولم يلق كراهية . قال ودخلت سنة ست وستين : يوم نزلنا على الرقة ونور الدين ساطع النور جامع الأمور مصمم العزم آخذ بالحزم جاز من عدله واحسانه على الرسم قال : واستدعاني نور الدين ونحن بظاهر الرقة وقال : قد آتست بك وأمنت اليك وأنا غير مختار للفرقة لكن المهم الذى عرض لا يبلغ فيه غيرك الغرض فتمضى الى الديوان العزيز جريدة وتؤدى عنى رسالة سديدة ستعيدة وتنتهى ائنى تصدت بيتى وبيت والدى ومعنى طريقى وتالدى فامضى وخذ لى اذننا فى ذلك . وأمر ناصر الدين محمد بن شريكوه أن يسير بى الى الرحبة فى رجال مأمونى

(٨) يضيف أبو شامة قصيدة طويلة فى مدح نور الدين تبدأ بهذا البيت
هل لعانى الهوى من الأسر فادى ولسارى ليل الصبابة هادى
الروستين (٢) ١ — ٢ — ص ٤٦٨ .

(١) حكم من ٥٤١ — ٥٦٥ هـ بالموصل .
(٢) وزير قطب الدين ، كان نصرانيا آذى علماء المسلمين . حاول الاستبداد بالموصل لكن نور الدين قمع محاولته .

الصحية وسرت منها على البرية غربى الفرات بخفير من بنى خفاجة (٣) وعبرت على هيت (٤) ثم عرسنا بالانبار (٥) ورحلنا منها وجزنا على نهر شيل (٦) وعقرقوف (٧) فلما وصلنا الى قرب بغداد سرت غلامى ابراهيم ليخبر الديوان العزيز بالوصول وانتظرت ما جرت به العادة فى تلقى الرسول فجاءوا وعبروا بى الى الديوان العزيز وخصونى باسباب / (١٧٢) التمييز واجتمعت بالوزير شرف الدين بن البلدى وكانت بينى وبينه صداقة صادقة فى ايام الوزير ابن هبيرة فانه كان ناييه بواسط وانا مشرفه ثم انتقل هو الى الديوان الشريف بها ناظرا (٨) ونبت عن الوزير فمن هناك تأكدت (٩) الصداقة فما صدق كيف رأتى وبجبه وحباته حبانى وقرظنى عند امير المؤمنين وقال له بمثله لا نسمح بل يكرم ويخدم ويشرف ويمنح فاحتسبى عنده شهرين يعنى (١٠) من الامام باجل منصبين من الانشاء والنيابة وشفع (١١) سؤلى فى حق مخدومى بالاجابة والاصابة فقلت له اذا قضيت حق الرسالة عدت الى عدتك فى الحلية والحالة فلما مرض المستنجد بالله ورأيت مبادئ وهنه تتجدد على مر الجديدين استأذنته فى العود فأذن وسير معى فى الرسالة

(٣) ذكر ياقوت بنى خفاجة فى حديثه عن رصافة الشام وقال : وفيها دير عجيب وعليها سور وليس عندها نهر ولا عين جارية انما شربهم من صهاريج عندهم داخل السور . ولبنى خفاجة عليهم خفارة يؤدونها صاغرين . معجم البلدان ٢ — ٧٨٥ ويبدو أن بنى خفاجة كانوا على دراية بمسالك هذه المنطقة لذلك يقول النص : وعبرنا بخفير من بنى خفاجة . هذا ويرجع أصل بنى خفاجة الى اليمن . معجم البلدان ٢ — ٩٦٨ .

(٤) بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار . معجم البلدان ٤ — ٩٩٧ .
(٥) مدينة على الفرات فى غربى بغداد . معجم البلدان ١ — ٣٦٧ وما بعدها .

(٦) احدى ضواحي الكوفة فى ياقوت شيلى نهر من انهيار احدى ضواحي الكوفة المعروفة بشيلى معجم البلدان ٣ — ٣٥٨ .

(٧) عقرقوب كما وردت فى الاصل وردت فى معجم البلدان عقرقوف وهى قرية من نواحي دجيل بينها وبين بغداد اربعة فراسخ معجم البلدان ٣ — ٦٩٧ .

(٨) فى الاصل : ناضرا .

(٩) فى الاصل : تألدت .

(١٠) فى الاصل : غير منقوطة .

(١١) فى الاصل : غير منقوطة .

الفقيه مجد الدين اليزدى المدرس الحنفى وذلك فى العشر الاخير من شهر ربيع الأول فسلكتنا الشهباء على النهج الاسهل وجينا الى سنجار ونور الدين على حصارها وهدم اسوارها ولما فتح البلد دخله وملك من نخره منتخبه ومنتحله ثم سلم البلد الى ابن أخيه عماد الدين زنكى بن مودود ولم يزل فيه لكونه خصه (١٢) مخصوصا بكل مقصود ومطلوب ثم رحل نحو الموصل وقصد بلد (١٣) واستوضح منها الجد ونزل (١٤) هناك فى دجلة على مخاضته فاستسهل من خوضها والعبور فيها ما ظن متصعبا . وجاء دليل تركمانى قدامنا وهو يقطع دجلة تارة طولا وتارة عرضا أمامنا ونحن وراءه كخيط واحد حتى عبرنا الى الجانب الشرقى برجالنا واثقالنا واقمنا بقية ذلك اليوم حتى تم عبور القوم ثم رحلنا فنزلنا على الموصل من شرقها وخيمنا على تل توبة (١٥) فاستعظم أهلها تلك النبوة فما خطر ببالهم اننا نغير بقعر مراكب وأنا نأخذ عليهم ذلك الجانب فعرفوا أنهم محصورون مقهورون وانقطعت عنهم السبل من الشرق ، وتعذر عليهم الرقع لاتساع الخسرق ، وبسط العطاء وكشف الغطاء وتكلم فى المصلحة والمصالحة الوسطاء ومد الجسر وقضى الأمر وأنعم نور الدين على أولاد أخيه ومثلوا بناديه وأقر سيف الدين غازى على قاعدته أبيه والبسه التشريف الذى وصل من أمير المؤمنين المستضى وأعادته الى البلد ثم دخل قلعة الموصل من باب السرو وأقام بها سبعة عشر يوما وحدد مناشير أهل المناصب وتوقيعات دوى المراتب فأمضى قضاء القاضى حجة الدين بن نجم الدين الشهرزورى على قاعدته ونظر فى أحوال الموصل ومعاملاتها ووجوه أموالها وجباتها فألقى معظمها محظورا محذورا فتقدم باسقاطها وإطلاق ثنائطها وأمرنى فكتبت بذلك منشورا .

(١٢) فى الأصل : خصه .

(١٣) ربما قيل لها بلط بالطاء . اسمها بالفارسية شهر أبازا على نهر دجلة قريبة من الموصل : معجم البلدان ١ — ٧١٥ .

(١٤) فى الأصل : وذل .

(١٥) موضع مقابل مدينة الموصل فى شرقى دجلة متصل ببنينوى معجم البلدان ١ — ٨٦٦ .

فكر الشيخ عمر الملاء (١)

قال : كان بالموصل رجل من شيوخ الصالحين وأئمة العارفين يعرف
بهمر الصلاء وكان العلماء بل الملوك والأمراء يزورونه في زاويته وله كل سنة
دعوة في أيام مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحضره فيها صاحب
الموصل ويحضر الشعراء وينشدون في ذلك المحفل في مدح النبي صلى الله
عليه وآله وسلم وكان يخرج لهم جوايزهم . وكان نور الدين من أخلص
محبيه وأحب مخالصيه وكان يستشيريه ويكاتبه ، وكان بالموصل خربة واسمة
متوسطة للبلد وقالوا ما شرع في عمارتها الا من ذهب عمره فأشار الشيخ
عليه بابتياعها وبناؤها جامعا تقام فيه الجمع والجماعات فانفق فيها أموالا
جاوزت حد الغزارة ووقف عليها ضيعة من ضياع الموصل . وكان الفقيه
عماد الدين التوتائي الشافعي تلك السنة من الوافدين الى الشام وكان من
أكابر علماء الاسلام من أصحاب محمد بن يحيى ومعاصريه فسأله ان
يكون مدرسا في هذا الجامع فقال : وكتبت له منشورا عند عودنا الى
دمشق بذلك في سنة سبع وستين . قال وحضر مجاهد الدين قايمآز (٢) صاحب
أربل في الخدمة النورية بالموصل وذلك في مستهل جمادى الآخرة
وزخرت الموصل بأموال هداياه الزاخرة . قال : وولى نور الدين سعد الدين
كمشكتين بقلعتها نايبا وأمر فخر الدين عبد المسيح بأن يكون له في خدمته
مصابحا واقتطع عن صاحب الموصل حران ونصيين والخابور والمجـدل (٣)
وعاد الى سنجار واعاد عمارة أسواها . ونزلنا بحران في خامس عشر
(١٧٢ ب) / جمادى الآخرة ثم رحلنا على قصد حلب ووصلنا اليها
في خامس رجب قال ونظمت هذه الأبيات على مذهب لزوم ما لا يلزم .

الحمد لله عزنا وللمطائب حزنا حزنا السرور ومات الحسودهما وحزنا
ان الاعادي ذلوا بنصرنا وعززنا وعاد سهلا من الأمر كل ما كان حزنا
قال : وفرض القضاء والحكم بنصييين وسنجر الى الشيخ شرف الدين
أبي سعد بن أبي عصرون فولى بها ثوابه وحكم فيها أصحابه .

- (١) انظر الروضتين (٢) ١ - ١ ص ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢

تذكر وفاة الامام المستنجد بالله وولاية الامام المستضيء

أبى محمد الحسن ووصول رساله الينا

قال : ووصل الخبر بوفاة المستنجد بالله وجلوس الامام المستضيء بأمر الله وقد بويح له يوم السبت تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وكان الوزير أبو جعفر المعروف بابن البلدى ركب يوم وقوع الارجاج في عدة معه وعدة من الأمراء فلما لم يصح الخبر تفرقوا الى منازلهم ورجع الوزير الى داره وقيل ان أمير المؤمنين خف ما به فأغلق أستاذ الدار باب العمامة فأحس الوزير حينئذ بزوال السلامة وقرع سن الندامة وجاءه أحد الحجاب يميزه وللحضور في المشايعة (١) يستدعيه فمضى ومعه زعيم الدين أبو جعفر صاحب الخزن فلما دخل صرف به الى موضع كان فيه مصرعه وأمضه بالسيف من دمه تجرعه وشفع عماد الدين بن عضد الدين (٢) رئيس الرؤساء في الزعيم فبقى على سننه القويم وتولى عضد الدين الوزارة وأخرج جميع من في الحبوس ومن جملتهم مخلص الدين بن الكيا الهراس (٣) فانه اعتقل من مبتدأ خلافة الامام المستنجد الى منتهائها وعاش بعدها حياة في عطفة ما اشتهاها . وقيل قتل في ذلك اليوم في الحبس جماعة لم يؤثر الوزير ظهورهم ومنهم عز الدين محمد بن الوزير ابن هبيرة وغيره . وجاءنا رسل الخلافة ونحن بشرى الموصل قصد تل توبة مبشرين بخلافة الامام المستضيء بأمر الله واتفق ذلك اليوم عبور دجلة واجتباب نور الدين تشريف الاحتباء وركب يوم الفزول عن النل في الالهية السوداء واليد البيضاء وذلك بمرأى ومنظر من أهل الموصل الحدياء وامرنى بإصدار خدمة الى الوزير يشكر الآلاء والامثال للأوامر الشريفة باقامة الدعوة الهادية في جميع الاقطار والأمصار والخطبة على منابرها ونقش سكة الدرهم والدينار .

قال : وكنت يوما عند نور الدين في ناديه وهو مقبل على بأياده ويسألني عن الديوان العزيز ورسومه ثم قال : وانت تمضي في الرسالة الى

(١) في الأصل غير منقوطة .

(٢) وهو عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء . أنظر الخريدة عراق ١ ص ١٣ ، ١٤ . أنظر أيضا ابن الأثير الكامل د ١١ — ٢٩٦ .

(٣) هو ابن الكيا الهراس الذي وردت ترجمة له في ابن خلكان وفيات الأعيان د ١ — ص ٤١٢ .

منزل الجلالة وتهنىء الامامة والوزارة وهناك الشيخ شرف الدين بن ابي
عصرون جالس وهسو في الزاوية كالس(٤) ووجهه لما يشكوه من المرض
عابس وكأنه متحيد عن نور الدين وقربه متفقد رأسه في عبه فلما سمع حديث
بغداد رفع رأسه وحولق واستعاذ وأبل واستقل واعترض واستدل وانقلب
وما به قلبه وتكلم وكلماته مهذبة وثاب ما معناه : أنا للقيام بالرسالة
واقامة الدلالة والنصرة والادالة وجلا الجلالة فقلنا : هو شيخنا وكبيرنا
وهو الأولى فليمتد عليه المولى وليس لهذا المقام مثله ولا دراك هذه
الفضيلة الا فضله واذا وضع الامام المذهب الى الامام فقد تسدى مرامى
المرام . واستقر أن يسير رسولا يستقبل اقبالا وقبولا . قال وعلقت انا على
شفلى من الانشاء وحررت أجوبة الكتب الواصلة مع الرسل للهناء(٥) ونظمت
هذه الأبيات وخدمت بها الفرض الأشرف قلت ومنها :

قد أضاء الزمان بالمستضىء وارث البرد وابن عم النبىء
جاء بالعدل والشريعة والحق غيا مرحبا بهذا المضىء(٦)
فهنيئا لأهل بغداد فازوا بعبد يؤس بكل عيش هنىء

قال : ولما وصل الرسل الى مدينة اسلام وعرض(٧) التهنئة التى نظمتها
تاج(٨) الدين أخى المقيم بها وسير لى تشریف بأهبة أمامية ومبلغ مائة دينار
أمرية وصار التشریف والذهب مع تشریف أخى أنعاما مستمرا وادارأ استمر
لاستقبال سنة ست وستين وأمضاه الامام الناصر لدين الله فى أيامه فى
كل سنة .

قال : ووصل هذا الانعام بحلب فى شعبان من هذه السنة فنظمت
هذه الكلمة وأرسلتها الى أخى تاج الدين ليعرضها وأولها :

(٤) كلس فلان على قدمه وكلس اذا جبن والكلسة فى اللون — انظر
لسان العرب ٦ — ١٩٧ .

(٥) فى الأصل لهناء .

(٦) يضيف أبو شامة البيت التالى :

ومض ان كان فى الزمن المظلم فالعهد فى الزمان المضى
الروستين (٢) ١ — ٢ ص ٤٨٥ .

(٧) فى الأصل : وعرضوا .

(٨) فى الأصل : شرف .

هل عايد زمن الوصال المنقضى أم عايد لى فى الصبابة ممرضى
لا اشتكى الا الفرام فانه بلوى على من السماء بها قضى
(١٧٣) لهفى على زمن الشباب فأتنى بسوى التأسف عنه لم أتعرض

ومنها :

ياحسن أيام الصبى وكأنها أيام مولانا الامام المستضى
قسم السمادة والشقاوة ربنا فى الخلق بين محبه والبغض
اصفى ظلام العدل بعد تقلص وبنى أساس العدل بعد تقوض

قال وقد عرف العالمون اننى من انشاء الدولة الامامية واحد تابعيها (٩)
وما عشت الا بعيشها ولا درجت الا من عشتها وانا الى الآن فى محاسنها
وميامنها .

قال : فى ذكر صديق له ببغداد يقال له علم الدين على بن اسماعيل
الزكادار هذا الصديق كان ببغداد لى مصادقا وفى حبي صادقا ، وقد جمعنا
الفضل وانتظم بالموانسة بيت الشمل . وكنا متصاحبين ليلا ونهارا ومتصافيين
سرا وجهارا فلما سافرت الى الشام وحالت بيننا دواعى البين وعوادي
الأيام شق عليه التفرق وأوحشه وعدم الورد الذى اعتاد رويًا عطشه وتوالت
الى كتبه وبعث خاطرى على اعتياب عتبة فمن الرباعيات التى صدرت بها
الكتب اليه :

ما أخلتنى وقد أتنى الكتب تشكوا وتقول أنهم قد عتبوا
هم أهل مودتى رضوا أم غضبوا ما أعظم زلتى اذا لم يهبوا

ومنها :

هبت سحرا فنبهت وسواسى نشوى خطرت عليه الانفاس
أهدت أريج الرجاء بعد اليأس ما أطيب بعد وحشتى ايناس

قال : ومن المقطوعات التى كنت أوصل بها ذلك الصديق :

جامع الشمل بعد طول الفراق للمحبين كافل بالتلاقي
ولعل الأيام تسمح بالوصل وتقضى لبانه المشتاق
يا اخلائي الكرام المضاهين بطيب المروق طيب العراق
ومنها :

يا صبوراً على الصبابة بعدى لك طول البقاء ما أنا باق
فأجبرنى من النوى بالتلاقي وارث لى لا لقيت ما أنا لاق

عاد الحديث الى المتجددات بمصر والشام فى هذه السنة قال : فوصل نور الدين الى دمشق وأدى فرض الصيام وخرج بعد العيد الى الخيام وكان قد أخرج سرادقه الى جسر الخشب ناجح الراى راجح الأرب . وكان بها شهاب الدين الارتقى ومحمد بن الياس بن ايلغازى بن أرتق صاحب البيرة وهو ذو الرتبة المنيفة المنيرة فى طريق القصد الى الخدمة وقد شارك حصص ونزل باللبوة وركب متصيذا فصادف (١٠) الفرنج قد اغاروا فى ثلثمائة راكب من كل سأل عن الحياة للحياة سالب فصادفهم وصادفوه وانكروه وما عرفوه فما زال يغلبهم ويشلهم ويتلهم بدمائهم ويعطهم حتى تم على يده قتلهم بأسرهم وأسرههم وذلك فى يوم الأربعاء السابع عشر من شوال هذه السنة .

ورحل الينا ونحن بعشترا (١١) فركب نور الدين ووقف وجاء شهاب الدين ونزل وقبل يده وشكر نور الدين جلادته وجلده وعرض عليه الاسارى المقدمين (١٢) (مقرنين فى الاصفاذ (١٣)) مسجونين فى الاغلال والاثياد ومعهم مقدم الاستتار الكبير الأعور بحصن الاكراد (١٤) وعدة مقدمون من أهل الشرك

(١٠) فى الاصل : فصاف .

(١١) موضع بحوران من أعمال دمشق معجم البلدان ٣ — ٦٧٩ .

(١٢) فى الأصل المقدمون .

(١٣) سورة ابراهيمية رقم ٤٩ ، سورة ص آية رقم ٣٨ .

(١٤) حصن منبع على الجبل الذى مقابل حمص من جهة الغرب وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان وهو بين بعلبك وحمص . وكان بعض أمراء الشام قد بنى فى موضعه برجاً وجعل فيه قوماً من الأكراد طليعة بينه وبين الفرنج وأجرى لهم أرزاقاً فتدبروها بأهاليها ثم خافوا على أنفسهم . باعه الأكراد منهم ورجعوا الى بلادهم وملكة الفرنج — معجم البلدان ٢ — ٢٧٦

والعتاد وفرق شهاب الدين الباقين (١٥) من الاسارى على الأمراء والاجناد .

قال : وكان بمصر حبس للشحن يعرف بدار المعونة لاقامة العقوبات وسفك الدماء فأعادها صلاح الدين مدرسة للشافعية وعمرها فنشر بها اعلام الادلة الشرعية وذلك فى أول سنة ست وستين .

وفى النصف من المحرم عمل دار الغزل مدرسة للمالكية . وعول على القاضى صدر الدين عبد الملك بن درباس (١٦) فى القضاء والحكم بمصر والقاهرة وسائر اعمالها الظاهرة وذلك فى السادس والعشرين (١٧) من جمادى الآخرة ، وخرج فى هذه السنة الى الغزاة بمساركه وأغار على الرملة وعسقلان وهجم على ريش غزة وأفلت على الداروم (١٨) ملك الفرنج تجرى معه / (١٧٣ ب) الذخن ورجع فى الحادى عشر من شهر ربيع الأول الى القاهرة ثم وصل الخبر بخروج قافلة من دمشق فيها أهله فأشفق عليها وأحب أن يجمع بها شمله فخرج فى النصف من ربيع الأول وكانت بايلة قلعة فى البحر قد حصنها أهل الكفر فعمل لها مراكب وحملها الى ساحلها على الجمال وفتح القلعة فى العشر الأول من ربيع الآخر واستحلها واستباح بالقتل والاسر أهلها وشحنها بالعدد والعدد وحصنها بأهل الجلال والجلاد واجتمع عليها بأهله ثم ساروا على سمت القاهرة ودخلوا اليها فى السادس والعشرين من جمادى الآخرة (١٩) وسار الى الاسكندرية ليشاهدها ويرتب قواعدها وهى أول دفعة قدم اليها فى أول سلطانه فعم أهلها بأحسناته وأمر بعمارة سورها وتجديد بنيانه .

(١٥) فى الاصل : على .

(١٦) يقول المقرئى : — ومن حينئذ اشتهر مذهب الشافعى ومذهب مالك بديار مصر وتظاهر به الناس واختفى مذهب الشيعة من الأمامية الاسماعيلية وبطل من حينئذ مجلس الدعوة بالجامع الأزهر وغيره . اتعاض الحنفا الجزء المخطوط ورقة رقم ٦٥ .

(١٧) انظر الروضتين (٢) ١—٢ ص ٨٦ حيث أورد أبو شامة هذا التاريخ كالتالى — وذلك فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة .

(١٨) قلعة بعد غزة للناصد الى مصر الواقف فيها يرى البحر خربها صلاح الدين لما ملك الساحل فى ٥٨٤ هـ معجم البلدان ٢ — ٥٢٥ .

(١٩) قارن الروضتين (٢) ١ — ٢ ص ٨٦ حيث يقول ودخلوا فى السادس والعشرين من جمادى الأولى اليها .

وفي النصف من شعبان اشترى تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ابن أخى السلطان منازل العز بمصر وجعلها للشافعية مدرسة واشترى الروضة وحمام الذهب وغيرها من الأملاك ووقفها عليها .

وفي النصف من جمادى الآخرة أغار شمس الدولة أخو السلطان بالصعيد ثم دخل القاهرة في عاشر رمضان .

وفي الثالث والعشرين من جمادى الآخرة مات القاضي ابن الخلال (٢٠) وكان من الأمائل الأفاضل ولم يزل صاحب ديوان الانشاء ولما كبر جلس في كبر الانزواء وكان الاجل الفاضل يوصل اليه كل ما كان له وقام به مدة حياته لكرم عهده وتكفله .

ودخلت سنة سبع وستين قال : استفتح السلطان سنة سبع بجامع كل طاعة وسمع وهو اقامة الخطبة (٢١) في الجمعة الاولى منها بمصر لبنى المباس وعادت الدولة بها ثابتة الأساس ، وعفت البدعة وصفت الشرعة ، وأقيمت الخطبة العباسية في الجمعة الثانية من المحرم بالقاهرة للامامة المستضوية المضية الزاهرة واعقب وفاة العاضد في عاشورا بالقصر . وجلس السلطان للمعزاء واغرب في الحزن والبكاء ثم تسلم القصر بما فيه من خزائنه وذخائره ودفائنه . وكان قد نافق مؤتمن الخلافة وقتل وصرف من هو زمام القصر وعزل ووكل بهاء الدين قراقوش (٢٢) بالقصر وجعله زمامه

(٢٠) القاضي ابن خلال هو يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال الملقب بالموثق صاحب ديوان الانشاء بمصر في دولة الحافظ أبى الميمون عبد المجيد الميبدى . ذكره العماد فى الخريدة . استخدم القاضي الفاضل عند حضوره . ولم يزل ابن الخلال بديوان الانشاء الى أن طعن فى السن وعجز عن الحركة فائقطع فى بيته ويقتل أن القاضي الفاضل كان يرمى له حق الصحة والتعليم فكان يجرى عليه كل ما يحتاج اليه الى أن مات فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٦٦ هـ انظر ابن خلكان ٢ — ٥٣٩ — ٥٤٣ . وانظر أيضا الخريدة شعراء مصر ١ — ٢٣٥ .

(٢١) لأول مرة منذ أكثر من قرنين يخطب للخلافة العباسية على منابر القاهرة بعد انقراض الدولة الفاطمية التى استمر حكمها فى مصر من ٣٥٩ هـ الى ٥٦٧ هـ .

(٢٢) وهو أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الاسدى الملقب ببهاء الدين انظر ابن خلكان وفيات الأعيان ١ — ٥٤٣ .

واستنابه مناب نفسه وأقامه مقامه فما دخل الى القصر شيء ولا خرج الا برأى منه وسمع .

ولما توفي العاضد أمر السلطان بالاحتياط على أولاده في موضع خارج القصر جعله برسمهم على الانفراد ، وقرر ما يكون رسمهم للكسوات والأقوات والأزواد قال : وهم الى اليوم في حفظ قراقوش واحتياطه واستظهاره يكلؤهم (٢٢) ويحرس بعين حزمه في ليله ونهاره وجمع الباقين من عمومهم وعترتهم من القصر في ايوان وأبعد عنهم النساء لئلا يتناسلوا وهم الآن محصورين وقد نقص عددهم وقلص عددهم . ثم عرض من بالقصر من الجوارى والعبيد فوجدوا أكثرهن حراير فأطلقهن ، وجمع أموال لهن موات فأعتقهن وجمع الباقيات فوهبن وفرقهن وأخلى (٢٤) دوره وأغلق تصوره وسلط الجود على الموجود وأبطل الوزن والعد عن الموزون والمعدود وأخذ كلما صلح له والأهله وأمرائه وخواص مماليكه وأوليائه من أخاير الذخاير وزواهر الجواهر . والعقود والنقود والمنظوم والمنضود وما لا يعد احصاء ولا يعد استقصاء فوقع فيها القضاء وكشف عنها الغطاء وأسرف فيها العطاء ، وأطلق البيع بعد ذلك في كل رخيص منها وغال وبال وأسماول ومنقول ومحمول ومصنوع ومعمول واستمر البيع فيها مدة عشر سنين وثقلت الى البلاد بأيدي المسافرين ومن جمعتها الكتب (٢٥) فأنى تسد أخذت منها جملة في سنة اثنتين وسبعين وكانت خزاينها مشتملة على قريب من مائة وعشرين ألف مجلدة مؤيدة من العهد القديم مخلدة ، وفيها بالخطوط المنسوبة ما اختطفته الأيدي واقتطفه التعدي ونقلت منها ثمانية أحمال الى الشام وتقاسم الخواص بدور القصر وانتقل اليه الملك العادل سيف الدين إسماعيل نأب عن أخيه واستمر سكناه فيه .

(٢٣) في الأصل : يكلؤهم .

(٢٤) في الأصل : واخا .

(٢٥) فيما يتعلق بالمكتبة الفاطمية في القاهرة وجهت تهمة تدمير الكتب أما بحرقها أو تبديدها الى صلاح الدين ولكن لم يعثر حتى الان على نص أو دليل يؤكد أو يدعم هذه القضية وكل ما هناك أن الكتب بيعت أو وزعت على من لهم اهتمام خاص بناحية علمية معينة .

وخطب لآماننا المستضىء فى قوص وأسوان والصعيد وشاعت البشائر
وسار بها البادى والحاضر وتهلك السلطان أملاك الملتجئين اليهم من أشياعهم
وضرب الألواح على دورهم ورباعهم ثم ملكها أمراءه وخص بها أوليائه وباع
منها أماكن ووهب مساكن .

كتاب فاضلى من صلاح الدين الى المبارك بن منقذ والى قوص وكتابنا
هذا وارد على الأمير مجد الدين : عندما كان من نفوذ قضاء الله
وقدره محتوما فيما كان منصوبا وموسوما وذلك لمرضى امتدت فيه أيامه
واستولت عليه آلامه الى أن انتصمت به عراه وانحطت معه قواه وأتاه من
أمر الله ما أتاه وحضرنا فى أيوانه ونقلنا بانتقاله أسرار الأمر الى خلائه
ليعلم أن الله استأثر / (١٧٤ أ) بوفاته وآثره وآثرنا لحسن العهد بموافاته
وبلغنا الغاية فى أحمال أمره والتوديع له الى قبره وإطابة نفوس مخلصيه
واقرارهم فى قصره وانكفأنا الى مستقرنا والامور لدينا مطردة والأحوال
قبلنا متمهدة والدهماء ساكنة والدنيا بنظرنا آمنة ، وسبيل الأمير أن يوعز الى
الخطاىء يوم الجمعة بالدعاء لمن الكلمة عليه مجموعة
والدعوة له فى الاقطار مسموعة وهو الامام المستضىء بأمر
الله أمير المؤمنين ووليهم الناس العائفة فانها أسبغ عطاء وأسبل
غطاء فى تنقل الايام عبرة « لمن كان له قلب أو القى السمع وهو
شاهد (٢٦) » ومن تعظه الايام من قريب « فأولئك ينادون من مكان بعيد (٢٧) » .

قال : وكان صلاح الدين لا يخرج عن أمر نور الدين ويرجع فى جميع
النصائح الى رايه المتين وقد كان كاتبه نور الدين فى شوال سنة ست بتغيير
الخطبة وانتزاع نكر هذه القضية وأيقن أن أمره متبوع وقوله مسموع
ونطقت بذلك السن الخواص والعوام فسير نور الدين شهاب الدين ابا المعالى
المطهر بن الشيخ شرف الدين بن أبى عصرون بهذه البشارة واشاعة ما تقدم
له بها من الاشارة وامرنى بانشاء بشارة عامة تقرا فى سائر بلاد الاسلام
وبشارة خاصة للديوان العزيز بحضرة الامام فى مدينة السلام .

(٢٦) سورة ق اية رقم ٣٧ .

(٢٧) سورة فصلت اية رقم ٤٤ . (أولئك ينادون من مكان بعيد)
ف : زائدة فى النص .

ذكر وصول عماد الدين صندل رسولا من دار الخلافة بالخلع والتشريفات لنور الدين ، وصلاح الدين (١)

قال : كان عماد الدين صندل هذا من اكابر الخدم المقتنوية وتولى استاذية الدار العزيزة بعد عزل كمال الدين بن عضد الدين عنها وهو اكبر من أرسل وجاء بالتشريف لنور الدين بأهبطه السوداء العراقية وحلله الموشية وطوقه الثقيل وسرجه الخاص الشريف وحصانه المحصن المنيث ولواء الحمد المعقود وفرجية النسيج المعمود ومثال التقليد المشهود وكتاب التقريظ المحمود .

وعين يوم يحضر فيه الرسول ونصوا على من يحضر في مجلس نور الدين عند اجتيابه تشريف الاحتياء وأغفلوا ذكرى قصدا منهم لاغماى فلما حضرت الرسل طلبنى نور الدين فلم يرنى فنفذ ورائى واستحضرنى وقام لقيام الرسل حتى حضرت وكان مقصودة ان يعرفهم منزلتى واختصاصى عنده فناولنى الكتاب الشريف لأتلوه فتناوله منى الموفق بن القيسرانى خالد وكان عنده فى مقام الوزير وله انبساط زايد فداريته وما ماريته وتركته يقرأ وأنا ارد عليه وارشده فى التلاوة الى ما لا يهتدى اليه حتى انهاء فاعجب نور الدين صمتى وسمتى وأجتاب الأهبة ولبس الفرجة وتقلد مع تقلد السيفين طوقها وخرج وركب من داخل القلعة وهو حال بما عليه من الخلعة ، واللواء منشور والنصار منثور ، والركبان الشريفان أحدهما مركوبة والآخر بحليته مجنوبة وسألت عن معنى تقليد السيفين فقبل هما للشام ولصر والجمع بين البلدين وخرج الى ظاهر دمشق حتى انتهى الى منتهى الميدان الأخضر ثم عاد جميل المحضر جليل المنظر لبيقا بالأعظمين السرير والمنبر .

وكان وزن الطوق مع أكرته ألف دينار من الذهب الأحمر ، وحملوا لصلاح الدين تشريفا رايثا رايعا ، لكن تشريف نور الدين أميز منه وأفضل وأجل وأكمل فسير تشريفه برمته اليه بمصر ليجتابه وشرف أيضا من عنده بخلع يشرف بها أصحابه ووصلت تلك الخلعة اليه فلبسها وطاف بها فى الحادى والعشرين من رجب وهى أول أهبة عباسية دخلت الديار المصرية فقتضى أهلها منها العجب ، وكانت مع الرسل اعلام وينود ورايات وأهبط عباسية للخطباء فى ديار مصر فسيرت الى صلاح الدين ففرقتها على المساجد والجوامع والخطباء والقضاة والعلماء .

قال : وكان صلاح الدين واعد نور الدين ان يجتمعا على الكرك (٢) والشوبك (٣) ويتشاورا فيها يعود بالصلاح المشترك فخرج من القاهرة في الثانى والعشرين من المحرم فانفق للاجتماع عايق ولم يقدر للاتفاق قدر موافق فلقى في تلك السفرة شدة وعدم خيلا وظهرا وعدة وآب الى القاهرة في النصف من شهر ربيع الأول .

قال : وكان مع الرسول لخاصتى من الامام رسم التشريف والانعام وهو مائة دينار وأهبة شريفة بجبة وعمامة .

وكان لى أيضا مع رسول الوزير عضد الدين وهو الحافظ الدمشقى (٤) آخر العجيب المائة عن مكارمه ومناقبه منبئة ولما عاد الرسول في سابع عشر جمادى (٥) الآخرة سيرت الى الوزير هذه المدحة واستزدت المنحة قلت وهى قصيدة أولها :

عسى أن تعود لىالى زرود (١) ويقضى المنى بنجائا الوعود
وتشرق أيامنا الزاهرات ويورق فى روضه الوصل عودى

(١٧٤ ب) / قال : ولما عاد الرسول عاد معهم شهاب الدين بن عصرون بأجوبة الكتب عن نور الدين .

قال : وكان نور الدين لا يقيم فى المدينة أيام الربيع والصيف محافظة على الثغر ورعاية للبلاد وهو متشوق الى أخبار مصر وأحوالها فرأى اتخاذ الحمام المناسب وتدرجها على الطيران لتحمل اليه الكتب بأخبار البلدان وتقدم الى مكتب منشور لأربابها واعزاز أصحابها .

(٢) الكرك بفتح الراء قلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحي البلقاء فى جبالها بين ايله والبحر الاحمر والبيت المقدس . معجم البلدان ٤ — ٢٦٢ انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٢٦ حاشية رقم (١) .

(٣) الشوبك بالفتح ثم السكون قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وإيله والبحر الاحمر قرب الكرك . معجم البلدان ٣ — ٣٣٣ . انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ ص ٥٢٦ حاشية رقم ٢ .

(٤) أبو منصور بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن الحسين الدمشقى الملقب فخر الدين . وهو ابن أخى الحافظ ابن عساكر الدمشقى . ابن خلكان وفيات الأعيان ١ — ٣٤٩ .

(٥) فى الأصل : جميدى .

(٦) فى الأصل : مطبوسة ولا يظهر سوى رود من الكلمة . وزرود من أيام العرب مشهور بين تغلب وبنى يربوع — انظر معجم البلدان ٢ — ٩٢٨

قال : وفي رجب من هذه السنة فوض الى المدرسة التي بحضرة حمام القصر وعول على في التدريس بها والنظر في أوقافها وكان الشيخ فيها الفقيه ابن عبيد فلما توفي خلف ولدين واستمر فيهما على رسم الوالد ثم خدعهما رجل مغربي استهواهما بعمل الكيمياء ونهج بهما سبيل الاغواء فصاهراه وظاهراه ففاظ نور الدين هذا المعنى واحضرهما واستوفى عليهما أنواع التوبيخ فلم يجد من أحدهما لأمره سمع النصيح فقال لى : تسلم الموضع ورتبني فيه مدرسا وناظرا وكان ليلة الخميس وحضر القاضي كمال الدين وعلماء البلد بكرة التدريس فاستمرت الولاية وشملتني من الله الرعاية .

قال : ودخلت سنة ثمان وستين والأمور سديدة والثغور مسدودة والوية الأولياء بالنصر معقودة والطوالع مسعودة والمواسم مشهودة والمواسم المحمودية محمودة .

قال : ذكر تفيض اشراف ديوانه الى :

كان نور الدين رحمه الله كلما رتب لديوانه مشرفا وجده الى نواب ديوانه متعرضا ويتصرفهم متصرفا فمنهم من يقصر عن مطاوتهم ولا ينهض لمقاومتهم فاذا عرف انه لا يسوء ولا يسر ولا ينفع ولا يضر عنقه وصرفه وعزف عنه وتعيفه ، ومنهم من يعرف انه اذا حادتهم وناقضهم لا يظفر بقبول ولا يفوز بمأول فيوافقهم ويرافقهم فاذا عرف حاله بعد حين كان بعزله غير ضنين . وكنت قد توليت شغله وتفتيات ظله بح نوابه في خفض قدرى وضيق صدرى وأنا أحلم عنهم ولا انتقم منهم فلما كثر منهم التهاون وظهر منهم التعاون لم يخف عن نور الدين سر أمرى وعلم أن لطى الإدارة معهم أمرى وكان ذكيا المعيسا لا يخفى عليه الأحوال ولا يتهرج لديه الرجال ولم يزل لايناسه بى واطلاعه على سرى يشمتنى بما لا يخطر ببالي عارفته وعاطفته . وأنا اذا انصرف النواب من ديوانه اجلس ملازما للخدمة في ايوانه فاذا خرج الخاتم لشغل ولا يرى منهم أحدا حاضرا عائد اليه فأخبره بغيبتهم ويقول ما رأيت الا فلانا وربما خرج وتقدم الى بكفاية ذلك المهم وأعجبه دوام تلك الشيمة منى وكان يريد تقديمى ولكنه للحزم على الثبات والثباتى . فبينما أنا ذات يوم أطلت القعود وادمت على الباب الركود والفيت لنار حركاتى بعد الظهر الخمود فنزلت الى منزلى لاتبلغ بقوت وأعوذ الى الباب في وقت موقوت اذ جاء من يطلبنى وعلى الغنية يعتبى فتضجرت في نفسى

وعدمت أنسى وقلت : ما أصعب هذه الخدمة وما أصعب هذه القبة
أما أترك لطعامى ومتى يتسدد مراى مراى . وحين حضرت خرج إلى
خازنه ولى الدين اسماعيل وقال : يامرك بأن تتولى اشراف مملكته وتكون
الحافظ الأمين فى دولته فقلت يفينى فأنا وحيد فى القرية وبهذا العمل عديم
الدربة وهؤلاء النواب قد خلا لهم الميدان وطاوعهم على تقادم السنين
الأمكان ، ولهم خبرة بالأعمال ومعرفة بالأحوال وكأنهم على حصنهم العربية
قد حاروا تصب الرهان وكأنى على برذون أعرج فكيف أسبقهم فى الميدان .
فنعاد بالجواب وقال اتبع أوامرنا وانت على الصواب فجمعت بين المنصبين
وقسمت زمانى على النصبيين فمرة للكتب والمناشير وتارة للآلات فى
الدساتير ولم أثق بنائب وياشرت العمل بنفسى على أنهم لا يلتفتون نحوى
ولا يبالون بكدرى وصفوى ولا يجرون الا على ما ألفوه من العادة ولا يشاوروننى
فى الإبداء والاعادة . فلما زلت أرد طباعهم وأصد اطباعهم حتى قويت على
العمل ورويت من عله النهل .

قال : وكان من عادة نور الدين أنه إذا أقطع أميرا اقطاعا وعين
بمهرته ضياعا قرر عليه رجالا قوى عسدد لا ينقصون فى خيل وسلاح
وعدد فاذا نقص من اقطاع عن المبلغ اتم له نقدا من خزانته .

قال : وأمر أن يركب كل أمير بعدته وهيئة بأسه فى الحسب وشدته
ونحن نذكر للعرضه والأمير الحاجب ضياء الدين بكر يسان متولى هذا الأمر
وهو يجمعنا كل يوم من الفجر وكان هذا الأمير أكبر حجاب أسد الدين
شيركوه وأخص أصحابه فلما توجه مخدومه الى مصر لم يصحبه ولم يرقه
ملك مصر بترك وطنه بالشام ولم يعجبه . فمال اليه نور الدين لزنة حصاه
وزينة حباه / (١١٧٥) ورفع قدره الى رتبة الأمراء الأكابر واعتمد على
نهضته فى الموارد والمصادر .

نكر ما سيره صلاح الدين من مصر من الأموال

قال : ولما عرض صلاح الدين بعد العاصد بالقصر خزانته واستخرج
منها دقاينه سير منها عدة من الامتعة المستحسنة والآلات المثمنة من
قطع البللور واليشم والأوانى التى لا يتصور وجود مثلها فى الوهم ومعها
ثلاثة قطع من البلخشي أكبرها نيف وثلاثون مثقالا والثانية ثمانية عشر

مثقلاً والآخرى دونها وقرن (١) بها من اللآلى مرصوعها ومكنونها وحمل معها من الذهب ستين ألف دينار ووصلت من غرايب المصوغات بما لا يجمع مثله في اعصار واعمار ومن الطيب والعطر مالم يخطر ببال عطار فشكر نور الدين همته وقال : ماكانت بنا حاجة الى هذا المال ولا نسد به خلة الاثقال فهو يعلم اننا ما انفقنا الذهب في ملك مصر وبنا فقرر الى الذهب وتمثل بقول ابي تمام :

لم ينفق الذهب المربى بكثرته على الحصاويه فقرر الى الذهب

فاستنزره وما استغزره واستقل المحمول في جنب ما حرزه وتروى فيما يدبره وافكر فيما يقدمه في هذا المهم ويؤخره .

ذكر خروج الملك الناصر صلاح الدين ونزوله على الكرك والشوبك

قال : خرج في النصف من شعبان (٢) ومعه الفيل والحمار العنابية والدخاير النفيسة التي انتخبها من خزائن القصر وقد سبق ذكر تسييرها الى نور الدين ووصلت الحمار وكثر لها النظارة ، وأما الفيل فاته وصل النينا في سنة تسع وستين ونحن بحلب فأهداه نور الدين الى ابن اخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل ثم سيره نور الدين (٣) الى بغداد هدية للخليفة وسير نور الدين الحمار الى بغداد مع هدايا وتحف سنيا .

وأما صلاح الدين فانه اقام على تلك الحصون وادار عليها رعى الحرب الزبون ولم يبرح حتى برح بها وفرق عنها عربها وخرب عمارتها وشنت على أعمالها سراياه بغاراتها ومن جملة عرباتها الذين رغبهم وسيرهم الى الشام نور الدين صلخد بنوعباد فنانهم وصلوا في مائتي فارس من أبطال الحرب وكماة الطعن والضرب ووصل على أيديهم كتاب صلاح الدين الفاضلي وشخته .

(١) انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ (٥٢٤) .

(٢) انظر الروضتين (٢) ١ — ٢ (٥٢٥) حيث يورد أبو شامة هذا

التاريخ كما يلي : وخرج صلاح الدين في النصف من شوال .

(٣) انظر الروضتين ١ — ٢ ص ٥٢٦ حيث يقول أن سيف الدين هو الذي أرسل الفيل الى بغداد .

سبب هذه الخدمة الى مولانا الملك العادل اعز الله سلطانه ومد
أبدا اجساته ومكن بالنصر أمكانه وشيد بالتأييد مكانه . علم الملوك بما
يؤثر المولى أن يقصد الكفار بما يخلص أجنتهم ويقلل اسلحتهم ويقطع موادهم
ويخرب بلادهم وأكثر الأسباب المعينة على ما نرى أن لا يبقى في بلادهم أحد
من العربان وان ينتقلوا من ذل الكفر الى عز الايمان ومما اجتهد فيه غاية
الاجتهاد وعذه من أعظم الأسباب ترحيل كثير من أنفاسهم والحرص في تبديل
ديارهم الى أن صار العدو اليوم اذا نهض لا يجد بين يديه دليلا ولا يستطيع
حيلة ولا يهتدى سبيلا ولو كان هؤلاء العربان يرغبون في الديار المصرية
لكان يحمل كلهم ويسوقهم كلهم ولكن هواهم في الشام ورغبتهم في بلاده دون
غيرها من بلاد الاسلام . ولو أن المولى خلى لهم اقليما واقطعهم اقطاعا
عظيما ليقطعهم عن الكفر وبلاده ويبعدهم عن تكثير سواده لكان في ذلك
قد أحسن فعلا وحمل عن المسلمين ثقلا فكيف وهم يخدمون في البلاد خدمة
من عرف مدالجها وخبر طرقها ومناهجها فما يدعون جهدا في أخرابها وشن
الفارة عليها ومواصلة الفتك فيها .

ذكر بعض المتجددات بالثام

قال : حضرت عند الملك العادل نور الدين بدمشق في العشرين من
صفر والحديث يجري في طيب دمشق ورقة هوائها وبهجة بهائها وأزهار
رياضها وأنها كزهر سمائها وكل ما يمدحها ويطربها فقال نور الدين انما
حب الجهاد يسلينى عنها فما أُرغب فيها قال فارتجلت في هذا المعنى فقلت :

ليس في الدنيا جميعا بلدة مثل دمشق ويسلينى عنها في سبيل الله عشقى

قال : واتفق أن خرج كلب الفرنج اللعين في جنود الشياطين يقصد
الفارة على ناحية زرا (١) من حوران وأناخ بأول ليلة بقرية بسمكن (٢)
ووصل الخبر الى نور الدين وهو نازل بالكسوة اليهم وأقدم بعساكره عليهم
فلما عرفوا وصوله رحلوا الى منزلة الفوار وأصبحوا بكرة السبت غرة شهر
ربيع الأول راحلين الى السواد صارفين أعنة الجياد عن أسنة الصعاد

(١) تدعى أيضا ذرع من أعمال حوران معجم البلدان ٣٢ — ٩٢١

(٢) في الأصل بسبستكين والضبط من الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٢٨

وعن سمكين انظر ياقوت . معجم البلدان ج ٣ ص ١٤٠ .

وشلتهم مقدمة عسكرنا حتى نزلوا بالشلالة ونزل نور الدين بعشترأ وأنفذ سرية الى أعمال طبريه ولما عادت لحقتها الفرنج عند المخاضة فوقف الشجعان / (١٧٥ ب) وثبت من ثبته الايمان حتى عبرت السرية بجمالها وعادت وقد نصرت صوارمها ونفدت لهازمها ولما أنهضنا السرية رحلنا من عشترأ وخيمنا بظاهر زرا .

قال : وكنت عند مسيرنا الى اللقاء لنور الدين مسائرا وله مجاورا وهو يقول كيف تصف نهوضنا الى الجهاد وسواد وجوههم بدخولهم في السواد وهو يبتسم وقد تقدم أمراؤه الى المعركة ويقول لم أرك قوى القلب وأتول وكيف لا يقوى قلبى بخدمتك وانا في عصمتك هذه القصيدة في وصف الحال :

عقدت بنصرك راية الايمان وبدت لعصرك آية الاحسان
تلت ومنها :

كم مصعب عمر المقادة قدته نحو الردى بخرايم الخذلان
ومنها :

وعلى غناء المشرفية في الطلا والهام رقص عوالى المزان (٣)
وكان بين النقع لمع حديدها نار تألق من خلال دخان
غطى العجاج به نجوم سمائه لتثوب عنها أنجم الخرصان
ولوا وقلب شجاعهم في صدره كالسيف يرعد في يمين جبان
يمتاع من قلب القلوب دماها بالسمر منح الماء بالاشيطان
فمن العراق الى الشام الى ذرى مصر الى قوص الى اسوان
لم تله عما في البلاد وانما الهاك فرض الغزو عن همدان
اذعنت لله المهيم اذعنت لك أوجه الاملاك بالاذعان
سير لو أن الوحي تنزل انزلت في شأنها مسور من القرآن

قال : وفي هذه السنة غزا شمس الدولة تورانشاه أخو صلاح الدين

(٣) ذكر أبو شامة القصيدة في الروضتين (٢) ١ — ٢ ص ٥٢٩ .

بلد النوبة وفتح حصنا لهم يعرف بابريم وهى بلاد عديمة الجدوى عظيمة البلوى ثم جمع السبى وعاد به الى استوان وفرق على أصحابه فى الفنايم السودان .

ذكر وفاة نجم الدين أيوب والد السلطان

قال : وركب نجم الدين فشب به فرسه وذلك بالقاهرة عند باب النصر وسط ذى الحجة يوم الاثنين الثامن من ذى الحجة وعاش ثمانية أيام بعد وقوعه وتوفى فى يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذى الحجة فى الساعة الرابعة وكان ولده صلاح الدين عنه غاييا فى بلاد الكرك والثوبك فدفن الى جانب أخيه أسد الدين فى بيت بالدار السلطانية ثم نقل بعد سنتين الى المدينة النبوية .

عاد الحديث الى الشام قال : ودخل نور الدين دمشق وشتا بها ولما طاب الزمان تقاضاه عزمه بالحركة ، وكان قصده بجانب الشمال لتسديد ما اختل هناك من الأحوال ولتجديد المهد بتلك الأعمال فبدأ بمصر وشرع فى انفاذ من يستكفيه (١) من الرجال فى تقدير ما يحمل كل سنة اليه من الأموال .

ذكر مسير الموفق خالد القيسراني الى مصر

قال : وكان نور الدين منذ ملكت مصر يؤثر أن يقرر له فيها (١) مال للحمل يستعين به على تحمل كلف الجهاد والأيام تماطله والأقذار تحول بينه وبين ما يحاوله وهو ينتظر أن صلاح الدين يبتدىء من نفسه بما يريده وهو لا يستدعى منه ولا يستزيده فلما حمل من أخير الأخابير ما حمله وعلم مجمله ومفصله تقدم الى الموفق أن يمضى ويطلب ويقتضى . ويعمل أيضا حيازة بالأعمال المصرية وعين له ما يحمل اليه معه من الهدايا والتحف السنايا والثياب المعلمة والخيل المسومة ورحل نور الدين على سمت البقاع وخرج خالد معه للوداع فاعاده بعد أن قرر معه ما أراد وأمره بالمقام الى حين دخول خازنه بتسليم ما سبق ذكره من الاقسام فلما نزلنا بعين الجر (٢) تذكر ما عد به من الأمر فاستدعى لى الدين اسماعيل متولى خزانته

(١) فى الاصل . يستلفيه .

(١) فى الاصل : فيه .

(٢) عين الجر : بلد بالبقاع بين بعلبك ودمشق معجم البلدان ٣ -

وشهاب الدين أبا صالح بن المعجمي ناظر ديوانه فاستدعى ولى الدين اسماعيل وعدل خزانته وأمرهما بالعود الى دمشق وتسليم ما كان عنده ليتسلمه خالد وكلاهما بعد انجاز الشغل الى المعسكر معاود .

قال : ولما ودع الموفق / (١٧٦) خالد مستوفى المملكة النورية أراد أن يستنيب أحد أخوته ومن يثق بكفايته فقال نور الدين يقوم العماد بهذا الشغل فجمعت بين الانشاء والاشراف والاستيفاء . ووجدت الخدم الثلاث بكفالتى الوفاء . ثم تعصب فخر الدين الزعفرانى وكان من الأمراء الكبار لرضى الدين يعقوب رئيس سنجار وبذل فى منصبى خمسة آلاف دينار فقال نور الدين : أما العماد فلا نبيع كفاة الرجال بالقناطر المقنطرة من المال وأخذ عشرة آلاف دينار وولاه منصب الاستيفاء وجلس معنا أشهراً . فكتب يوماً الى نور الدين أثنى أن يريد أن يكون لى فى كل بلد نايب حتى أقدر على الوفاء بما بذلته فقال نور الدين : كأنه يريد أن يوفىنى المال من مالى وفرايد أعمالى فصرفه ورد الى العمل وحقق منه بتقريره الى الأمل . قال وخرج يوماً من عند نور الدين من قال : قد أمر المولى أن كل من كان للموفق عليه رسم يوصله الى العماد فإنه بعده بمحل الاعتماد وقد مال الى وعول فى مناصبه على وطالعت كل يوم بهما فى عملى ومنافع شغلى فما اتحف بتحفه ولا أخص من أحد بعبطية الا أطالعه بها (٣) وأطلعه على سببها (٤) فكان يعجبه منى تلك الشيمة ويقول : تصرف فيه تصرفك فى مالك . وكانت مواد عنايته لى وأفره ومن وجوه رعايته سافرة ثم اعتمد على اعتمادا كلياً وجعلنى له نجياً وإذا أراد أن يكتب الى أحد منهم يقول أكتب اليه من عندك . ومن جملة ذلك أن سعد الدين كمشتكين وكان نايبه بالموصل فى خدمة سيف الدين صاحبها أخذ من رجل الف دينار بعلة عليها قُجاء وتظلم فأمر لى نور الدين أن أكتب اليه بردها عليه فقال : ما ينفعنى الا كتابه وتوقيعه فأنهيت ذلك اليه فقال ما معناه : أما يعلم كمشتكين أنك كاتبى وأمينى وصاحبى ولا تكتب الا بأمرى فإخالف كتابك اليه قلمت عينيه فمضى اليه بكتابى فسارع الى طاعته ورد عليه الألف فى ساعته .

(٣) فى الاصل : به .

(٤) فى الاصل : سببها .

نكر الوصول الى حلب والتوجه منها الى الروم وفتح قلعتى مرعش وبهنسى

قال : ووصلنا الى حلب واستغفرنا من ردها الحلب وقضينا الارب وكان السلطان قلعج أرسلان صاحب الروم وقد تعدى على بلاد قر أرسلان فكتب يشكو ويتضرر وأن مقاومته عليه تتعذر ففار من ذلك غيرة المفتاظ وعزم على قصد بلد قلعج أرسلان وبدأ ببلدة مرعش ونزل على حصنها فى العشرين من ذى القعدة وأمن من فيها وتسلمها وما حاصرناها أكثر من يوم فما غالونا برسوم . قال وما كتبت الى صديق لى بدمشق ومنها :

كتابى فديتك من مرعش وخوف نوابيها مرعشى
ترنحنى نشوات الفرام كائى من كأسه منتشى
أسير وأعلن برح الفرام (١) فقلبى يسر ودمعى يشى

قال : فرتب فيها واليا وجدد من رثها ما كان باليا ، وتولى عنها وجاء الى بهنسى وواليتها يعرف بقاياها (٢) السلطانى فاطلنا حصارها وازلنا استنظارها وقامت المجانيق على سورها (٣) ورخصت المهج الفوالى فى سوقها ودام مرجوما حتى انتقض الجدار فطلب من فيها الامان وبخلها نور الدين وقرعها ونعنها بعد ان صرعها وملك تلك البلاد وأقطعها الاجناد .

قال : وفى هذه السنة وصل الفقيه الامام العالم (٤) قطب الدين النيسابورى وهو فقيه عصره ونسيج وحده قدوة الاسلام ومفتى الأئام فسر نور الدين بدنو نوره وحضر غايب أنسه بسنا حضوره ونزل فى حلب بمدرسة باب المراق فأطلعه الى دمشق ودرس وشرع نور الدين فى انشاء مدرسة كبيرة للشافعية لفضله وادركه الأجل

(١) وردت فى الروضتين الجوى . الروضتين (٢) ١-٢-٥٤٣ .

(٢) فى الاصل : قايما .

(٣) فى الاصل : سوقها .

(٤) انظر النوادر . وعنه أيضا انظر الروضتين (٢) ١-٢-٥٤٥ .

(٥) فى الاصل : مطبوسة .

(٦) فى الاصل : جاروت والضبط من الروضتين (٢) ١-٢-٥٤٥ .

ويقول المحقق فى حاشية رقم ١ « هى الخارجية كانت داخل بابى الفرج والفراديس شمال الجامع الاموى . بناها سيف الدين جاروج التركمانى . انظر النعمى . الدارس فى تاريخ المدارس ج ١ ص ٢٥٥ .

دون ادراك عمارتها لأجله ونقل الله قطب الدين الى جواره في الايام الناصرية
في سنة ثمان وسبعين .

قال : وعلى ذكر قطب الدين ذكرت ومادة شيخ الشيوخ عماد الدين
ابى الفتح محمد بن على بن محمد بن حموية الى الشام في أوائل سنة أربع
أو فى سنة ثلاث وستين وأغفلت ذكره فى موضعه فأستدركه
هنا . وكان كبير الشأن لم يكن له فى علم الطريقة والحقيقة مساو فاقبل
عليه نور الدين بكليته وأمرنى بإنشاء منشور له بمشيخته صوفية الشام
ومن جملة ما اتحفه به عمامة بأعمدة ذهبية نفذها صلاح الدين اليه فأثر
بها شيخ الشيوخ فبذل فيها ألف دينار بزنة ذهبها فلم يجد من سامها الى
طلبها قال :

(١٧٦ ب) / دخلت سنة تسع وستين ونور الدين قد فتح الحصون
مرعش (٧) ويهنس (٨) واريل (٩) وكيسون (١٠) وكان مليح بن لاون مملك الأرمن
فى خدمته آويا الى ظل عصمته . وقد وصل الى خدمته ضياء الدين مسعود
ابن قفجاق فخصه بالحباء والتشريف وأنزله من ظل أحسانه فى المحل الثيف
ووفد اليه صاحب ملطية فأجزل له العطية وهو الذى قتله أخوه ومملك
البلد وحده ولم يفلح بعده . وكان فى خدمته أيضا الأمراء من المجدل
فسرحهم بالطاء الاجزل وأظهر أنه ينزل على قلعة الروم على الفسرات
فتقبل مستخلف الأرمن (١١) بالبراءة وحمل خمسة آلاف دينار على سبيل
الجزية والصغار ، وعاد الى حلب وقد نجح فى كل ما طلب .

(٧) مرعش الضبط من ياقوت مدينة فى الثفور بين الشام وبلاد
الروم معجم البلدان ١-٤٩٨ .
(٨) بهنسا هكذا وردت فى معجم البلدان وهى قلعة حصينة بقرب
مرعش وسيميساط . معجم البلدان ١-٧٧٠ .
(٩) غير واضحة فى الاصل . وردت فى معجم البلدان اريل وهى بين
الزابين من أعمال الموصل معجم البلدان ١- ١٨٦ .
(١٠) وردت فى معجم البلدان كيسوم وهى قرية من أعمال سيميساط
وفيها حصن كبير . وردت فى ابن الاثير كيسون . ابن الاثير - الكامل ١١-
(٢٥٧) ووردت أيضا فى الروضتين كيسون . الروضتين (٢) ١-٢-٥٤٤
انظر حاشية رقم ١ فى نفس المصدر نفس الصفحة .
(١١) ذا النون بن دانشمند حكم على ملطية وسيواس وقيسارية توفى
فى ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م .

تذكر عود القاضي كمال الدين الشهرزوري الى بغداد

قال : كان القاضي كمال الدين توجه (١) من دمشق عام أول الى بغداد رسولا ووجد من الديوان العزيز عزة ودنوا واقبالا وقبولا . وأمر أمير المؤمنين المستضيء بضرب دنائير للنثار لا ينقص كل دينار عن عشرة مثاقيل وأحضر لنور الدين مما وصل اليه من النصار المطبوع باسم النثار خمسين عددا وزنها خمسمائة دينار فشكر علو تلك الهمة وسأل دوام النعمة .

قال : وكانت ناحيتا درب هرون وصريفين (٢) من أعمال العراق لزكى ابن آقسنقر والد نور الدين قديما من أنعام أمير المؤمنين فسأل نور الدين احياء ذلك الرسم في حقه فأنعم بهما أمير المؤمنين المستضيء عليه ووجه بهما مثاله اليه . وكان من مراده أن يستوهب ببغداد على شاطيء دجلة أرضا ويبنى فيها للشافعية مدرسة ويقف عليها الناحيتين فقيل له : ما ثم موضع يصلح لهذا (الأمر الا دار التمر (٣)) فعاقته أمر القدر عن قدرته على الأمر .

فقال : وأراد نور الدين أن يسرع الى دمشق الأوبة ويقضى فيها الشتوة فالتفت سره لالتياث سريته وشكاة جاريته فتصدق عنها بالالوف والتزم لله في شفائها بنذور ووقوف وأقام حتى ترجع ترجى ابلالها ثم سيرها في محفة تحمل على أيدي الرجال وتأخر نور الدين جريدة مع عدة من مهاليكه وأمرائه وتقدم الى أن أسايره وأسامره في طريقه فسرنا على طريق قبه وملاعب والمشهد وسلمية ، وكان اذا سار لا يدركه من يسايره ، فوصلنا الى سلمية من حلب في يومين ، فجاءه الخبر بأن الفرنج قد اغارت على حوران ، فركب قبل العشاء وأدلىج ووصل الى دمشق والصبح قد تبسّج

(١) في الاصل : توجد بالهامش .

(٢) من قرى الكوفة معجم البلدان ٣ — ٣٨٦ . قارن الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٤٩ حاشية رقم ١ . حيث يقول انهما أي درب هرون وصريفين من أعمال بغداد .

(٣) هذه العبارة بين الحاصرتين غير واضحة في الاصل والضبط من الروضتين (٢) ١ — ٢ — ٥٤٩ .

وسمع الفرنج به ففترقوا . وكان أخوه سابق الدين عثمان (٤) رسولا وكان رجلا بعيدا عن الدهاء ، غير خبير بتدبير الأحكام وآلايها يحمل قول كل قائل على الصدق ، ولا يتصور في ذهنه أمر سوى الحق ، وهو كما يقال ساذج سليم القلب فلما (٥) وصل الى دمشق تلقوه بالاكرام وأنزلوه في دار بعيدة عن الاقوام يبكرون اليه كل يوم للسلام واذا جاء الى القلعة تلقوه الى الباب وأجلسوه على صدر الايوان وقام بين يديه حواشي السلطان ، وهو لا يعلم بما يدبرونه وما الذي يقررونه ثم قال شمس الدين هو الوصي والولى ويأمر الملك الكفيل الملى فتريد أن يستظهر منه باليمن . وقال شهاب الدين العدل لسابق الدين أنا أصل الى حلب معك فأعطينى يدك أن تنفعنى وإنفعك فمضى وخرج معه . قال وخرجت الى طريق سابق الدين لأودعه وحسبته لا تخفى عليه الاشارة فاذا هو أعجمى لا توقظه العبارة ، وخلوت به وقتلت احتزروا من الكيد قبل أن تقعوا كالصيد في القيد ، وصرحت له بالأمر وخوفته من الفدر وحسبته مأمونا على السر فلما سايه في الطريق العدل أبو صالح وجاذبه أطراف الكلام أمال اليه أعطاف الاستسلام ووفاه في صوره الوفا مكاييل مكايده ، وأراه أنه يزجى له محامل محابده حتى اذا وصل الى حلب وبعد شمس الدين على خرقه ساجدا وأظهر أنه لم يزل يتمنى المثل في خدمته مغرما واحدا واستوثق يمينه وشمس الدين لطهارة دينه يعتقد طهارة دينه ، واستقر الأمر على أن يحملوا الملك الصالح الى قلعة حلب ، وهو يتسلم ممالكه ويكون فيها أتابكه ورد أخاه سابق الدين للمضى في الخدمة ، ووصل سعد الدين كمشتكين أيضا في تلك الايام الى دمشق ليجدد بالخدمد عهده ، ويذكر من الراى ما عنده ، واستقبلهم الملك الصالح وكنت راكبا في موكبه مسائرا الى جنبه وهو لا يسمح (٦) في أن ابتاعد عن قربه فلما أبصرنى العدل صعب عليه تربي وسائرني الى جنبى وقال : سابق الدين حدثنى بما حدثته ولو كان ممن يبعث لبعثته والفتيت من انفاسه دخان الجهر لفحنى منها شرر الشر فنجيت الى كمشتكين اعتقد أنه صديق الدهر فمت الى بعذر الذعر .^١ انقطع عنى حتى أصلح أمرك فعرفت انهم أدخلوا رأسه في المخلاة وانه ليس من الامتعة المخلاة

(٤) فى الاصل : ساقطة .

(٥) فى الاصل : فما .

(٦) فى الاصل : يسمح .

فهجرتهم على قصد المقاطعة / (١٧٧) ولم اجد بدا من المسالبة والمواذعة لأن لى تجلا وثروة وخيلا وعدة لو تركتها ونجوت بنفسى لكسفت فى الأخذ بالحزم شمسى ، لكنى أوهمتهم أنى معهم ، ومعاذ الله ان أدعهم حتى وصلت الى حلب فى صحبتهم ثم عرجت على دار محى الدين الشهرزورى بالحاضر واقمت مدة أظهر لهم مودة . ثم أزمعت ورحلت وقطعت الفرات والجزيرة الى الموصل والقيت بها العصا لما وصلت .

نكر مسير الملك الصالح من دمشق الى حلب بتاريخ يوم الخميس الثالث والعشرين من ذى الحجة

قال ولما عزم الملك الصالح المسير بيت الجماعة التدبير ، فأتاه شمس الدين بن المقدم بدمشق ، وجمال الدين ربحان والى القلعة ، والقاضى كمال الدين الشهرزورى وسار الملك الصالح ومعه كمشتكين والعدل ابن العجمى الوزير وولى الدين اسماعيل الخازن ومعهم سابق الدين عثمان وهم يستعطفونه ويتأطفونه حتى قربوا من تل السلطان ، ووصلت رسل شمس الدين على بالاحسان مخلفوا الرسل وراءهم ، ورحلوا للمسافة مساهم وأدلجوا حتى وصلوا وثوب الليل شقه الصباح ، وصدر الفجر رحبه الانشراح فتلقاهم الكبير والصغير والمأمور والأمير . وكان شمس الدين بالقلعة راقدًا عشائه وناشدا انتعاشه فجاء أخوه بدر الدين الحسن متلفيا فبغتوه بالقبض وجأهروا سابق الدين فى مبرم عقده بالنقض واستصحبوها محمولين ، وسبقوا الخبر ركضا حتى دخلوا القلعة ، وكان واليها شاذبخت ، وهو معهم فى الباطن مطلعا على سر الشر الكامن فما احس بهم الشمس الا وقد كسفوه وأظهروا له خفى كرمهم وكشفوه واعتقلوا الأخوة الثلاثة (٧) فى مأمورة وشعثوا القلوب بما جنوه فعادت غير مضمورة . وجاء ابن الخشاب مقدم الشيعة فسفكوا دمه على الحالة الشنيعة وغازب السلطان صلاح الدين هذا الخبر وتطايير من حلب الى مصر من نارهم الشر ، ومن بعدها كم فاضت العبرات واستفاضت العبر .

(٧) يعنى أولاد الداية وكانوا من أخلص أصدقاء صلاح الدين وقد خرج صلاح الدين مسرعا من مصر بعد وفاة نور الدين وكانت مهمته الأولى رعاية شئون الملك الصالح كما قال وهناك فى حلب بذل الجهود لانقاذ أولاد الداية.

قال : ودخلت سنة سبعين وخمسمائة والملك الصالح في قلعة حلب
مستقر وأمره مع أصحابه مستمر وأنا في دار القاضى محى الدين مقيم ،
والى التوفيق من الله مستقيم اترقب للانفصال الوقت ، ولا أجسد من
المقتولين الا المقت . وجاعنى من أخبرنى انهم وضعوا عليك من الاسماعيلية
من يتم حيلة وتقتل غيلة ، فقلت ما مع هؤلاء سلامة ، وما على الكرم أن
فارق أهل اللوم ملامة فتحولت عن المنزل النائى وجعلت الدأب دأبى ،
وانقلبت الى حران وسيف الدين غازى صاحب الموصل تدخيم على سروج
فقدمت على قصده العروج لاستأذن(٨) والى الركب اعرج(٩) وقصدت فخر
الدين عبد رب المسيح وأنبأته بعزمى الصريح ورغبنى في خدمة سيف الدين ،
فأبيت وقلت ما جيت بهذه النية فأخذ لى كتابا الى الموصل ، ومضيت
اليها واقمت بها على عزم العود الى بغداد لاجمع بأخى شملى لكن صدنى
المرض ، وحرف مزاج جوهرى العرض وذلك في شهر ربيع الأول . وشغف
بالتردد الى كمال الدين بن الوزير جمال الدين محمد بن على أبى المنصور
الجواد فكتبت اليه وقد عادنى(١٠) قطعة منها .

قُـمِلَ فِي الْكِرَامِ لَهُ مَشَبَهُ وَان كَثُرُوا
هَمَّةَ مَبَارَكَةٍ فِي الشُّفَا لَهَا أَثَرُ
لَيْسَ فِي السَّيُوفِ سِوَى الْمَهْنَدِ الْاَثَرُ

قال : وسأذكر خروجى من الموصل فى أوانه فى ريعان الملك الصالحى
وعنفوانه قال : وطمع سيف الدين غازى فى بلاد عمه ، وعاد فخر الدين
عبد المسيح الى خدمته وعاد عزه فى مكانته ومكتبته ، واستعاد الخابور
والرقة(١١) وحران وسروج والرها. وأدرك فى تلك الأعمال كل ما اشتهى ،
فمضى العدل ابن العجوى من حلب اليه للاصلاح ودخل له تحت الاقتراح
وتمت المصالحة ، وعلق رهن أخوة مجد الدين فى الاعتقال ، وضيقوا عليهم
فى القيود والاغلال ، والزموهم بتسليمه الحصون ورفضوا حكم المروءة ،

(٨) فى الاصل : لاسنا .

(٩) فى الاصل : أعوج .

(١٠) فى الاصل دعانى .

(١١) فى الاصل : ورقه .

ونقضوا عهد الفتوة . وكان الموفق خالد بن القيسراني قد وصل ونحن بدمشق من مصر وحمل معه لخاصته المال الوثر وأخذ أمان ملك الفرنج حتى عبر الساحل وطوى إلينا المراحل ، ولزم داره بسكون وعقل ولم يدخل مع القوم في شغل .

وأما صلاح الدين (١٢) فإنه اعتقد أن ولد نور الدين يتولاه بعده أخوة مجد الدين وهم أصدقائه وخلصائه ، وغارلهم والملك النوري ، وقال : أنا أولى بحفظه وصونه ، وكتب إلى شمس الدين بن المقدم ينكر ما أقدموا عليه من تفريق الكلمة وكيف اجترأوا على أعضاء الدولة وأركانها بل أهلها / (١٧٧ ب) وأخوانها وأنه يلزمه أمرهم (١٤) وأمرها ، ويضره ضرهم وضرها فكتب ابن المقدم إليه يردعه عن هذه العزيمة ويقبح له استحسان هذه الشبهة ويقول : لا يقال عنك أنك طمعت في بيت من غرسك وأصفى مثبرك ، وأصفى ملبسك فما يليق بحالك ومحاسن أخلاقك وخلالك غير فضلك وأفضالك فكتب إليه صلاح الدين بالانشاء الفاضلي : وصل كتاب الأمير أطل الله بقاءه ، وأحطنا بإنشائه والمكتوب وما نريد معرفته أنا لا نؤثر للإسلام وأهله إلا ما يجمع شملهم ويؤلف كلمتهم ، والبيت الاتاكي إلا ما يحفظ أصله وفرعه ، ويدفع ضره ويجلب نفعه ، فالوفاء إنما يكون بعد الوفاة ، والمحبة إنما تظهر آثارها عند تكاثر العداة ، وبالجملة أنا في واد والظانون ظن السوء في واد ، ولنا من الصلاح مراد لن يبعدنا عنه مراد ، ولا يقال لن طلب الصلاح أنك قادح ولا لن القى السلاح أنك جارح وما مرادنا الإصلحة تؤثر لا فتنة تثار ، وخدمة تنمى لا مضره تسدى وتثار فلو زرنا على غير هذا السبيل لما سلكتنا مراجعة الخطاب ومطالعة الكتاب فلا يحمل أمرنا إلا على أحسنه ، ولا يظن بنا إلا الخير الذي طبعنا أخص بوجوده من معدنه .

قال : وكان عزم صلاح الدين أن يسارع إلى التلاقي ، ويعتمد في إصلاح الدولة وانجاح البغية اعتماد الوفي الوافي ، فاتفقت عوايق وطرقت طوارق راعت مبادئها ثم أجمدت غاياتها ، وأنحلت بعد اللامات المدلهيات

(١٢) في الأصل : صلاح .

(١٣) في الأصل : أمره .

غياياتها فمنها نوبة الكنز (١٤) ونفاته ، ونوبة أسطول (١٥) صقلية ووصله الى ثغر الاسكندرية وارهاته ، وكان وصوله اليها في السادس والعشرين من ذى الحجة سنة تسع وستين وانهزامه مستهل المحرم سنة سبعين .

قال : ووجدت كتابا من صلاح الدين الى بعض امراء الشام بشرح الحال وهو : هذه المكتبة صادرة من الأمير بعد أن وصل الأسطول الصقلي الى ظاهر ثغر الاسكندرية حماها الله تعالى في وقت الظهر من يوم الأحد السادس والعشرين من ذى الحجة ولم يزل متواصلا الى وقت العصر وكان ذلك على حين غفلة من الموكلين بالنظر لا على حين خفاء من الخبر فأمر هذا الأسطول توالت به الاخبار وعظمت الشناعات عنه في الأفاق والاقطار وروع ابن عبد المؤمن (١٦) في البلاد المغربية وهدد به في الجزائر الرومية صاحب قسطنطينية . وكان عسكر الوالي غاييا ولم يحضر في ذلك اليوم الا العدد القليل منه وأصبحوا في يوم الاثنين الذي يليه على ما هم عليه من انتشار راجل الثغر فاشار جماعة من عقلاء الاتراك بأن يرد الناس من المكان البعيد ويقفوا من السور بالمكان القريب فضلا البر وأمكن الأسطول الصقلي في النزول الأمر ، واستنزلوا خيولهم من الطرايد ، وراجلهم من المراكب فأما الخيل فعقدتها على ما حققته أخبار الاسارى على الانفراد وعلم بالارجاف السابق الى البلاد الف وخبسمائة رأس منها رامحة الف وتركبولية خمسمائة وكانت عدة راجلهم في كل شينى مائة وخمسين راجلا فيكون ثلاثين ألف

(١٤) حاكم أسوان قام بحركة مضادة لصلاح الدين والدولة الصلاحية وجمع حوله العناصر الموالية لدولة المصريين لكن أبا الهيجاء السمنين استطاع أن يردع هذا التمرد .

(١٥) كان وصول أسطول صقلية الى الاسكندرية جزءا من الاتفاق الذي تم بين عموري ملك بيت المقدس وبين وليم الثاني لفزو مصر بناء على طلب من عمارة اليمنى وزملائه . كانت الخطة أن يتقدم عموري بجيشة برا بينما يغزو أسطول صقلية الاسكندرية بحرا ويبدأ فعلا وليم الثاني تنفيذ الجزء الخاص به من العمل أما عموري فلم يتمكن وذلك بانكشاف أمر عمارة اليمنى في مصر . ومن الجدير بالذكر أن هذا الأسطول لم ينجح في تنفيذ مهمته ومن ثم قفل عائدا الى صقلية . انظر الروضتين (٢) ١ - ٢ - ٥٩٨ .

(١٦) هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسى الكومى المتوفى سنة ٥٥٨ هـ . ابن خلكان . وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٩٠-٣٩٢ .

مقاتل عن مائتي شينى . وكانت عدة الطرايد ستا وثلاثين طريدة تحمل الخيل وكانت عدة السفن التى تحمل آلات الحرب والحصار من الأخشاب الكبار وغيرها ست سفن ، وكانت عدة المراكب الحمالة برسم الأزواد للرجال أربعين مركبا وفيها من الرجال المتفرق وغللمان الخيالة وصناع المراكب وأبراج الزحف ودباباته المنجنيقية ما يتم خمسين الف راجل ولما تكاملوا نازلين على البر خارجين من البحر حملوا على المسلمين حملة لم يكن حاضرها من أصحابنا سوى محمود بن البصار فاستشهد فى سبيل الله واستمرت الحملة على المسلمين الى أن أوصلتهم الى السور وجذفت مراكب الفرنج داخله الى الماء ، وكانت به مراكب مقاتلة ومراكب مسافرة فسبقهم أصحابنا اليها فحسقوها وأغرقوا (١٧) ما احترق منها واستمر القتال الى وقت العشاء من يوم الاثنين المذكور ونزلوا بخيامهم وضربوها على البر ، وكانت ثلثمائة خيمة وبناتوا على الاهتمام بالآلات الحصار ولما أصبحوا يوم الثلاثاء زحفوا وضائقوا ونصبوا ثلاث دبابات وثلاثة مجانيق كبار تضرب بحجارة سود استصحبوها من صقلية . واما الدبابات فاتها تشبه الأبراج فى جفاء أخشابها وارتفاعها وكثرة مقاتليها وزحفوا بها الى أن (١٨) قاربت السور ولجوا فى القتال عامة النهار . ووردنا الخبر الى منزلة العسكر بفاقوس على جناح الطائر يوم الثلاثاء ثالث نزول / (١٧٨) العدو فاستنهضنا العساكر الى الثغرين الاسكندرية وديماط وكان الاميران بدر الدين أيوب وفارس الدين تيمرك فسبقا الى الاسكندرية برجالهما وأنضاف اليهما من كان فى اقطاعه بالبحيرة المجاورة للاسكندرية من المقاوذة وغيرهم ففى يوم الثلاثاء والأربعاء وعاد بعض عسكر تقى الدين من برقه من القرب واستمرت الحرب ، وقدمت الدبابات ، وضربت المنجنقات وزاحمت (١٩) السور الى أن صارت منه بمقدار الاماح فاتفق أصحابنا على ان فتحو أبوابا من قبالتها من السور ففتحو الأبواب على غفلة ، وخرجوا منها على غرة ، وركب من كان هناك من الأمراء والخيل وخرجوا فازين من الأبواب ، وتكاثر صياح أهل الثغر من جميع الجهات فاحرقوا الدبابات المنصوبة وصدقوا القتال وأنزل الله على المسلمين النصر وعلى الكفار الخذلان والقهر . وما زالت المكافحة بالسيوف

(١٧) فى الاصل وأحرقوا . وبها لا يستقيم المعنى .

(١٨) أضافه يقتضيه السياق .

(١٩) فى الاصل : زاحمت .

الى وقت العصر من يوم الأربعاء وقد ظهر فشل (٢٠) الفرنج ورعيهم ، وقصرت عزائمهم وفترت حربيهم ، واحترقت آلات قتالهم ودخل المسلمون الى الثغر لقضاء فريضة الصلاة ، وأخذ ما يكون به قوام الحياة ، وهم على نية المباشرة . وكنا قد سيرنا أحد الممالك فركب فرسا وجنب فرسين فلوطف الثلاثة طاويا وأخذ رابعا من ضيعته ودخل الثغر بعد العصر بعد ان أعلم كل من لقيه من الاتراك أنه فارقتنا على المعديه ، وسبق بين ايدينا بالبشارة ، فارتفعت الصيحة وعلت وخرجت الخلايق التي كانت للصلاة والعشاء دخلت وثابت اليها عزائمها بعد الكلال ، وتداعت رجالها وقبائل الثغر الى القتال وأوقع الله في قلوب المسلمين أنا في اوساطهم وبين ظهورهم ، وصار الخارج من بيته يروم ان يتسرع ليجاهد بين ايدينا ، ولنرى اثر الذي كان يرجوا أن يصل خبره الينا وقضى الأمر ونزل النصر وواقعوا الفرنج في خيامهم وهاجموهم ، وقد كاد يخلط الظلام وتسلم أهل البلد الخيام بما فيها من همم الملوك العالية وتحملاتهم الغالية وغتكو (٢٢) في الرجالة أعظم فتك ، وتسلم أصحابنا الخيالة فلم يسلم الا من نزع لبسته ورمى في البحر نفسه ، وتتحم أصحابنا البحر على بعض المراكب المذكورة فحسفوها واتلفوها فوات بقية المراكب هاربة وجاءتها أحكام الله غالبة وبقي العدو بين قتل وغرق وأسر وفرق واحتفى لثمائة فارس في رأس تل فأخذت خيلهم ثم غلب أهل الثغر عليهم فقتلوا وأسروا وفيمن أسر رجل كبير كان عمر خمسين شينيا ، وأما المأخوذ من اليزك والنعم والآلات والأسلحة فقد ذكر انه لا يملك مثله ولا يوجد لفرنج الشام أسره ، وأما الخيل فاتها أكاديش فحول ولم يعد معهم فرس واحد منها .

وأطلع هذا الاسطول من الثغر يوم الخميس ولا يعلم اين يقصد من البلاد والأعمال على انه لا بقية فيه لحرب ولا قتال . وكان عدوا ثقيلا وكان خطبه جليلا الا أن ذكروا أن مكيدتهم في اللقاء ضعيفة وحضر من عقلاء خيانتهم المأسورين من استجبر وأمر أن يصدق فذكر أن النفقة كانت في الفارس خمسة أشهر وهم الف فارس منهم سبعمائة نقدية من ثلاثين دينار مشاهرة الى خمسة وعشرين دينارا الى عشرين الى خمسة عشر ومنهم

(٢٠) في الاصل : قتل .

(٢١) في الاصل : وقتلوا .

من له خمسون ومنهم من له مائة من مشاهيرهم ، وأن الاقطاعية ثلثائة فارس وان التركبولية خمسمائة فارس لكل منهم خمسة دنائير ومؤنته على ملكهم على ان فرسا لا يموت ، ومنهم من له عشرة دنائير وللقائد والرئيس عشرون دينارا وأن العدة تناهز أربعة ألف رجل خارجة عن جرخية (٢٢) وسرجندية عدتهم خمسة آلاف رجل وان المتقدمين ثلاثة اُحدهم ابن عم ملك صقلية والحمد لله على هذه النعمة التي احدثت للقلوب استبشارا . وخففت للشرك علما ورفعت للتوحيد منارا ، واطهرت للملة الحنيفة على أعدائها استملاء واستظهارا ، وأعلنا الأمير ليكون في شكر الله عليه مشاركا ويأخذ من حمده تعالى بحظ يتعين على مثله أن لا يوجد له تاركا ان شاء (٢٣) الله تعالى .

قال : وفي أول هذه السنة سنة سبعين قام من كان المعروف بالكنز (٢٤) في الصعيد وجمع من كان في البلاد من السودان والعبيد ، وكان عنده من الأمراء اخ لحسام الدين ابي الهيجاء السنين ففتك به وبمن هناك من المظطعين ففارت حمية أخيه وثارت للثأر وساعده أخو السلطان الملك العادل سيف الدين وعز الدين موسك ابن خاله وجاءوا الى مدينة / (١٧٨ ب) طود (٢٥) فأتى السيف على أهلها ، وباتت (٢٦) بعد عزها بذلها ثم قصد الكنز فسفك دمه وظهر بعد ظهور وجوده عدمه ولم يبق للدولة بعد كنزها كنز وسال (٢٧) دمه فلم ينتطح فيها عزرا .

(٢٢) والجرواح هكذا تجمع وهي آلة حربية تستعمل لرمى السهام والنقطة المشتعل والحجاجة
انظر ابن ممانى : قوانين الدواوين ص ٣٥٣ ٤ ٤٥٦ .
تارن :

R. Dozy, Dict. Arabes, Paris, 1927. 2. Toms.

(٢٣) في الاصل : أنشأ .
(٢٤) حاكم أسوان في أول أيام صلاح الدين . عن الكنوز وهم احدى بطون (ربيعة) انظر البيان والاعراب ٥٠ ، وأيضا اتعاظ الحنفاء مخطوط ورقة رقم ٦٠ ب . وقد أشار اليهم كل من ابي شامة وابن واصل . ومعظم المصادر العربية أشارت الى ثورة الكنز . انظر ابن شداد — النوادر السلطانية ص ٤٧ حاشية رقم ٥ .
(٢٥) بلدة بصعيد مصر قرب قوص .
(٢٦) في الاصل : بات .
(٢٧) في الاصل غير واضحة .

ذكر توجه صلاح الدين الى دمشق وتملكه

قال : ولما خلا باله مهد لاستضافة الممالك ، وأوضح بعزايمة اقامة سنن المسالك وخرج الى البركة مستهل صفر ورجل الى بلبس ثالث شهر ربيع الاول وكان رسل صاحب بصرى شمس الدين جاولى وشمس الدين ابن المقدم عنده تستورى في البعث والبحث زنده وتستقدمه وجنده فصار ووصل اليه بالسرى الى ان اناخ على بصرى فاستقبله صاحبها بكل ما اسعد به فخره ، وشد أزره ، وسدد أمره ، واستضاف الى بصرى صرخد (١) ، وتفرد بالسبق الى الخدمة وتوحد (٢) وسار في الخدمة معه الى الكسوة وركب صلاح الدين يوم الاثنين انسلاخ شهر ربيع الأول وسار واعتمد في تعبئة (٣) عساكره الاستظهار وحسب (٤) ان في البلد من يتوى للامتناع ويتوى بالدفاع فأقبل وهو يسوق حتى دخل دمشق وخرقها كأن الله خلقها الى دار العقيقى مسكن أبيه ويبقى جمال الدين ربحان الخادم في القلعة على تأبيه فراسله حتى استماله واغزر له نواله حتى تملك المدينة والقلعة ، وملك ابن المقدم داره وكل ما حوالها وبذل له طلبته التي اثار اليها وأظهر أنه جاء لتربية الملك الصالح وتدبير ملكه وأنه أحق بصيانة حقه . واجتمع به أعيانها واصبح هو سلطانها فزاره القاضي كمال الدين الشهرزورى فوفاه حقه من الاحترام وأجراه على مالاق بسعاداته والسلام .

فصل

من كتاب فاضلى عن صلاح الدين : ان الله ملكنا دمشق عناية وعنوة ولم يكتب فيها بحمد الله الى خطيه خطوة ، ولا حدثت عشرة فيقال فى أمرها لعله يقال ، ولا استعمرت صفة فى ذكرها لعله تقال . وعرض فى المبادئ تعرض (١) من العسكر الدمشقى فاعلموا أن الهشيم تذروه الرياح (٢) والصريم

(١) فى الاصل : صلخد .

(٢) فى الاصل : غير منقوطة .

(٣) فى الاصل : تعبئة .

(٤) فى الاصل : رجب .

(١) فى الاصل ساقطة . الضبط من الروضتين (٢) ١-٢-٢٠٢٠ .

(٢) فأصبح هشيمًا تذروه الرياح . سورة الكهف آية رقم ٤٥ حيث يتماثل فى أسلوبه بها .

يمحوه الصباح ، والسيف أصدق أنباء والحق أعز أنباء والباطل يضمحل عفاء . « والزيد يذهب جفاء (٣) » الا وأنا رأينا العفو أقرب للتقوى ، وأمثل في سلوك الطريقة المثلى فحفظنا الدماء في أهبيها وأرحنا القلوب من نصبها ، ورددنا السيوف عن قرب تغيظها في قريها ، وتركنا الرماح وأطرافها تضطرم وقد اضطرب حقدا ، وقتلنا لنار الفيض « يانار كوني بردا (٤) ونظرنا في أحوال البيت النورى اعلاه الله فاذا هو قد أطفيت مصابيح نوره ، وكاد ذكره في الذهاب يلحق بمذكوره فاستأنفنا تدبيرات نؤمل أن الله سبحانه يقيم البيت الكريم على عمده ويغنيه عن مسايده من لا يغنيه عن سنده ، وقضينا حق الملك الكريم الصالح وحقق والده رحمه الله باظهار الاحسان في كفالاته ، واستشعار الجميل في خدمته . وقد كان ربحان مانع بتسليم القلعة ريثما علم ان لا يبقى بالرماح ربحانه وبقدرا احتوى ضال فكره وأبصر حيرائه فأعطيناه أمانا وبواناه منها مكانا ، وصعد الأجل الأخ سيف الاسلام فملكها وسكنها واستقر ركبنا بالدار النجمية لتنفيذ الأمور والأوامر ، وتدبير الرعايا والمساكر .

قال : ولما سمع المدبرون للملك الصالح باقبال صلاح الدين المؤذن بادبارهم حاروا في حوارهم ، ولبسوا شعار استشعارهم وراسلوا بالعنف معنفين وبالعسف معتسفين . وكان الواصل منهم قطب الدين ينال بن حسان وقد تجنب في قوله الاحسان وقال له : هذه السيوف التى ملكتك مصر وأثار الى سيفه تردك وعما تصديت له تصدك فطم عنه السلطان واحتمله ، وتغافل كرما وأغفله وذكر أنه وصل لترتيب الأمور ، وتهذيب الجمهور وتربية ولد نور الدين ، واستنقاذ أخوة مجد الدين . فقالوا له : أنت تريد الملك لنفسك ونجس لا ننزع في قوسك ولا نبني على أسك فأرجع حيث جئت أو اجتهد واصنع ما شئت ولا تطمع فيما ليس فيه مطمع ، ولا تطلع حيث بالصعودك فيه مطلع . ونال من تقطيب القطب ينال ما أحوال الحال وأبلى البال وأبدى التيسم وأخفى الاحتمال .

(٣) سورة الرعد آية رقم ١٧ .

(٤) سورة الانبياء . آية رقم ٦٦ « قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم » .

نكر رحيل السلطان الى حمص مستهل جمادى الأولى

قال : ولما رأى أن القصد لا يقضى الى مقصود ، وأن القوم لا يميلون الى نهج محمود عول على أخيه سيف الاسلام طغتكين / (١١٧٩) فى دمشق وأنالتها ورعاية رعيته ، ورحل ونزل على حمص يوم الاحد حادى عشر جمادى الاولى ودخلها يوم الثلاثاء . وبقيت القلعة على الامتناع الى أن أذن الله تعالى لها فى الاستفتاح (١) ورتب عليها من الأمراء من تفى حركته بسكون الدهماء وقلعتها امتنعت وعلى سيوفها ارتفعت فئسار الى حماة وأخذها فى مستهل جمادى الآخرة ومضى ونزل حلب فى ثالث هذا الشهر على قصد الحصر ، وكانت الشتوة ذات أنواء وثلوج ، وعواصف هوج ، ومضايق كربة بلا فروج ومداخل شدة بلا خروج . وجرت شدة امتدت للمساقى عدوى الشقاق مدة . وعصم الله حشاشته فى تلك النوبة من سكاكين الحشيشية (٢) ، وأجرى من حفظه ما كان فى غيب من المشية . قال وسبب ذلك أن الحلبيين لما اشتد عليهم الحصار استعانتوا بالاسماعيلية ، وعينوا لهم أموالا وضياعا ، وبذلوا من البذل أنواعا . فجاء منهم فى يوم بارد من فتاكهم كل عات ففرقهم صاحب بوقبيس ناصح الدين خمارتكين . وقال لهم : لاى شىء جئتم ، وكيف تجاسرتم على الوصول وما خشيتهم فبدروهم بسكينهم وقتلوه ، وجاء من يدفع عنه ففتكوا به (٣) وبالجرأح أثخنوه ، وعدا أحدهم ليهم على السلطان فى مقامه وقد شهر سكين انتقامه وطفل الأمير جاندار واقف ثابت حتى وصل اليه فشمّل بالسيف رأسه ، وما قتل الباقون حتى قتلوا جماعة وأقام السلطان الى مستهل رجب ثم رحل والى حمص تحول وبحصر حصنهم اشتغل . وسبب ذلك أن قومس طرابلس ريمند الصنجيلى كان فى أسر نور الدين رحمه الله مذكرة حارم ، وبقي فى الأسر أكثر من عشر سنين ثم سعى الأمير قخر الدين الزعفرانى فى خلاصه .

(١) فى الاصل : الاستمرا .

(٢) المحاولة الاولى لقتل صلاح الدين وهو محاصر حلب فى ٥٧٠ هـ —
١١٧٤/١١٧٥ م انظر :

B. Lewis, Saladin & The Assassins, BSOAS, XV, 1953.

وأنظر أيضا لنفس المؤلف

The Assassins A Radical Sect in Islam, London, 1967.

(٣) فى الاصل : فقتلوا .

وكان في آخر عهد نور الدين مغلب عليه وهو اكبر خواصه وخلصه بمبلغ مائة وخمسين ألف دينار ، وفكك ألف أسير واتفق هلاك ملك الفرنج في أول هذه السنة فتكفل بالملك بين يدي ولده المجذوم فلما نزل السلطان على حلب وجد فيها طلب كاتب الحلبية الحشيشية فجرى منهم ما ذكروا ثم كاتبوا القومص بطرابلس وقالوا له أنت طليقنا ، وكنت رفيقنا في الأسر والآن أنت عتيقنا وحقنا عليك متعين وبرهان ذلك بين فجاء الخبر بتوجه القومص في الافرنجية الى حمص فرحل عن حلب مستهل شهر رجب فرجع الملعون ناكسا على عقبه خوفا مما يقع فيه ويتم عليه .

واقام السلطان على قلعة حمص شهرا ، وقد استشهدت من الجانبين عدة وجرت شدة والسلطان مقيم في بيت في أعلى المدرسة يشاهد منه الحرب حتى هاجم رجاله يوما باب القلعة وهجم عليهم الرجال من فوق فقبضهم أهل القلعة ثم راسلوا السلطان في طلب الأمان فهاب لأجل الرجال المقبوضين عليهم فأعطاهم الأمان ، وسلموا الحصن وسلموا وتجاوز عما أجرموا ثم نهذ الى بعلبك وفيها خادم يعرف بيمين فسلم الموضع بسلم وهذنه وذلك يوم السبت رابع شهر رمضان .

قال : ووجدت كتابا عن السلطان الى أخيه سيف الإسلام وهو بدمشق يبشره بفتح قلعة بعلبك وهو بالمثل الفاضل ومنه : نحن نبشر الأخ آدم الله طروق البشائر سمعه ونزول المسار ربعة بفتح قلعة بعلبك بالإسلام الذي أعهدت فيه السيوف وقرت به من الأولياء العيون ورغمت من الأعداء الأنوف وكتابنا هذا اليه وسنجقنا فوق قلعتها مستقل ، ومعتمدنا من أعلى شرفاتها مطل ، فالحمد لله الذي قرب كل بعيد وسهل كل شديد وجعلنا حيثما كنا مقصودين بعبادات نصره محفوظين بمعقبات أمره ، والأخ يضرب نوبة البشارة ويظهر أثر موهبتها السارة ليزيد الله العدو هوانا ويعلم كل من خالف سلطاننا أن الله لم يجعل له سلطانا .

قال رحمه الله في ذكر ما آل اليه أمره وهو بالموصل : قال فوصل نجاب وذكر أنه فارق صلاح الدين بالكسوة فهاجنى الطرب لقصدته لسابق معرفته ، وقديم وده ، وخرجت من الموصل رابع جمادى الأولى وعبرت الخابور في مخاضة المجدل وجئت الي الرقة ودخلت الي دمشق في ثامن جمادى

الأخرة ، وصلاح الدين نازل على حلب ، فنزلت في مدرستي ، وعدت الى منزلي ، والفيتا وفيها مدرس يتولاها وقالوا أن العماد خلاها . فدخلت اليها . واخرجته وأبعدته عن النهج الذي نهجه وكنت في غبر الى وعقاييله ارتقب اعتدال مزاجي ، فاقمت حتى استقمت وصبرت الى أن عاد السلطان الى حمص وانتظرت طيب الزمان ومطوعة الامكان ، وقصدت السلطان وقد تسلم قلعتها في شعبان قال وهنائه في فتح بعلبك بأبيات منها :

(١٧٩ب) فتح تسنى في الصيام كأنما شكرنا لما منح الأثام صيام

من ذا رأى في الصوم عيد سعادة حلت لنا والفطر فيه حرام

باليمن هذا الشهر مشهور كما قد عم بالبركات هذا العام

قال : ولزمت خدمته أرحل برحيله وانزل بنزوله ، وأواصل حضرته وانشده شعري وأقول ليت شعري الى ما يؤول أمرى . احضر في كل وقت على سبيل المجالسة ونهج الموانسة لا أبت بمعرفة ولا أنبس ببنت شفة ولما كثر ترددى اليه وتوددى وتصبرى على العطلة وتجلى اقتربت على قرائحى الاكثار للسلطان من مدايحى ، واحتجت الى أحياء الموات والاذكار بسابق الحرمان فهام به الفهم وكثر فيه النظم الى أن دخلت في خدمته وصرت كاتب حضرته فمشغلنى انشاء الرسائل عن انشاء المدايح . فغلب النثر وقل النظم ولو ذكرت مدايحى في هذه السنة لكبر حجم الكتاب وخرج عن حد الاسهاب .

قال : وكنت ليلة عند السلطان وهو يذكر جماعة من الشعراء وعنده ديوان الامير مؤيد الدولة أسامة بن منقذ ، وهو به مشغوف وقد استحسنت قصيدة له طائية ولو عاش السلطان لافر بفضلها فنظمت في مدح السلطان كلمة اولها :

عفا الله عنكم ما لكم ايها الرهط قسطنتم وفي قلب المحب لكم أنقسط

شربتم له حفظ الوداد وختمت حنائيك ما هكذا العهد والشريط

ذكر الواقعة الأولى مع المواصله والحلبيين

قال رحمه الله : لما تسلم السلطان قلعة بعلبك عاد الى حمص وخيم ثامن رمضان بظاهرها وخيمنا في عاشره على حماه . وكان قد وصل عز الدين مسعود أخو سيف الدين غازي صاحب الموصل نجدة لها ولما عرفوا ان السلطان مشغول بالحصون تركوا وجاعوا الى حماه فحاصروها فعرضوا انهم لا ينالون منها فرحلوا عنها . وراسل مقدموا حلب المواصله النايب السلطاني في حماه قبل وصوله اليها اننا وصلنا للصلح والاجتماع فيما يعود بين الجانبين بالنصح والنجاح فكتب الى السلطان وهو ببعلبك يحثه ويحضه لعله يتم عقد صلح لا يتأتى نقضه فمضى السلطان في خوف وجمع غير وجف رجاء للايتلاف وتنكب مذهب الخلاف فجاء من الحلبيين الأمير سعد الدين كمشتكين وشهاب الدين أبو صالح بن العجمي واجتمعوا بالسلطان لما دلبوا أن يرد عليهم الحصون ، واستقر أن يقنع بدمشق نايبا عن الملك الصالح وله خاطبا وعلى الانتماء اليه مواظبا ، وأن يرد كل ما أخذ من الخزانه وأن يسلك فيه سبيل الامانة . فلما رآه لكل ما يلتمس منه مجيبا ، ولكل ما يستبعدونه من مرام قريبا ، ورأوه في عسكر خفيف ومطعم غفيف ومجمع لفيف قالوا خبره صحيح وأن الذي يعرض له من عجزه صريح ، وهو في قافلة ما أهون اخذها ، فشرعوا في الاشتطاط ، وجاوزوا حد الاشتراط ، وطلبوا الرحبة وأعمالها فقال هي لابن عبي ناصر الدين محمد بن شريكه ، وكيف الحق به في رضاكم المكروه فقاموا متفضبين ونفروا وارتحلوا ونفذوا ورساهم من يردهم فما أكثرثوا به ولا احتفلوا وذهبوا ، وهم يقولون كيف نرتاع لقول هؤلاء وإلى متى نصبر على البلاء ، وفارقنا الى مخيمهم وربضوا تلك الليلة في مجثمهم ، وأصبحوا على الرحيل الى جانب العاصي واطهروا انهم على المصاف وعزم الانتصاف فعبر السلطان الى سفح قرون حمص خيامه وركز في مقابلتهم لمقاتلتهم أعلامه وقد اجتمع عسكر الموصل والجزيرة وحلب والسلطان ينتظر وصول أمرائه الواصلين الى دمشق من مصر قال : فوصل في ذلك الوقت لتوفيق الله ومساعدة قدره العسكر المصري في عشرة من المتقدمين الاكابر وهم تقي الدين عمر وعز الدين فرخشاه ابنا أخي السلطان ، وشهاب الدين محمود بن تكش خاله وخواص رجاله ووصلوا الى المعركة أمام الزحف واقتسموا ميمنه وميسرة تقدموا زحفا وسدا واستدبوا ما ظهر بعيدا فابصروا أولئك ما لم يبصروه وانكروا ما لم يعرفوه :

واسودت الدنيا في عيونهم وأحسوا باخفاق ظنونهم ، ونحن وقفنا وراء الصفوف نبصر عجاجهم ونسمع ضجاجهم ثم رأينا الغبرة تبعد عن صوينا فقلت أن النصر لحزينا فإن الهزيمة لو كانت علينا لشارت الغبرة إلينا فكان الأمر كما ظننته ، فان السلطان لما هزمهم طردهم الخيل حتى طرد النهار الليل وسار حتى زحزحهم عن أثقالهم وأحمالهم ودوابهم ورجالهم . وحقق الدماء وسكن الدهماء ونزل في منزلتهم واستقال الدين من زلتهم ثم سرنا ونزلنا بقرا حصار (١) من أعمال حلب وهناك عيدنا عيد الفطر وشكرنا الله على أداء فريضة الصوم وانتفاء فضيلة النصر .

كتاب فاضلى الى زين الدين الواعظ فى المعنى أوله : لله سبحانه وتعالى الحمد عندنا عوايدهم قد صارت كالأمر المعروف ، والواقع المؤلف والضيء اللازم للصباح ، والعرف المتضوع مع الرياح فلا تستغرب غرايبها وان كانت بدیعة ولا تبهر عجائبها وان كانت وسيعة وشیعة . وكان الحلبیون والمواصلة قد صاروا بنيانا مرصوصا فى الخلاف ، وعقدا واحدا فى الشقاق والانحراف ، وحصروا حماة أياما وهم فيها المحصورون ، وأن جندنا جند الله وهم المنصورون ثم ارتحلوا عنها ولم تزل المراسلات تكرر والمعاهدات تنقض بعد أن تقرر الى أن كان آخر رسائلهم ما بيننا الا السيف فرضينا به حكما وأرسلنا حلهم على غاربهم ، وعلما أن البقى مفترض دون مطالبهم ولما كان يوم الاحد تاسع عشر شهر رمضان ركبنا والعساكر قد انتظمت عقودها والاطلاب قد اطرد مسرودها ، والسيوف قد كادت تلفظها غمودها ، والرماح ساقها الى الاوراد ورودها فلما تصافحت أطراف القنا مع النحور ووصلت صدور الرماح الى الصدور ، تخور له الصخور وأنزل الله نصره علينا فلاذوا بالفرار ، وذموا عواقب الاغترار ، واستولت على ابطالهم حلقات الاسار وحاز العسكر المنصور من القوة والعقاد وآلات الحرب والطراد ما ملأ كل يمين وشمال حتى لم يبق فارس الا قاد الجنایب ولا راجل الا سبق الراكب بما استكثر من المراكب وكان المقام كريما واليوم عظيما ، وكان هذا الفتح لفتوحنا أميرا وهذا اليوم بما بعده من سعادات الايام بشيرا ، وكتبنا ونحن على اثر المنهزمين سايقون الى مستقر القرار الذى يسترجون سابقون

(١) فى الأصل : نفرا .

قال ونظمت في هذه الوقعة في مدح ناصر الدين محمد بن شريكه قصيدة أولها :

وكتيبة مثل الرياض كأنما	راياتها منشورة ازهار
وكانها خضر البيارق للفتا	ورق وهامات العداة ثمـار
وكمائم الاغمار عن زهر الظبي	فتقت فكل صقيلة نـوار
وعلى شعاع الشمس لمحديدها	يبدو كما يعلو الجبين نـزار
عبيتها بعزيمة مشفوعة بالنصر	منك تعينها الاقـدار

ومنها :

أهلى بجلق والعراق مراقبوا	حالى وطرف رجائهم نظار
وقطعت أبواب الملوك اليكم	ليكون منك الى النجـاح بدار
بادرت نحوك بالرجاء مؤملا	والصفو تهجر دونه الاكـدار

قال : فنزل السلطان قرا حصار بنية الحصار فجاءت رسلهم بالافتقار وأجابوا الى المراد وقالوا : اقنعوا بما أخذتموه الى حماة ولا تشتموا بنسا العداة فاسترد عليهم كفر طاب والمعرة على أنا لا نسومهم المضرة والمعرة واستوفينا عليهم الايمان المستقرة وأحضرنى السلطان في ذلك اليوم لتحرير نسخة اليمين ورأى الحلبيون الذين غارقتهم انى الى جانب السلطان جالس ويأمره مستأنس فنظروا شزرا وعظموا ما ظنوه نزرا فما وقف السلطان في عرض ولا شأب صحة قوله بمرض وسألهم في المعتقلين أخوة مجد الدين فأجابوا وفرجوا عنهم وتم الصلح وعم النجـح ورحلنا ظافرين ظاهرين ونزلنا بحماة يوم الاثنين ثانی عشر شوال وهناك القينا العصا فما استقرت بقا النوى ونوبنا الى حصار بعـرين .

ذكر وصول رسل دار الخلافة

قال : ولما وصل السلطان الى حماة تلقاه رسل دار الخلافة بالتشريفات السنية والأمثلة الرضوية والجنایب العربية والتحف الامامية والتقليد والتبليک والتحكيم والتفويض فأفاضوا على السلطان وأقاربه الخلع واتبعوا في التشيع به الاتباع والشيخ ولبس الأبهة السوداء كأنه بدر التمام تجلى أنواره

فى الظلام ، وكأنه انسان عين الاسلام نظر من سوادها ، وصحيحة السعادة تلايات امدادها من مدادها ، وركب (١) ولواء الحمد فوقه خافق والمركب الخاص تحته سابق وافيض على ناصر الدين محمد بن شيركوه بن عم السلطان تشريف مقارب للتشريف السلطانى منير منيف وخص من الديوان العزيز بالتفضيل والتميز .

قال (١٨٠ ب) / ولم يبق فى ذلك الصوب الا حصن بعيرين مع الامير فخر الدين مسعود الزعفرانى ، ولما وصل السلطان الى الشام لجأ الى ظل الاكرام ، ولازمه ظنا منه انه يقدمه على العساكر ويجريه على عاقته فى العهد النورى سقاه الله فان نور الدين رحمه الله قدمه على العساكر فى آخر عمره ، وأقطعهم الرها وحماه وكفر طاب وحمص وسلمية وبعيرين فعرف انه لا يتم له هذا المراد ولا يصح عليه الاعتماد فأصبح يوما مفارقا ولحجاب الحجب خارقا ، فنزل السلطان على بعيرين فأخذها سلما فى العشر الاخر من شوال وانتظمت تلك الفتوح على تواتر ونوال .

قال : وانكر انا عبرنا نهر العاصى عايدى وقد انكسفت الشمس وادلهم النهار وغلب القلوب الاستشعار ، وخفيت الرسوم ، وظهرت النجوم ، وجينا الى حمص ثم الى بعلبك ثم البقاع بعزم العود الى دمشق ، وأقطع حماه خاله وصنهره شهاب الدين محمودا ، وانعم بحمص على ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ووصلنا الى دمشق فى هذا الشهر برايات الفتح والنصر قال :

نكر ما أسفر عنه حالى ومال آمالى

قال : قد قرر حسادى عند السلطان ، وقالوا : شغلته الكتابة وهى منصب الاجل الفاضل ، وهو يستنيب فيه من يراه من الأفاضل ، وهذا (تصرفه برغد جزيل) (١) ووجه جميل ، والسلطان مع شدة رغبته فى متوقف والى ظهور وجه النجاح فى امرى متشوف وكنت قد آتست مدة مقامى فى

(١) اضافة يقتضيها السياق حيث أنها فى الاصل ركب .

(١) ما بين الحاصرتين فى الاصل : غير واضح والضبط من الروضتين ٢

المعسكر بالأمير نجم الدين بن مصال وهو ذو فضل وأفضال (٢) وله يد عند السلطان فى النوب التى تصدوا فيها مصر لا سيما عند كواحه محصورا بالاسكندرية ، فلما ملك أحبه وأختار قربه فلزمت له التردد اليه ، وجملته الوسيط بينى وبين الأجل الفاضل والخدمة من أنجح الوسائل ووقفت خاطرى على تقاضيه نظما ونثرا فدخل الأجل الفاضل الى السلطان وعرفه أنه فى راعب وأنه فى ترتيبى حاجب فقال له أنت كاتبى ومدير ملكى صاحبى ولو ربت كاتباً لظن أن فى الحال نقصاً . فقال أنا لا يمكننى الملازمة الدائمة فى كل سفرة وعدا تكاتبك ملوك الاعاجم ولا يستغنى فى ذلك عن عقس الملطفات وحل التراجم ، وأنا ما أحضر فى كل أوان والدولة مفتقرة الى كافل بها غير متوان والعماد يفى فى الوفاء باختراع كل بكر واختراع كل : وإن ، ولك اختاره وقد عرف فى النوبة النورية مقداره ، والجواد عينه قرار ، عوافق قوله مراد السلطان وعرف أن الأجل الفاضل أجل فضلى وحسمى عطلى وأخذ خط السلطان بما قرر لى من شغلى فاعتل كبد من حسد وانحاز عقد ما فسد ، وراح من الفضل ما كسد ، وعاود الروح منه الجسد .

ودخلت سنة أحدى وسبعين

والسلطان فى مستهل المحرم فى مرج الصفر من دمشق سابق بالمخيم والأسلام وإنى المغنم بادى المغرم والعساكر على حظوظها من العز وذاصته والسلطان حاث ولسر عزمه باث فبينما نحن فى تصميم عزم وتتميم حزم اذ وصل رسل الفرنج وقد جنحوا للسلم وغرضوا بسوم الهدنة وضرعوا فى تقلد المنة وفيهم ماجد غلام هنفرى وهو يثق بقوله السلطان فما زال يردد هم حتى دخلوا تحت كل شرط وقربوا من المراد كل ما شحط وتقبلوا بكل ما فيه للاسلام غبطه ، فترجمت الفائدة ووضحت فى المصالحة المصلحة الزايدة . ولما تمت الهدنة أذن السلطان لعسكر مصر فى الانصراف واستجداد العبد منها والاستئناف والاقامة ريثما يستوعب المثل ويخرج فى المهام الدخال وسار الأجل الفاضل ليزول به هناك الشواغل ولما تم مع الحلبيين الصلح ام يقطع المواصله مواصلتهم بالعتب والرسل والكتب فحملوهم بالبعث بعد البعث على النقض والنكث وحالفوهم فى الباطن وهم مستمرون معنا على الوفاق الظاهر ، واتفق أن المواصله نفذوا الى الحلبيين من أخذ عليهم

(٢) فى الاصل : غير واضحة ويحتمل قراءتها أفضال .

المواثيق وتوجه ذلك الرسول منهم الى دمشق ليأخذ للمواصلة من السلطان عهده ويكشف ما عنده فلما خلا به لخلابه طالبه بنسخة الراى المقتدح والشرط المقتدح فغلط وأخرج من كفه نسخة يمين الحلبيين لهم ناولها اياه فتأملها وأخفى السر وما أبداه وردّها اليه وقال لعلها قد تبدلت وما أعلمه بالقضية التى عليها اشتجلت فعلم الرسول انه غلط ولم يمكنه تلافى ما قرط وقال السلطان : كيف حلف الحلبيون للمواصلة ومن شرط ايمانهم أنهم لا يعتمدون أمرا الا بمراجعتهم لنا واستئذانهم ، وعرف من ذلك اليوم أن العهد منقوض والوفاء مفروض والقدر عندهم مفروض .

قال : وفى أول هذه السنة وصل الى دمشق الجماعة الذين خرجوا/ (١١٨١) من بغداد موافقة لقطب الدين قايمار وما بدا (١) لانفسهم بالالتجاء الى السلطان والاحترار .

ذكر السبب فى ذلك

قال : كان قطب الدين قايمار محكما فى الدولة الامامية من اول الأيام المستجدية ، وهو الأمر والنهى ، والمفاخر والمباهى وقد بلغ فى التحكم الى أقصى غايات التناهى ، والامام المستنجد توفاه الله وهو عنه غير راض واجترا عليه والتدر عنه متغاض ، وبسط يده فى الدولة المستنضية ، وصل وعقد وأصدر وأورد ، وقرب وابتعد وصوب وصعد ثم تجبر وتكبر ، وقوى على وزير الخليفة عضد الدين بن رئيس (٢) الرؤساء وأخافه ورام انلافه حتى استعاد منه برباط شيخ الشيوخ وسلم بحمايته من أذى المذكور فارتكب مخالفة الخليفة وخرج عن أمر السنة الشريفة وعن له ان يحيط بالدار احاطة الحصار وحسب أنه فاز من القوة والجند بالاستظهار فلما نجح الخليفة فى ازعاجه واعجازه لم تف حقيقة عزه بمجازه وحكم باذلاله القدر الذى حكم باعزازه ، ولم ينجح لما احيط بداره الا بفتح باب فى جداره وركب وخرج مغلتا غير لافت ،

(١) فى الاصل : وابتدا والضبط من الروضتين ٢ ١-٢-٦٤٤ .
(٢) هو عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء أبى القاسم كان استاذ الدار فى أيام الخليفة المستنجد ووزر للمستنضى ثم قبض عليه فى ٥٦٧ هـ وقتله الباطنية فى ٥٧٣ هـ .
خريدة القصر . العراق . ج ١ ص ١٣ ، ١٤ .
وانظر ابن الاثير . الكامل . ج ١١ ص ٢٩٦ .

وحل بالحلة المزيديّة في أوائل ذى القعدة سنة سبعين ففارقها متوجّها نحو الموصل متشوشاً. أمره متشوراً فكره قد خلاه خلانه وخاته أخوانه واحاط به غمط احسان الامام وغفرانه وجذبه الى الاجل نهاية زمانه ، ومرض وعانى المضض وتوفى فى بعض قرى الموصل بقربها وتحول الى تربها ، وتفرق من صحبه من أصحابه فى البلاد ، فمنهم من رجع الى بغداد على سبيل المسدد ومنهج الرشاد ، ومنهم من جاء الى الشام والتجأ الى ظل الاكرام ، ومنهم حسام الدين تيمرك بن يونس وكان فى قديم الدهر للسلطان المؤمل ففرح بلقائه وابتهج بروائه ، ومنهم عز الدين اقبورى بن أرغش، وطالما اليه تمطش فانه كان صهره قديماً وعنده كريماً ، وأسف عز الدين على ما تركه من ماله وكان ذا خزائن مملوءة ، وآلاف مؤلفة من بدر النصار وعقود الجواهر والخيل المسومة ، فخرج بفرشه منهلأ خالياً وعنهما سالياً فأواه واعز ماواه وكتب فى حقه الى الديوان العزيز كتب شناعة فما كان الذنب الذى ارتكبه مما يقبل الصفح ، وما زال السلطان يسعده ويسعفه حتى صبح وزنه ومسح حزنه وهون عليه ذهب مصر ذهاب ما سواه ولكن أين الترب الذى تولى بعدما تولاه . وكان عز الدين اقبورى عند السلطان أعز الاعزة وعزمه فى مصالحه غصب المهزة والسلطان خال بنته وهى زوجة عز الدين فرخ شاه ابن أخيه وصعب عليه من محل عزه فحاجه ولزمه بحكم القرابة والمروءة والسماحة حاجة وكثر على الديوان العزيز لحرمانه ومواته وخدماته احتجاجه .

قال : وهذا فصل من كتاب فى المعنى (١) الى نجم الدين نجاح عن السلطان وهل تكون الشفاعات الا لأهل الكباير ، يسع عواطف الأيام الا لذوى الجراير وعمو أمير المؤمنين وهو أرفأ بأوليائه وأرحم ، ولا غنى عن جذبة من جذبات همته المباركة فى التكفل بأمر المذكور لازالت مكارمه متكفلة بانجاح الأمور .

قال : ولما سار الاجل الفاضل الى مصر اعتمد على فى تنفيذ الأوامر والتفرد للإصدار والإيراد بالأمر . وواظب السلطان على الجلوس فى دار العدل والقيام بدار العدل لكشف المظالم وبث المكارم . ومن جملة ما حصل فى خزانته بمصر من الاعلاق النفسية دوى محلاة نضارية وقضية ثقيات

(١) فى الاصل : المعناه .

الأوزان غاليات الأثمان فتسلط عليها يد أياديه وفرقتها على جماعة موالية فقال لى يوما اكتب لأمين الدين قاضى حماه الى مصر بدواة محلاة فقلت بل اكتب بدواتين أحدهما للطالب والأخرى للكاتب فتبسم استبشارا بالسؤال واهتزأا للنوال ووقع بهما فى الحال .

وكتبت الى الأجل الفاضل رسالة فى صفة الدواة ، ومنها قد أحاط العلم الأشرف بأن الكاتب معظم أدواته دواته ، وبها يتوفر وتحبى حرمانه ومواته وهى صاحبته التى لا يؤثر طلاقها ومعشوقته التى لا يحب فراقها ، المرخصة لبنها الهيف الهيم ، الملحفة النهار ليلها البهيم .

قال : ومحدث فى مستهل شهر ربيع الأول الملك تقي الدين وكان قد فوض اليه ولاية دمشق بقصيدة أولها :

أحاط بورد وجنته الجنى بنفسج خط عارضه الطرى
وجال وشاحه فى الخصر منه مجال الوهم فى السر الخفى
وجاذب حقه غصن قصيف فيا ويح الضعيف من القوى
(١٨١ب) / يواخذ طرفه بالذنب قلبى فياجور السقيم على البرى

ومنها :

يفيد العاقل اليقظ التعاضى فياجور السقيم على البرى
ولم يصب السهام على اعتدال بها لولا اعوجاج فى القسى

قال : وشاع الخبر عن المواصل بالخرج فى الربيع ، وحشد الجوع وحشر الجميع ، واطلاق السنتهم بالتشنيع . وكنا فى كانون ونحر، لبيوت المفانى فى دمشق بانون وأمرنى السلطان بأن أنشئ عنه الى الملك العادل سيف الدين وهو بمصر ما يشيع له السر ، ويعرفه الأمر ، وأن يلزم الأمراء بالاستعداد لوقت الاستدعاء قال ثم ظهر من المواصل الخلاف وصح عنه الأرجاف وجاءوا الى نصيين بجنودهم وبنودهم وحشدوهم فكتب السلطان الى الأمراء بالاستدعاء والاستبطاء ، فوصل من مصر من وقسع على حضوره التنصيص ، ونفذ بالأمر التعميم والتخصيص . ووصل الأجل الفاضل وشملت الفواصل ، ونجحت الوسائل . ولما تحقق اجتماع الموصلية والطبية ،

وبتفانيهم بالهمم الأبية أيقنا منهم صدق القصد وضلالهم عن نهج الرشيد فرحلنا من دمشق في شهر رمضان فما عرجنا على بلد ، ولا انتظرنا ما ورانا من مدد حتى جزنا حماه ، وخيمنا بقرب بوقبيس في فرجه وبعث النصر في أوجه وبحر الظفر في موجه فالتقينا ذلك الشعب مشعبا فاسمنا الخيول وضممنا الذيول فركب السلطان عند استكمال أمداده ، واحتفال أجاده ففرض وفرض وحررض وحررض بالجد وعرض وجاعنا الخبر أنهم في عشرين ألف فارس سوى سوادهم وما وراءهم من أمدادهم وأنهم موعودون من الفرنج بالنجدة ، وأنهم يزيدون كل يوم في القوة والشدة وما كان اجتمع من عسكرنا سوى ستة آلاف فارس فقال الصواب مسيرنا اليهم والاقدام عليهم . ونحن بالقعود لا نستزيد عددا وهم كل يوم في زيادة جموع ، وما بقى وراعا من أنا نتظر ويقدومه نستظهر فرتب عسكره ميمنة وميسرة وقوى بقلبه قلبه ، وأمد الله بحزب ملائكته حزيه .

ذكر الواقعة مع المواصلة والحلبين يوم الخميس عاشر شوال

قال : وأتمنا بقية شهر رمضان بالمرج القبيسي وبدلنا فقد الحسرب بالنسي ونقول قد وصلوا الى حلب وما عرفنا منهم الطلب فان خرجوا في الطلب الى حدودنا خرجنا اليهم بجدودنا وذكرناهم بعهودنا . ولما وصلت المواصلة الى حلب اطلقوا من كان في الأسر من ملوك الكفر وفيهم ابرنس الكرك وجوسلين خال الملك وقرروا معهم أن يدخلوا من مساعدتهم في الدرك . وكان وصولنا الى مرج بوقبيس في الخامس والعشرين من شهر رمضان فلما عيدنا ووصل الخبر بوصولهم الى تل السلطان عبرنا العاصي عند شيزر وربنا العسكر وأعدنا الانتقال منها الى حماه وجردنا الكمت والكماه وسار يوم الثلاثاء بعزم اللقاء وتفرق الخيل على الجباب والمصانع يوم الأربعاء ، وأخذ حظها من الارتواء ثم أدلج ليلا وصبح القوم بكرة الخميس بالخميس وعرس بقريهم الأسد مع العريس . ولما طلع الفجر نظروا واذا الخيل عليهم مظلة وبوارق البيارق فوقهم مستهلة ، والصواهل محممة والقناطل مدممة والجاليشية دايرة والجاشية فاغرة والخبايا مرنة والمنايا مرجحنة فحين غامرهم الجيش خامرهم الطيش وقالوا ما أوقع هؤلاء أما عرفوا أنهم عند بحارنا جداول وعند جبالنا جنادل وعند صقورنا بغاث وعند ذكورنا أناث فامتطت جبالهم الرماح وهزوا بالرماح الرماح وشاموا بوارق القضب

وانقضوا بشهب الذهب ، وسلوا من النبل الجعاب ومن الزعف العباب وصف سيف الدين غازى صاحب الموصل امام قلبه وتراكت قدماه سحب صبه وقد فوق اليهم السهم كأنه مستوى بيت القوس وشمس برج الاسد للفرس يخطب كنو الكيم لاقامة العرس ملابس وللجمال جميل اللبس ، شاب حوله شباب ، وشهاب تجلله من لثام الزرد سحب بعزه معتز ويفروره مفتر ، وبعطف اللدن ثل رمحه الى اللقاء مهتر بعمره غير مهال لا يخطر الخطر له ببال والملك الدالح مع الحلبيين فى خلايه بارز فى اطلابه وقد جمع كل بطل كمي واجدل ، ضرحى ومن ساير قبائل الاكراد ومن الممالك الاتابية / (١٨٢) كل كيش وهجان واكديش وكان الأمير مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على كوجك على ميمته وهو فى كتيبتة الشسها وداهيتة الدعيادته الحشاشا ، وفى مقابلاته ميسرتنا وفيها شمس الاين صاحب بصرى ومعه جماعة مجمعة قحمل عليها مظفر الدين ففلجها وطحنها واوهى عقودها واوهنها وساق ائثالها ، وتل رجالها فظنوا أنهم ظفروا وفازوا وكثروا وحازوا .

وكان السلطان فى قلبه وااء التل وهم لا يبصرونه فتحين اليه فل الميسرة المكسورة قهاج نحوه بالهم الماتورة ، وساق واشرف من التل على القوم ، وقال : لا ونية بعد هذا اليوم وبدر من اصحابه أميران بالجملة واختلطا مع الجاليشية فأحاطوا بهما ولم يفلتا واتلفا ، وحينئذ ظهر البرج مبرح الفطا وكانوا حلقوا انهم لا يبقون على أحد ولا يقرون من الصلاحية روحا فى جسد .

وقويت اطماعهم بظفر اليمين وقتل من لقوه فى المقدمة فحملوا جملة واحدة راكضة اليها طاردة والسلطان واقف فى صفة الف بالقه ، وانق بزحفه ، مايع بحره فى غدير زاعة . وكانت حملتهم من مسافة بعيدة ، وشقه مديدة فقال لاصحابه تثبتوا وقفوا ودعوهم يتعبروا (٣) ويركضوا وينقضوا قواهم ويرفضوا واذا قربوا منا البعداهم ، واذا وصلونا (٤) قطعناهم فنحن

(١) فى الاصل : قظمها .

(٢) فى الاصل : غير منقوطة .

(٣) فى الاصل : يعتبروا .

(٤) فى الاصل : مطبوسة .

نعتيهم الأشواط ، ونوليهم الافراط ، وهم يصلون متسابقين متفترقين فاذا دنوا من بنيان صفنا المرصوص انقض عليهم جداره ، ولفح وجوههم أواره . وكانت حملتهم وقدام الألوف ماثون وامام المائتين عشرات وقد سبقتنا آحاد منتشرات ، فلما حملتهم حملتنا وصدمتهم صدمتنا عكستهم وأركستهم وردت أولهم على آخرهم وسيارهم الى سايرهم ، ولم يعرف ساقيتهم ما تم على مقدمهم ، ووقع التخاذل والتفائل في ميمنتهم وميسرتهم ، وركب السلطان اكتافهم حتى أخرجهم من خيامهم ووكل بسرارق سيف الدين غازي عز الدين قرخشاه ، وركض وراءه حتى علم أنه تعداد ، ووقع في الاسر جماعة من الامراء المتقدمين ثم من عليهم بالخلع والتشريفات بعد نقلهم الى حماه ، وأطلقهم وأعتقهم بعد أن أسترقتهم .

ثم نزل في السراشق السيفي فتسلم خزائنه واصطبلاته ومطابخه ورواسي عزه ورواسخه ، والقدر على المواعد رقود ، والندامي المواعيد قيام وقعود ، والخمر مقدمة ، والزهور مقدمة ، واللحنون والمرقنون (٥) جلوس وبأيدى البذور شهوس ، والخيل على طابيلها صفون ، وما تطول الحديث فللحديث شجون ، فبسط في جميع ذلك أيدى الجود وغرقها على الحضور والشهود وأبقى منها نصيبا للرسول والوفود، ورأى في بيت الشراب بل في السراشق الخاص طيوراً من القمارى والبلابل والهزاز والبغاء في الاقفاص فاستدعى أحد الندماء هو المظفر المعري الأقرع وهو مما به يتجشى ويتجشع فقال له : طب نفسنا فاستبدل من الوحشة انسا وخلق عليه وقال له : خذ هذه الاقفاص واذهب بها الى سيف الدين وأوصلها اليه وسلم عنا عليه وقتل له : عد الى اللعب بهذه الطيور فهي سليمة لا توتعلك في المحذور .

ولما كسر القوم وولوا مدبرين ركضوا الى حلب فلم يبق بعضهم على بعض ، وظنوا ان العسكر وراءهم ركضاً وراء ركض ، وما سار وراءهم عسكر لكنهم لشدة رعبهم قطعوا نياط القلب ، وما صدقوا كيف يصلون الى حلب فيلقون أبوابها ويسكنون اضطرابها .

(٥) المرثن هو الكاتب ، وقيل المرثن يحلق حلقاً بين السطور كترتين الخضاب ، ورقن الشيء أي زينته . انظر لسان العرب .

وأما سيف الدين فاته ركض فى يومه من تل السلطان الى بزاعة(٦) ،
وجاوز فى سوته الاستطاعة ، وفرق وفارق الجماعة .

ومن الانشاء الفاضلى فى هذه الوقعة الى الأستاذ جلدك بدمشق
كتاب منه نشورك ايها الأستاذ الأجل بكسرة المواصلة والحبلىين والديار
بكريين يوم الخميس عاشر ثوال على تل السلطان بعد أن وقفوا وواقفوا ،
وأخلف الله ظنونهم بما نكثوا وعصوا وخالفوا فأظهر الله فيهم القدرة ودمر
عليهم بهذه الكسرة ، وأخذهم من أمرهم على غرة ، وأجرنا على أفضل
عوايدنا من الاستظهار والنصرة .

ولم تزل الجيوش بعقب المنهزمة ماذا طرح الراكب الى الأرض عفت
عنه السيوف المتضرمة ، وكذلك عودنا الله أن تغفر مع الاقتدار ، ونقبل
عظيم العثار ، والحمد لله الذى مكن لنا فى الأرض ، ولم يجعلنا ممن يفعل
فى العباد ما لم يرض .

قال رحمه الله ﷻ

(١٨٢) ذكر وصول شمس الدولة تورانشاه أخى السلطان من اليمن
ودخوله الى دمشق فى سابع ثوال

فكتب السلطان بخطه من الانشاء الفاضلى :

« قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان
الله لا يضيع أجر المحسنين » (١) فالحمد لله الذى اذهب الحزن(٢) ووهب

(٦) بلدة فى وادى بطنان من أعمال حلب بينها وبين منبج نحو
ميلين والى حلب عشرة أميال . معجم البلدان ٤٣٧/١ .

(١) سورة يوسف ، آية رقم ٩٠ .

(٢) اقتباس من الآية ٣٤ سورة فاطر التى نصها « وقالوا الحمد لله
الذى اذهب عنا الحزن » .

الحسن وأغاث الشام بسحاب منشؤه (٣) من اليمن ، وأرضانا باللقاء اليوم
كما اسخط أمس بالفراق على الزمن .

نفسى الفداء لفايب عن ناظرى ومحله فى القلب دون حجابيه
لولا تمتع مقلتى بلقائه لو هبتهما لبشرى بايابه

واسعد الله المجلس المسمى فى مقدمه ، واسعد هذه الأعمال بموطىء
قدمه ، وأجرى الأرزاق بحكمى سيفه وقتله وأعاد الإسلام وأهله بنعمه
وجوده عن نعمة عده ويقسم الخادم أنه لو جاز أن تسافر نفس
عن جثمانها ، وترحل عن أجفاتها لسرت مهجته الى لقاء آمالها ، واهتدت
مقلته الى مجلسه الكريم بما أفاض من الأنوار على مسالكها ، والحمد لله
ثم الحمد لله ثم الحمد لله قول الشاكر الذى تدر النعمة حق قدرها ،
وعلم بعد الاطالة أنه عاجز عن شكرها ، وانهض الله بركاتها حمله وسقى
الله طريقا أوصله وان نحتل سحب عليها فاجفانى ، وأهلا بليلة قدر لقاءه فى
صبيحتها بقدر وصبيحة عيد فطر هلالنا فيه نير وجهه الأكبر ، ولو أن
اليوم يصام فيه الفرض لنذر كلما كررته الجمعة صيامه ، ولولا الشغل
بالعدو الذى لا مشغل للقلب الا به لالتيناه من حيث كان فى مقامه الجليل
مقامه وما انطوت (٤) فى الفسولة (٥) ليلة الاثنين الثانى والعشرين من شهر
رمضان .

عاد الحديث الى ما جرى بعد الكسرة قال : أما صاحب الموصل
فانه أسرع اليها أوبته وشكر سلامته واستأنف اللهو واللعب ، وأكل وشرب
ولعن الحرب واصطنع (٦) الطعن والضرب وأما الحلبيون فأنهم أوثقوا الأسباب
وغلقوا الأبواب واستقطوا (٧) فى أيديهم حين أفرطوا فى تعديهم ، وتصرفوا
بالاستبصار وتهدفوا للحصار ، وأما السلطان فانه عبر بحلب ولم يعرج
عليها ولم يعج اليها ونزل على حصن بزاعه (٨) وتسلمه وفى سلك ملكه نظمه

(٣) فى الاصل : منشأوه .

(٤) فى الاصل : ومنطوت .

(٥) الفسولة : من قرئ دمشق معجم البلدان ٣-٨٠٢ .

(٦) فى الاصل : واصطنع .

(٧) فى الاصل : وسقطوا .

(٨) فى الاصل : غير منقوطة وقد سبقت الإشارة اليها .

وذلك يوم الاثنين الثانى والعشرين من شوال . وأما منبج فإنه كان فيها الأمير قطب الدين ينال والسلطان لا ينال منه الأحسان ، وكان فى جر عساكر الموصل اليه أقوى سبب ولا يحفظ معه شرط أدب ، ويواجهه بما يكره فلما قرب من بلده أثر أن يثيرة منه ويأخذه من يده فسلط النقاين على حصنه فنزل مستأمنًا ، وسلم القلعة بما فيها والذخاير التى تحويها فقوم ما تسلم بلثمائه الف دينار وسأومه على أن يخدم ويأخذ بلده وذخيرته وعدده فأبت نخوته ونبت حميته ، وأنفت غيرته وغارت أنفته ، وسهل عليه عسيره وأمر أمره ، ومال عليه فى ماله دهره ، وكأنا جمع ذلك المال ليفرقة هذا الجود ، ومطل بديون المكارم ليقضيها هذه النقود . ومضى الى صاحب الموصل فاقطعه الرقة وبقي فيها الى أن أخذها السلطان منه مرة ثانية فى سنة ثمان وسبعين .

وعادته عادة منبج وصاروا بحاله الذى جمعه متفرقين ، ثم عاشى بعد ذلك أحوالا وأثأ أحوالا ، وجمع مالا وأنتهت به صروف الدهر وأحداثه واستحقته من بعده ورائه فافترضوه السلطان على أن يقتنوا به أملاكًا ، وينالوا به من غارطهم استدراكًا ، فانقضى عصر السلطان ونعب بالتفرق غراب البين ولم أدر كيف جرى حديث ذلك البين . قال : ثم سلم منبج الى من بجده عمرها وبجوده غمرها ، وبسياسته ساسها وأنس ناسها .

ذكر النزول على عزاز (١) فى ثالث ذى القعدة

قال : ولما كان حصن عزاز أعز الحصون ، والاسلام ضاحك عن شفرة المصون وهو من الثغور الاسلامية التى يتعين سدادها ، ويجب بأمداد الرجال امدادها اشفق السلطان لموافقة الحلبيين للفرنج من هذا الحصن فإنه ان تسلمه الفرنج عادت معاهد الاسلام فى معاقلتها الى الوهن ، فنزل عليها وقطع بين الحلبة وبين الفرنج وكان حصارها / (١١٨٣) حصار حلب على الحقيقة ، وخيم عليها وأخذ بمضايقها وهى محمية بالرجال محسوة ، بالأبطال مملوءة ، بالعدة والأسلحة قوية من عراداتها وزنا يزنها

(١) عزاز بفتح أوله وتكرير الزاء وربما قبلت بالالف فى أولها ، والعزاز الارض الصلبة وهى بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب بينهما يوم وهى طيبة الهواء عذبة الماء .

بالقوادم والأجنحة ، وهى غير ملبية لدعاتها ولا مبالية بعداتها لا تهب
اذعانا ، ولا تهاب سلطانا فخطب السلطان كيف تسلط خطبها ، وقدم نصبه
فى تقديم منجنيقات ونصبها ، ورجم الحصن رجم الزانى الحصن ، واستشهد
عليه وفيه جماعة ، وصعب الأمر واستمر الحصر وعيل الصبر ، وضجر
المقاتل وحرص بالباس الباسل . وأخرج السلطان مناطق الذهب ونقوده ،
وقلايد العقيان وعقوده يعنى أن من أغنى أغناه ، ومن أبلى أبلاه فقامت هناك
للموت أسواق واشترت باعلاق النفوس من النفائس اعلاق .

ذكر قفز الحشيشة على السلطان ليلة الاحد حصادى عشر ذى القعدة (١)

قال : وكان الأمير جاولى الأسدى خيمته (٢) قرية من المنجنيقات ،
وكان السلطان يحضر فيها كل يوم لترتيب المهمات ، وحض الرجال ، والحث
على القتال ليكون المقاتل اذا كان بمرأى من السلطان احتد واشتد وبذل
الجهد ، وهو غار يناديه بار يث أياديه . والحشيشة فى زى الأجناد وقوف
والرجال عنده صفوف اذ قفز واحد منهم غصب رأسه بسكينه فعاثته صفائح
الحديد المدفونة فى كمنه عن تمكنه ، ولغحت المدية خده فخدشته ، وساحت
تطرات دم غشته ، فقوى السلطان قلبه وثبت لبه وحاش رأس الحشيشى
وجذبه ووقع عليه وركبه وأدركه سيف الدين يازكوج فأخذ حشاشة
الحشيشى وبضعه وقطعه وجاء آخر فاعترضه الأمير داود بن منكلان
فمنعه فجرحه الحشيشى فى جنبه بحد سكينه ، وكانت منيته بعد أيام فى
تلك الضربة . وجاء آخر فعاقته الأمير على بن أبى الفوارس وضمه من
تحت ابطيه وبقيت يد الحشيشى من ورائه لا يتمكن من الضرب فنادى اقتلونى
معه فقد قتلنى واذهب توتى فطعن ناصر الدين محمد بن شيركوه بطن الجارح
بسيفه ومازال يخوضه حتى القاء لحتفه وخرج آخر من الخيمة منهزما
وعلى الفتك بمن يعارضه مقدما فصادفه الأمير شهاب الدين محمود فتنكب
عن الطريق ووافقه حسن التوفيق فثار على الكلب اهل السوق فقطعوه
اريا اريا . ولما السلطان فانه ركب وجاء الى سرادقه وصوته جهورى

(١) المحاولة الثانية لقتل صلاح الدين .

(٢) فى الاصل : جمعه .

وزهوه تسورى ، ودم خده سايل وعطف روعة ماييل ، وطوق كراغنده بتلك الضربة مشكوك مفكوك لكن نهج سلامته بوقاية الله وعصمته مسكوك فما أفرج روع روعة حتى علم أن جرح خده سالم ، وأن صبح جده باسم فانه كان سلا سلامته وأقام القوم قيامته من بعد دين رغب ووهب واحترز واحتجب ، وضرب حول سرادقه على مثال خشب الخركاه تازيرا وأوثقه تحجيرا ، وجلس فى بيت الخشب وبرز للناس كالمحتجب وما حدث الا من عرفه ومن لم يعرفه صرفه ، وما قرب الا من يثق باعتقاده ويعتمد على سداذه واذا ركب وأبصر فى موكبه من لا يعرفه أبعدته ثم سأل عنه فان كان مستشفعا أو مستسعدا أشفعه (٢) وأسعده .

قال : وأنس بى فمن عرفته قربه ومن أثبت على كفايته استكفاه (٤) وندبه وقد اصطنعت أقواما فرعوا المراقب ، واغترعوا المراتب فحجدوا من بعده عارفى (٥) ومعرفتى ، وانكروا صفوتى وصفتى ، وليتنى خلصت من شرهم ونجوت من ضرهم ، وكان السلطان الى مستنينا ولصحبتي مستديما حتى لا يؤثر غيبتي عن ناد يحضره وكل ما اسوغه من أمر يحضره .

فكر مكرمة فاضلية

قال : قال الأجل الفاضل للسلطان تنبيها له فى حقى على الاحسان ان الذى عيئت للعماد من الجامكية (١) بدمشق حوالمته ولم يتسع به عندنا ضائقته ، فان الطرق مقطوعة ، والسبل ممنوعة فعين له من الخزانة فى الصحبة كل شهر ما ينفقه فقرر لى مثل ما كان لى من قبل واستمر المبلغان وتقلدت بهذه العارفة طولى الامتنان ومن تمام انعامه انى هنيته بعزاز يوم عيد الأضحى على العادة ثم جئت اليه العصر مسلما وليعض الأحوال مستعلما فقال ما جئت اليوم مرتين الا لأمر باعث وقد فهمت المعنى . ووقع له أنى لتشريف السلطان متقاضى وأننى عليه الا بما يرضاه لى منه غير راض . وأرسل الى الخزانة وأخذ لى أحسن واثمن ثوب وعمامة واتبع ذلك نفقة مشفوعة بكرامة سنوى ما قرره للعيد من وظيفة واقامة .

(٣) فى الاصل : اسعفه وكذا يتنضى الجناس .

(٤) فى الاصل : استكفاؤه .

(٥) فى الاصل : عارفى .

(١) جامكية هى الراتب الجارى على شخص ما ، انظر ابن مياتى -

ذكر فتح عزاز يوم الاثنين حادى عشر ذى الحجة

(١٨٣ب) قال : وأقام السلطان عليها ثمانية وثلاثين يوما يسومها القتال سوما حتى وجت جنوبها ، وكثرت ثقبوبها ، ونحبت قلوبها ، فاقصر من فيها بعد طول النزال على النزول وانتهت مدة وثوفنا منها على الطلول وسلموا القلعة كرها ، قال : وقتلت فيها قسيده أولها :

سلطت المثل على نجازها وضيمت حتى فى مجازها
وصالها من الحياة منيتى من لى بالفرصة فى انتهازها
وجنتها الوردة فى احمرارها ومدتها البانة فى اهتزازها
شمس الضحى فى الحسن لم تضاهها بدر الدجى فى التم لم يوازها
ومنها

تمل من فتح عزاز نصرة أوقعت العداة فى اغترارها
اليوم ذلت حلب قاتنها كانت تنال العز من عزازها

ذكر خلاص رجل مسلم من نكبه عظيمة بشفاعه كريمة

قال : كان عسكر حلب مدة مقامنا على عزاز يطلب من عسكرنا غرة فأغارها يوما على العلاقة وبلغ اليها صريخ المخافة ، فركب السلطان والعساكر معه نحو الصارخ وأخذ الحلبيون ما وجدوا وعادوا فما أدرك أصحابنا الا فارسا فأخذوه وسيروه اليها .

وجاء السلطان وهو مغتاض ومعه من أصحاب الموتورين قوم غلاظ فأحضر وأمر بقطع يده ، وكان المأمون بإقامة تلك السياسة حسام الدين سنقر الخلاطى وهو كامل الكياسة فقلت له بمسع من السلطان سسهل ساعة لعله يقبل منى شفاعه ، ثم قلت هذا لا يحل وتدرك بل دينك عن هذا بحل وما زلت اكرر عليه الحديث حتى تبسم ، وشاهد عبوسى فنشبر ، ورجع

غما به ثم أمر بحبسه ، ودخل ناصر الدين بن أسد الدين وكلح وبسر ودمدم وزمجر وقال : لم لا يقتل ولماذا اعتقل فوعظه السلطان وسكن غيظه ثم أطلق سراحه وتم نجاهه .

نكر النزول على حلب منتصف ذي الحجة

قال : ولما أمنا من جانب عزاز وجدنا من الله فى عدته النجاة سرنا الى حلب ونزلنا عليها عند حاضر الياروقية ، والسلطان يركب كل يوم مع العسكر ، وربما طاف حول البلد وتأمل أسواره ، واستوضح بعيثاته أسواره ، وأقمنا نتصرف فى الاعمال ونصرف العمال لجباية الأموال ، والبلد فى ضجيج وأجيج وأمر مريح ، وسب تشنيع وتجنيس فى القد وتطبيسق وتنويع فما تم الا السنة تعيث وطبول تستغيث والمراسلة بالقول العنيف ، والمواصلة بالتنفيذ والتعنيف ، والسلطان لا يههم غمهم ولا يفهم همهم ويزيد من حمد الناس له ذمهم ، وقد علم أنهم جاهلون (١) بنبيهم ذاهلون وانه سوف ينبوا حدهم ويخبوا وقدهم .

قال : وكان حصن حارم قد تولاه سعد الدين كمشتكين وأشفق عليها ، ومضى اليها خوفا من النزول عليها وما ظن أن السلطان يعجل من عزاز النجاة فلم يرمها الى حلب الجواز فلما حضرناها وحصرناها ضاق كمشتكين بالمقام فى حارم ذرعا فعاد يمتري فى الضراعة الينا ضرعا ويقول : لو فسحتم لى فى دخول حلب لقضيتم من وئائى بشرط خدمتكم العجب ، وهو يخشى أنه ان استمر هناك مقامه بطل فى سلك جماعته انتظامه ، وتفردوا دونه بما يصدرونه ويوردونه ، وهو على النار الحامية وعساكرنا قد أخذت عليه الطريق فكتب الى السلطان يسأله ان يرفع عن نهجه الحجر ، وكتب الى الحلبيين يسألهم ان يرأسلوا فى أمره فرأسلوا السلطان فى شأنه وان يقتلهم من أجازته طوق امتنانه فانه أول حضوره يبتدىء بالوصول الى حضرته والمثول لخدمته وقرروا على انفاذ معروف رهيته تقيم عنده الى أن يدخل

(١) فى الاصل : جاهلان .

عليهم ويستوفى عليهم في اليمين عقده ونفذوا بحكم الرهن نصره الدين (١) بن زكى حتى يدخل الرسول ويخرج فأمرني بالدخول في صحبة الرسول وهو شمس الدين الوزير أبى المضاء فلما دخلوا أبعادوا عنا الفلماني وأفردوني ورغيتي في مكان ضيق بغير اسراج ولا مرفق ولا بساط ولا كساء ولا خبز ولا ماء وبتنا بلبلة الغدر (٢) ونحن جياع عطاش ولا لحاف ولا فراش وعندنا جماعة يحرسون فائهم يشتمون ويشتمون ، ويلعنون ويطعنون ، وما أنسنا حتى تبسم الفجر وقتلنا لعله يرتفع الحجر . / (١٨٤) فاحضرنا عند الملك الصالح وعنده ابن عمه عز الدين مسعود أخو صاحب الموصل وكانوا عملوا نسخة يمين فما نظرت في شرط ولا تعيين فلففناهم كما أرادوا وسكتنا فيمائنصوا وزادوا وخرجنا الى غلماننا ودوابنا وهم في آخر نفس وخرجنا الى السلطان كأننا قد نشطنا من قيد وعرضنا النسخة وقتلنا له كل من حلف بهذه اليمين يمين ولا كانت حلب ولا كمشتكين .

قال : وجاء كمشتكين وعبر آمنة ولم يزل منافقا مداهنا وعائبنى السلطان وعصب بى جرمهم والزمنى حكمهم ثم عرف الحال وألان المقال وعاد اليهم رهنهم . وتوبتني تلك النبوة وصحت الانابة وما حدثت نفسي بعدها برسالة ولا تعرضت لعثار يحوجني الى استقالة ، ورغمت قدمي ووجهي تلمى أتوسل بالخط لا بالخطى واسطوا بقلمى الذارى على نوى السطى وأرسل الرسل برسائلي ولا أخرج من فضاء فضائلي ولا أدخل في لواذع عواذلي قال :

ودخلت سنة اثنتين وسبعين

والسلطان بظاهر حلب مقيم والمصابرة في حصرها مستديم ، وكنا نؤثر أن تصير الكلمة واحدة ، واللسنة لسنة الجحود جاحدة ، والملك

(١) اسم « نصره الدين » مكرر مرتين .

(٢) في الاصل : القدر وكذا المرجح ولا احتمال لأن تكون الصدر لأن النزول على حلب في منتصف ذي الحجة ، والقدر في العشر الاواخر من رمضان كما ورد في الحديث .

الصالح من حكم الخارجين خارجا حتى يتولاه السلطان بالتربية ويبادر الى ندائه بالتلبية . لكن قومه قاموا بالاصرار على الاصرار ، وسدوا عن مطالعة سبيل الأنوار ثم عادوا الى السلطان مستعطفين وللإحسان مستسغفين وعرفوا أن العقوبة اليمية ، وأن العقوبة وخيمة فدخلوا من باب التذلل والتذلل ، ولاذوا بالتوصل والتوصل (١) واظهروا التودد ، واكثروا التردد ، وحضروا بأذهانهم بعد ما غابوا واعترفوا بأنهم أخطأوا وما أصابوا .

وصفى السلطان وصفح ، وأصلح واصطلاح ، ولما ملك انتجح وأبقى للملك الصالح حلب وأعمالها ، واستقرى كل عثرة فأقالها ورد اليه عزاز واعتذروا عن كل ما أسخطه وحلفوا له على ما شرطه ، وكان الصلح لهم وللمواصله وللديار بكرية عاما ، ولشمول المصالح الجامعة ضامًا وكتبت نسخ ايمان بأسماء ملوك ديار بكر والروم وصاحب الموصل على الشرط المعلوم وهو أنه أن غدر منهم واحد وخالف ولم يف بما عليه حالف كان الباقيون عليه يدا واحدة حتى يفى الى الوفاء والوفاء ويرجع الى مرافقة الرفاق .

وسار بهذه الرسالة اليهم سعد الدين أبو حامد وكان جلدا كافيا ويتدبر الأمور وأفيا فمضى الى الملوك ونظمهم من سلك نهج الموافقات في السلوك .

ذكر الرحيل من حلب

قال : ولما انتظم بحلب الصلح وتم النجح ذكر السلطان ثأره عند الاسماعيليه وكيف قصدوه بتلك البلية ، فرحل منها يوم الجمعة لعشر بقين من المحرم مصمما على الجهاد الأعظم ، وأناخ على حصنهم مصيات (٢) فانهض اليه الرجال وحرضوا الابطال وأمر بنصب المنجنيقات الكبار . وأقام أياما

(١) يرجح أن تكون احداهما بالسجين عوضا عن الصناد .

(٢) حصن حصين مشهور للاسماعيلية بالساحل الشمالى قسرب طرابلس وبعضهم يقول مصياف . معجم البلدان ٤ - ٥٥٦ .
وأنظر :

B. Lewis. " Kamal el-Din" s Biography of Rashid el-Din
Sinan., Arabica, Revue d' Etudes Arabes, XIII Fascicule, 3, 1966.

واستطال عليهم فريقه واستطار فيهم حريقه ، وشرع العسكر يخرب ديارهم ويقرب دمارهم حتى جاء خاله شهاب الدين الحارمى وهو صاحب حماه وشفع فيهم لأن بلده جاور نواحهم ، وأراد الأمن من خوف عوادهم وكانوا قد راسلوه وأرغبوه وأرهبوه . وكان شهاب الدين مقبول مأمول الطول ورأى أيضا من أمرائه ميلا الى الانكفاء وأبت تركهم همته الأبية لولا الشفاعة الشهابية ورحلنا وقد انتقمنا منهم .

ذكر كسرة على الفرنج

قال : كان شمس الدين بن المقدم متولى بعليك وأعمالها ومدبر أحوالها فعرف أن الفرنج قد أغاروا على البقاع فكمن لهم عند العياض ووتر عليهم حنايا المنايا بتفريق التوفيق فى الاتباض واسر منهم سوى من قتل أكثر من مائتى أسير وأحضرهم عندنا ونحن على مصياف ، ولولا هذا الحادث لم يصرف عنها الأحداث .

وكان قد خرج الملك المعظم شمس الدولة اخو السلطان حين سمع ان الفرنج على الخروج وباسطهم (١) عند عين الجر (٢) فى تلك المروج ووقع عدة من أصحابه فى الأسار منهم سيف الدين أبو بكر بن السلار واجتزا (٣) الفرنج بتلك الجولة واغتروا (٤) بتلك الصوكة ، وانبسطوا فى تلك العياض وانهاضوا بما قدم ابن المقدم من الانهاض .

ووصل السلطان الى حماه فاجتمع فيها بأخيه شمس الدين يوم الثلاثاء ثانى صفر وهو أول يوم لقائه بعدما أزمع عنه الى اليمن السفر ، وتعانق الاخوان فى المخيم فى الميدان وتحادثا فى الحدثان . وكان قد وصل الى السلطان من أخيه هذا عند مفارقة اليمن كتاب ضمنية هذه الأبيات من شعر أبى المنجم (٥)

(١) فى الاصل : وما سطهم والتصحيح من الروضتين (٢) ١ - ٢ - ص ٦٧ .

(٢) فى الاصل : ساقطه التصحيح من الروضتين (٣) ١ - ٢ - ٦٧ . وعين الجر بين بعليك ودمشق فى اقليم البقاع معجم البلدان ٣ - ٦٧ . (٣) فى الاصل : واجتر .

(٤) فى الاصل : واغتر .

(٥) أبى المنجم المصرى : هونشو الدولة على بن مخرج المنجم ولد

سنة ٥٤٩ هـ وتوفى سنة ٦٣٠ هـ انظر الخريدة - قسم الشعراء المصريين - ج ١ ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

المصري: قلت ومنها :

وارى التصبر والحشى تتقطع	(١٨٤) / أبدى التجلد والجوانح تلتظى
ما ليس يحمله الأحبة أجمع	وحملت من فقد الأحبة مفزدا
من بعده مضى الصبابة موجع	والى صلاح الدين أشكو أننى
لولا هواه لبعد دارى أجزع	جزعا لبعد الدار منه ولم أكن
ويخب بى ركب القرام ويوضع	ولاركن اليه متن عزائى
من أفتها صبح السعادة يطلع	حتى أشاهد منه أتمد طلعة

قال : فسألنى السلطان أن اكتب اليه فى جوابها على وزنها وروياها
فقلت أبياتا منها :

جلد له عاصى ودمعى طيع	صب تولى حالتيه فى الهوى
خال وحوض الدمع منه منزع	ذو ناظر ربع الكرى فى جفنه
صبح السيادة من سنائه يطلع	مولاي شمس الدولة الملك الذى
لى فى الحياة لأجل بعدك مطمع	لولا ترجى قرب عودك لم يكن
والطايعون الساجدون الركع	قسما بييت أمه زواره
أو لى سواك من النوايب مفزع	ان لى سواك من الحوادث ملجأ

قال : ولما رأتى (١) بالمخيم بميدان حماه عند أخيه مخصوصا بتوقيه
وتوخييه بشرلى وبش ، وشرع فى تقريظى والثناء على قريضى . ثم سرنا
الى دمشق ووصلنا إليها فى سابع عشر صفر ، ووجه النجح قد سفر ،
وفوض ملك دمشق الى أخيه الملك المعظم وعزم على السفر الى مصر .

ذكر وفاة القاضى كمال الدين بدمشق فى سادس المحرم وما آل (٢) اليه أمر القضاء

قال : كان القاضى كمال الدين بدمشق فى الايام النورية الحاكم المطلق
وكان صلاح الدين حينئذ يتولى فى دمشق أسباب الشحنة ، وكمال الدين

(١) فى الاصل : رأى .
(٢) فى الاصل : وما لى اليه .

يعكس مقاصده بالاحكام الشرعية، وربما كسرا غراضه وأبدى عن قبوله اعراضه وأهدى الى صحته أمراضه الى أن نقله الله من نياية الشحنة الى الاستقلال بالملك نصار كمال الدين من قضاة ممالكه المنتظمة الملك وكان فى قلبه منه ما فيه وما فرط منه فات تلافيه . فلما ملك دمشق اجراه على جملة واحترم نوابه وأكرم أصحابه وفتح للشرع بابه وذهب بحقوقه حقوقه ، وأعرض عن عقوبته عقوده .

وكان ابن أخيه ضياء الدين القاسم بن تاج الدين الشهرزورى قد هاجر الى صلاح الدين بمصر فى ريعان ملكه ، فأذنت هجرته فى ذلك المراد بإدارة ملكه ، وأنعم عليه هناك بجزيرة الذهب (٦) ، ومن دار الملك بمصر بدار الذهب ، ووفر حظه من الذهب وملكه دارا بالقاهرة جميلة جليلة ، ورتب له وظائف ، وخصه بلطائف . ووصل مع السلطان الى الشام وأمره جار على النظام ولما اشتد بكمال (٧) الدين المرض ، وكاد يفارق جوهرة العرض أراد أن يبقى فى ذويه فوصى مع حضور ولده بالقضاء لضياء الدين بن أخيه علما منه بأن السلطان يمضى حكمه لأجل سؤاله فيه وتوفى فى سادس المحرم من هذه السنة وعمره ثمانون سنة لأن مولده كان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وفارق ولم يخلف مثله ، ومن شاهده شاهد العقل المكنون والفضل المدون ، وكان بارا بالابرار مختارا للاخيار . واذا كان له صاحب حفظه ونبه له ناظر حظه وأيقظه ، وقد قواه نور الدين رحمه الله وقتلده الحكم فى أيامه وسدد مرامى مرامه ، وهو الذى سن دار العدل لتنفيذ أحكامه بحضرة السلطان حتى لا يبقى عليه مفجز ولا ملز لذوى الشأن فيما دبره من الشأن .

وهو الذى تولى بناء أسوار دمشق ومدارسها والمارستان ، واستقرت

(٦) جزيرة الذهب ضاحية من ضواحي البجيزة انظر ابن مسماتي
توانين الدواوين ص ١٢٦ .
(٧) فى الاصل : كمال .

تاعدته فى دولة السلطان . وتوفى ونحن نلحلب (٨) محاصرون . وجلس الضياء ابن أخيه مكانه فأثبت وامضى وأغضب وأرضى وأشهد وسجل وجرح وعدل .

وكان الفقيه شرف الدين / (١٨٥) أبو سعد عبد الله بن أبى عصرون قد هاجر من حلب الى السلطان وقد أنزله بدمشق ، وهو شيخ المذهب (٩) الشافعى وأقوم العلماء بالفتيا وأعرفهم بما تقتضيه (١٠) الشريعة من مصالح الدين والدنيا .

والسلطان يؤثر ان يفوض اليه منصب القضاء ولا يرى عنه عزل الضياء ، وأضى بسر مراده الى الأجل الفاضل ، وكان الفقيه ضياء الدين عيسى يتعصب لشيخه ويجد فى رفع الحكم الضيائى بفسخه ، واستشعر القاضى ضياء الدين من عزله وتزلزلت قدمه فى شغلته ولو قوى نفسه ونفسه وثبت على الأباء المحض أسمى لما خرج القضاء على حكمه ولا واجه السلطان بصرفه عن منصب عمه . وأشاروا عليه بالاستعفاء ، وانه كاره لمنصب القضاء فكتب يستعفى فقبل لا وجه لاستعفائك فلح القول فاستفهم عن معنى طلبه وابداء سببه فقال : ما لوثر الا قراغ الشر والخلاص من تبعات هذا الامر فأصيب سؤله وأجيب سؤاله وهنىء بأنه مجدد تبسوله وأقبله وأبقى عليه الوكالة الشرعية (١١) عنه فى بيع الاملاك واستجد عليه الاقبال السلطانى بعطلته وعزا عنده بعزلته وزاد فى اعلاء منزلته .

-
- (٨) فى الاصل : بحلب ولعله من خطأ الناسخ حيث أن الحصار يجرى من قبل السلطان لمدينة حلب وهو خارجها .
- (٩) فى الاصل : غير معرفة .
- (١٠) فى الاصل : يقتضيه .
- (١١) الوكالة الشرعية : أشير اليها آنفا عند الحديث عن ابن حيوس .

تذكر وفاة شمس الدين بن أبي المضاء الوزير

قال : كان رسولا كافيا وبما يمضى فيه من مهم وافيا ، وهو أول خطيب بالديار المصرية في عصرنا للدولة العباسية ، وفيه ترفع وتكبر ، يعجبه الناموس ولا (١) يوحشه الا الجاه المائوس واذا مضى الى الديوان العزيز قصده الشعراء فاكثر خلعهم وجوايزهم وبعث على مدحه سرايرهم وربما عاد وعليه ديون تراه في هيئته وهيبته كانه وزير ، وكلامه اذا خاطبته نذر يسير وهو الذي ضوع للسلطان وعرف عرف ظهير الدين منصور العطار وشد به ظهر الاستظهار ، وحصل للسلطان بصدق صداقته الانتفاع والارتفاع ، وتزايدت له في القوة والحظوة الاشياء والاشياع . فوصلنا الى دمشق وقد قضى نحبه واتى ربه ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الثاني عشر من صفر فحمل السلطان غمه ، وقرب ولده وجبر بتربيته يتمه . ثم تعين ضياء الدين الشهرزورى بعده للرسالة الى الديوان العزيز واستتبت له الى آخر العهد السلطاني هذه وتمهدت بترده في الجانبين العمارة ، وذلك بعد المضي الى مصر والعود الى الشام فانه بعد ذلك خاطبت في هذا المرام .

تذكر مؤيد الدولة أبي الحرث اسامة بن مرشد (٢) بن علي بن منقذ

وعوده الى الشام عند علمه بوصول السلطان

قال : كان من الامراء الفضلاء ، والنسادة القادة العلماء ، قد تمتعه الله بالعمر وطول البقاء ، وهو من المحدودين من شجعان الاسلام وقرسان الشام ولم يزل بنو منقذ ملاك شيزر (٣) ، ولما تفرد بالمعقل منهم من تولاه لم يرد أن يكون معه فيه سواه مخرجوا منه سنة أربع وعشرين وسكنوا

(١) في الاصل : ساقطة وهكذا يقتضى السياق .

(٢) ابو المظفر اسامة بن مرشد بن علي بن منقذ بن نصر بن منقذ الكنانى الكلبى الشيزرى . الملقب مؤيد الدولة ومجد الدين . ولد في ٤٨٨ هـ وتوفى في ٥٨٤ هـ ، انظر ابن خلكان ١ — ٧٨ — ٨٠ وانظر ايضا معجم الادباء ٢ — ١٧٣ — ١٩٦ ، من كتاباته الاعتبار ، المنازل والديار ، نشر وتحقيق المكتب الاسلامى . دمشق ١٩٦٥ . ترجم له ابن العديم (بغية الطلب) مخطوط رقم ٢٩٢٥ . أحمد الثالث ج ٢ . اوراق ٢٠٤ — ٢١٢ (٣) شيزر انظر معجم البلدان ٣ — ٣٥١ . وهي قلعة بالشام قرب المعبرة .

دمشق وغيرها من البلاد وكلهم من الاجواد الامجاد وما فيهم الا ذو فضل
وكمال ونبل ، وما منهم الا من له نظم مطبوع وشعر مصنوع وهذا مؤيد
الدولة أعزتهم في الحسب ، أعزهم بالادب ، وكانت جرت له نوبة في أيام
الدمشقيين وسافر الى مصر وأقام هناك سنين في دولة المصريين وعاد الى
الشام فلم يمكنه نور الدين من المتام وصار الى حصن كيفا(٤) وتوطن وابتنى
هناك الدار والعقار . ولما سمع بالملك الصلاحي نبا الى دمشق وذلك في
سنة سبعين . قال : وكنت اسمع بفضلها وأنا بأصفهان وانشدني له مجد
العرب العامري(٥) بها سنة خمس وأربعين هذين البيتين وهما من مبتكرات
معانيه في سن قلعه :

وصاحب لا أمل الدهر صسحبته يشقى لنفلى ويسمى سعى مجتهد
لهم الله مذ تصاحبنا فحين بدا لناظري افترقنا فرقة الأبد

قال : فلما لقيته في دمشق في سنة سبعين انشد فيهما مؤيد الدولة
لنفسه مع كثير من شعره المبتكر من جنسه .

وشاهدت ولده عضد الدين أبا الفوارس(٦) مرهفا وهو جليس صلاح
الدين وأئيسه ويابن حمدون النديم(٧) لا يقيسه . وقد كتب ديوان
شعر أبيه لصلاح الدين وهو لشغفه به فضله على سائر الدواوين ولم
يزل هذا الأمر (ب) العضد مرهف صاحباً له بمصر والشام الى آخر
عمره . وتوطن بمصر فلما جاء أبوه أنزله أرحب منزل وأورده أعذب منهل،

(٤) حصن كيفا ويقال كيا . قلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد
وجزيرة ابن عمر . انظر معجم البلدان ٢ — ٢٧٧ .

(٥) مجد العرب العامري هو الأمير مجد العرب مصطفى الدولة أبو
فراس محمد بن غالب العامري . من شعراء القرن السادس . وردت ترجمة
له في الخريدة ومختارات من شعره انظر الخريدة — عراق ١ — ١٤٢
حاشية رقم ٧ .

(٦) وهو العضد أبو الفوارس مرهف بن اسامة بن منقذ . ذكره ابن
النديم في البغية .

(٧) ابن حمدون وهو أحمد بن إبراهيم بن اسماعيل بن داود بن
حمدون النديم أبو عبد الله . وسمى النديم لأنه كان ينادم الخليفة المعتصم ثم
الواثق من بعده . انظر معجم الادباء ١ — ٣٦٥ — ٣٧٢ .

وملكه من أعمال المعرفة ضيعة زعم انها قديما تجرى فى املاكه واعطاه (٨) بدمشق دارا ووظف له غيثا من فواضله مدرارا فاذا كان بدمشق جالسه وآتسه وذاكره فى الادب ودارسه . وكان ذا رأى وتجربة وخلال مهذبة يستشير فى نوايه ويستشير برأيه فى غياهبه واذا غاب عنه فى غزواته كاتبه واعلمه بواقعاته ووقعاته ويستخرج رأيه فى كشف مهماته وحل مشكلاته وبلغ عمره سبعا وتسعين سنة فان مولده سنة ثمان وثمانين واربعمئة ومات سنة خمس وثمانين (٩) ومن أبيات أوردها عماد الدين لنفسه فى هذا الموضوع قوله :

نفسى فدا شادان	على الدل نثشا
واتى زيف قهره	بحملها مرتعشا
وخده من اثر اللثم	كأنه قد خدشا
وكاد يحسوا لثمه	عذارة المنتشا
كأنما وجنتيه ورد	بطل رشتا
رأيتنه فكدت من عجبى	به أن أدهشا
هممت احيانا به	لولا التقى أن أبطشا

ذكر تفويض القضاء الى ابن أبى عمرو

قال : ولما استعفى القاضى ضياء الدين لم يبق فى منصب القضاء الا فتية ينعت بالأوحد كان ينوب عن كمال الدين فأمره السلطان بأن يجرى على الرسم ويتصرف فى الحكم . وكان السلطان لاهياء القضاء فى البيت الزكوى مؤثرا ولذكر مناقبه كثيرا وقد سبق منه الوعد للشيخ شرف الدين ابن أبى عمرو ففوض اليه القضاء والحكم والامضاء على أن يكون محيى

(٨) فى اصل : واعاه .

(٩) وهذا خلاف ما ذكره ابن خلكان فى الوفيات ١-٧٨-٨٠ حيث ذكر ان سنة ٥٨٤ هـ سنة وفاته .

الدين أبو المعالي محمد بن زكى الدين (١) والأوحد (٢) داود قاضيان يحكمان ، وهما عن منابته يوردان ويصدران ، وتوليتهما بتوقيع من السلطان . فاستمر الأمر ولم يزل الشيخ شرف الدين متوليا للقضاء سنتي اثنتين وثلاث وسبعين في ولاية أخى السلطان المعظم فخر الدين . فلما عدنا الى الشام تكلم الناس في ذهاب بصره ففوض السلطان القضاء الى ابنه محبى الدين أبى حامد محمد كانه نائب أبيه واستمر القضاء الى انتضاء اسمه من سنة ——— وسبع وثمانين .

وفوض ديوان الوقوف بجامع دمشق وغيره من المساجد الى القاضي الأجل مجد الدين بن الزكى فتولاه الى أن انتقل الى موقف من عمل (١) الأعمال وتولاه بعده أخوه محبى الدين على على الاستقلال الى آخر عهد السلطان وبعبده . وبنى على قاعدة الشريعة فيها حلة وعقده ثم تولى القضاء بدمشق بعد صرف من قبله وأحىي بما اعتمده بيته وفضله .

ذكر وصلة السلطان للخاتون العصمية بنت الأمير

معين الدين في آخر صفر

قال : كانت هذه الخاتون المنعوتة بعصمة الدين في عصمة نور الدين فلما توفي رحمه الله أقامت في منزلها في دمشق بالقلعة مستقلة بأمورها ونهيبها ، ساكنة في إحدى حجرها آمنة في خفاره خفراها . صادقة في إخراج الصدقات صالحة في الاستكثار من الأعمال الصالحات ، فرأى السلطان أن يحلى عطل الملك بخطبتها ، ويصل جناح النجاح بوصلتها فأحضر الشيخ شرف الدين والقضاة وأخوها لأبيها سعد الدين مستعود بن انر حاضر وعقد باذنها وتمت عقدة النكاح ودخل عليها وبات عندها ثم خرج بعد يومين لدمشق مودعا وعلى عزم المسير الى مصر مزعما .

(١) وهو أبو المعالي محمد بن أبى الحسين بن محمد بن يحيى الملقب محبى الدين المعروف بابن زكى الدين تولى قضاء دمشق في ٥٨٨ هـ . وكان أبوه وجده وولداه أيضا من قضاتها وتوفي عام ٥٩٨ هـ انظر الترجمة له في ابن خلكان وفيات الأعيان ١-٥٩٢-٥٩٦ .

(٢) الأوحد داود بن إبراهيم بن عمر بن بلال الشافعى وكان ينوب عن جمال الدين . الروضتين (٣) — ٢ — ٦٧٤ .

نكر الخروج من دمشق بكرة يوم الجمعة رابع شهر ربيع الاول

قال : ولما استتمت بالشام للسلطان أمور ممالكه ، وأمن على مناهج أمره وممالكه وبلغ حساب النصر الى فذلكه أزمع الى مصر الاياب وسحب اليها وقد أمحلت بعده السحاب ، وعاود بحر نيله بحر نيلها وأعاد من عساكره الاسد الى غيلها ، وبرز مضاريه من أول الشهر وتقدمه الامراء والملوك الى المنازل ، وخرج بكرة يوم الجمعة رابع الشهر بمرج الصفر ، ثم رحل منه قبيل العصر الى قريب الصنمين (١) قال : وكنت أتمت حتى أدبت مرضى الجمعة فخرجت بعد الصلاة ووصلت الى (١١٨٦) المخيم السلطاني وقد مضى من الليل هزيع وقلبي الى الأهل ولمفارقتهم جزوع ولشدة أشواقى ما نزلت منزلا الا ونظمت أبياتا فمن ذلك ما قلت يوم المسير :

بعثت ببصر دمشق عن غرر
منى فيباغبن صنفقة البائع

وقلت بالزرقاء :

أعدتك يا زرقاء حمراء اننى
بكيئك حتى شيباؤكم بالدم
فياليت شمعى هل أعود اليهم
وهل ليت شمعى نافع للمقيم

قال ونظمت فى طريق مصر قصيدة مشتملة على ذكر المنازل بالترتيب واتفق أن السلطان فى بعض السنين سير الملك المظفر تقي الدين الى مصر ، وكان لا يستدعى منى شاديه لانشادها فى ناديه ، ويطرب لسماعها ، ويعجب بايقاعها وأولها :

هجرتكم لا عن ملال ولا غدر
وأعلم انى مخطيء فى فراقكم
ولكن لمقدور اتيح من الدهر
نغذرى فى ذنبى وذنبى فى عذرى

(١) قرية من أعمال دمشق فى اوائل حوران بينها وبين دمشق
مخحلتان . معجم البلدان ٣-٤٢٠

أسير الى مصر وقلبي أسيركم ومن عجب أسرى وقلبي فى أسر
تذكرت أحبابى بجلق بعدما ترحت والمشتاق يأنس بالذكر
ومن فارق الأحباب مستبدلاً بهم سواهم فقد باع المراح بالخسر

قال : وكان الدخول الى القاهرة يوم السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الاول ، وتلقى السلطان أخوه الملك العادل سيف الدين ، وتلقانا خير مصر وجنت الينا ثمراتها ، وجلبت علينا زهراتها ، وحلقت أنظارها وعلقت أقراطها ، وزينت أطرافها وأوساطها ، ودخل السلطان داره ، وراجع الفلك مداره ووفق الله فى جميع الأمور إirاده وأصداره . قال : ولم يبق لى من الشغل الا الكتب التى الى الشام ولم يكن ذلك على الدوام فان فى كل ديوان كتابا وفى كل عمل نوابا فتوفرنا على الاجتماع فى المغانى لاستماع الأغانى والشعر (٢) فى الجزيرة والجزيرة والامكن العزيرة والاستمتاع (٣) بالجواهر والأعراض ، والحضور فى المدارس للاستدلال والاعتراض والتدريس للطلبة ورواية الاحاديث النبوية والمباحثة تارة فى المعانى الادبية وتارة فى المسائل الفقهية ، والحضور عند السلطان فى كل ليلة للمشاورة الملكية والمحاضرة الانسية ، والذاكرة النسكية .

وكان مشغولاً بمجالسة خواصه من العقلاء وموانسة ذوى اختصاصه من الفضلاء فإذا أراد الانصراف بعد هزيع من الليل قام الى صلاة العشاء وإذا فرغ من الصلاة جماعة تفرق الجمع ورفع الشمع فان كانت له حاجة الى انشاء كتاب أو البوح بمرصواب أجلسنى وأملئ على مقاصده وقمت وسهرت تلك الليلة لتحريين الكتب ثم أكر اليه وأعرضها عليه فان رأى الزيادة فيها أو تبديل شيء من معانيها وصل بي الى مقاطعها ووفقنى على مواضعها فما أبرح حتى أسوى قوامها وأروى أوامها وإذا استنابها وقد اتممت نصابها توجهها بتوقيعه ويقول توجهها ولا تعوقها وتسنددها الى الأغراض وتفوقها . قال :

(٢) كذا وفى الاصل ليست واضحة المعنى ولعلها « البشر » أو « الشعر » .
(٣) فى الاصل : الاستماع .

فكر النموذج من انعامه على بمصر

كان لبيع الكتب فى القصر كل اسبوع يومان ، وهى تباع بالمجان وأرخص الاثمان ، وخزانتها بالقصر مزينة البيوت مقسمة الرفوف مفرسة بالمعروف فقيل للامير بهاء الدين قراقوش متولى القصر ، والحال والمآقد للامر هذه الكتب قد عاث فيها العث وتساوى سمنياها والغب ، ولا غنى عن تهويتها ونفضها واخراجها من بيت الخزانة الى أرضها وهو تركى لا خبرة له بالكتب ، ولم يدر أن فى نفضها انفاضا وان فى تصحيحها أمراضا ، وهى مبنوية فى مقاصيرها معينة فى محتاجيها ، مثبتة بخطوطها المنسوبة واعدادها المحسوبة فى دساتيرها .

وكان مقصود دلالى الكتب أن يوكسوها ويخرموها ويمكسوها فأخرجت وهى اكثر من مائة الف من أماكنها وغربت عن مساكنها وخربت أوكارها وذهبت أنوارها وشئت شملها فاختلط ادبيتها بنحويتها ، وشرعيتها بمنطقيتها ؛ وطبعتها بهندسياتها ، وتواريخها بتفاسيرها ، ومجاهيلها (١٨٦ ب) بمشاهيرها .

وكان فيها من كتب الأمصار والتواريخ الكبار ما يشتمل كل كتاب على خمسين أو ستين مجلدا اذا فقد منها جزء لا يخلف أبدا فاختلطت واختبطت فكان الدلال يخرج عشرة عشرة من كل من كتب متبرة فتسام بالدون وتباع بالهون . والدلال يعرف كل شدة وما فيها من عدة ويعلم أن عنده من اجناسها وانواعها وقد شارك غيره فى ابتياعها حتى اذا ألفى كتابا قد تقوم عليه بعشرة باعه بعد ذلك لنفسه بمائة . فلما رأيت الأمر حضرت القصر واشترت كما اشتروا ومريت الاطباء كما مروا ، واستكثرت من المتاع المتاع ، وحسيت نفائس الانواع ولما عرفت السلطان ما ابتعته وكان بمائتين (٤) انعم بها على ثم وهب لى أيضا من خزانة القصر ما عينت عليها .

ودخلت عليه يوما وبين يديه مجلدات كثيرة انتقيت من القصر وهو ينظر فى بعضها فبسط يدي لقبضها وقال لى كنت طلبت عينتها فهل فى هذه منها فقلت كلها وما استغنى عنها فأخرجتها من عنده بحمال . وكان هذا منه بالاضافة الى سماحته اقل نوال وأهنا رقد بغير سؤال .

قال : وكتبت اليه رقعة ذكرت فيها أنني غرمت في طريق مصر ما يقارب ثلثمائة دينار وأنتى من تعويض عنه على أمل وانتظار (٥) فأمر (١) باطلاق ذلك من بيت المال . وشملى الانعام الفاضلى فى تحصيله وتعجيله للحال ؛ ورتب لى بمصر وظيفة دارة وميرة بمصالحى بارة ، واقطعنى من الانعام مابقى بعده على الدوام ومرورا الايام مستمرا مضافا الى ما هو مقرر بالشام فما يزال يتبع الانعام بالانعام ويقرن الفرد منه بالقوام ، ويعلم أن الدنيا قليلة اللباث كثيرة الأحداث فتناهر فرصه بالاعتنام وادخار حمد الكرام .

ذكر القاضى ضياء الدين القاسم بن يحيى بن عبد الله الشـهرزورى (١)

قال : وكانت للقاضى ضياء الدين بالقاهرة دار جميلة ، هى دارة بدره ودائره قدره ومجال جماله وفضل أفضاله ، وبمصر له منزل هو قطعة من دار الذهب بدار الملك القديم مقيمة على تواعدها المستقيمة ، فهو تارة يضيفنا فى داره بالقاهرة بمقاريه الباهرة وتارة يترينا فى منزله بمصر بالطامه الظاهرة ، ونحن عنده فى أرب وجد وطرب وجد وسماع وغناء واستمتاع واستغناء .

قال : وعملت فى تلك الايام أبياتا يغنى بها ومنها :

ان لم تجد بالوصل مت بحسرتى	ان الفراق منيتى يا منيتى
لك ناظر ذو صـحة فى علة	ما صحتى الا لديه وعـلتى
كم منة لك فى الوصال قوية	واراك فى البهران تضعف منيتى

ومنها :

قلبى العليل فكيف سنـو غ	وصف طرفك بالعـليل
وأنا المحب المسـتهام	فما لخصرك والنحـول
سلبت شـمائلك العقـول	فما يراد من الشـمول

(٥) فى الاصل : وانتظار .

(٦) فى الاصل : فاه .

(١) فى الاصل : القاسم وقد سيققت ترجمته آنفا .

وسلاف ثغرك ليس يشفى غير رشفتها غليلى
ولقد ظميت فسل سبيلا نحو ذاك السلسبيل

قال : واقترحنا على القاضي أن يفرجنا من الأهرام فأضاء وجه بشره لهذا المرام . وكانت له جزيرة الذهب في طريقها فعبّر بنا إليها وتحمل من الكلف ما هو غير مطيقها فبتنا فيها ومعنا فلك ومراكب ، وملك ومواكب وشداة وحداة وولاة وحماه ، وقصدت تلك الليلة لطيبها ، وأخذ كل نفس بمصيبها .

وبكرنا وسيف الصباح قد شق برد الظلماء وابن ذكا قد جلا وجهه السماء ، وقدمنا المراكب وعدينا الجنايب فلما انتهى العبر وانقضى الصبر جزنا بالجزيرة فرأينا أرضا (٢) رضية وبقعة فضية فيها قوم تعود في حلق متطلسون وبزى فقهاؤنا في العراق والشام متلبسون فظننتهم طلبة علم يدرسون فلما أحسوا بنا طاروا وصاروا إلى حيث صاروا وقيل لهم شاربوا المزر وحاقبوا الوزر فقلت لهم ما بال كل منهم بطرحة فقالوا هذا زى هذه البلاد ولا لوم على العرف المعتاد .

ثم مضينا ودفعنا إلى مخاض وارتفاع بعد انخفاض فخاضت بغلة القاضي وعثرت وتوحدت (١٨٧) والقلوب لأجله توجهت وتوجلت فخرج سالما ونقطيب أنفسنا باسمنا فاستأنفنا قصد الأهرام وقد سبقنا إليها غلماننا بالخيام فنزلنا ودرنا حول الهرمين وطاف عليها القاضي من حسن خلقه وحسن تخلقه بكرمين .

وكان معنا القاضي شمس الدين أبو فلان فما منا إلا من هو زهير وقد ظفر بهرمين وشب لنا هناك المكان والزمان وطالما كانا في تلك الرمال هرمين (وقد ظفر بهرمين) (٢) ودرنا في تلك البرارى والرمل والصحارى ، وهالنا أبو الهول ، وضاق في وصفه مجال القول . ورأينا العجايب وروينا الغرائب واستصغرنا في جنب الهرمين كل ما استعظمناه . وتداولنا الحديث في الهرم ومن بناه فكل يأتي في وصفه بما نقله وعقله واجتهد في الصعود إليه فلم يوجد منهم من يوقله وحارت العتول في عقوده ، والأفكار في توهم حدوده ولما أتممنا الفرجة عزمنا العوده وما أرفق تلك الشيمة وأهنا وأسنى تلك الصنيفة النصيفة .

(٢) في الأصل : أيضا .

(٣) هكذا في الأصل .

ذكر بناء السور على القاهرة ومصر

قال : ولما ملك السلطان مصر واتاه الله على الاعداء بها النصر رأى ان مصر والقاهرة لكل واحدة منهما سور لا يمنعها ، ولا قوة لاهلها تحميها (١) وتردها (٢) . وقال : ولو أفردت كل واحدة بسور احتاجت الى جند مفرد ونظر مجرد والرأى أن أدير عليهما سوراً واحداً من الشاطئ الى الشاطئ ثم يتكل فى حفظها على الله الكالى . فأمر ببناء قلعة فى الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المقطم فابتدأ من ظاهر القاهرة ببرج فى المقسم وانتهى به الى أعلى مصر ببروج وصلها بالبرج الأعظم .

ووجدت فى عهد السلطان ثبثا رفعه النواب ، وتكمل فيه الحساب وهو دائر البلدين مصر والقاهرة بها فيه من ساحل البحر والقلعة بالجبل تسعة وعشرين ألف وثلاثمائة ذراعاً . شرح ذلك قياس ما بين قلعة المقسم على شاطئ النيل والبرج بالكوم الأحمر بساحل مصر عشرة ألف وخمسمائة ذراع ، ومن الربة بالمقسم الى حائط القلعة بجبل مسجد سعد الدولة الى البرج بالكوم سبعة ألف ومائتى ذراع قياس دائر القلعة بمسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتى وعشرة أذرع ، وذلك بطول قوسه وأبدانه وإبراجه من النيل الى النيل على التحقيق والتعديـل وذلك بالذراع القاسمى (٣) بتولى بهاء الدين قراقوش الاسدى ، وبنى القلعة على الجبل وأعطاهـا من حقها من أحكام العمل وقطع الخندق وهناك مساجد يعرف أعضاها بمسجد سعد الدولة اشتمنت عليها القلعة ودخلت فى الجملة .

وحفر فى رأس الجبل بئراً ينزل فيه بالدرج المنحوتة من الجبل الى المعين ، وتوفى السلطان وقد بقيت من السور مواضع ، والعمارة فيها

(١) فى الاصل : نحيها .

(٢) فى الاصل : وتزعها .

(٣) وردت فى الاصل القاسمى وهى واضحة تماماً . كتاب الروضتين ٢١٨٨—٢١٨٩ حاشية رقم ١ يذكر المحقق أنها أيضاً فى الاصل القاسمى ، وصحها هو من كتاب مفرج الكروب الى الذراع الهاشمى . انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ٢ — ٥٢ .

نكر اللسان الصوفى

قال : وكان حينئذ بمصر شيخ صوفى من أهل بلخ قد جرب الدهر وعانى العقد والفسخ ، وعان الأثبات والنسخ وجاور بغداد والكرخ ، ظريف طريف ، عفيف ، لطيف لا يأكل وحده ولو أنه رغيف . له مع نجم الدين أيوب صحبة قديمة وهودة كريمة وقد ملك من قلوب الملوك قبولاً ، ولم يزل بشمول عارفتهم ماثولاً فبنى داراً على شاطئ النيل وفتح باباً لمن يضيفه من أبناء السبيل ، وفيها بركة ويستان وروح وريحان ، ومن كل شهى ولذيق السوان وللحلاوات على شيمته الحلوة حوالات ، وللحاجات عند سجيته السمحة ناجات له فيها يدخل السرور فى أنفس أصدقائه أخرجات .

وما زال يدعونا الى داره ولا يخلينا فى ليالى الجمع من انتظاره ، ويضيفنا منفردين ومجتمعين ، ويحضرنا المستمعين والمفردين . وكان محباً للادب ولذقاته مستنسخاً ومؤثراً للفضل ولعاشره معاشراً مصرحاً فإذا عرف ميلنا الى كتاب قدمه وقدم على تقديمه قسمه ويحلف أنه لا يأخذ ثمنه وأنه لاجلنا ادخره وخزنه ثم وقف داره على الصوفية من بعده وانتقل بعد سنين الى النعيم وخلده .

عاد الحديث قال : ولما عدنا من نثر الاسكندرية صمنا بقية الشهر فى القاهرة ، والسلطان متوفر على نشر العدل وإفاضة الجود وسسماع أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . وهناك لسماطه سمسوط وخوان ميسوط وكلنا بما هو فيه من النعمة مفتبط مغبوط ، وكان إذا فرغ من الطعام ، وخف ثقل الزحام تخلف عنده من جرت عادته من الجلساء وخواص الأمراء ثم قضينا فرض العشاء ووصلنا بالتراييح والاستغفار والتسبيح . ثم ان شاء جلس وبمن يقربه استأنس وإذا أراد البكور قاس(١) وجلا من نشره القس وبكر وركب « والصبح قد تنفس » (٢) .

(١) فى الأصل : قلس .

(٢) سورة التكوين آية رقم ١٨ « والصبح اذا تنفس انه لقول رسول

ذكر وصول الرسل ووقوع بعضهم فى الاسر

قال : قد سبق ذكر انفاذ سعد الدين أبى حامد رسولا الى الاطراف للاستحلاف ورفع الخلاف وتأليف الكلمة العائدة بالاسعاد والاسعاف . ومضى أبو حامد وسرنا نحن الى مصر ثم وصل الخبر بأنه قد عاد بعد ما استفاد ويبلغ فى تبليغ الرسالة المراد . ووصل ومعه من صاحب الموصل القاضى عماد الدين بن كمال الدين الشهرزوى (١) والحاجب ضياء الدين أبو بكر البغدادى ورسولان أحدهما من نور الدين قرا ارسلان يقال له المظفرى والآخر من قطب الدين صاحب ماردين وهو الضياء الرجبى ، وحضروا بدمشق عند الملك المعظم شمس الدولة أخى السلطان واستحلفوه ودخل لهم تحت ما كلفوه ، واستوفوا عليه اليمين بالموافقة على ما شرطوه ووصفوه .

فأما القاضى الشهرزورى فإنه عاد الى الموصل واستبعد طريق مصر واستعمل الوقار فما خف وعاف وعف ، فأما الباقر فإنه حسن لهم سعد الدين ركوب الخطر وكروب السفر ووعدهم بالغنى وأخذهم على طريق فى بلد الفرنج ، ان قطعوه فى يومين على غرة منهم نجوا فما جاء أهرهم كما رجوا بل شعر بهم القدر فأعرضهم وأخرجهم بالمضايقة وأعرضهم فسبق أبو حامد والضياء أبو بكر بمن معهما فى نهج وعر ، وحصل رسولا الحصن وماردين فى أسر الملاعين الماردين ووصل الناجون الى مصر واجروا حديث حادث السفرين الأسيرين فاغتم السلطان واهتم ثم فكهما من الاسر بعد سنين حين فتح حصن بيت الاحزان (٢) .

كتاب فاضلى الى صاحب الموصل فى هذه النوبة مع رسوله : أحسق المودات أدام الله أيام المجلس وأنفذ عزمته وأعلى كلمته وأتم نعمته وشرف همته وحفظ ذمته وسدد حكمه وحكمته بأن يؤكد أسبابها ويقصد استثنائها ويحافظ وجود استقامتها مودة أرض الله سبحانه (٣) انتظامها وأتم النعمة

-
- (١) ذكره ابن خلكان فى آخر ترجمته لأخيه أبى حامد . وقال : كان لكمال الدين ابن آخر يقال له عماد الدين توجه رسولا الى بغداد عن نور الدين فى ٥٦٩ هـ . انظر ابن خلكان وفيات الأعيان ١ — ٦٠٠ .
- (٢) بيت الاحزان بلد بين دمشق والساحل سمي بذلك لأنهم زعموا أنه كان مسكن يعقوب . بنى الفرنج فيها حصنا . انظر معجم البلدان ١ — ٧٧٥ .
- (٣) توجد بالهامش .

على أهل الاسلام تماما وعادت على مسرات الاولياء بتخليصها وعلى جوع
الاعداء بتحصيلها وعلى الملة الحقيقية بافرادها بمزية النصر وتخصيصها وعلى
عباد الله ورعايا اوليائه بسبوغ ظلال الالفه بعد تقليصها ووعدت فى انتظام
المصالح واتصالها ، وفل شأفة الكفر واستيصالها وسددت الى نحو
الكاشحين ما كان طائشا من مناصل الاولياء ونصالها وتلك المودة هى التى
تلقي الدعوة اليها بالتأمين وتلقى الراية (١٨٨) المنصور منها باليمين . ورفع
الكتاب الواصل بسببها على الجبين وعلم أن الخير ما اشتمل عليه نجواه
والصواب ما دل عليه فحواه . قال سبحانه فى كتابه الكريم « لا خير فى
كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس
ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » (٤) . وأحلى
الصفو ما تبع الكدر وأجلى الصحو ما كان غب المطر ، وأهنا الراحة ما كان
فى أثر تعب السفر .

والآن قد حفظت المودة مجراها ، وألقت الثقة عصاها ، ولاح لعين
السرى دجاها بل أشرقت شمسها وضحاها ، وجرت عمدة الله الايمان
« وقد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » (٥) .

ووصل الحاجب أبو بكر كتب الله سلامته وأحسن صحابته بعد أن عاد
القاضى عماد الدين الى مستقر عزه من الحضرة ، وقنع بحضوره واستيفاء
اليمين الملكية المعظمية البرة . وكانت التناعة فى موضوعها والثقة فى مستقرها
ومستودعها فان النفس واحدة ولكنها (٦) ساكنة فى جسدين والمصافحة لازمة
واليد منها كاليدين ووصل هذا الحاجب بعد أن لقي من سفره نصبا ، وكانت
سلامته مع أخذ المضيق عليه من طريقه آية عجبا فانها شقة بعيدة ومشقة
شديدة وبلاد مطوحة ومسالك تكاد يكون فيها أسباب العطب مرجحة .

ولم يكن التزم من مقصده الا الكتاب الذى كان على يده فان التعظيم
بحسب قدر المناسب الى قدره العلى ومجده الجلى وشرفه الاولى ، وعن
الذى هو أبلا أعيان الاوصاف عين الملى ، فسرت فيه نعمة السلامة وتوفرت
عليه مزية الكرامة ونظمت اليمين التى احتفل بمحضرها واقتربت الاحكام

(٤) سورة النساء آية رقم ١١٤ .
(٥) سورة الشمس آية رقم ٩ - ١٠ .
(٦) فى الاصل : لكنه .

بظاھرھا والصفاء بضمونها واقام الى ان استكرم له التوفيق واختبرت له الطريق ، وتوجه مصحوبا بلطف الله وأمانه داخلا في حرز كنيته وضمائه ، ونسخة اليمين على يده سايره والمشافهة له تستولى على المقاصد الباطنة والظاهرة . وقد سرى هذا الاتفاق من الالسنة الى القلوب وتأكدت فيه قضايا سقرة الوجوب مؤكدة الرجوب ، واستبشرت الأنفس بأن الله سبحانه يجعله أحد ما ينجز به وعد نصره المكتوب ولزم للمنة به شكران يحمله الله سبحانه وتعالى فقد « ضعف الطالب والطلوب » (٧) .

وكذا للامير مجاهد الدين قايمار ادام الله تأييده في ذلك السعى المشكور والاثر المأثور وتجارة الخير التي لا تبور ، والعزم الذي يتوضح في ظلام الخطب منه « نور على نور » (٨) فهو شكور بلسان احسانه ، معدود اذا اتسع ميدان الفضل من سبقه وفرسانه .

واما الكتب الكريمة الاتابكية فانها نعمة لا يخفى قدرها ، ومنه لا يمتل شكرها ، وحسنة تتقدم الحسنات ذكرها ، ولو ان المودة قد تأكدت لقل انها مما يتأكد به عهدا ، وينتظم به عقدها ، ويشرق به في آفاق الخواطر سعدا وبحسب ذلك نرغب في أن نجعل قوت الأنفس منها اذراا وسماء الانعام بها مدارا مع ما يودع من أخبار نعمة الله سبحانه لديه على أنها نعمة ظاهرة آثارا متظاهرة ايثارا . لا زال الجنب السامى لتحاليل الصدور مستخلصا ، ولنهر المكارم مستقرضا ، ولصفقات المودات مسترخضا ، وللقلوب على ما يجب من الموالات مستحرضا ولا برحت الايام بحسناته موسومة واثم الله نعمه فانها بينه وبين الخلق مقسومة وهو تعالى فاعل ذلك بكرمه ان شاء .

نكر خروج السلطان الى مرج (٩) الفاقوس في ذي الحجة من السنة

ثال : وخرج السلطان الى الفاقوس وخيم بمرجها وزخرت بحار مساكه هناك بفوجها وموجها . وكان مقصوده ارباب العدو في ثفسره

(٧) سورة الحج آية رقم ٧٣ .

(٨) سورة النور . آية رقم ٣٥ .

(٩) في حوض مصر الشرقى وهى آخر ديار مصر من جهة الشام . معجم البلدان ٣-٨٤٥-٨٤٦ . وهى الآن احدى مراكز محافظة الشرقية .

وازعاجه بذعره وهو يركب للصيد والقنص والتطلع الى اخبار الفرنج
لانتهاز الفرص . ولم يخل كل يوم من انهاض سرية سرية واعتراض البرية
الكافرة فى كل معقل وبرية .

وكان مرحبا رضيا ، وفضاء مضيا ، وصحارى واسعة ، وبرارى
شاسعة وهو مصطاد وسيع ومصطاف وثيع ، ومراد مريع كله ربيع ،
وشملنا فيه جميع ولكل رجاء من الجود السلطانى شفيع ، ولكل توقيص
توتيع .

ودخلت سنة ثلاث وسبعين

والسلطان بمرج الفاقوس من أعمال مصر الشرقية ، والاسلام
زاهر زاه والكفر واهن واه ، والنصر مضمون ، والعصر ميمون ، وسر
التوحيد سار ، وقلب الشرك محزون ، وذخر المال مبدول ، وكنز الحمد مذخور
ومخزون ونحن فى اجتماع واتساع وارتفاع وامتناع لا شيم كهام ولا رنة
شاك ولا انة باك ، ولا شكاية مظلوم ، ولا حكاية محروم ، والايام ظاهرة
الايام باهرة المحاسن ، وقد طابت للزمان واهله انقاس ونفوس ودارت على
الدنيا من الطاف الله كئوس . قال ونظمت فى الاجل (١٨٨ ب) الفاضل
قصيدة ميمية فى منتصف المحرم وأولها :

ريم هضيم يروم هضىمى	من سقم عينيه عين سقىمى
قد نقطت شمس وجنتيه	للحسن من خاله بنجسمى
واهى مناط الوشاح حلت	فيه بوجدى عثود عزىمى
نطاقة فى القياس نطق	يدور من خصره بوهمى

ومنها

عندى مواعيد للمعالى تطل	دهرى فليهنسا برغىمى
نتيجة النجم منسك تقضى	أن المواعيد غير عظمى

نكر علم الدين الشافعى (١)

قال : قد سبق ذكره فى الايام النورية ، وهو من ابناء الموصلى وشعرائها بل من فصائها وظرفائها وله نفى وطرف . ووفد سنة اثنتين وسبعين (٢) الى مصر وأصطنعه الملك (٣) عز الدين فرخشاى وأنزله فى داره ، وقرر له احسانا دارا ، وجمع له من رفده ومن الامراء ذوى الفواضل مبلغ ألف دينار ، وأذن صبح نجح أمله منه بأسفار ، وكان عندنا فى المخيم (٤) فى المحرم من هذه السنة وقد مدح السلطان بكلمة مطلعها :

غدا النصر معقودا براياتك الصفرى
فسر وافتحح الدنيا فانت بها احسرى

واقام (٥) حتى اجتاب خلعة الاحتباء (٦) وعقد له السلطان حبى الحباء .

قال : وكتب الاجل الفاضل من عنده مكاتبه الى عز الدين يحمد على اصطناعه ورفعته من حضيض حظوظه الى بقاع ارتفاعه . فصل منها (٧) : لولا حق وجب على الملوك اداؤه ، وسر خدمة تعين عليه ابدأؤه لامتنل الأمر فى أن يدوم (٨) سرور المجلس السامى بالحباية ، وأن لا يعارض صفو عيشه بكدر كتابه . لكن لم يتسع له مع (٩) عود القاضى الفقيه الامام الرئيس الكامل علم الدين وهو ينهى أن المذكور صايغ حليه الذكر وقارس حلية الشكر وخطيب الأيادى ، والعالم بما يورده فى كتب محاسنه (ومنهم أليون

(١) هو أبو الحسن بن سعيد بن عبد الله بن بندار بن ابراهيم الشافعى كان فقيها غلب عليه الشعر . ولد فى ٥١٠ هـ وتوفى فى شعبان فى ٥٩٩ هـ . ونسبته الى شاتان بلدة بنواحي ديار بكر . انظر ابن خلكان ج٢ ص ١٧٥ . وقد ذكره العماد فى الخريدة . انظر شعراء الشام ٢ — ٢٨٤٢٦١ . انظر أيضا الروضتين ٢ — ٢ — ٦٩٦ .

(٢) فى الاصل : وستين .

(٣) فى الاصل : المال والضبط من برق ٣ ورقة ٦ ب .

(٤) انظر برق ٣ ورقة ٦ ب .

(٥) فى الاصل : واقوم التصحيح من برق ٣ ورقة ٦ ب .

(٦) فى الاصل : وفى برق ٣ ورقة ٦ ب غير منقوطة .

(٧) فى البرق ٣ ورقة ٦ ب منه .

(٨) برق ٣ — ورقة ٦ ب يديم .

(٩) فى الاصل : بالبيع والتصحيح من برق ٣ ورقة ٦ ب .

لا يعلمون الكتاب الا أمانى (١٠) وما يرح مذ فارق الركاب المالى فى هذه الأيام التى طالت عليه ببعده فكأنها أعوام كما قصرت عليه تلك الأيام بقربه فكأنها أحلام اذا ذكر المولى سبح بحمده ويادر من غير تشيع بتعغير خذه وصلى على ذكره وسلم وأورد من آيات مجده ما كان بإيراده أقوم ولا تقول أعلم فان الخلق قد اشركوا فى هذا العلم وامتروا فى هذا الحكم .

عرف العالمون فضلك بالعلم وقال الجهــــــــــــــــال بالتقليد

بل لا يقول أحد بالتقليد فى فضايله لما عندهم من فواضله :

فان مر من يثنى عليه حقايب فانت الذى تثنى عليه الحقايق (١١)

وكل سحاب يطره فالمولى منشىء أفواجه، وكل بحر يغمره فهو باعث أمواجه، والمولى مقفو اثر الاحسان متبوعه ، ومن الذى يتبعه فيستطيعه ، فمن أعطاه أوادنا فانما عرفه بتعريفه واستتشرف ناظره اليه بتقريبه له وتشريفه والمولى كما قال حبيب الأدباء حبيب :

نفى كل نجد فى البلاد وغاير مواهب ليست منه وهى مواهبه

وفى هذه القصيدة بيت يليق بأوصاف بيته الكريم وهو :

الى سائب الجبار بيضة ملكه وأمله عاد عليه فسالبه

والمملوك لا يستزيد الاحسان لانه ناتص عن غاية ولكنه يشاركه فى الشكر وان كان المذكور اشهر آياه واظهر آية (١٢) .

ذكر بروز السلطان بقصد الغزاة الى غزة

وعسقلان ونوبة الرملة (١)

قال : وعاد السلطان الى القاهرة وأقام بها ثم تناضته عزمته واهتمت

(١٠) سورة البقرة آية رقم ٧٨ .

(١١) ورد فى برق ٣ ورقة ١٧ حقائق بدون التعريف .

(١٢) قارن برق ٣ ورقة ٧ ب .

(١) قارن برق ٣ ورقة ٧ ب .

بالغزاة (٢) وجد بالجهاد وجده وجهده وجردت سرجياته وأسرجت جسرده
وقلقت بفرارية أجنانه وفاضت على النحور غدرانه ، وتلبست بالأجسام
أبدانه ، وصانحت أشاجع الشجعان صفاحه ، وأسفر في ليل العجاج من
غرر وهمه صباحه وخرج من القاهرة يوم الجمعة ثالث / (١٨٩) جمادى
الأولى بعد الصلاة وخيم بظاهر بلبيس في خامسها بخيمته (٣) لقصد الغزاة ،
ثم تقدمنا الى السرير وخيمنا بالبرز ، قال : ونودى خذوا زاد عشرة أيام
أخرى زيادة للاستظهار ، فقلت لفلامى قد بدأ لى وقد خطر الرجوع ببالى
وأنا صاحب قلم لا صاحب علم وقد استشعرت نفسى في هذه الغزوة من
عاقبه ندم ، والمدى بعيد والخطب شديد والطريق كله في الرمل وجهالى
وينغالى لا تتوى على الحمل وهذه نوبة السيوف لا نوبة الاقلام والواجب
على كل منا أن يلزم شغلّه ولا يتجاوز محله لا سيما ونواب (٤) الديوان قد
استأذنوا في العود وأظهرت سرى للمولى الفاضل فسرّه اشفاقا على .

وكان السلطان أيضا يؤثر ايثارى ويختار اختياري فقال أنت معنا أو عزمت
أن تدعنا فقلت العزم للمولى وما يختاره لى فهو أولى ، فقال تعود وتدعو
لنا وتسال الله أن يبلغنا في النصر سؤلنا . قال وكنت كتبت الى المجلس
الفاضلى أبياتا ونحن بالبرز يوم الاثنين العشرين من الشهر مما على سبيل
الداعبة (٥) ومنها :

قل لى سر الى الجهاد وماذا بالغ في الجهاد جهد مسمى (٦)
ليس يقوى في الجيش جائئى ولا قوسى (٧) يرى موترا الى موتور

قال : وما انقطعت عن السلطان في غزواته الا في هذه الغزوة ، وقد
عصمنى الله فيها من النوبة . قال : وكنت لما فارقت القاهرة استوحشت
وتشوقت الى اصدقائى وتعطشت . وكتبت من المخيم بلبيس الى القاضى
شمس الدين محمد بن محمد موسى بن الفرائس اذكر له لواعج الاستيحاش

(٢) قارن برق ٣ ورقة ٧ ب .

(٣) في الأصل : نحيمه .

(٤) في الأصل : واو ساقطة .

(٥) قارن برق ٣ ورقة ١٩ ب .

(٦) قصيدة طويلة وردت في برق ٣ ورفات ١٩ ، ٩ ب .

(٧) في الأصل : قوسى والخطب من برق ٣ ورقة ٩ ب .

وكان أصدق صديق وأشفق شفيق وشد تصاحبنا من الأيام النورية واستشرته في التأخر عن السلطان فكتب في الجواب وقال : رافقه ولا تفارقه فانه يعرف لك حقه فكرهت رايه وتلوت سور الخطر وأيه وضمنت الكتاب هذه الآيات :

إذا (٨) رضيتم بمكروهي فذاك رضا
وان رأيتم شفاء القلب في مرضي
أنتم أشرتم بتعذيبى فصرت له
ان رمتم عوضا في محبتكم فحاشى
لله عيش يقضى عندكم ومضى
قد أظلم الأملق في عيني بغيبكم
ما كنت أعهد منكم ذا الجفاء ولا
لا ابتغى غير ما تبغون لى غرضا
فاننى مستطيب ذلك المرضا
مستغذا استلذ الهم والمضضا
لله ان أبقى بكم عوضا
وكان مثل صاحب برقه ومضا
فان اذنتم لشخص في الحضور اذا
حسبت ان ودادى عندكم رفضا

قال فكتب الى في الجواب ابينا منها :

ارسلت سهم (٩) عتاب قد جعلت له قلبى وان لم تكن عينته غرضا
لا تنسبونى الى ايثار بعدكم فليست أرضى اذا فارقتكم عوضا

عاد الحديث قال : ثم ودعت السلطان وعدت وما تأخرت الا الهاما من الله تعالى بالنجاة من تلك الورطة حيث حكم في تلك النوبة بالعترة ، ورجعت وأنا بين عادل وعاذر وناه وأمر ثم رحل في سلطان مقدما ولعزمه في الجهاد مصمما وسار في جيش مجر من سواد القتام في ليل ومن بياض البيض في فجر ، ومن حب الغزو في وصل ومن سلو الحياة في هجر فنزل على عسقلان يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى وسقاهم من الموت قسبى وسلب وغنم وغلب وجمع من كان معه من الاسارى هناك فضرب منهم الاعناق وسقاهم من الموت الكأس الدهاق ، وتفرق الفرق في الأعمال مغيرين ومبيدين ولما رأوا أن الفرنج نايمون خامدون استرسلوا وانبسوطوا / (١٨٩ ب) وناموا وأقاموا وتوسط السلطان البلاد وسلط عليهم البلاء .

(٨) في الاصل : لا والضبط من البرق ٣ ورقة ١٠ ١ .

(٩) كذا : وفي الاصل معهم .

واستقل يوم الجمعة مستهل جمادى الآخرة بالرملة (١٠) راحلا ليقصد بعض المعازل فاعترضه نهر عليه تل الصافية فازدحمت على العبور ائثال العساكر المتوافية فما شعروا الا بالفرنج طالبة باطلائها حازبة بأحزابها . صحره ، حادرات اسادها في غايها ، زائرة بزئرها في مساعير سنعيرها وذلك يوم الجمعة أول الشهر (١١) وقد تفرق الجمع وأمن الروع وسرنا (١٢) والضياح مغيرة ولرحى الحرب عليهم مديرة فوقف الملك المظفر تقى الدين وتلقاهم بصدرة ، وسبك الرجالة (١٣) بنيران سيوفه ، وصددهم عن الحملات بوقوفه ثم حمل على الخيالة بخيله وجرفهم بسيله فاستشهد من أصحابه عدد من الكرام انتقلوا الى نعيم دار المقام ، وهلك من فرسان الفرنج أضعائها .

وكان لتقى الدين ولد يقال له أحمد شاب أول ما طر شتاربه وهو فى ريعان شبابه الطرى فقال له يا ولدى قد جاءت نوبتك فأين سطوتك فأتى عني باقدامك واحسم داء الفزع ببراعتك وحسامك (١٤) ، فحمل وبلغ الطعان وراع تلك الرعان فأردى فارسا وفرسه وصد العدو وحبسه وخرج سالما الى أبيه يعتقد أن تلك النهضة تكفيه . فقال له : عد يا أحمد فان العود أحمد وقسا قلبه حتى كان مراده أن يستشهد فقدم الولد طاعة الله وطاعة والده على هوى نفسه وغامر وحشة الروع بأنسه ، وأذنت الحملة الثانية بكسوف شمسه فاستشهد .

وكان له (١٥) ولد آخر اسمه شاهان شاه فى الاسر ، وسبب ذلك عزته الداعية الى الاغترار فانه خدعه بعض مستأمنى الفرنج بدمشق وقال له تجى الى الملك وهو يعطيك الملك ، وزور له كتابا واستحضر على لسان بعضهم خطابا فسكن الى صدقه وصحبه ولم يدر انه خدعه وسلبه فلما

(١٠) فى الاصل : ساقطة والاضافة من برق ٣ ورقة ١٣ .

(١١) جمادى الآخرة .

(١٢) زيادة عن الاصل والغريب أن العماد لم يكن حاضرا هذه الواقعة ومع ذلك يتحدث كشاهد عيان .

(١٣) بعدها يضيف العماد العنوان التالى : ذكر الحملة التتسوية واستشهاد ولده .

(١٤) قارن برق ٣ ورقة ١٤ .

(١٥) ساقطه فى الاصل والزيادة من البرق ٣ ورقة ١٤ .

تفرد به شد وثاقه وغله وقيدته وضيق خنائه الى الداوية ، واخذ به مالا وجدده عندهم له حالا وجمالا وبقي في الاسر اكثر من سبع سنين حتى فكه السلطان بمال كثير واطلق للداوية كل من كان عنده لهم من اسير . قال ولو ان لتقى الدين رداء لاودى القوم واغلى السوم لكن الناس لما عرفوا الوقعة تفرقوا وراء ائقالتهم ثم نجسوا برجالهم دون رجالهم ، وضربوا مجملتهم على السلطان فثبت ووقف على مقدمته من تخلف .

وسمعتة يوما يصف تلك النوبة ويقول رايت غارسا يحث نحوى (١٦) حصانه وقد صوب الى مجرى سنامه ومعه آخران قد جعلا شأنهما شأنه فرايت ثلاثة من أصحابي خرج كل واحد منهم الى واحد فبادروه وطعنوه وقد تمكن من قربي فما مكنوه وهم ابراهيم بن قنابر وفضل الفيضى وسويد ابن غشم المصرى واتفق بسعادة (١٧) السلطان ان هؤلاء وامثالهم من غرسان العسكر وافقوه (١٨) وما فارقوه ومازال السلطان يسير ويقف حتى لم يبق من ظن انه يتخلف ودخل الليل وسلك الرمل ولا ماء ولا دليل ولا كثير من الزاد والعلف ولا قليل (١٩) وتعسفوا السلوك في تلك الرمال والاوغات والاعوار حتى وصلوا الى الديار المصرية (٢٠) واذن ذلك بتلف الدواب وفقد كثير ممن لم يعرف له خبر ولم يظهر له اثر .

وفقد الفقيه ضياء الدين عيسى وأخوه الظهير ومن كان في صحبتهم فضلوا عن الطريق وكانوا سائرين الى وراء فاصبحوا بقرب الأعداء فاكتمنوا في مغارة وانتظروا في بلد الاسلام على عمارة فذل عليهم الفرنج من زعم انه يدل بهم فأسروا وما خلص الفقيه عيسى وأخوه الا بعد سنين بستين أو (٢١) سبعين ألف دينار وفكاك جماعة من الكفار عندنا من أسار وما استندت هذه النوبة بكسرة ولا عدم نصره وأن النكاية في العدو وبلاده بلغت منتهاها وادركت كل نفس مؤمنة مشتهاها لكن في الخروج من تلك البلاد تشتت الشمل وتوعر السهل وسلك مع عدم الماء والدليل الرمل ، وقبض من ضل به الطريق الاسر والكبل . ومما قدره الله تعالى من أسباب

-
- (١٦) في الاصل ويجرى والتصحيح من البرق ٣ ورقة ١٤ ب .
 (١٧) في الاصل السعادة والتصحيح في البرق ٣ ورقة ١٥ ا .
 (١٨) في الاصل واقفوه والضبط من برق ٣ ورقم ١٥ ا .
 (١٩) في الاصل والقليل والتصحيح من برق ٣ ورقة ١٥ ا .
 (٢٠) لا توجد في البرق قارن برق ٣ ورقة ١٥ ا .
 (٢١) اضافة يقتضيها سياق الحديث .

السلامة استظهار الأجل الفاضل في دخوله الى بلاد الأعداء باستصحاب
الادلء (٢٢) وانهم ما كانوا يفارقونه في التداء والعشاء وينفق عليهم ويقوم
بكل ما يحتاجون اليه فلما وقعت الوقعة بدوا به وغلما نه وأصحابه وائقاله
وجماله وثب أصحابه في تلك الرمال والوهاد التلال حتى أخذ خبر السلطان
مقصده وفرق ما كان معه من الأزواد على المنقطعين وجمعهم في خدمة
السلطان / (١٩٠) اجمعين وكان الناس في مبدأ توجه السلطان ودخول
الأجل الفاضل معه الى البلاد ربما تحدثوا وقالوا لو تعد وتخلف كان أولى
به فان الحسب ليست من دابه . ثم عرف أن السلامة والبركة والنجاة في
استصحابه .

قال : وجاء الخبر الى القاهرة مع نجابين فخلع عليهم وأركبوا وأشيع
بأن السلطان نصره الله وأن الفرنج خذلهم الله ، وأنهم كسروا (٢٣) وغلّبوا
وركبت لاسمع حديث النجابين وكيف نصر الله المسلمين ، واذا هم يقولون
ابشروا ثمان السلطان وأهله سالمون وانهم واصلوا غانمون فقلت ما بشر
بسلامته الا وقد تمت كسرة وما تم سوى بسلامته نصره وكان كما حررته .

ولما قرب خرجنا الى تلقيه ودخل الى القاهرة يوم الخميس منتصف
الشهر ونابت سلامته مناب النصر وسيرنا بها البشائر وانهضنا ببطاقتها
الطاير لآخراس السنة الأراجيف وأبدال التأمين من التخويف ، فقد كانت
نوبتها هائلة ووقعتها غائلة .

كتاب فاضلى عن السلطان الى بعض الأمراء يذكر ما دفعه الله في
نوبة الرملة (٢٤) من البلاء ، نعم الله سبحانه في كل ما تصرفنا عليه توجب أن
نصرف اليه شكرنا ، والطائفة الجميلة في كل ما يفضى بنا اليه يقتضى أن نبلى
في حبها عذرا . ومكاتبتنا الى الأمير صادرة في يوم الخميس الخامس عشر
من جمادى الآخرة عند قفولنا من القزاة التى صرفنا الله فيها عن الكفار
ليبتلى صبرنا . والعساكر المنصورة سالمة بجمهورنا مقسومة نعم الله في
الكافة بين أمرها ومأمورها .

(٢٢) برق ٣ ورقة ١٥ ب يضيف قبل الادلاء : الكنانية .

(٢٣) فى الاصل : كثروا والضبط من برق ٣ ورقم ١٦ : ٢ .

(٢٤) وفى الاصل : الرماية .

وقد كانت هذه المعسكر جاست خلال ديار الكفار وقاتلت البلاد وأهلها بالسيفين الحديد والنار ، وحكمت القتل تحكيما عجل فيه الارتياح الى أمر الله عن مهلة الاسار واستباحته لهم معاقل واصابت لهم مقاتل ، وشملت المعسكر كسرتها وفيها للمعسكر دوما شغل شاغل (٢٥) .

وكانت العدو رامها مستيقظة فلم يطقها وبارزها (٢٦) على باب عسقلان فلم يفتها من غاية ولم يعقها بل ولاها ظهره عجلا وفر تحت الليل وجلا ثم طرقتها في حال انبثاث منها وانتشار وشغل بالنهب والاغترار (٢٧) وتباعد من الاطلاب وخفة من رجالها وخلو من الأسلحة التي احتاجت في لباسها الى ائتمالها فقتل من العدو اضعاف المقتولة من المسلمين وكانت البادرة للكافرة والعاقبة كما وعد الله للمتقين ، وسلم الله الخلق من المهالك الموحشة والمجاهل المعطشة ، والظلم المدهشة والافتراقات التي منها تفل الجيوش الجيشة حفظا لدينه ونعمة يجب شكرها على كل مسلم والا فان الاعمال مويقة والسيئات موثقة والكثرة أعجبت وأعجلت والثقة (٢٨) بغير قادر اخجلت . ولم يفقد مع البعد في المسافة والتتبع بالمحافظة فقد الماء في القفر وعدم الأدلاء وكثير من أظهر من أمراء العسكر وأكابرها واصاغرها الا نفر قليل أكرمهم الله بالشهادة مقبلين غير مدبرين ومتقدمين غير متأخرين وليس منهم من لاسمه في الأسماء شهرة ولا من يعتقد العدو ان له بقتل مثله كثرة وعدنا فحملنا الضعيف والمنقطع ورفقنا في السير حتى لحق المفترق بالمجتمع والأمير يتلو كتابنا على بياض الثغر وذوى هياتة ويستدعى شركتنا في شكر الله الذي هو أيسر واجباته، ليسكتوا أن الأمور قائمة والمعسكر سالمة والغزوات تتصل ولا تنقطع والطلبات للعدو باذن الله تسهل ولا تمتنع وراية هذا الدين ترتفع ولا تنخفض ، وأثوار هذه الملة تتسع ولا تنقصر . ولا فلت لنا والحمد لله هذه النبوة عزيزا ولا أحالت منا عن طلب الكافرين غريما وما عدونا ما قال الله سبحانه (وما زادهم الا ايمانا وتسليما) (٢٩) .

(٢٥) كذا وفي الأصل : مطموسة .

(٢٦) وبأدائها هكذا وردت في البرق ٣ ورقة ١٧ .

(٢٧) في الأصل : واغترار .

(٢٨) في الأصل : ثقة والتصحيح من البرق ٣ ورقة ١٧ .

(٢٩) سورة الاحزاب آية رقم ٢٢ .

ويستطبعها البنداري ٤ أوراق وردت في برق ٣ ورقة ١٧ ب ، ١٨ أ ،

١٨ ب ، ١٩ ، ويتصل الكلام في ١٩ ب .

قال : وحيث كانت للملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب
في هذه الغزوة اليد البيضاء أنشدته قصيدة في سابع (٢٠) رجب وأولها :

جفون البيض أم بيض الجفون	وسمر الخط أم هيف الفصون (٢١)
الا ياعاذلى دعنى وثأنى	وما يجرى الدامع من شئوئى
فان صابتي داء دفين وكم	أبقى على الداء الدفين
وحائلة الوشاح رأت جمالى	على هوجاء حايله الوضين
(١٩٠ب) بكت شجوا وأرزمت المطايا	وهاج أنينها الشاجى أنينى
فلى ولها وللانضاء شجوا حنين	فى حنين فى حنين
وقالت ما ظننتك قط تنوى	مفارقتى لقد ساءت ظنونى
فقلت سراى للعليا وانى	تخذت لها أمينا من أمونى
الى عمر بن شاهنشاه قصدى	ثقى بفنساى منه وارقينى
ولست أرى سوى عليك (٢٢) تاجا	يليق بدر مدحتى الثمين

واهتم السلطان بعد ذلك بافاضة الجود وتفريق الموجود وانتقاد الناس
بالتقود والنساياء الصادقة الوعود وتعويض ما وقف من الدواب ونفق من
الغراب حتى حصلوا على أحسن منها وأجود وأحمى وأحمد .

نكر ما تجدد في هذه السنة بالشام

قال : وقعت المنافسة بين الحلبيين مدبرى الملك الصالح واستولى على
أمره ابن العجمى أبو صالح ، وكان مرهوب الشدة مشبوب الشبهاء
مخوف البطش مخشى النهش ولا يلزم طوره ولا يعرف أحد غوره ولا يرض
أمرا فوق أمره ولا يريد الا الاستبداد بخيره وشره .

وكان سعد الدين كمشتكين الخادم مقدم المسكر وأمر المعشر وكبير
المحشر وهو صاحب حص حارم وقد حسده أمثاله من الأمراء لأنه مستقل

- (٢٠) في سابع عشر رجب هكذا وردت في البرق ٣ ورقة ١٩ ب .
(٢١) قصيدة طويلة اختار منها البندارى هذه الأبيات .
قارن برق ٣ أوراق ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ب ، ٢١ ، ٢٢ ب ، ٢٢ ب .
(٢٢) في الأصل : علياء . الضبط من برق ٣ ورقة ٢٢ ب .

بالادارة فسلموا للعدل الاستبداد والتمكين من منافسة كمشتكين فصار
يبريء ويقسط ويرفع ويحط وبرأيه يتسلط وفى المخاوف يتهور ويتهورط
فقفزت عليه الاسماعيلية فى جامع حلب بعد الصلاة ومجمعوه فى الحياة وشغلوه
بمرارة المتون عن المنى الحلوة المشتهاة .

ومن بعده انبسط كمشتكين بعد انكماشه ، واغتر بوفور ريشه
وربائشه ، وترك الجلالة باوشاب الملك وأوياشه فقالوا هو الذى قتل
العدل وحسن للاسماعيلية الفتك به والقتل ، وحسنوا للملك الصالح وهو
صبى وعلومه وهو غبى وقالوا : أنت السلطان ولا حكم الا لك وقد استكملت
الحجر وارفع عنك الحجر وهذا كمشتكين يحتترك وانت كثير ويستصغرك
وانت كبير وبالأمر تقلد وزر وزيرك وأشار بالفتك بمشيرك ، وما زالوا
به حتى بسطوا يده على قبض المذكور وطالبوه بتسليم قلعة حارم وأرتكبوا
فى تعذيبه المحارم فكتب الى نوابه بها فنبوا واصروا على الامتناع وأبوا
فحملوه ووقفوا به تحت القلعة فلما طال أمره قصر عمره فتركوا رقبتهم وفكوا
رقبتهم واستبد الصغار بعده بالأمور الكبار وامتنعت القلعة عليه ونزل عليها
الفرنج ودافع عليها الكمشتكينية ولزموا فى حفظها النخوة والحمية ثم رحل
الفرنج عنها بقطيعة بذلها لهم الملك الصالح ، ونزل (٢٢) أصحاب كمشتكين
عنها وهم رزايا طلايح ، وولى بها مملوكا لأبيه يسمى سرخك .

نكر نزول الفرنج على حماة يوم الأحد العشرين من جمادى الأولى ورحيلهم عنها بعد أربعة أيام

قال : قد وصل فى هذه السنة الى الساحل من البحر كند كبير
يقال له كند افكنت من أكبر طواغيت الكفر . ونائب السلطان بدمشق اخوه
الملك المعظم شمس الدين فخر الدين تورانشاه وقد بذل الفرنج ما أمنت
به البلاد من معراتهم وسلمت الغلات من غاراتهم ، وهو خايض فى أمره
وانفاده غايض فى بحر ملاذه ، وأشتغل كل من الامراء فى شغره بهزله وجده
ويدا للكافر الواصل ضعف المعازل وخلوها من الجند المقاتل ومن جملة
شروط هدنة الفرنج انهم اذا وصل لهم ملك كبير ما لهم فى دفعه تدبير

(٢٣) برق ٣ ورقة ٢٥ ا واستنزل .

(١) برق ٣ ورقة ٢٥ ا يضيف ونزولها على حصن حارم .

أنهم يعاونونه ولا يباينونه ويخالفونه ولا يخالفونه فإذا عاد عادت الهدنة كما كانت ويحكم هذا الشرط حشخوا الجتود وجندوا الحشود (٢) .

ونزلوا على حماة فى العشرين من جمادى الأولى وصاحبها شهاب الدين محمود محمود ، والملك بمرضه مهموم مهموم . وكان سيف الدين على بن أحمد المشطوب بالقرب فدخلها وخرج للحرب ، واجتمع اليه رجال الطعن والضرب وجرت ضروب من الحروب ، وكاد الفرنج تهجم على البلد فأخرجوهم من الدروب وواصلوا الاشتجار وقطعوا الأشجار ، وكشفوا الأسوار وأبعدوا (١٩١) فى الاتجاد والأغوار ، فأعجزهم القدر الغالب وتجمعت على كتبهم الكتاب ، وهم فى كل يوم يقلون ، والمسلمون يكثران ثم سقطت مهابتهم فما صدقوا كيف يرحلون ، فكسفت أديارهم وكسحت آثارهم وكثر قتلهم وأسارهم ثم تجمعوا بعد حين ونزلوا على حارم وقالوا رجالها على صاحب حلب عاصية ، وهى من نجدة المسلمين قاصية ، وصاحبهم قد قتل وهم مورتورون فحاصروهم شهرين وجرح أكثر من فى الحصن وغلب وهن الوهن .

ثم تسامع الحلبيون برحيلنا من مصر لقصد الشام ، وقالوا أول ما يصل صلاح الدين يتسلم حارم فراسلوا الفرنج وأرهبوهم وقالوا صلاح الدين واصل فتنزلوا عن النزال بما قرروه من قطيعة المسال وعدة (٣) من الاسارى فرسان القتال (٤) ورحل الفرنج وما انفصلوا عن حارم الا بعد انفصالنا عن مصر .

وأما الحلبيون فأنهم راسلوا من بقى بحارم ، وقد قتل وجرح مقاتلوهم ، ولما فرج الله عنهم تركوا فى طاعة الله العصيان ، وخرجوا ، ومضى كل واحد فى طريقه (وحصلت القلعة للحلبيين) (٥) .

قال : وقد مضى ذكر شهاب الدين محمود بن تكش الحارمى خال السلطان وصهره ومرضه عند نزول الفرنج على حماه وقد مرض أيضا ولده

(٢) قارن البرق ٣ ورقة ٢٥ ب .

(٣) فى الأصل : مدة .

(٤) فى الأصل : لقتال .

(٥) هذه الجملة غير موجودة فى البرق ، قارن برق ٣ ورقة ٢٧ أ .

الأمير تكش (٦) وهو شاب فى ريعان أيامه (٧) وعنفوان حسنه واحسانه فمات يوم الاربعاء سنابج جمادى الآخرة ومات شهاب الدين يوم الاحد بعده بثلاثة أيام وانتقلا الى جوار الواحد الأحد وافق ذلك وقت وقعة الرملة فأصيب السلطان فى الشام بخاله وابن أخته منه وكان هذا شهرا طويلا أورث عويلا وحزنا طويلا ، وسلم السلطان الى قضاء الله وقدره وعلم أن كل صفو مردف بكدره فانفق أموالا استوعبت الآمال ، وأعادت بعد الاعوجاج والاعتلال الصحة (٨) والاعتدال فشد الرحال وعزم الترحال .

ذكر الخروج من القاهرة والتوجه الى بلاد الشام (١)

قال : وخرجنا لقصد الشام من القاهرة يوم السبت السادس والعشرين ورحلنا بالخميس بعد صلاة عيد الفطر يوم الخميس . وكان الخبر قد وصل بأن الفرنج حين انفصلوا عن حماه نزلوا على حارم فحث السلطان العزائم سنابج الشهر وقطعنا عقبة ايله يوم السبت العاشر واروينا الخوامس (٢) والعواشر وهناك على الساحل يحفر الرمل فيخرج الماء العد العذب ويروى منه الركب وتحمله الصحب . وههنا سألنى السلطان أن أعمل ابياتا خفيفة لطيفة يكتب بها الى أخيه بدمشق فارتجلت .

الشوق أبرح ما يكون اذا دنا أمـد اللقـاء
وتزيل أيام التدانى جور أيام التئانى
العبد يخدم بالسلام وبالتحيـة والدعاء
للسيد الملك المعظم ذى الجلالة والعلاء

قال : وكنا سايرين فى رفقة من أهل الأدب شعبر بنا مرموق فى صورة ملك اسمه شاه ملك فاقترح على لغز فى اسمه فارتجلت .

(٦) فى البرق ٣ ورقة ٢٧ ب دكش .

(٧) فى الأصل : أمامه .

(٨) فى الأصل : الفقه .

(١) غير موجود بالبرق وانما وردت العبارة التالية : فكر الرحيل من المخيم بالبركة الى الشام يوم عيد الفطر بعد صلاة العيد يوم الخميس .
انظر برق ٢ ورقة ٢٨ ب .
(٢) فى الأصل : الخواس .

اسم محبوبى سد اسى اذا سقط الثلث فمكس الكلمة
واذا قدم ثانى شطره فهو سلطان لنا ذو عظمة
عربى عجمى نصفه كله معنى لمن قد فهمه

قال : وانما أوردت هذه اللمعة لأعلم انى فى ظمنى وأقامتى ما خلوت
ممن يقترح زناد قريحى ويقترح ما ينشره من فضلتى .

قال : وما زلنا نسير حتى وصلنا الى دمشق يوم السبت الرابع والعشرين
من شوال فاستقبلنا أهلها بنعم ذات نوال ، وابدنا من فواكهها برخايس
وغوال وجدنا العهد بلقيا أصدقائنا من أديب ولبيب وطبيب وأمين وأمير
ووال (٣) . قال :

تذكرت فى جلق داركم بمصر فيما بعد ما بيننا
وما أتمنى سوى قربكم وذلك والله كل المنى (٤)

(١٩١ ب) كتاب فاضلى الى السلطان : ورد على الملوكة أدام الله
أيام المجلس العالى الملكى الناصرى ونصره على أعدائه ، ومملكه أرضه بعدل
حكم سمائه ، ولا أخلى من نعمتى نظره وخيره قلوب وعيون أوليائه ، وأعز
الاسلام ورفع عن أهله البلوى بلوائه . الكتب الكريمة التى تسر الناظرين
بشعارها الأصفر وتبشر الأولياء ان كانوا غائبين مع الغيب بأن خطهم حاضر
مع الحضر .

وقد كانت الفترة قد طالأت أيامها واستطالت آلامها ، والطرقات التى
سبق الى الأنفس اتهامها (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) (٥) وأولى من
النعمة ما اشترى الحمد عنا بلا ثمن ، وذلك من فضل الله علينا وعلى
الناس ، ووعد سبجانه منتظر اذ يقول فى كتابه (وعد الله الذين آمنوا

(٣) هنا يسقط الاصل الأوراق : ٣٠ ب ، ٣١ أ ، ٣١ ب ، ٣٢ أ ،
٣٢ ب ، ٣٣ أ ، ٣٣ ب ، ٣٤ أ ، ٣٤ ب ، ٣٥ أ ، وجزء كبير من ٣٥ ب .
يتحدث العماد عن كتبه التى ألفها خريدة القصر وجريدة العصر الى
آخر سنة اثنتين وسبعين ووردت فيه من بعد سنة خمسمائة وهو فى عشر
مجلدات ضخمة . والف ايضا الذيل على الخريدة .

(٤) قصيدة طويلة اقتبس منها البندارى هذه الأبيات من ٣٥ ب - حتى
٣٦ ب .

(٥) سورة فاطر آية رقم ٣٤ .

مئكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا (٦). وصدق صلى
الله عليه وسلم واله فى قوله : ان اختيار الله للمؤمن خير من اختياره ،
وان مواقع أمه خير منها مواقع أممية الله وأقداره (٧) .

فقد كانت حركة احتاجت اليها البلاد التى انفصل عنها ، والبلاد التى
قدم عليها اما المصرية فيكونها على عدة من نجدته آجلا ، واما الشامية
فيكونها على تقدة من نصره عاجلا فقد تماسكت من المسلمين الارماق (٨)
وقد انقطعت عن المشرىكين الأعناق .

تهاب بك البلاد تحل فيها ولولا الليث ما خيف العرين

وعرض الملوك جميع ما وصل اليه من مكاتبات المولى على العلم
العادلى ، فأدرىها تحصيلاً وأحاط بها جملة وتفصيلاً . والمولى خلد الله
ملكه فكل ما أشار اليه من عزيمة أبدأها ونية أمضاها فهو الصواب الذى
أوضح الله مسالكه ، والتوفيق الذى قرب الله مداركه ومن أطاع الله أطاعه
كل شىء ومن استخاره بين الرشد من الغى غالاه يجعله من كل حادثة بنجوة
ويكتب أجره فى كل حركة ونفس وخطوة .

ومنه قد كان العدو خذله الله نهض ووصل الى صدر (٩) فوجدها أمنع
من عقاب لوح الجو ، وعاد متخلف النية مخلف النو وكفى الله أمره
وصرف شره . ومنه الملوك ينهى أنه وقف على نسخ الكتب المراقية المباركة
وهى دالة على جميل النية ، ووقوع الاهتمام بهذا الجانب وحمل اليهم بما يجرى
له مع الأعداء ، والمشاركة المشكورة فى (السراء والضراء (١٠)) وأوهب
أن يتلقى هذا الاحسان بغاية الاعتداد ، ويجرد فيه لسان الشكر والاحماد
وتوسع القول فى أن جميل الآراء الشريفة هو العدة والمعدة والمرجو فى

(٦) سورة النور آية رقم ٥٥ .

(٧) قارن مسند ابن حنبل ج ٣ - ١١٧ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبى للمؤمن ان الله لم يقض قضاء الا كان خيراً له .

(٨) فى الأصل : الارمان .

(٩) فى الأصل : صور والتصحيح من البرق ٣ ورقة ٣٨ ب .

قارن الروضتين ج ٢ ص ٨٠٧ .

(١٠) ما بين الحاصرتين ورد كاتالى فى برق ٣ ورقة ٣٩ ا : فى
الشدة والرخاء .

الدنيا والآخرة ، والعاجلة والآجلة ، وتعجل إعادة الرسول فما يكون كلفته
الا واسعة والمطالب باقامته متشنته .

ومنه فى صفة الرسول ومن يختار للرسالة وشروطها ، وان كان ولايد
من رسول فيلمح المولى من امره الفزاهة حيث لا ينقل تثقيلا لا ينفعنا، ويستنقل
به من نفذ اليه، والعقل حتى يعرف ما يأتى ويذر ، والصدق فانه لا رأى لكذوب
والاستقلال بالقول فان غيبة الحجة فى وقتها خذلان عظيم والمولى يعرف كل
من طلب فما ينبغى ان يقال مع معرفته خذ فلانا ودع فلانا ولو ان عندنا
عرضا مهما لكان انهاض الفقيه قطب الدين النيسابورى واجبا لان حرمة
كبيرة ومعرفته ثاقبة فلا يعدل عن استشارة ظهير الدين فقد تجرد لقضاء
الحق والانصباب الى هذا الجانب والتشهى بمحبته والخطب فى جله .

ومنه فى معنى شرف الدين بن عصرون وكان قد كف بصره ، وحديث
قناص دمشق لا يعجل فى امره ولا يستبدل به الا بعد ظهور الضررة فيمن
تقدمه فالنصب كبير وجمع شروط الاختيار عسير وايلام قلب رجل شارف
منتهى عمره مع كونه لم يظهر منه ما يذم من اثره مما لا يحتاج اليه .

ومنه ونوبة العدو فى الرملة فقد كانت عثرة علينا ظاهرها ، وعلى
العدو باطنها ولزمنا ما نسي من اسمها ولزمهم ما بقى من عزمها ، ولا دليل
ادل على القوة من المسير بعد شهرين من تاريخ وقعته الى الشام نخوض
بلاد الفرنج بالقوافل الثقيلة والحشود الكثيرة ، والذى تضمنه صاحب
منبج عن الحلبيين والمواصلة فما هو الا ظن توهمه او نقلة ناقل يجب ان
يتفهمه فائ سبب يحمل قوما أفردتهم الايام بلذاتهم ، وقام المولى بينهم وبين
اهل معاداتهم يسهر وهم ضاجعون ويتعب وهم وادعون ، ثم أنهم قد جربوا
ولدغوا وطلبوا فما بلغوا ما هو عنها بالحديث المرجم .

عاد الحديث قال : لما دخلنا دمشق وجدنا رسل دار الخلافة قد
وصلوا بأسباب العاطفة والرائة ، وكان حينئذ صاحب المخزن ظهير الدين
(١١٨٢) أبو بكر منصور بن نصر العطار وهو من ذوى الاخطار وله التحكم
فى الايراد والاصدار وقد توفر على محبة السلطان وتربية رجائه ، وتلبية
دعائه فوصل كتابه ورسوله بكل ما سر السراير ، ونور البصائر ، وكان
الكتاب بخطه واقترح على السلطان أبياتا يكتبها فى كتاب اليه بخطه فقلت
ما ضمنه الكتاب وهو :

وأفاض فى شكر العوارف عارفا بقصور باع الشكر عن نعمائه
وتأمل الخط الكريم فأشرقت أنوار حسن العهد من أثنائه
أضحى ظهير الدين أفضل صاحب يستمسك الداجى بصدق ولائه (١١)

مكاتبة فاضلية فى التهنة بمولود . الملوك يقبل الأرض بالمقام
العالى الناصرى ، نصر الله الاسلام بمقامه وأهلك أعداء الحق بانتقامه
ويهنئ المولى بنعمة الله عنده وعند الاسلام وأهله من زيادة فى ولده وكثرة
فى عدده وهو الامير أبو سليمان داود انشأه الله نشوء صالحى خلقه ،
وجعله كما جعل أباه من أنصار حقه ، وكانت ولادته فى الساعة الرابعة
من ليلة الاحد لسبع يقين من ذى القعدة ومن الله بكمال خلقه ووسامة
وجهه وسلامة أعضائه وتهلل عزته وابتسام أسرته ودل به على أن هذا
البيت الكريم فلك الاسلام لا يطلع فيه الا البدور كما دل على عناية ربه بأبيه
فانه تعالى قال : « يهب لمن يشاء آثانا ويهب لمن يشاء الذكور » (١٢) .

وهذا الولد المبارك هو المولى لاثنى عشر ولدا بل لاثنى عشر نجما
توقد فؤاد زاد الله فى أنجمه عن أنجم يوسف عليه السلام نجما ورآهم المولى
يقظة ورأى هو تلك الانجم حلما ورآهم ساجدين له ورأينا الخلق له سجدوا ،
وهو سبحانه قادر على أن يزيد حدود المولى حتى نراهم آباء وجدودا (١٣) .

ومن كتاب فاضلى آخر . أدام الله دولة مولانا الملك الناصر وخصه
بتشييد بناء السلطان ولا أخلى منه عيون الاولياء فاما القلوب فانه لها ساكن
واتها له أوطان ، وأوزعه أن يشكر ما به من نعمة والهمه أن يخلف محمدا
صلى الله عليه وسلم بأحسن الخلافة فى أمته ، وحفظ عليه كل عمل ، بيده
قاضيته ، ولقاء كل خير بيده ناصيته :

وإن أكثر الداعون فيما دعوا له فلا تلحين من بات يدعو لنفسه
كتبت هذه الخدمة بعد انقضاء عيد النحر على ما شرع
فيه من سنة واستحب من تربه وعلى نيابة المولى الملك العادل أوفى نيابه
وعلى هذا فان الخلق لغية المولى .

-
- (١١) يسقط البندارى الأوراق التالية ٤١ ب — ٤٧ أ وقد وردت فى
البرق ٣ وهو عبارة عن مراسلات بين السلطان والجهات المختلفة .
(١٢) سورة الشمورى آية رقم ٤٩ .
(١٣) يتبع ذلك فى البرق أشارات مختصرة الى أولاد السلطان قارن
أوراق : ٤٨ أ . ٥٠ أ .

تراهم كبيت غير الكسر وزنه
فالنفاظه نشر ومعناه قائم

دنا العبد أو تدنوا به كعبه المني
وركن المعالي من ذوبة يعرب
فياعجبا (١٤) للدمع يرمى جماره
ويا بعد ما بيني وبين المحتب

كتب المولى عند الملوك كالجنة التي قال الله تعالى واصفقا لها : « وفيها
ما تشتهي النفس وتلذ الأعين وانتم فيها خالدون » (١٥) وان لم يخلد الملوك
فيها جسما فقد خلده الفخر فيها اسما ونعمة المولى بها وبخيرها تجل عن
الوصف .

وما علمت لسنائي كل عن صفة وما علمتك الا فوق ما اصف
والله ما يهيج البروق اللامعة والحمائم الساجعة والنسيم في الاصال
والخواطر اذا خطر بها ايام الوصال ما يهيج هذه الكتب وانها لتلقح من سحب
العيون ما تلتفه مراقبات (١٦) السحب وبالجملة كل دم حقنة المولى لجهاده قد
أجراه دما ببيعاده وذكر المولى انشودة وانها ربما كانت للقاء ميعادا :

متى ان يكن حقا يكن احسن المني يا برد ذاك الذي قالت على كبدي
فسوغوني المني حتى اعيش بها

وقد ينعش الفتى بعد عشرة ويصطنع الحسنى سراة بنى عجل

سقى الله دارا شوقتك بغيرها واذنك نحوى يا زياد بن عامر
امسايل ترب ارتجى ان انا لها بليباك قد زحزح برد الهواجر

والمملوك الان يعالج من الاشواق غريمين كريمين غريم ينزع به الى
كعبة الحزم وغريم يرجع به الى كعبة الامم .

(١٤) في البرق ٣ ورقة ٥٠ ب قياويلتي .

(١٥) سورة الزخرف آية رقم ٤٣ .

(١٦) في برق ٣ ورقة ١٥ ا و ردت هذه الكلمة مؤلفات .

لو سرت من ذا الى هذا وكيف به ما ما سرت من حرم الا الى حرم

وحديث ما يلزم الخزائنة من المغارم فقد قال أحد وزراء الرشيد له وقد
أراد سفرا الى احدى غزواته يا أمير المؤمنين تكثر الكلف قال ومتى قلت :

(١٩٢ ب)

لا يستقر بكنهه أمسواله فكأنها هي عابرات سبيل

وما ضاع مال ورث الحمد أهله . ومنه للمولى أولاد صاروا رجالا
ويجب أن يستنجد للقلاع رجالا كما فعل السابقون أعمارا وأعمالا ، وقيل
القلاع أنوف من حملها شمع بها ما في الرجال على النساء أمين .

وزهدنى في الناس معرفتى وطولا ختارى صاحب بعد صاحب
ولا كنت أرجوه لدفع مله من الدهر الا احدى النوايب

ومنه عز الدين اقبورى يطول المولى عنان صبره ، ويودعه بلطف خلقه
وتحمل جفوة ظاهرة ، مع العلم بسلامة باطنه ، ومن كان يخص ايادى الموت
عنده تفسيره بستة آلاف دينار فلا بد من احتماله لتناسب أسباب المعروف
عنده ومنه من أبيات في ذكر السلام وتبليغه الى ولده الملك العزيز عثمان :

وغريبة قد جئت فيها أولا ومن اقتفأها كان بعدى الثانى
فرسولى السلطان فى ايصالها والناس رسلهم الى السلطان

ومن اجابة السلطان عن بعض الكتب الفاضلية بالانشاء العمادى .
وردت المكاتبات الكريمة الصادرة عن الحضرة السامية الاجلية الفاضلية
ضاعف الله سمو ظلالها وتمو أفضالها وبلوغ آمالها وسبوغ ظلالها مؤرخات
بثالث عشر شوال ورابع عشر ومنتصفه نظام سطور الطرس وظلام ديجور
التفنى فى صدفة وسدنة متضمنات شكر ما من الله به من سلف الاحسان
مبشرا بما أعده لنا من مونية مهديات للنصائح الفصايح ، فأضاعت بطوعهن
مطالع المطالب عن سنا النجح ، ووصلت مناهج المسار ومباهج الجبار سافرة
الوجه مسفرة الصبح وتضاعف من الانس بمطالعة الكتب الوحشة لما ينوب
من مشاهدة طلعة القرب . فلما ما انتهاء المجلس السامى بعد رحيلنا من
بزاعة المقيم فانه شرح ما تجدد لنا بغيرته ، وأوضح طرفا مما وجدناه من

الوجد عند عدم الاستيناس بكريم حضرته احاط علم الكريم بأن اليمن مقرون بحضوره وان استقامة الملك فى أموره بحسن تدبيره ولولا متابعة ارادته ومطابقة بغيته لما سمعنا على الكرة بغيته ، ولكننا ضننا به لكننا ظننا أنه يجد من ذلك التعب الدائم راحة ويكون حمام موارد الاحجام له مستباحة مستباحة . انى والملكة بارئه وآلائه متسقة العقود ، مشرقة السعود ، فائزة المهود ، ناجزة الوعود لا زالت اقلامه لمقاصد النجاح محررة وأحكامه لقواعد الصلاح مقررة والايلم بيمينه المباركة مباركة والممالك لمشاركة تدبيراته المشكورة مشاركة .

ومنها وتلقينا رسل الخلافة المعظمة بالطف البشرى واصناف اليسرى والرسالة المباركة مشتملة على ثلاثة فصول ضامنة لاجابة كل سؤال واصابة كل سؤال .

فأول الفصول اظهار الاعتماد بما جرى من نبوة تلك النبوة ، وثانيها عرض المال والرجال الذين بهما مال الرجا الى دار الحظوة ، وثالثها قبول الشفاعة فى عز الدين اقبورى والاعتداد بها وعدها من المنن الحلوة والمنح الصفوة .

عاد الحديث قال : وخرج السلطان للصيد فى ذى الحجة نحو قارا فشكوت ضررى وعدمت أنسى ، واتفق رجوع عز الدين فرخشاه لحمى عزته ورجعت معه احاضره وأسامره ليلا ونهارا واجتنتى من رياض أخلاقه الموتقة ازهارا فائشندنى بيتى المتنبى .

وزايرة كان بها حياء فليس تزور الا فى الظلام
اذ ما قارقتنى غللىتى كانا عاكفان على حرام

فقال : وحماتى بالصد منها فانها لا تزور الا نهارا ولا تهجم الا جهارا ولا بفرقتى يفرق ولا اخلص من نارها بعرق فنظمت فيه كلمة طويلة فى صفة الحمى .

(١٩٣) وزايرة وليس بها حياء فليس تزور الا فى النهار
ولو عرفت لظى سطوات عزيمى كانت من سطاي على حذار

أحماك استتعارت لفح نار لعزمك لم تزل ذات استتعار
وما أحمى مزاجك غير لطيف ليوقد ناره عند الفواو
ولفح العارض السارى دليل من الغيث المثلث على انهمار
وما أن حم ليث الفباب الا لخلقك سالب لب العقار

ذكر استشهاده عند الدين وزير الخليفة

فى العشر الاولى من ذى القعدة فى هذه السنة

قال : ولما صفى للوزير عند الدين أبى الفرج بن المظفر رئيس
الرؤساء موارد النعماء ، وأمن من صروف الدهر نوايب الاعتداء تفرد بشغله
وفاض عدله وفيض فضله واستكمل الرى من نهله وعله ، وتغاشت أبصار
الملوك عن الصعود الى محله . وذهل والدهر غير ذاهل وغفل والخطب غير
فافل وعزم على الحج لأداء فرضه وارتقى بحركته الى سمائه وقد قرب
سكوته تحت أرضه وكان من أمره فيما باح القضاء بسره أنه سير الاثقال
وقدم الرجال ، وحسب الارزاق ولم يحسب الآجال وخرج فى موكب تعنوا له
وجوه نجوم الاملاك وتخبوا لشمسه نجوم الافلاك وهو يتجلى فى بهو جلاله
وهو فى حليته حالته كالبدر فى حالته . وأمر أن لا يحجب عنه مظلوم ولا يمنع
عنه مهضوم ولا يبعد ذو غصة ولا رافع قصة . فانه قد خرج من بيته الى الله
مهاجرا والى بيته الحرام سايرا فوقف له فى مضيق غربى دجلة كهل فيه
جراة وكفر وجهل ، وفى يده قصة عليها يتجدث وبها يتفوث وهو يصرخ
ويقول لا أسلم قصتى من يدى الا الى يد مولانا الوزير فهو كهف المضمين ،
ومويل المستجير . فقال : دعوه ولا تمنعوه فأوما ليوصل قصته فانتهمز
فرصته وقرب نحوه وضربه بهدية وهتك حجاب روجه وغادره لقى بجرحه .

وبدر كمال الدين أبو الفضل بن الوزير فقتل قاتل أبيه بسيفه وكان مع
ذلك الجاهل رفيقان فخرجا ومعهما سكينان فخرج أحدهما صاحب الباب
بموافقة الوزير فى شهادة الوفاة فعثا الملاحدة وقطعوه وأحرقوهم قبل
دخولهم النار بالنيران وختم الله للوزير بالشهادة وفاز فى علين بالشهادة
فاستقل ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر العطار صاحب المخزن بالدولة
وكان لسلطاننا ظهيرا ، وللملك الناصر نصيرا وكان الرسل قد مضوا الى
الوزير فلم يصادفوه وتولى ظهير الدين أمرهم فألقوه فى الاعتناء بالأمر

كما الفؤه . وكان المندوب فى الرسالة القاضى ضياء الدين الشهرزورى فانه كان لها يترشح وبأدريتها يتوشح ورأى السلطان فيه يترجح فتعين للرسالة وسار بقوة القلب والبسالة فلقى من ظهير الدين ما دنا به من الظهور وحصل منه على الوفير الوفور والعرف المشكور واقتضت المهام مقامه هناك عدة من الشهور ، وكانت من الانعام الامامى وظيفه داره ، ومبرته به وبمن معه باره . وكانت ميالوته بالدنائير الامامية تبلغ العشرين فاذا انقضى الشهر تضاعف مائين وذلك سوى وظائف الطعام والعلوفة والاغنام وسوى التحف والهدايا والتشريفات وما وصله من الصلات سفر به وشرف من تقود النفقات كان السلطان قد نفذ معه على عادة انفاذه كل سنة الى اعيان العراق وامثاله واكارمه وافاضله والعلماء والشعراء والمتصوفة بن الفقراء عطايا وهدايا وخلعا وتشريفات وسنايا . وربما بلغ المبلغ الوفيا يسرى بها الى ذوى المعروف معروفا .

نكرى مكرمة ههنا

قال : جئت الى الصفى بن القاىض المتولى والخازن وقلت له اطلعنى على أسماء الذين سيرتم اليهم العطايا على يد الرسول فلقى قولى بالقبول فلما تأملت الدستور فقدت فيه أسامى جماعة من الاصدقاء قد أهملت فى العطايا فقلت له : ههنا خمسة أسماء لم يجر لها ذكر (١٩٣ ب) ويغتم لهم حمد ودعاء وشكر فقال : كم نصيبهم فقلت مبلغ مائتى دينار فلم يقابل قولى بانكار فوزنها وحدها وسلمها الى عدنان النجاب وقال : الحق بها الرسول وخذ منه بها الوصول . فقلت له هلا استأذنت السلطان فقال قولك المقبول والسلطان لا يقول فى هذا ما لا تقول .

فصل من انشاء الفاضل فى مطالعة الى السلطان : النبوة الحادثة للوزير عضد الدين نوبة نايبة راجعة فاجعة واعظة رادعة « وما ربك بظلام للعبيد » (١) فقد كان عفى الله عنه قتل ولدى الوزير ابن هبيرة رحمه الله وازهى انفسهما وجماعة لا يحصى .

من ير يوما يريه والدهر لا يغتر به

وهو من ذرية لم تزل تاتلة مقتولة وما زالت السيوف عليها ومنها
مسلولة فهم فى هذه الحادثة المسمة المصمة كما قال : دريد أبى القتل الا
آل صمة والأبيات المولى يحفظها وهى فى الحماسة ومنها :

أبى القتل الا آل صمة أنهم أبوا غيره والغدر يجرى الى القدر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضى الا ونحن على شطر

وقد ختمت له السعادة بما ختمت به له الشهادة لا سيما وهو خارج
من بيته الى بيت الله قال سبحانه « ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله ثم يدرکه الموت فقد وقع أجره على الله » (١) .

ان المساء قد تسر وريهما كان السرور بما كرهت جديرا
ان الوزير وزير آل محمد اودى فمن يشنك كان وزيرا

هذان البيتان قالهما شاعر فى أيام السفاح أبى العباس أول خلفاء
بنى العباس فى وزيره أبى سلمة بن الخلال ، وكان دعامة دولتهم وقائم
دعوتهم ولذلك قصة طويلة .

فكر عز الدين أقبورى وعوده

قال : قد سبق ذكر الامير عز الدين أقبورى بن أرغش وأنه فى نوبة
تطب الدين قايمان خرج وخلق ببغداد من أمواله وذخايره القناطر المقتطعة
فاعتنى به السلطان وكرر الشفاعة فى حقه ورد سناه من رضاء الديوان
العزیز الى أفقه ، وسفره بأمواله وسيره باجلال ، وسمع فى طريقه
بإستشهاد الوزير فجئنت نفسه وزال بالعود الى بغداد أنسه فلما وصل
كتابه أخلف فى أمره حسابيه .

من كتاب فاضلى فى معناه . وما للماليك حاصل الاهتمام به واستثبات
النظر فى أمره أمر الامير عز الدين أقبورى وعودته وضعف نفسه وكان
سبيله أن يتوكل ويقدم فان دمة المولى ما كانت تخفر فيه والتايم الآن مقام
الماضى صاحب غير متهم المودة وبالجملة المخاطر كثير الخواطر ومالى غير
هذا الرأس رأس .

ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد
فاصبر لعادتنا التى عودتنا
أحدا سواك الى المكارم ينسب
أولا فارثـسـدنا الى من نذهب

وقال :

فلو كنت تحصى ماوهبت من الندى
تبينت ما تجنى عليك المكارم
قال : ولما وصل الرسول الى الموصل بلغه استشهاد الوزير فتوقف
ووافق وصوله اليها وفاة ابن عمه القاضى عماد الدين أحمد بن القاضى
كمال الدين الشهرزورى .

فصل

من كتاب فاضلى : فى ذلك كله مكاتبة ضياء الشهرزورى بالانتماء
لطيته والنفوذ لوجهته صواب ، وعلم أيضا وفاة ابن عمه فسيحان من تارب
بين الخلق فى الارزاق والآجال .

يدلى ابن عشرين فى قبره
اغتبط الولد مع نضارة الشباب المقتبل
وعمر الوالد مع ذبول المشيب المثل
ليعلم أن الشيب ليس بمسلم وأن الشباب الفض ليس بمائع
وليكون العبد حذرا من نعيات الآجال فى كل الاحوال ، والله تعالى
يطيل للمولى العمر كما أطال له فى القدر ويسمع منه ولا فيه ويبقيه سندا
للدين الحنيفى فان بقاءه (١) يكفيه .

(١٩٤) ذكر الامير شمس الدين بن المقدم

قد سبق ذكره وانه من اكابر الامراء المتقدمين وله سوابق ومـوـات
وشوائع وحرمت ، وهو السابق الى مكاتبة السلطان فى تصويب رايه الى
الوصول الى الشام وتدارك أمر الاسلام ، وأن السلطان لما تسلم قلعة بعلبك
أنعم بها عليه فأقام بها مستقرا ، ولما وصلنا فى هذه نوبة الى الشام

(١) فى الأصل : بقاء .

لم يحضر كما جرت العادة للخدمة والسلام فانه انتهى اليه أن الملك المعظم شمس الدولة طلبها من أخيه وأنه لا يمكنه الرد في تحر مباحيه وعلم أنه اذا أحضر حظر عليه العود وكوتب مرارا سرا وجهارا فأبى إلا الإباء وشارف السلطان منه ومن أخيه الحياء ، ومكث طويلا عسى أن يجمع بين القلوب ويدفع ما لزم من الخلوب وهو في ذلك يستعين بالله في هدايته الى الصواب . وفي هذه السنة أربعنا عن مخيم السلطان بتل حارم من الشعراء ونزلنا منها بالعراء والعشب وأص والخطب قاص والزمان غير عاص ، ونجح الآمال غير متعاص والمرعى مريع وشمل المسار جميع (١) ولله في الاحسان الينا صنيع نصيع وروض لنا وسيع وشيع .

ودخلت سنة أربع وسبعين

والسلطان في أمر بعلبك مفكر ، والرسل بينهما الينا رايح أو مبكر وشمس الدولة أخوه (١) لا يقبل عذرا ولا يرى عما طلبه صبيرا ، وكانت سلطنة الشام له فلما وصل السلطان أخذت عقوده في الانحلال وأموره في الاختلال فأراد موضعا ينفرد بحكمه ، ويجرى فيه من طيب عيشه على رسمه فلم يتعين له سوى بعلبك فطلبها والسلطان يريد أن يحفظ قلب ابن المقدم فكما رفع به عنف ، وكلما استأنف معه لاستمائه عزف فما زالت الموارد (٢) الصافية تتكرر والضماير السهلة تتوعد حتى استأذن الملك المعظم في التوجه الى بعلبك فأذن له وعقد بها أمهله وقصر على تسلمه عمله . وتوجه عز الدين فرخشاه الى حوران لحفظ الثغور ورعاية الجمهور وصرنا (٣) الى حمص ونزلنا على العاصي لاستدناء الآمال القواصي العواصي (٤) .

فصول من كتب فاضلية وردت في أوائل هذه السنة . فصل له من كتاب : فأما المتحصن (٥) بقلعة بعلبك فقد ضرب بينه وبين السعادي بحجاب ،

(١) في الأصل : وجميع .

(١) في الأصل : أخو .

(٢) في الأصل : المواد وكذا يستقيم السياق .

(٣) في الأصل : وصرنا .

(٤) في الأصل : العاصي .

(٥) في الأصل : المتحصن .

وصرف عن باب الخير وهو باب مولانا الذى ما بعده سوى لله باب وقد خدعه الراى الذى تبعه وولاه النظر الذى دله . ولو هدى لصوابه ووثق لرشاده فتحت له ابواب الانابة ومهدت لدعائه أسباب الاجابة قبل أن يحق عليه الكلمة وتشتد عليه حذب الحكمة ، وتخطيه الارجل خطب السلطة .

فصل آخر من كتاب آخر فى المشورة والفكر: الملوک يقول: ان كثرة الشك محامة عن اليقين المعتقد ، وكثرة الفكر امان من تطرق الراى المستنقد وأنه لا تنال الزبدة الا بالمخض ولا يتأكد الا برام الا بعد النقض ، واذا تكرر صقل السيف كان التكرار اظهر لجوهره ، واذا تكرر سقى الفصن كان اخرج ثمره (٦) ولا سيما وكل أمر ابتدأ به المولى واستدركه ونهى عنه ثم أمر به لم يفت منه غايت ولا خرج عن اليد منه خارج .

فصل آخر : لا شك ان المولى تفرق الجبال فى بحره ، وتضيق (٧) العظام فى سعة صدره ، وهذه عادة الخواطر والله سبحانه قد اشرك بين الخلق فيها ولكنه عند الصواب أفرده . والمالك فيما يرد عليه منها بماثابة الشجرة فيما يرد عليها من مائها ما يتقى صفوه تستسيغه فينبو عن قذاه فتمجه وتلفظه . ومن أمثال العرب رب عجلة تهب ريثا . وقال النبی صلى الله عليه وآله وسلم : « ما كان الرفق فى شيء الا زانه ولا كان الخرق فى شيء الا شأنه (٨) . ولعمري والله أن الفرص اذا لاحت لا يحمد الرفق فيها وانما يحمد الى أن يلوح مضاربها ويحمد مطالبها . والله تعالى يقدر المولى على نيل أغراضه ويسدد سهمه لمطابقة أغراضه .

فصل آخر : المولى عفيف الا أن نوابه والمشارف مأمون الا أن كتابه الا انه غير متصرف (٩) .

ولكل شرع آفة موجودة نور السراج على سراه يدخلن

فصل آخر : وأما سور القاهرة فعلى ما أمر به المولى شرع فيه والله يعمر المولى الى أن يراه نطاقا مستديرا على البلدين ، وسورا بل سوارا يكون

(٦) فى الأصل : الثمره .

(٧) فى الأصل ويضيع وكذا يتطلب السياق .

(٨) حديث أبى داود جهاد ١ — ابن حنبل — ٦ ص ٥٨ ، ١١٢ ،

١٢٥ ، ١٧١ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ .

(٩) قارن البرق ٣ ورقة رقم ٦٧ ب حيث يقول : « الوالى عفيف الا

الا أن نوابه ، والمشارف مأمون الا أن كتابه ، وفلان ثقة الا أنه غير متصرف .

به الاسلام محلى اليدين محلا الضدين والامير بهاء الدين قراقوش ملازم الاستحثاث بنفسه ورجاله لازم لما يعنيه بخلاف امثاله قليل الثقيل مع حمله لاعباء التدبير وأنتقاله .

فصل آخر فى حق نقل القضاء : (١٠) (١٩٤ ب) من شرف الدين الى ابنه . أما ما أورده المولى دفعة أولى وثانية فى معنى الحكم بدمشق فالمولى متوقف فى مقام التوقف متردد فى مكان التردد ولن يخلو الامر من قسمين والله يختار للمولى خير الاقسام . أما ابقاء الامر باسم الوالد بحيث ييسقى رأيه ومشاورته ومفتياه ويتولى النيابة ولداه ويشترط عليهما المجازاة لاقل زله وترك الاتالة لاقل عشرة فطالما بعث حب المنافسة الراجعة على اكتساب الاخلاق الصالحة وأما أن يفوض الى الامام قطب الدين فهو بقية المشايخ وصدر الاصحاب ولا يجوز أن يتقدم عليه فى بلد الا من هو ارفع طبقة فى العلم منه .

فصل آخر من كتاب فى معنى أخيه شمس الدولة : وأما المولى المعظم وما قام به من المفارم الجليلة وحمله من التكاليف الثقيلة فالمولى لا يحاسبه فيما يعطيه فانه اذا أعطاه فقد جعله واسطة بينه وبين سائليه . وقد كان معاوية أجاز عبد الله بن جعفر بعشرة آلاف ألف درهم (١١) فقليل له فيها واستكثرت فقال : انما اعطيت بنى هاشم وبنى أمية وأهل الحرمين فلم يعد عبد الله بن جعفر الى بيته الا بعد أن تحمل خمسة (١٢) آلاف درهم ديناً والدين داء يصيب الكرام ويسلم منه اللئام ولو كان ما يفعلُه المولى المعظم فعل صديق لوجب أن يفدى بالاحداق فكيف فعل أخ لا يجرى المالك مجراه فى التوفيق والوفاق .

فصل فى ذم ماء دمشق : عرف المملوك من الكتب الواصلة التيات المولى الامير عثمان والحقير مما ينال ذلك الجسم الكريم يؤثر فى قلوب الاولياء الاثر العظيم وقليل تذاة العين غير قليل وماذا يقول فى بلد لو صحت الحمية من مائة لكنت أكثر من اسباب صحة المحتمى وشفاؤه فانه

-
- (١٠) قارن الروضتين (٢) ج ٢ — ٢ .
 (١١) برق ٣ ورقة ٦٨ ب عشرة ألف ألف درهم .
 (١٢) برق ٣ ورقة ٦٨ ب خمسة ألف ألف درهم . انظر الذهبى . تاريخ الاسلام ٢ — ٢١٨ .

ماء يوكل وبقية الامواه تشرب ويجد وخامته من ينصف ولا يتعصب ونرجو أن يكون هذا المولى قد أمسك عن الفاكهة الدمشقية التى لا يخفى كثرة فضلاتها وعن أكل اللحوم المجلوبة التى نقلها سير الطريق الى شر حالاتها .

فصل آخر . والعرب جنس كالحنظل كلما زيد سقيا بالماء العذب أفرطت مرارة ثمره وعزت نضارة خضرته .

فصل آخر : وأما حديث ملك النوبة فانه أقل من أن يسقى بحجر لنباحه أو يشمر (١٢) عن ساق لخوض ضحضاحه ولو أن شرارة من زند العزم (١٤) أو ريثة من ريش السهم هتفت اليه لذاق وبال أمره وعرف بقدر وجهه الذى هو أشد سوادا من قدره .

ومنه اذا وصلت من المولى رفقة نجابين فكأنهما عسكر نجدة قد بشرت واذا فض منها كتب فكأنها الوية فتح قد نشرت ورسله وكتبه بالاضافة الى شغله ، ومهماته كثيرة ولكنها بالاضافة الى تطلعنا وتشوقنا قليلة . وما استكثرت فى اليوم منها ألوفها وواحدها فى الحول منك كثير .

وكتاب المولى الى المملوك مزينة سماؤه من حروف خطه بمصاييحها ، ومفتوحة له أبواب السعادة من اسطره بمفاتيحها .

فلا عدمت عيناي كاتبه الذى له الفضل مكتوبا اليه وكتبها
صحبت به والله أعظم نعممة فلا زال مصحوبا ولازلت صاحبا

فصل آخر فى معنى ازالة المنكرات : وأما المأمور به فى معنى المنكرات الظاهرة وازالة أسبابها وغلق أبوابها وتحصين كل مهتوكة من عصمة وتطهير كل موصومة فالله يثيب المولى ثواب من غضب ليرضيه بغضبه وحمل الخلق على منهاج شرعه وأدبه . وقد استدعى الملك العادل أحد الواليين وسلم اليه ما كوتب به من مولانا وأسمعه الإنكار العنيف . وأشار المخاطب الى جهات تحمى بيوت المنكرات . فقال : لو استقام النعود لما أعوج ظله ولو تنتهى أنت لانتهى غيرك ، ولكنك ملجم عن أنكارها لانك شريك فيه

(١٣) فى الاصل : ويثر .

(١٤) فى الاصل : الفگرام .

وأجيب الى أن يرتب من الاصحاب العادلية من يفلق مواضع الخنا ويحجر على فواسد النساء . وما وقفت خواطر العصيان عند الزنا الا أن زادت مصحفة وهو الربا فلا حول ولا قوة الا بالله من محارم فيه منتهكة ، ومكاسب تد نزع الله منها البركة ، ومروات قد سقطت ووجوه قد توقحت وأموال قد تحرمت وشريعة منه قد خولفت نشكو الى الله دنيا لا نحن نتركها ولا نحن ندركها .

غدارة بالناس غرارة قريية العرس من المائم

(١٩٥ أ) وليس لحوادثها ونوايها قرن الا التقوى والله المسئول أن يوفر منها حظ المولى وأما فلان فانه بطل كثير السر والحيلة والمال والرجال (١٥) فلا يحتقرنه وبعد أن أيقظه فلا ينم عنه والحيلة فى بعض الاوقات ترجع على الثقة على أن الساعى مخذول ومن سل سيف بغى فهو عما قليل به مقتول وواجب أن يظهر العذر .

فما أحسن أن يعذر المرء نفسه وليس له من ساير الناس عاذر

واذا اقترن بكل ما يريده المولى حسن النية كانت العاقبة للتقوى على ان المولى ظاهر عذره والمشار اليه ظاهر ذنبه ومكره ، قال الله سبحانه وتعالى فى مثل المولى « ولمن انتصر بعد ظلم فاولئك ما عليهم من سبيل » (١٦) وقال حاله مثل حاله : « ولا يحق المكر السىء الا بأهله » (١٧) ورب سبيل بدؤه مطير ونعم السبيل الى الخير نية الخير قال : وانها أوردت الفصول الفاضلية لأن فى كل فصل منها ذكر سيرة وفيها غوايدة كثيرة وبواعث للخواطر مشسيرة ، وفيها أحاديث للحوادث وأعاجيب الاوهات والدمايث .

ذكر ما أسقطه السلطان من المكوس بمكة شرفها الله

قال : كان الرسم بمكة أن يؤخذ من حاج المغرب على عدد الرعوس ما ينسب الى الضرائب والمكوس فاذا وصل حاج حبس حتى يؤدى مكسه

(١٥) فى الاصل : الرجل .

(١٦) سورى الثورى ، آية رقم ٤١ .

(١٧) سورة فاطر ، آية رقم ٤٣ .

ويُفك بما يطلبونه نفسه وإذا كان فقيرا يحبس وتفوته الوقفة بعرفة . فقال السلطان نريد أن نعوض أمير مكة عن هذا المكس بمال ونفقيه عنه بنوال وإن أعطيناه ضياعا استوعبها ارتفاعا وانتفاعا ولا يكون لاهل مكة فيها نصيب فقرر أن يحمل اليه في كل سنة مبلغ ثمانية آلاف أردب قمح يحمل في جلابها الى ساحل جده ويهدى بها الى اهل الحجاز وجدة فان الامير بها يحتاج الى بيعها للانتفاع بأثمانها وأهل الحرمين يثقون من الدولة (١) بدوام احسانها (٢) وقرر أيضا حمل جلاب الغلات الى المجاورين والفقراء بها من الشرفاء فستقلت المكوس واغتبطت النفوس واستمرت النعمة ومر البؤس وذلك في سنة اثنتين وسبعين .

فصل من كتاب فاضلى فى المعنى : ومن البشائر التى لا عهد ملك من ملوك الديار المصرية بالحصول على فخرها وأجرها انقطاع المكاسين عن جدة وعن بقية السواحل ويكفى أن تمام هذه المثوبة موجب للاستطاعة مقيما لحجة الله فى الحج فقد كانت الفتيا على سقوطه مع وجود الحامل ووصلت كتب من مكة تضمنت أن القمح ويه ويربع بدينار مصرى وأن الغنى فى شدة وأن الفقير هالك وأن هذه الجلاب بمشيئة الله قدرة من قدره « يحيى العظام وهى رميم » (٣) وفرج عظيم انتهى الى البلاد بعد أن تناهى الكرب العظيم والله تعالى يفرج عن أهل دينه ضايقات الكرب ويفك عن أهله (٤) حيرة حلقات الكرب قال : واستمر مقامنا بالمخيم بظاهر حمص والسلطان يصمم الغزم للجهاد ويجد الحرص قال :

ذكر الحوادث فى هذه السنة ونحن بخص

ومنها وفاة المذهب أبى الحسن على بن عيسى المعروف بابن النقاش البغدادي بدمشق فى المحرم . قال : وكان المذهب كنعته مهذبا ومن الملوك لنفرده بفضله مقربا وهو فى وقته مبرز وملك الشام بمحاسنه مطررز ومنها وفاة نجم الدين بن مصال فى الثامن عشر من جمادى الاولى وقد جاءنا

(١) فى الأصل : الدواب والضبط من الروضتين ١ - ٢ - ٢٣ .

(٢) فى الأصل : اختانها والضبط من نفس المصدر نفس الصفحة .

(٣) سورة ياسين ، آية رقم ٧٨ .

(٤) فى الأصل : أهل .

لعميه ونحن بحمص فزاد اغتمام السلطان برزئه (١) حتى جاز (٢) حده وجلس
فى بيت الخشب مستوحشا وحده وقال : لا يخلف الدهر لى مثله صديقا
بعده واجرى ما كان له جميعه لولده وحفظ عهده وكان لجماعة من الاعيان
والشعراء والادباء بعنايته من السلطان رزق فأبقاه (٣) عليهم كأنه عليه حق
مستحق ومن جملتهم رجل من اولاد أبى حصينة فلما توفى المذكور قصصنى
فقلت للسلطان لو أن نجم الدين بن مصال كان حيا وشفع اليك فى رزق
مستحق أما كنت تقبله فقال بلى فقلت فاقبل شفاعته وهو فى دار البلى
ثم ذكرت له ابن أبى حصينة وصداقته الثجمية مضاعف ادراه واذهب عنه
اقتاره .

ذكر الظفر بخيل ورجل للفرنج أغارت على بلد حماة فى العشر الاول من شهر ربيع الأول (٤)

(١٩٥ ب) قال : وكان متولى عسكر حماه الامير ناصر الدين منكورس
ابن الامير خمارتكين صاحب حصن بوقبيس ، وكانت طائفة من الفرنج ومن
انضم اليهم من ذويان الكفر قد الهبوا الاعمال بنارهم والهبوها بغوارهم .
ولكم اغاروا على غرة وامتاروا مرة بعد مرة .

وكانت لحماة مع ناصر الدين عدة معدودة لا تبلغ مائة شعرف القوم
أن أعمال حماه شاعرة فنهضوا فى جمع جم فخرج اليهم ناصر الدين فى عدته
وعدته وتوكل على الله فى نصرته ونجدته وصحنهم بثقاله ونطحهم بكباش
رجاله وأخذ عليهم المضايق وصوب اليهم البوابق فوقعوا فى فخاخه وفنيت
شفلهم جاء الى الخدمة السلطانية بمنقبتة مستقلا وبنهضه مذلا وساق
اولئك الاسارى والاغلال فى أعناقهم والأجال آخذة بأرماقهم فركب السلطان
فى اليوم الحادى عشر من شهر ربيع الآخر ووقف راكبا ووقفنا راكبين وحضر
الامير منكورس وترجل ولثم الارض وتقدم وصائح السلطان وقبل يمينه بعد
أن عفر بقدمه جبينه ثم أحضر الاسارى من الفرنج والنصارى « كأنهم سكارى

(١) فى الأصل : برزه والضبط من الروضتين ١ ٢ — ٥ .

(٢) فى الأصل : جاء .

(٣) فى الأصل : فازقاه والضبط من الروضتين ١ ٢ — ٥ .

(٤) قارن برق ٣ ورقة ٩٦ ب حيث أورد العماد هذا التاريخ كالتالى

فى العشر الأول من شهر ربيع الآخر . وهذا هو المرجح .

وما هم بسكارى» (٥) فأمر بفتح أغلافهم وضرب أعناقهم وأن يتولى ذلك أهل القتلى والدين من الحاضرين وأن يكون هلاك المشركين بأيدي الموحدين «فأعق أممه الضياء الطبرى الى برى عنق وتلاه الشيخ سليمان الديبرى» (٦) المغربى وتلاه آخرون وكان الأمير اقطفان بن ياروق حاضرا فنقرب الى الله بضرب رقبة أحد أعدائه . قال : وجاعنى فى تلك الحالة رسول من السلطان يدعونى فظننت أنه لهم لا يكتفه غيرى ولا ينهز به دونى ولما أجبته وهو يقول جرد سيفك لهذا الكافر وخذ به ما يشتمل على سمعه وبصره فقلت أنا للقلم ولا أراحم السيوف ، وانشر الفتوح ولا انشئء الحتوف ولكن هب لى ذلك الصغير لملك رقة وغيرى ينوب عنى فى ذلك الاسير فيضرب عنقه فتبسم فعانيت منه الضحوك القتال وأقالتى وأجاب فى النوال السسؤال فقال : هذا الصغير نستفك به من المسلمين أسير ونهب لك من سببى الاسطول بمصر مملوكا كما تؤثر أثيرا فانتهزت الفرصة وأحضرت دواتى ودرجى واستفنت بالامير عضد الدين مرهف بن مؤيد الدولة أسامة بن منقذ فكتب لى توقيعها وأخذت فيه علامة السلطان . ولما نزلت حررت الى المولى الفاضل رسالة فى المعنى ووصفت المملوك المطلوب بأوصاف يتعذر وجودها ففسير لى فى جوابه مائة دينار مصرية عن المملوك عوضا . وقال رأيت تحصيل غرضك مفترضا والرقيق الذى أحضره الاسطول ما فيه ما يوافقه وأجودهم يساوى ثلاثين دينارا وما رأيت ذلك مختارا وقد أخذت من الديوان عن المملوك خمسين وعن الخزانة العادلية ثلاثين ومن خاصتى عشرين فأنمر قلبى بما عف عنه السيف وما ضيعت اللين لما جاء الصيف ولو أرقت الاحمر وأنما أعرضت عن ذلك مخافة أن يضحك منى ذلك الجمع كما ضحكوا منى الباقيين .

قال : وعاد السلطان ذكر بعليك وأشفق عليها وأزمع أن يسير اليها ودخل فصل الخريف ومالت الطباع الى التحريف وأصغرت الاوراق وأعبرت الافاق وقد تشاجرت عواصى العواصف مع الاشجار وألقت حواملها أجنة الأثمار ونشا النشاصى وربا الرباب وسحب ذيل ثيله السحاب وارتجت

(٥) سورة الحج ، آية رقم ٢٢ .

(٦) قارن برق ٣ ورقة ٩٨ ا حيث وردت الربوى وما بين الحاصرتين

ورد هكذا بالنص .

ويضيف البرق (فاعتق أممه الضياء الطبرى الى برى عنق وزهقت

ملاقطه بازهاق علق) .

الأرض وارتجزت السماء ووصلت النار وهجر الماء وقال الأمر للسلطان
هذ أوان الانصراف ووقت الانحراف فقال قد بقيت في النفس حاجة بعلبك
نقضها وعزيمتنا في تسليها نمضيها فان التحصن بها بحكم هواه متصرف
وعن أمرنا متوقف فنحضره ونحصره ونعظه ونوقظه وأن أهملنا أمره فربما أطمع
فيما الفرنج وأفضى بسر الشر الى الجهر على أن حق ابن المقدم متقدم
ولا شك أنه متقدم ودينه قوى ويقينه روى ولعله لا يحوجنا الى (٧) المطالبة
ولا يخرجنا الى المنازلة فسرنا على طريق الزراعة وجينا. وراسلناه بالاستعفاف
والاستعفاف وداريناه لشيخوخته كالاطفال بالالطاف . وكان نزولنا بظاهر
بعلبك على رأس عينها وطالت الاقامة عليها أشهرا . وأدلج المذكور في ليل
لجاجة فلم يبد في سفارة منه واليه صبحا مسفرا ونحن نشفق من نزاله ولا
نصدق (١٩٦) في قتاله ونرفق (٨) به على عنقه في أحواله فتارة نخوفه
فيتجلد وتارة نرعبه فلا يجيب بل يتبلد .

ودخل الشتاء ووقع الثلج وامتأ به ذلك المرج وأصبحنا وصباحنا
أبيض ، وجناحنا لا ينهض والعروق لا تنبض والبروق لا تومض والنيران
مقرورة وشبه الجليد مطرودة والزناد كابية والاجناد آبية ونحن كأننا من
شيمنا في حبوس وقد جمدنا كأننا بلا نفوس فلبدنا على المربض في مضارب
اللباد وكنا في الاكنان حول الكوائن كأننا في صوامع العباد نظرى أفلاذ
الأكباد بشى أفلاذ الأكباد فعلى المناقل الشيشانات شرايح ، وللاقتراحات
على الطهارة قرايح وللسلطان في كل بكور ركوب للصيد وله طرايد وطرايح
فما الذها شتوة وأهناها نوبة لم نر لها نبوة لكأنها كانت غفوة لم تذكر للدهر
لولا انتضاؤها هنوة وهيهات أن نرى بعدها في طيب عيشها عشية أو غدوة .

نكر مكرمة السلطان

قال : كتب اليه النواب بدمشق أن الاموال ضايعة وان الأطماع فيها
زايفة وقد أفنى الجود مجموع الموجود ، وأنا عند الاحتياج الى كف لم
ودفع مهم لا نجد ما ننفعه وأن في أرباب الصدقات أغنياء لا يستحقونها
وما لهم رقبة من الله يتقونها وأن المصلحة تقتضى افراد جهات لما تسنح
من مهمات فأمر بهم في كتابه يكتب مؤامرة فجاءت مطالعة مكملة بالاسماء
مفصلة . فقال لى السلطان : أقرأها على فبدات بذكر أرباب الصدقات ،

(٧) في الأصل : أن

(٨) في الأصل : ونردفق .

وقد تمت ذكر جهتهم على الجهات ، وكان مبلغ أحد عشر ألف دينار للصدقات
وقد تمت ذكر جهتهم على الجهات ، وكان مبلغ أحد عشر ألف دينار للصدقات
في مثل دمشق قليل والعطاء بحمد الله جزيل والصنع جميل فقال أكتب عليها
جميعها بالأمضاء ولا يكدر على ذوى الآمال موالى العطاء . فقلت أما أظن
بقية الاسماء فقال بل نزهنى عن هذه الأشياء فبقيت تلك الرسوم دارة
وللآمال سارة بل تضاعفت على السنين أضعافا واستضافت آلافها آلافا
ولما طال المقام على حصن بعلبك لم ير السلطان مقابلة المسلمين فيه ولا كسر
الناموس فرتب طفرل الجاندار وجماعة معه يكون من الرجال ووصاهم
بالأبتعرضوا للقتال بل يمنعون من الدخول والخروج ووصلنا الى دمشق
في العشر الأواخر من رجب ، وتمادى الأمر الى أن رضى ابن المقدم بحصن
بعرين وأعماله وببلد كفر طاب وأعيان نواح وقرى من بلدة المعرة ، وكان
الذى أخذ أكثر وانفع مما خلاه وما خطر بباله وما حصل له ولا ترجاه
ولا تمناه . قال : وسألنى السلطان أن أعمل أبياتا يكتبها الى مصر فقلت :

يا ساكنى مصر لا والله مالمكم شوقى الذى لذعت قلبى لواعجه
أصبحت أطلب طرق الصبر أسلكها هيهات قد خفيت عنى مناهجه

ذكر المقياس بمصر

هذا المقياس موضع مبنى في عهد خلفاء بنى العباس ليعرف زيادة الماء
ونقصائه بالمقياس ، وهناك عمود في الماء مقسوم بالأذرع ، والأذرع مقسومة
بالأصابع في مسجد ينوب في الجزيرة عن الجامع تصلى فيه الجماعات والجمع
ويتولاها من العهد القديم متولى من بنى أبى الرداد (١) من هو معروف
بالنزاهة والعلم والسداد وله راتب دار ورسم وقرار وخلع وتشريفات في
المواسم وحرمة متوالية المعنى سامية المعالم .

ذكر حديث حصن بيت الأحزان

قال : كان السلطان على بعلبك (٢) نازلا ولتسلمها محاولا وطال مقامه
عليها فانتهز الفرنج فرصة الخلو واستخلوا عصر العتو وجاءت الداوية

(١) قارن البرق ٣ — ورقم ١١٢ .

(٢) فى سنة ٥٦٤ هـ هكذا وردت بالبرق ، انظر البرق ٣ — ورقة

١١٢ ب والصحيح فى ٥٧٣ هـ .

منهم وشرعوا في بناء حصن على مخاضة بيت الأحزان وأحكموا بناء ذلك المكان وكان يقول للسلطان متى أحكم هذا الحصن تحكم على الثغر الاسلامي الوهن وغلق الرهن فان بينه وبين دمشق مسافة يوم فيقول اذا أتوه رحلنا اليه وهدمناه الى الأساس وجعلناه من الرسوم الادراس فندعهم الان حتى يستنفذوا بقية أحوالهم وينفقوا عليه أموالهم ويتعبوا (١٩٦ ب) رجالهم فاذا قصدناه عكست آمالهم والحين مالهم فنقول منهم من الابتداء اسهل من الدفع في الانتهاء . واذا مات الفارط لا يستدرك وهو الان حين نلا يترك وهو صابر بقوة دينه ، ساكن بنور يقينه فان العاقبة الحميدة بعد سنة كانت كما جرت على لفظه من عدة حسنة . فلما انفصل أمر بعلبك لم يزل أمر الحصن من همه وقصد حصاره في عزمه وكان العام مجدبا والجذب عاما والشمام لروايح (٣) الحوايج شاما وللأسعار أسعار وللأسرار استشمار وللضر استضرار وللشر استشراء ، وعلى العباد من ثقل المحل أعباء وللرجال من لطف الله تعالى رجاء على أن الأيادي السلطانية نابت عن الأنواء ونادت في الأندية بالانداء فترتعا من أحسانه في مرعى مريع وشرعنا في سلطاته من منبع منيع .

نكر وصول رسول دار الخلافة

قال : ووصل في هذه السنة رسول دار الخلافة بالعارفة والعاطفة والرافة ، وهو الأجل فاضل أفضل الخدم ، وهو خاص الجهة الشريفة مخصوص بالمنزلة النيفة ، وسر السلطان بوصوله وحل كل نجع بطوله وبركات ذلك رخصت الأسعار ونقص الاعسار وتفرجت العيون وتفرجت العيون وسكن القرار ، وقر السكون .

كان الرسول كريما كأنه في سواده انسان عين كله نور وبالحسن والحسنى مشهور وزرته فالنيته طلق الوجه بشرا واليد برا فلما خرجت من عنده سير لى من هداياه وتحفه والطافه وفرا ، ولم يدع احدا من اكابر الدولة الا وحباه بحباته ، وحياه من حيا سحبه . وكانت الجهة الامامية مالكة قد ملأت يده بمال وافر ليصل ويعود بوجه سافر فلما رأيت رسولا وجه في وجاهته ونباهته وهيمته ونزاهته وشغف السلطان به وكلف بقربه

(٣) في الاصل : لزوات والضبط من البرق ٣ ورقة رقم ١١١٣ .

واستصبحه معه الى الفزة وشن الغارة على بلاد العداة ووقف به على الحصن الذى استجده الفرنج على المشهد اليعقوبى وكان السلطان بهذا الرسول الامامى مفتبطا واليه فى كشف أسراره منبسطا ولما جهزه ليعود بالعطايا السنايا والخيول السبايا فرقها قبل قفوله ومن جملة ما حمل له بغلة شهباء موصوفة لا يوجد لها نظير كأنها تحت السرج هضبة من ثبير (١) .

وكان رسولنا ضياء الدين بن الشهرزورى عنده حاضرا . وقال كنت على عزم طلب هذه البغلة من السلطان وقد فرحت لك منه بهذا الاحسان فقال : انت أولى بها وبما معها . فأخذتها (٢) منه بما تبعها وفيها حصان عربى منسوب وحجرة ما لها قيمة وكان اذا أهدى له باقة ريحان حزاها بخلع حسان ، وانفصل منتصف ذى القعدة بالاكرام موصولا وبالاغنام مثمولا .

ذكر نوبة هنفري ومقتله فى أواخر هذه السنة

قال : وكانت الأخبار قد توالى على السنة جواسيس الفرنج أنهم على عزم الخروج فتقدم السلطان الى ابن أخيه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه وقد قدمه على عساكر دمشق أن يخرج على الثغر فى عسكره ويرتب كلا فى مركزه محترزا فى مورده ومصدره . وأقام مدة واستكمل عدة وعدة فلما كان مستهل ذى القعدة من هذه السنة تواترت الأخبار بخروجهم على اللسنة فجرى من النصر الذى لم يحتسب والنجاح الذى لا يصفون الله لم يكتب ما وصفته فى كتاب انشأته عن السلطان الى الأجل الفاضل ومنه :

قد سبقت المكاتب بما سناه الله وأسناه من النصر الحثوة وذلك يوم الاربعاء مستهل ذى القعدة فانه فضل بنصرة خميس الاسلام على كل خميس وضيق على الأسود السود من بنى الأصفر كل عريس وخيس ، وأثر من ورق الحديد الأخضر فى مربع الموت الأحمر منهم برأس كل رئيس . وكان الأرجاف قد شاع بخروجهم منذ أيام والظنون مرتابة والقلوب مرتاعة ، والفكر غير حاضر لأن السنة جذب ومجاعة وليس فى مقابلة الفرنج فى ذلك

(١) والثبير جبل بمكة . انظر لسان العرب ٤ — ١٠٠ .

(٢) فى الأصل : فأخذها وكذا يستقيم المعنى .

الفخر الا ولدنا عز الدين وهو في عدة من عسكرنا المنصور لا تبلغ الفا وهو معرض بارسال الحمام عند علمه بخروجهم لنخرج الى لقائهم فأمرناه أن يجفل البلد وأن ينور الاكام وينذر وانه لا يلتصاهم بل يتوقاهم ولا يخاطر بالجماعة الذين معه بل يحميهم ويتحاماهم وفي كل يوم يرجف برجفتهم وهم متبادون متباطئون وعلى مجافلة البلد متواطئون فلم يشعروا مقدموا الطلائع ذلك اليوم الا وقد خالطوا القوم فتحيضوا عنهم الى الفيئة وهم دون المائة فأخرج ولدنا الرماة (١٩٧) الكماه ، وقدمهم الى العداة العتاة ليشغلوهم ساعة ويحولوا بينهم وبين طعان الحرب الجافلة ، ولم يكن في زعم العزم أنهم يستدرون اخلاف النصره الحافلة واستمرت الرماة عند تل الجارة وطلب أصحابنا طلب الملك فما تركه مالم يكن الترك حتى طرحوا حصانه وجرحوا فرسانه فحمل طلب هنفري ليحميه وأبى الله أنه كما رمى الملك الا أن يرميه وقتل دونهما برهان صاحب الناصرة ونجا الملك يجر معه الذقن وقد تجرع كأس الشجب والشجن ، وحمل هنفري جريحا وأودع بعد يومين ضريحا وما زالت الرماة يرمونهم ويرامون ويدنون ويدانون حتى نقصت الكماين وانقضت الضغائن وكانت نصره أثيلة ونوبة أثيرة ، وثورة من أعداء الله في تلك الفورة مستثيرة وحالة صدقت قول الله تعالى : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة) (١) وتم هذا الخزو ولم يتم مدد العسكر الغربي ورجع الفرنج من الخزي بذلك الزى وأذنتنا بطاقة الطير في دمشق ذلك اليوم بكرة بكرتهم وبادرنا الخروج لدفع مضرتهم وكشف معرفتهم فما وصلنا الى الكسوة الا ورعوس رعوسهم متوافية والبشائر دانية والطاق الله كافية والشصف بحمل السعف الينا زايد والواحد لثلاثة وأربعة من الأسارى قايدين .

ذكر مسير شمس الدولة الى مصر

قال : وكان الملك المعظم فخر الدين تواراننشاه بن أيوب قد ملك اليمن فلما ملك السلطان دمشق بعد نور الدين رحمه الله كتب اليه في اليمن بالتشوق والاستيحاش بالوحدة فجاء سنة إحدى وسبعين فسر بقدمه . ولما عزم السلطان المسير الى مصر في سنة اثنتين وسبعين لتجديد العهد بملكها عول على أخيه هذا في السلطنة بالشام وفوض اليه الأمر وولاه تولية مطلقة وكان بحرا في الجود مواجا يغنى بفواضله من الوفود

(١) سورة البقرة ، آية رقم ٢٤٩ .

بعد الأفواج أفواجا وراسله الملوك وتواصل اليه من الأطراف والايواسط السلوك . وكان الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين رحمه الله مستقرا في حلب فيمن بقى معه من ممالك أبيه فجرى معه شمس الدولة على الوفاء والوفاق وسبيل الاشفاق . وأقام السلطان بمصر الى يوم عيد الفطر من سنة ثلاث وسبعين ثم رحل عايذا الى الشام ولما عاد الى دمشق جرى على عادة سلطانه وأمره ونهيه وانقطع شمس الدولة الى مواصلة لذاته وانتهت الحكم سلطنته فاقترح على أخيه تسليم بعلبك اليه والانعزام بها عليه فتسلمها له من شمس الدين بن المقدم على ما سبق فانتقل اليها يتصرف فيها ولما عن الحل رأى السلطان أن يستدعى من عسكر مصر مقدمين يتقدمون في عدة منتخبة ورأى ان الشام لا تحمل أثقال العساكر الكثيفة فرغب أخاه شمس الدولة بما زاده من الديار المصرية في قصدها وأنه يجدد بسعده سعددها وكان رحيله من دمشق بعد صلاة العصر في قصدها وأنه يحدد يوم الجمعة لست بقين من ذى القعدة وصحبه كثير من التجار والرجال والنساء والاطفال .

قال : وكتبت عن السلطان كتابا منه قد بان له وجه الصواب في استدعاء عدة متوسطة من أنجاد العسكر المصرى الانجاب بحيث يخف وطؤها وتثقل في العدو نكاؤها فتكتب الى أخينا الملك العادل بمصر أن ينتخب لنا من الاتوياء بالخيول والعدة ألفا وخمسمائة فارس وأثرنا على الملك المعظم بالتوجه الى مصر مستصحباً معه من طال بالشام بيكاره وبان انفاضه واقتاده وراينا المصلحة في مسيره لمنافع كثيرة وفوايد أثره منها التخفيف عن الشام في مثل هذا العام وذلك بعد أن رتب في بعلبك نوابه وأتطمعها أصحابه . ومنها أن في وصوله الى مصر وقد خرج منها عسكر اسما كبيرا وصيتا عظيما فان الارجاف شايع بأسطول صقلية المخذول وخروجه ووصول أخينا يكسر من عزم العدو ويحطه من ذروة العتو . ومنها أنه اذا أقام بالقاهرة تصرف أخونا الملك العادل في البلاد بعسكره وعذب صنو مقصده في مورده ومصدره .

قال رحمه الله : وفي هذه السنة غدر ابرنيس انطاكية وأغار على خنيسر شيزر (١) وغدر القومص بطرابلس بعد الامان بجماعة من التركمان

(١) في الاصل : جشار شيزر والضبط من برق ٣ ورقة ١٢٢ .

فان الافرنجية اجتمعوا وقالوا : الصواب ان نفرق عسكر الاسلام في ثغوره بالارغاب والارهاب فانا ان هادناهم من جانب توفر عسكرهم من الجانب المجانب وتجرد لاصابتنا بالمصايب فاقضى الأمر أن رتب السلطان ولد أخيه تقي دين في ثغر حماه ومعه شمس الدين بن المقدم وسيف دولة على المشنطوب وصاحب شيزر بعسكره محتاط في مورده ومصدره وأمرهم بالاستكفار (٢) من (١٩٧ ب) الرجال واستخدام نخب الابطال ورتب ناصر الدين محمد بن شيركوه في حمص في مقابلة القومص . وكلهم مأمور بالتنبيه بكل صوب والاصاخة الى كل صوت رابض في مكانه واذا أحس بدناؤه وثب عليها ممسك بعنائه واذا سمع هيمه طار اليها . قال : ويعد توديع السلطان أخاه شمس الدولة أغار على بلاد الفرنج لمشاهدة الحصن الذي بنوه .

فصل في معناه : قصدنا البرج ونازلناه وما زلنا نقاتل حتى أزلناه واحتوا بباطنه فما أخرج أحد رأسه وسنعود اليه بعون الله ونقلع أساسه **فصل آخر :** وأما الاطراف فان ملوك ديار بكر اليها ملتجون ولنا مرتجون ومن سلطان الروم مستشعرون وبسلطاننا مستظهرون ووصل رسول سلطان الروم قلج أرسلان يعف لنا صفاء ويوفينا وفاء ويعرض وده ويعرض بما عنده وقد توافر اجتهدنا على أن نستميل كلا الى الجهاد ونجمع شملهم على الاتفاق والاتحاد والله تعالى يوثق لنا موائق رضاه من أمر رحيل هذا المزام وأمر اغ مراد هذا المراد .

قال : وانتقل السلطان الى الشعراء وخيم في مروجها وسام الخيل في اكلاء خرونها وخروجها ولما تطوحت الاعشاب وصوخت الشعاب وانتقل الى بانياس وتدد وفد من البوادي من جرى بسيله الوادى فرام أعتاب البرية وأعراب البرية وقال : هؤلاء اذا اكلوا السنة من الشام بلى العام بالمحل العام وجمع عنده الجموع فبلغت الخيم الى حدود بلد الكفر وكان في كل يوم يركب وفي خدمته الخواص ويظهر ان غرضه الاصطياد والاقتناص ثم ينزل على النهر ويجرد فرسان الجلال والقهر ويسير قبائل العرب الى بلد صيدا ويبروت حتى يحصدوا غلات العدو ويجمعوا القوت وما يبرح مكانه حتى يعودون (٣) بجمالهم واحمالها موثقة بأثقالها حتى خف من زرع الكفار بالقرب

(٢) في الأصل : بالاستكفار .

(٣) في الأصل : يعود .

ولم يحصل من ذلك كفاية القرب . واثفق على الناس وجمع الامراء وشاورهم فى الامر وقال : قد علمتم غلا الفلات واقتلال الاقوات وظهور اعراب البادية وخفاء الاعشاب البادية وما كان بالقرب من غلات العدو وزروعه استجنائه واجتحنائه ولم يبق الا أن نهض عساكرنا بالنبوة ونقيم بقوتها الى حين الاوية فأجابوه بالسمع والطاعة وما زالت المقائب تنهض والطلائع على مراكزها تريض والمزارع تحصد والمواضع تقصد والثمار تصرم والضرام تصرم قال :

ودخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة

والسلطان صلاح الدين نازل على تل القاضى بانياس وقد عم بالانيناس الناس وفى كل يوم يصاحبون بلد العدو ويماسونه ، ويداونون جرح الجذب بما ينقلونه من الفلات ويأسونه حتى لم يبق هناك الا اليسير واجمعنا على أنا نستبيحه فى يوم واحد ونسير . وكان المتقدم على العسكر عز الدين قرخشاى بن أخى السلطان شاهنشاه وكان مخيمه على بعد من السراشق السلطاني وقدامه فلما استهل محرم هذه السنة حضر عند السلطان عمه وقال ان المقام ههنا يصعب لا سيما والحر قد تصرم ، والزرع قد تصرم وأهل الشرك هاجمون واجمون ولظنونهم فيما هم راجون راجمون فتتحول الى حيث نتبدل من الضيق بالسعة فقال السلطان ما أنجب الراى الذى رايتموه وانجح السعى الذى سعيتموه وقد بقى لكم أن تهضوا الليلة اجمعين وعلى بلاد الكفر مجمعين فتجمعون منها ما بقى فى مواضعها المتفرقة واذا عدتم سالمين غائمين رحلنا صوب البقاع واستأنفنا ما يعود للاسلام بالارتفاع والانتفاع .

ذكر وقعة مرج عيون

قال : ولما نهض أصحابنا وأدلجوا وخاضوا بحر الظلام ولججوا أصبح السلطان يوم الأحد راكبا ومعه صمصام الدين أجك (١) والى بانياس فى موكب خفيف وجمع غير كثير ووقف على الطريق وسأل الله حسن التوفيق ثم رأى فى تلك العياض أبقارا جافلة ، وسروجا عن مراتعها زائلة . وجاءه بعض الرعاة وأخبر أنه شاهد عسكر العداة وانهم عبروا بالقرب على قصد

(١) وردت فى الأصل : أجكره والتصحيح من برق ٣ ورقة ١٣٨ ١ .

المتعلقة فمجب السلطان من هذا الخبر واستبعده وقال : لو كان للفرنج قصد للجهاد الجاسوس فما صدق الخبر حتى جاء (١٩٨ أ) من أوائل العسكر من ارتاع وعجل في العود الاسراع فجاء السلطان الى المخيم وقت الظهر ونادى في متخلفي مهاليكه بالحضور . وكان في اصطبله خيل عرب شددت للتضجير وجياد عتاق أعدت ليوم النفر فبدل مصونها وأصفي لخواصه صفونها وقال : اركبوا وادركوا العدو وما زال ينهض مجريا وينقب منتبها حتى انتظمت له كتيبة شهباء وساروا والخضراء من وقع الحوافر ونقع الحوافر غبراء وقلقت في أشباح الغمود الأرواح وجرت بالجبال الرياح وطارت العقبان مع أمثالها من الرايات ، وتنزلت الملائكة من نص النصي بالآيات وجرى سيل الخيل وجر القتام على النهار ذيل الليل والسلطان في موكب جلالته كالقمر المبدر في حالته ، ورايد النصر يرشده بدلالته فلم يزل يعتق ويعب حتى ترأى الجهمان ودنا الرعان من الرعان وصافحت الصفاح أشجاع الشجعان ، وظلمت في أبراج العجاج نجوم الخرصان .

واتفق أن الفرنج حملوا وبرز ابن بارزان مقدما من مقدميهم وحمل لحملتهم وقادوا يكسفون الأنوار ويكشفون الاستار فثبت السلطان أمامهم وردهم وراءهم وتضاعف المدد وترادف العدد فحملوا حملة كادت تتم ، وسر الشرمتم ، وطعن فيها مصصام الدين اجك وخشى أنها لا تتدارك فردهم خوف الردى الى الجبل وضاق عليهم واسعات الحيل ثم احدثت بهم أسودنا أحداق النار بالجان وخاضت غمرة الهيجاء فأسر الفرنج بأسرهم وصح النصر من كسرهم ، ودخل الليل فأخفى (٢) بسواده سوادهم وقيده بخواتم الذل قوادهم وما فرس فرسانهم ، ولا شجى وشجب الا شجعانهم فان الرجالة لما شاهدوا عسكر الاسلام تبدد شملهم في الوهاد والأكام فما ضغم الا كل ضيغم ولا أقدم الا كل مقدم ولم يفلت من بينهم الا الملك المجذوم وقيل ان أحدهم حملة (٣) على قفاه ثم نجا به ونجاه . وعاد السلطان الى مخيمه بعد هده من الليل ووافيت البشائر الى المعسكر المنصور بالنصر من العصر فجلس في سرادقه ونحن عنده جلوس وحول شمس من الأفاضل شمس وهو يحدثنا ويقول لولا التأييد من الله سبحانه لكان الخطب

(٢) برق ٣ ورقة ١٣٠ أ ، وردت كالتالي : فما أخفى .

(٣) في الأصل : حمار .

خطيرا فانهم لو بدلوا بالعسكر لاعجلوا عن الالجام والاسراج وسدوا على الكرب مناهج الأفراج ووجدوا الفرصة بادية والفرصة خالية لكن الله تعالى صد قصدهم وأعمى لخطاياهم عمدهم ثم اذن في تقديم الاسارى وهم يتهادون كأنهم سنكارى فأول من قدم ابن بارزان بادوين وقد أسره من أمرائنا الأكراد محمد بن خوشترين . ثم قدم أود مقدم الداوية الكبير وأحضر هو ابن القومصية وقيد أخو صاحب الجبيل وجماعة من مقدميهم الاكابر وأنا جالس بجانب السلطان منفردا استعرضهم بقلمى فى الدستور فأجلسهم من حوله وأنسهم بقوله فأقروا بتطوله وطوله . ومن الطاف الله أنا وخواصه الحاضرون لم نزد على عشرين والاسرا قد أنافوا على سبعين وقد أنزل الله علينا السكنينة وخصهم بالذلة والمسكنة فطلع الصباح ورفع المنصباح فقمنا وصلينا بالوضوء الذى صلينا به العتمة (٤) ثم جلسنا حتى تم عرض المسورين فبلغوا مائتين ونيفا وسبعين من الفرسان المتقدمين سنوى من أسر أسروه فى خيمته وسوى من لا يذكر من الأتباع فانهم عدوا من سقط المتاع ثم نقل الأسرى الى دمشق واعتقلوا وبالحديد أوثقوا فأما ابن بارزان فانه بذل بعد سنة فى نفسه مائة وخمسين الف دينار واطلاق الف أسير من المسلمين وكان الفقيه ضياء الدين عيسى من نوبة الرملة عندهم فالتزمه راكمه وان يودى من قطيعته المذكورة القطيعة التى عرف بها فكافه وأما هو فانه أستفكته أمه بخمسة وخمسين الف دينار صورية وأما أود فانه انتقل من عيشته الى سجين فطلبت جيفته باطلاق أسير من متدى المؤمنين وطال أسر الباقيين فمنهم من هلك وهو عان ومنهم من خرج بأمان .

قال : ومن حسن الاتفاقات أن الاسطول المصرى المنصور غزا فى أول هذا العام وتوغل فى الجزائر على أهل الجزاير وظفر ببطشنة كبيرة فلقبها بالبطشنة الكبرى واستولى عليها وعلى أخرى وعاد الى الثغر المحروس مستصحباً الف راس من السبى وكان تاريخ استطالة الاسطول على الفرنج بمصر فى البحر تاريخ بطشنتنا بالشام من غير تأخير بحزب الكفر .

(١٩٨ ب) فما أقرب بين النصريين فى المصريين وما أعذب عذاب الفئتين وتجريمهما الأمرين من الأمرين .

(٤) البرق ٣ . ورقة ١٣١ ١ المشاء .

ذكر منقبة لعز الدين فرخشاہ

قال : ذكر عز الدين اننى فى تلك المعركة والجولة الحالية اما عن المملكة وأما عن المهلكة تذكرت قول المتنبى :

فان تكن الدولات تسما فانها لن يرد الموت الزؤام تسؤل
ومن هون الدنيا على النفس ساعة وللبيض فى هام الكماة صليل

فهان الموت فى عينى فما أفرق بين حياتى وحينى وحكى الأمير حسام الدين تميزك بن يونس وكان مع عز الدين فى الوقعة أناكنا فى أقل من ثلاثين فارسا فقد تقدمنا من أهل الفتك فشاهدنا خيل الفرنج فى ستمائة فارس واقفين على جبل وبيننا وبينهم الماء فقال نعبز النهر اليهم ونحمل عليهم فقلت له كيف تقول هذا وبمى تحمل عليهم فقاتل اذا عبرنا النهر اليهم ذلوا وتبعنا من رأنا من عسكرنا وان وقفنا لهم طمعوا فينا وجاعوا وعملوا ما شاعوا فسار اليهم وعبر الماء فما وصل الى القوم الا فى عدتهم وقل من حد عدتهم ووافق ذلك رجف السلطان ونصر الايمان .

ذكر غيبة تقى الدين عن هذه النبوة

قال : كان سلطان الروم قلج أرسلان أرسل فى طلب قلعة رعبان(١) وادعى انه من بلاده وانما أخذه نور الدين رحمه الله على غير مراده وأن الملك الصالح ولده قد أئتم به عليه ورضى بعوده اليه وأبى ذلك سلطاننا فعقد قصده ومنعه ورده وكان مع شمس الدين بن المقدم وفيه نوابه فانهض قلج أرسلان عسكرا مجرا نزل على حصاره وشرع فى تشعيث نواحيه وأقطاره فندب السلطان ابن أخيه تقى الدين ومعه سيف الدين على المشطوب ليتوليا إزالة رعب رعبان ويرسلا الروع على روع(٢) عسكر قلج أرسلان فنهضا وهما فى ألف وكانت تلك الحشود فى الوف مجمعة فلما شاهدوا أصحابنا قد جرى بسيل خيلهم الوادى أجفلوا من عدوى تلك

(١) فى الاصل : سبيل . انظر ابن الاثير . الكامل ج ١١ ص ٣٠٢ .

(١) رعبان مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة فى العواصم ٢ معجم البلدان ج ٢ ٧٩١ .

العداوى وزال عن رعبان رعبها وأمن سربها وعذب شربها وأرجت بأرجائها
مهاب المهابة وطافت بها الطاف عصمة الله الذابة بالاصابة ، وكتب تقى
الدين توبتها الدايلة وبنوتها الزايلة وأنه فتح لم يحتسب ومنح من الله
الا بفضل لم يكتسب وغزو الا الى تأييده لم يعز ولم ينتسب ولم يزل تقى
الدين بهذه النصرة المبتكر فاته هزم بأحاد الوفا وأرغم بأعداد من الأعداء
أنونا .

فصل من كتاب سلطاني الى مجاهد الدين ثايمان (٢) بالموصل وكتب
تقى الدين باذن الله ثلاثين الفا من عسكر المذكور بألف وكنوا ضعف وقد
علم الله تعالى انه شاء فأكسرنا من سهم المهيب ومؤاخذته على رأيه المخطى
المصائب لا المصيب فان المذكور يمشى زمانه بناموسه ويؤسى نهاره من أشعة
الافلات من شموسه .

ذكر النزول على حصن بيت الأحزان

وتيسير فتحه في أقرب زمان

قال : لما ضعف الكفر بالثوب التي ثابته بالبأس الاسلامى قوى العزم
السلطاني في قصد البرج وسخر الى التركمان والى البلاد لجمع الرجال
فأمر بأعداد الدقيق وتكثيره للتركمان فخرجنا في جيش فضل بالقضاء ختام
قتامه وورد على الأصباح باظلامه ودارت بفوز القداح اقتداحه ولاحت
غرره وأوضحه وحملت الآلات وكملت الحالات ووصلنا الى مخاضة بيت
الأحزان يوم السبت والحصن مبنى دونها من القرب فخيما منها بالقرب
ورفعنا على تلك الاكام أكاما من الخيم ورمينا من الحمايم والعمائم مسامع
الآفاق بالصمم وقتلنا حصن ومكان مكين ولا بد من نظم ستار لنصب المنجنيقات
وجمع الأخشاب والآلات فركب السلطان بكرة الأحد الى ضياع صفد (٤)
وكانت قلعة صفد يومئذ للداوية وهى عش (١١٩٩) / البلية وأمر بقطع
كرومها وحمل زرجونها وأخشابها واستكملت المنجنيقات كل ما يتم به
أسباب أسبابها وعاد الى المخيم بعد الظهر وخرج بعد العصر ، وجمع

(٣) فى الأصل : ثايمان .

(٤) صفد ، مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام ، معجم
البلدان .

أمرأه (٥) وعارض بآرائهم آراءه (٦) فقال له عز الدين جاولى الأسدى تأذن لنا فى الزحف قبل نصب المنجنيق حتى نذوق (٧) قتالهم ونجرب نزالهم . فقال : استخبروا (٨) الله حيث اخترتم فنودى فى البوادرى بالاقدام والحضور فى مقام الانتقام فثاروا الى النار وطاروا الى الاقطار ودنوا من الباشورة وباشروها وشاقوا معاشرها كأس المنية وعاشروها .

وعهدى بشاب من العوام فى جرة الضرغام عليه قميص خلق وفى يده قضيب (٩) ودرق وقد فرع الجدار وهو يدافع ويقارع ويجالد ويماصع فتبعه ضرب من اضرابه فى الضرب وشيعه آخر على حزب الحرب فتخاذل القوم ودخلوا الحصن وأغلقوا الأبواب ووقفوا وراءها على شرافاته وأشرفوا على شرفاته وملك أصحابنا الباشورة وملأوها وانتقلوا بكليتهم اليها وكلاوها . وباتوا طول الليل يحرسون والسلطان يمددهم بالامداد وينجدهم بالانجاد ويشفق من فتح الأبواب وكبسهم الناس فقتل لنا أنهم وقدوا خلف كل باب نارا ليأمنوا على أنفسهم اغترارا ولا يلقوا غوارا فقر قرار الاصحاب وعاد الجراح الى الاصحاب ثم جمع الأمراء والكبراء وفرق عليهم البناء فأخذ عز الدين فرخشاه الجانب القبلى وجمع عليه الصناع النقبائين وأخذ السلطان النقب فى الجانب الشمالى وأخذ ناصر الدين محمد ابن شيركوه بقرية نقبا وأفرد تقى الدين قسمها وكذلك كل كبير شرع فى طرف وأخذ العمل فيه بسرعة والفرنج من فوقهم على السور وراء الستائر يرمون القوارير (١٠) وكان الحصن شديد البناء فحسر على النقبائين اخراج حجره واطهاره مضرة ثم تم النقب السلطانى وغلق وحشى بالحطب ليلة الاثنين وأحرق وظن انه يقع والنقب فى طول ثلاثين ذراعا وفى عرض ثلاثة أذرع فى المقدار وكان عرض السور سبعة أذرع فما تآثر بالتعليق والتحريق فأصبح يوم الاثنين والقلوب قد أشفقت والظنون قد أخفقت ولا سبيل الى تعميق النقب للنيران المتهبة فيه فأخرج السلطان صره ثلثمائة دينار مصرية وتركها على يد عز الدين وأمره أن يعطى كل من جاء بقرية من الماء دينارا

(٥) فى الأصل : أمراؤه .

(٦) فى الأصل : آراءه .

(٧) فى الأصل : ذوق .

(٨) فى الأصل : استخبر والتصحيح من برق ٣ ورقة ١٤٠ ب .

(٩) فى الأصل وايضا فى البرق غضب وكذا من المرجح .

(١٠) فى الأصل : القوارير .

فرأيت الناس للقرب حاملين ولأوعية الماء ناقلين حتى أغرقوا النقب فعاد نقابوها فخرقوه وعمقوه ثم علقوه واستظهروا فيه يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ثم أحرقوه ووصل الخبر بأن الفرنج قد اجتمعوا بطبرية وأنهم ملئوا بخيلهم ورجلهم تلك البرية فحصد الصنائع .

ولما كان الخميس الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول أصبح الخميس قد حمى الوطيس وقد عض بالأسد الخيس والدنيا تضطرب والبلوى تضطرم ونحن ننظر إلى السور وقد طال الانتظار ووقع من بطل وقوعه الاستشعار ولما تعالى النهار وعيل الاصطبار وزال القرار انقض الجدار وتباشر الأبرار وتسابق الناس إلى الثلثة وكان الفرنج قد جمعوا وراء الواقع حطبا فلما وقع الجدار دخلت الرياح فيها فعادت عليهم النار وأحرقت البيوت الدانية منها في الجوانب وبنوا من كل صوب بالمصابي فاجتمعوا إلى الجانب البعيد من النار وقد لفحهم وهج الاستعار وصاحوا بالأمان وأظهروا الأذعان وجلس السلطان وقد حمد الله سبحانه وحده فمن أحضر من الأسارى عنده استنطقه فإن كان مرتدا أو راميا يخرج ضرب عنقه .

وخلص من الأسر أكثر من مائة مسلم أحضروهم للعمارة وقطع الحجارة . وأكثر من أسر قتله الغزاة المطوعة والرعاع المجمعفة فكان فتحا هنيا ومنحا سنيا وما ظن لتوثيق بنائه وتوغر سبله يتأنى افتتاحه أو يتصور اجتياحه وكان قد بذل في هدنة لهم ليأمن الناس منهم مبلغ ستين ألف دينار فلم يذعنوا بالقرار وبلغ بالمبلغ مائة ألف فثبتوا على الأصرار .

وقال : ورأيت السلطان مستبشرا يتلألا وجهه بنور السرور وعنده رسول القومص معافي وهو يشاهد بلية أهل ملته ، وكان الحر شديدا لا يطاق ودم الشرك مباحا يراق ، وقد وقد القيظ وآن وقد الغيظ وسير من أيقاه الأسار إلى دمشق فأتاه السلطان في مخيم والأموات قد جافت والأحياء قد عافت وقال : لا أبرح حتى أهدم الموضع من أساسه وأعيد الرجاء في أعادته إلى بأسه فقسمناه أذرا على البأس حتى / (١٩٩ ب) هدوه إلى الأساس وعاد المشهد اليعقوبى مزورا وأرى الابتهاج بزيارته منشورا . ودخلت الحصن فشاهدت العجب ورأيت فارسا قد ألقى على النار حصانه وهو راكبه فانظر إلى هذه الحمية والأنفس الابيسة . وأقام

السلطان في ذلك المنزل الكريه حتى فرغ من التخريب ورحلنا يوم الأربعاء وعند الوصول الى دمشق مرضنا من وباء ذلك الوباء وتنت ذلك الهواء وانتقل الى جوار الرحمة أكثر من عشرة من الأمراء ومن الله على بعد الأثقياء بالشقاء (١١) .

قال : وهنأ الشعراء السلطان بفتح هذا الحصن فمما بقى على ذكرى من ذلك ما أنشدنيه الفتى أحمد بن نفاذه :

هلاك الفرنج أتى عاجلا وقد آن تكسير صلاباتها
ولو لم يكن قد دنا حتفها لما عمرت بيت أحزانها

ولأبى الحسن على بن محمد الساعاتى الخرساتى من أهل دمشق قصيدة أولها :

بجـدك أعطاف الفـنـاء تتعطف وطرف الأغاـدى دون مجـدك يطرف
وقفت على حصن الخاص وأنه لموقف حق لا يوازيه موقف
أيسكن أوطان النبـيين عصبة تمين لـدى إيمانها وهى تحلف
نصحتكم والنصح فى الدين واجب ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

ولأبى الفتح سادة الضرير الحمصى من قصيدة :

وقدت الى الأعداء جيشا عرمرما اذا أبرقت فيه الصوارم أرعدا
خميسا كسوت الجو ثوبا ممسكا به وكسوت الأرض ثوبا موردا
لها ما يريك الشمس ثاير تنعمه يقلب مطرفها من الطرف أرعدا
ترى اللـيث فيه بالحباب مؤبـطـا نزا البدر فيه بالشهاب مقلدا
طما بالمحاصر الصواهل بحرـه الخضم وباليبيض المباتر أزيدا
وأبدى من الخرصان لمعا مفضـضا يعود بوشك الطعن لمعا معسجدا
فلم تبق للطفـيان شملا مجعـما ولم تبق للأيـمان شملا مبددا

(١١) يستمر عماد الدين فى البرق ٣ فى ذكر هذه الواقعة وينتهى بالعبارة التالية :

« والحمد لله الذى نصر الحق وأهله وأذل الباطل وأذله تم الجزء الثالث من كتاب البرق الشامى بحمد الله وحسن توفيقه ... ويتلوه الجزء الرابع وهنأ الشعراء السلطان بفتح هذا الحصن » ولكن ليس لدينا كما

هو معروف الجزء الرابع . وانما يوجد فقط الجزء الخامس .

وللامير نجم الدين محمود بن الحسن بن نبهان (١٢) العراقي من أهل
الحلة الزيدية في السلطان (١٣) أيضا من كلمة :

وأوردت بيض الهند ماء رقابهم وأصدرتها تختال في حلل حمر
جلوت بها صمصامة الدين بعد ما علا مثنها من بغيهم صدء القصر
هى للفتكة الغراء لا زلت (١٤) قايا بأمثالها للدين في السر والجهر
فأصبح في أقصى خراسان ذكرها وفى كل قلب منه جيش من الذعر

قال : وفى هذه السنة كان طهر الملك العزيز أبى الفتح عثمان (١٥) ولد
السلطان وسمعه يقول مولد عثمان بهصر ثامن جهادى الأولى من سسنة
سبع وستين وخمسائة . وكان أحب أولاده اليه وأعزهم وأثناهم لاعطاف
سروره به وأهزهم وهو ريحان شمه وفينان ضمه ورأس ماله وأساس
اقباله . وكانت فراسته فيه من علم الغيب الذى أطلعه الله عليه فهو الذى
من بعده نظم سلكه وضم ملكه وجمع شمله وأبقى أفضاله وفضله ولزم
احسانه وعدله . ولما وصل من مصر الى الشام فى سنى سبعين برح به
اشتياؤه وأزعجه فراقه فاستقدمه اليه فطلع قمره وينع ثمره وثاب أنسه
وبلغت المنى نفسه وقال : وأشدت السلطان تهنية بقدومه كلمة منها :

(٢٠٠) / يا أسدا تحمى عرين العلى هنيئ جمع الشمل بالثبل
يا طيب الثمر بلغت المنى تمليا بالطساهر النجل
يحكيك أقسدا وبأسا فما أشبه هذا الفرع بالأصل
ملك قضى الله له أنسه على ملوك الأرض يستعنى
شمله المجموع آمالنا بنجمها مجموعة الشمل

لم يفارق الملك العزيز أباه واستصحبه الى مصر فى سنة اثنتين
وسبعين ثم عاد به الى الشام فى سنة ثلاث وسبعين . قال وقال السلطان
عند قرب رحيله من مصر : اطلب لولدى هذا معلما يصحبه ويتسنى به
تأدبه وتهذبه وكان نجم الدين يوسف بن الحسين بن الجاور الى متوددا

(١٢) فى الأصل : سان .

(١٣) فى الأصل : السلطا .

(١٤) وزالت ، هكذا وردت فى الأصل .

(١٥) فى الأصل : عثمان .

ولشكوى الزمان معددا وبحب الفضل الى اهله مترددا فملت اليه ودلت عليه ورغبته في الصحبة ، واخذت له مركوبا وثقفة ، وجاءت أسبابه موافقة موافقة فتولى الصفي بن القابض وكان متولى الخزانة والديوان والأعمال بدمشق . **أسباب ختان الملك العزيز** : ولقد كان على الهمم من أهل التمييز مؤسع الانفاق وصاغ الفحوت والاطواق وأطلق الأموال ونمق الأحوال وأول من وجد بركة هذا الطهر المبارك المؤدب فقد سعد نجمه وصح شيمه ووضح غيمه وتحلى في اللباس الذهبي باللباس الأدبي والركب النصارى والركوب العربى وزين الزينون وأعيدت عليهم الخلع السنية وبالسنة أعيدوا وخلع السلطان علينا في المخيم تشريفا لأحوالنا مناسبا وأمسى كل منا لذيل الاعتزاز مصاحبا ومن جملة ما حبانى به حجرة عربية وعدة لها ذهبية وعز الملك العزيز في ختام ختانه وعم الفضل والحسن بأفضاله وإحسانه .

قال : وفي هذه السنة خرجنا الى بعلبك لتسلمها الى عز الدين فرخشاه ابن أخى السلطان وكانت الشتوة صعبة ، وكان طريقنا على الرواديف وهى عقاب يتلوها عقاب وطرقها صماب وفي ذى القعدة من هذه السنة جمع عز الدين فرخشاه من رجال بانياس وما حولها من الأعمال من جرب عادته واجترأت عدته فصبح صغد صباح الأريعاء ثامن عشر الشهر قسبى وسلب وغنم وغلب وأحرق ما شاء الله وأخرب ومر مر السحاب وعاد بالسبايا والنهاب وأبت عناية الله نصر النصارى وإسلام الإسلام ، وشق بالاصباح سراير الاظلام . قال وفي العشر الأخير من شوال من هذه السنة خرج الأجل الفاضل من دمشق الى الحج وعاد الى مصر وكان عام أول سنة أربع وسبعين حج من مصر على البحر وجاء الشتاء .

ذكر وفاة الامام المستضى وخلافة الامام الناصر

رضى الله عنهما

قال : وفي هذه السنة وهى سنة خمس وسبعين توفي الامام المستضى بأمر الله فأظلمت الأضواء وبويع لولده الامام الناصر فأضاعت الظلماء ، وكانت البيعة صبيحة ليلة الوفاة وذلك مستهل ذى القعدة فأقرت القواعد وأمرت المعاهد وقد حضر الحجيج من المشرقين وامتلا الملأ بالمولين ، وتولى

عند البيعة المباركة ظهر الدين بن العطار ولاح بشره وفاح نشره وظن أنه قد تم أمره وعرفته مرضة أقعدته وعادية عدوى فأعدته وانتقل الى جوار الرحمة التي أعمال الخير بها وعدته وتمكن من الأمر في الخلافة الناصرية مجد الدين بن صاحب وكان رسولنا ضياء الدين الشهرزوري حاضرا فحضر وبايع وأخبر بحلية الحال وطالع وبادر السلطان الى الخطبة في جميع البلاد واهتزت بالسمة الشريفة أعطاف الأعواد ومضى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسمعيل من بغداد الى بهلوان رسولا وألزمه حتى خطب بهمدان واصفهان وعمت الدعوة الهادية بلاد خراسان ثم لمسا رجع شيخ الشيوخ جاء إلينا رسولا في سنة ست وسبعين وأخذ السلطان معه الى مصر وحج منها وركب البحر وأنعم مولانا الناصر لدين الله أمير المؤمنين/ (٢٠٠ ب) بأجراء رسمى وادرارى وهز أعطاف غضارى ، ومدايحى في أمير المؤمنين قد سارت في آفاق الاشراف انارات ومن جعلتها كلمة سيرتها سنة فتح القدس ومنها :

ورثت من سلفى رقى لطاعته	وذلك الرق للأسلاف احساب
ما كان لولا الرضا والسخط منه	لنا خصب ومحل واحدا واحدا
قد قلت لولا التقى ما غير صارمه	للممر والرزق مناع ووهاب
معهد بعمود المصباح بينهم	له من الشهب أوقاد وأطنا
أبشر بفتح أمير المؤمنين أننى	وصيته في جميع الأرض جواب
ما كان يخطر فى بال تصوره	واستصعب الفتح لمبا أغلق الباب
وحام عنه الملوك الأقدمون وقت	مضت على الناس أحقاب وأحقاب
نصر أعاد صلاح الدين رونقه	أيجازه مبلغ فى القول اسهاب
نفى من القدس صلبانا كما نفيت	من بيت مكة أزالام وأنصاب

قال ودخلت سنة ست وسبعين : وفي هذه السنة توجه السلطان الى بلد الروم وبلد الأرمن .

تكر السبب في ذلك

قال : كان نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود بن أرتق صاحب حصن كيف تزوج بابنة السلطان قلع أرسلان بن مسعود بن قلع أرسلان وهوى بغيرها وقد تزوج بمقتية وهو عليها يستخيرها ، وهى فى سر سترها وفى ضمير خدرها زهراء فى أوجها صابرة على جور زوجها تخفى بلواها

ولا تبدى شكواها وما ذلك لوجود شين أو لعدم زين فانها تالية القمرين وثلاثة النيرين سلجوقية النجار سلطانية الفخار . وكان زوجها للفساء المغنيات زيرا فقلبت عليه فمنهن نصف هو بحبها منصف ومن عيشه بملازمتها منصف وبمئادمتها مع الندماء منتظم مرتصف فاختر العجوز على الشابة وحسب أن الخطأ عين الاصابة ولكن الهوى ما عليه قياس ولا يتحكم من رجائه بأسى ولله في التوفيق مواهب وللناس فيما يعشقون مذاهب .

نعرف أبوها ما هى فيه من الضرة وأبت له عزة الملك الرضا بذلة المعرة فسرّح أهل الارغاب وأوضح سبل الارهاب وأبدل الأعصار بالأعصاب فبان قرار ابن أرسلان وعزب واضطرم بتوقى التوقع واضطرب .

وكتب سلطاننا صلاح الدين يستدنى اصلاحه ويستجدى انجاده وانجاحه وأرسل وتوسل وأعتذر عما يقال عنه وتصل فأرسلنا الى تلج أرسلان رسلا لاستكفاه وتحذيره عاقبة خلافه فكتب يهدد ويذكر الذنوب وينشر العيوب ويقول أبيت الحكم بينى وبينه ولا بد أن يدين ويؤدى دينه ولما صاهرته جعلت له قطعة من مملكته فاذا لم ينزل على حكمى فليعد الى ما كان بأسمى ولننزل عن تلك الحصون ليتحصن منى بالسكون فأجبناه بأنه لا سبيل له الى قصده وقد عاهدناه ولا يحسد عن الوفاء عن عهده فان تركته قبلنا المنة وان قصده ثنيا لنصرة الأعنة وكان ابن قرا أرسلان لقرية من بلاد حمية يخشاه ولا يرى من يحميه ورسله وكتبه اليها متواصلة متراسلة وهم جيرانه وأقاربه الأرتقية وغيرهم عنه متفاصلة متناصلة فحميت حمية سلطاننا وتحركت همته وتضمنت عزيمته وكان الفرنج قد جنحوا للسلم ودخلوا له فى الحكم فهادنهم وفدى ابن بارزان نفسه من الأسر (١) بمبلغ مائة وخمسين دينار صورية واطلاق ألف أسير من المسلمين وأحضر ما تهيأ له من المال والأسارى وأحضر رهائن على الباقي والباقيين وقرر على هو ابن القومصية مطيعة مبلغها خمسة وخمسون ألف دينار وخلص الأسارى المقدمون كل واحد بقرار فلما فرغ سره من جانب الشام سار بصدق (١٢٠١) / الاعتزام وعبرنا على حلب والملك الصالح بن نور الدين رحمه الله مالكا فمنعتنا من طروقتها مسالكها فجزنا على قرا حصار وعبرنا على

(١) فى الأصل : بالاسنة وكذا يستقيم المعنى .

تل باشر فأضافنا صاحبها بدر الدين دلدريم وهو سخي له الجسود والكرم
 ووصلنا الى رعبان وخيمنا على نهر يقال له كوك سو (٢)
 وزخرت بحار معسكرنا بأمواج القباب وانبساط الفساح القراب
 وجاء نور الدين بن قرا أرسلان وأخوه وامتزجت النفوس وابتهجت الوجوه
 ودارت الافلاك وتزاورت الأملاك واحتفل السلطان بضيافة القوم في سرادقه
 وتوشيع نمارقه فكون الاكوان ولون الالوان وجمع من مكارمه البر
 والعوان، وبسط الخوان وسماههم الاخوان وشرفهم بنفائس الخلع وحمل لابنى
 قرا أرسلان من الحصن والحجور الفريبات والاطواق والشخون والصياغات
 وأعمال الثياب المستعملات المصريات ما قوم بمائة ألف دينار وأما ما أخرجه
 من الخيل فلم يحرز بمقدار ولم يبق في معسكرهم راجل الا ركب ولا عيل
 الا أترب وقد نقلنا اليهم كل ما أصبحنا من أثاث ومتاع ومركوب وكراع ثم
 عمل ناصر الدين محمد بن شريكوه بن عم السلطان دعوة واقتدى بسلطانه
 في اظهار حسنه واحسانه ثم اختار عز الدين فرخشاى بن أخى السلطان يوما
 للقرى وأجزل جوده وبذل مجهوده بل موجوده . واعتمد ما دخل في الامكان
 من الاحسان وقرت بها ابداه وأبدعه عين عمه السلطان وما زلنا مدة المقام
 في سماح ورباح وارتياح للمنى وارتياح الى أن وصلت رسل قلج أرسلان
 ببذل الاذعان وجاء الأمر الكبير اختيار الدين الحسن بن غفراس وكان للملك
 الروم الركن والاساس واحضرنى السلطان وهو عنده وأنشأت باتفاقها
 عهدا أكدت بالشرايط عقده وانصرف هو وأصحابه بخلع سنايا وحسنت
 السجايا ، وأمنت الاذايا بتحف وهدايا ووثقت الالابا ووفقت القضايا .

(٢) في الأصل : كول سو . انظر الرضتين ٢١ — ١٦ . وقارن النوادر
 السلطانية ص ٥٤ يقول بهاء الدين : عرف ياقوت النهر الأزرق بانه نهر
 الثغر بين بهنسا وحصن منصور ببلاد الروم من جهة حلب ثم قال : نهر
 الأسود قريب من الذى قبله طرف بلاد مصيصة وطرسوس .

ذكر دخول بلاد الأرمن وفتح حصن الماتوية

قال : وكان مملك الأرمن بن لاون (١) فاستمال (٢) قوما من التركمان حتى يرعوا في مراعى بلاده بالأمان ثم صبحهم بغدره وحصلوا بأسرهم في أسره ، وكثرت شكاية المسلمين من نكايته فرأى السلطان أن الأولى دخول ولايته فسرنا بعساكرنا المنصورة وخيما على النهر الأسود ودمرنا على دياره بالدواير وبالقرب دنا على الجبل قلعة شامخة الذرى على رأس رأس مخفونة من نبات الافلاك بأحراش ، وهى من عتاييل المعازل محصنات الحصون ، وكانت في ضمير الجبل كالسر المصون فأضرمها الأرمن نارا ولم يحسب مع استفرادنا بداره قرارا فقصدناها وبادرنا الى اخراج غلاتها وإبراز مودعاتها فأشفع العساكر منها بالزاد واللف وارتفع عنهم مدة المقام ائثال المون والكلف وخاف الأرمنى ودخل الرعب قلبه فأرسل باطلاق الاسارى مذعنا وبذل من مجهوده فى الاسترضاء والاستعطاف ما كان ممكنا وكان الوقت متعسرا والقوت متعذرا وكان من لطف الله اذعان الأرمنى حتى عجلنا رحيلنا بالنصر السنى والعز الهنى .

وعملنا على أعمال حلب ، ووصلنا الى حماة فى العشر الأوسط من جمادى الآخرة ، ووصلنا الى حمص وخيما على عاصيها ، ودانت لنا عواصى الأمور ودنت قواصيها ، والمطالب قد أشرفت مطالعها ، والمآرب قد ملكت نواصيها .

قال : وجاء الفقيه المذهب بن أسعد الموصلى بمديحه على الرسم وكان غزير الفضل وافر العلم ، ورسمه كلما عبر السلطان بحمص مائة دينار مصرية وخلعة مئنة فمما مدح به السلطان قصيدة مطلعها :

أما وجفونك المرضي الصبح	وسكرة مثلتيك واثت صباح
وما في فيك من برد وشهد	وفي خديك من ورد وراح
لقد أصبحت في العشاق فردا	كما أصبحت فردا في الملاح
يقرب جوده أقصى الأمانى	ويضمن بشره أسنى النجاح

(١) فى الأصل : لازر .

(٢) فى الأصل : استمال .

ومبستوط بنسيلة يداه اذا انقبضت به أيدي السمح
فمن هرم وكعب وابن سعدى رعا الشاء والنعم المراح
(٢٠١ ب) /جواد بالبلاد وما حوته اذا جادوا بألبان القسديح(١)

نكر وفاة شمس الدولة أخى السلطان

فى هذه السنة

قال : وتوفى الملك فخر الدين شمس الدولة تورانشاه أخو السلطان
بشعر الاسكندرية فى المحرم سنة ست وسبعين ووصل الخبر والسلطان
بظاهر حمص فجاد مزن حزنه بالقطرات ، وفاضت عين عينه بالعبرات
وتقلص ظل صبره وتنقص ورد عمره وخلا ذلك اليوم فى بيت خشبة يندب
فضل أخيه فى كرمه وحسبه واستدعى كتبا فى المراثى مثالا يتأملها ، وكان
كتاب الحماسة على حفظه فدام ينشد أبيات مراثيها ، وينشد ضالة معانيها ،
وهو يتأسى ويتأسف ويتلهب ويتلهف .

وكان شمس الدولة أكبر أخوته قد فضلهم بجوده وفضله ومروته ،
وهو لا يبقى مالا ولا يذر وكم اقتضت من غرايب رغايبه وأبكار مواهبه
العذر . ولما ملك صلاح الدين مصر رأى أن تلك الممالك لا تنفى بمكارم أخيه
وان كل من يدخر لهم جوده لا يبقيه فجهزه الى اليمن فى سنة سبع وستين
ففتح بلادها وحاز طرافها وتلادها ثم لما ملك الشام استدعاه وجرى من
الأمر ما ذكرناه ونوابه فى زبيد وعدن وسائر بلاد اليمن جازون على السنن
ويحمل اليه من أمواله ما يحمله عن خزائنه الجود على أنه يضيق عن همته
السحة الوجود .

وودعه فى آخر سنة أربع وسبعين وسار الى الديار(٢) المصرية وحكمه
فى أعمال ثغر الاسكندرية وانفتحت وفاته بها . قال : ولقد كان مقبلا على

(١) قصيدة طويلة وردت فى الروضتين ١ ٢ — ١٧ والكلمة الأخيرة فى
البيت الأخير وردت اللقاح .
(٢) فى الأصل : ديار .

ومايلا الى ولى فيه (١) مدايح ومنها مدحة خدمته بها عند وصوله من اليمن ولقائه للسلطان في حماه يوم الثلاثاء ثانی صفر سنة اثنتين وسبعين وانشدت يوم السبت سادسه بالمخيم في الميدان وهى التى اولها :

صب لتذكّار أهل الجزع ذو جزع اطاعه دمعته والصبر لم يطعم
وكان يطمع في طيف يلم وقد بان الرقصاد فما في الطيف من طمع
يا لا يما يدعى نصيح المحب ولم يترك له وجده مسـمعا ولم يدع
اتعبت نفسك تنهى غير متبع حكم الملام ويلحى غير مستمع
أن يجدى لومى فكم في الجود عاشقه تورانشاه كلانا غير مرتدع
هو الجواد الذى عشق السماح به أفضى الى امد في الجود مخترع
ياريدا للخصب أن تقصد ذراه تجد فى ظله خير مصطاف ومرتبّع

قال : وكتب شمس الدولة الى السلطان قبل وصوله بخطه كتابا ضمنه هذين البيتين :

كتبت ولولا أن قلبى واثق بقرب التلاقى وما حوته الاصابع
ولو لم أعد انسان عيى فانه يراكم سريعا غرقته المدامع

فسألنى الملك الناصر أن أجيزهما ليكتب اليه فقلت :

بنفسى وما أحوى وروحى ومهجتى كتاب لأسباب الفضائل جامع
يخبر عن قلب حوته أضـالع ويوم النوى قلبى نفته الاضالع
ومن عجب انسان عيى ظاميا وقد غرقته في الميـاه المدامع

فلما وصل شمس الدولة الى تيمنا وقرب من الشام نظم شاعره المعروف بابن المنجم جواب الابيات وكتب :

ولبيته لما دعائى منازعا بنفسى ومالى والمشوق منازع
وانى بيوم واحد من لقائه على عظم المزية بايع
(٢٠٢) وما الملك الا راحة انت زندها يقنم على الدنيا ونحن الاصابع
فيا برق طالعه بانى واصل اليه وان طال التردد راجع

فأحضرنى السلطان عند وقوفه على الكتاب وحثنى على نظم الجواب وذلك يوم أول (١) شوال واعتمدت لسرعة أمره الارتجال فكتبت قصيدة طويلة كتبها اليه ومنها :

تألق برق مى تهامة لامع يبشر أن الله للشمل جامع
يحاكى خفوق القلب منى خفوقه فهل راعه مثلى من البين رابع
لقد طال ليلى . لا انتظار صباحكم فهل لتبشير الصباح طلائع
صفت وضفت فى الجود منك وفى العلى مشارع بالحسنى لنا وبدائع
كانك شمس الدولة البدر بيننا ونحن حواليك النجوم الطوالع

قال : ولما أقام بدمشق وفد الى جنابه الوفود وافنى موجوده الجود وشفه بالواردين بحر عطائه المورود ، وما زال يفكر فى اطلاق ما يليق الى من الجائزة ففرض لى من فرضه عذاب مواهبه الغراب وأمر فى توقيعه بها النواب وحسب ما أعطانى العطاء الحساب ، ولم يكن قط فى توقيعه تعويق فقلت : قد أحالنى البحر على عذاب ودونها مهامه اذا قطعها الحديد ولم يع ذاب ومن لى بها ومن لاستدنائها وتقريبها فقتيل لى أدنى هباته من أقصى اليمن وعذاب على كل حال أقرب من عدن فأدرجت التوقيع فى كتاب الى المولى الفاضل وأودعته الخريطة السلطانية وثوقا بالوصول فوصلت الى مصر وقد سار على عزم الحج على طريق البحر فسرت اليه تلك الخريطة فاتفق وصولها ساعة ركوبه بحر عذاب فتسلم الكتاب وأحضر النواب وعرض التوقيع وفض الجميع فما رأيت عطاء منه أهنا ومن المن والأذى أبرأ وما عرفته الا من العوارف الفاضلية .

ذكر وصول الرسل من الديوان العزيز

قال : وفى رجب سنة ست وسبعين وصلت رسل الديوان العزيز الامامى الناصرى وهم صدر الدين شيخ الشيوخ ابو القاسم عبد الرحيم ومعه شهاب الدين بشير الخاص بالتفويض والتقليد والتشريف الجديد فلقيناه بالتعظيم والتمجيد . وقد عرف السلطان ما بينى وبين شيخ الشيوخ من الأواصر الموشجة المتأرجة واللحمة المتأرجة فان أولاده من ابنة عمى العزيز فأمرنى بالوصول اليه والمبيت عنده ليلة وصوله الى

(١) فى الأصل . من وكذا يستقيم الكلام .

القصر فخرجت اوان العصر ودخلت اليه وسلمت عن السلطان عليه وبت طول ليلتي أسامره وركبت سحرا من عنده لأسبق بالدخول وأخبر بالوصول فجنئت الى السلطان وقد ركب للاستقبال ولما ترأى الرسل الكرام ووجب لهم الاكرام والاعظام نزل وترجل وأبدى الخضوع وتوجل ، ونزل الرسل اليه وسلموا عن أمير المؤمنين عليه فتقبل الفرض وتبيل الأرض ثم ركبوا ودخلوا المدينة وانزلوا بنزلهم السكينة وانشرح الصدور واستبشرت الوجوه بصدر الدين وبشير وظفر السلطان من صدر الدين بصديق صدوق مشفق مشير ، وكان قد عزم على تصد الديار المصرية وسلوك طريق ايله والبرية فحسن لشيخ الشيوخ مصاحبته ، ورغبة في زيارة الشافعى فقال قد عزمت على الحج فأقبلوا عذر المحتاج المحتج ثم قال : أصل معكم الى القاهرة بشرط اقامة يومين ولا أدخلها وانما أسكن القرية الشافعية فأنزلها وأسير منها الى بحر عيذاب وأركبه الى جده فطلى أدرك صوم رمضان بمكة وأغتم وأقيم وأقضى الحج اذا حل موسمه فأجيب الى المقترح واعاد السلطان أصحابه الى بغداد لياتوه من أبيتها الى الحجاز ، وسير السلطان شهاب الدين بشيرا في جواب رسالته على رسم عظمة الديوان العزيز وجلالته وسار معه رسولنا ضياء الدين الشهرزورى لهدايته الى المرشد ودلالته واستصحبنا شيخ الشيوخ معنا الى مصر فأقام يومين كما ذكر وتوجه منها الى مكة على البحر فأدرك بها الصوم .

(٢٠٢ ب) / نكر الرحيل الى مصر يوم الاثنين ثامن عشر رجب

والوصول الى القاهرة ثالث عشر شعبان

قال : ولما عزم السلطان على التوجه خص ابن أخيه عز الدين فرخشاه بالنيابة عنه بالشام وقلده أمر أجناده وأعماله بسائر أحواله وشحذ عزمه وانفذ حكمه . ولقد كان عزيز المثل عزيز الفضل معهود الضريب محمود الضريبة مخصوصا من قبول القلوب بالمهابة المحبوبة والمهية المحبة .

ولقد جرت مدة ابلاته احوال دمشق على احلى حالة وله عندى ايد وغايات فى المكارم ومباد ولى فيه مدايح طالت قصائدها وجالت فى الاعناق قلايدها وانكر فى هذا الكتاب ما هو شرطه ورسم شرحه وبسطه وكتب

اليه يوم توديعه كلمة شينية عظم شأنها وتمم بالاحسان احسانها وسير
لى مع فروة واكديش عطاء لم يترك اسراعه للحمد ابطاء ومن أبياتها :

اسأل الله العلى ان نعيشى ألف عام لنصرة مستجيشا
رعبكم يقطع القلاع ويضخى الرعب ههنا للحمد من بأسكم منقوشا
ما اكرى شيئا سوى فروة منك وأبقى لسفرتى أكديشسا
كيف يخلو من ذى ظهر وظهر سالك طرق ايله والمريشسا

قال : ولما نزلنا ببصرى الى مصر متوجهين جلست فى خيمتى وحولى
أصدقائى المودعون مجتمعون فقال أحد الجبالين قد وقف لى جبل وما لنا
فى صحبته أهل غايغ جهلا نبتاعه والا فقد حصل على الأرض متاعه . وعندى
صديق قام وغاب وتركى أخطب فى شبرى الجبل الأصحاب ثم عاد سريعا
ومعه ثلاثة من حجاب ثلاثة من الامراء المودعين وقالوا سمعنا بابتياحك
الجبال لحمل الأتقال ، وقد أتينا بخير ما عندنا من الجبال فمعرفت أن ذلك
الصديق قام وقصدهم وقال : ان كنتم تريدون أن تتقربوا الى فلان بما
يقبله فسارعوا الى اهداء الجبال له فشكرته على هذه الكرامة ونسقتها
فى عقود مكرماته المنتظمة وهذا الصديق المعروف بموفق الدين أبى يعلى
حمزة العنزى من أعيان حماة وأماثلها . وكان ذا همة تروى المكارم من
مناهلها وأراد فى تلك النوبة أن يصحبنا الى مصر فاحتاج السلطان الى من
يعول فى الرسالة عليه الى الموصل فنصصت عليه وأحضرتة للمشافهة بين
يديه فكتب له وودعته وسرنا وسار وشب شوق الأحبة فى القلوب النار
ووصلنا القاهرة على طريق ايله ثالث عشر شعبان واستقبلنا أهلها والملك
العادل أخو السلطان حينئذ بمصر ناييه وتلقنا مواكبه ومواهبه وخدمته
بكلمة منها :

أحبة قلبى طال لىلى بعدكم أسى فمتىلقى بوجهكم الفجرا
فقدت حياتى مذ فقدت لقساكم فهلا أخذتم فيه من ناره حذرا
أقد عاد أنسى وحشة بفراقكم فهل لحياتى منكم نشاة أخرا
سكنتم فؤادى وهو فى نار شوقكم كما عاد عرف الدهر بعدكم نكرا
وقد كنت مغترا بأيام وصسلكم ولا يأمن الأيام من كان مغترا
قطعنا الى بحر النداء بحر قلزم ومن قصد بحر النداء يقطع البحرا
الى عزمة فى المجد غير قصيرة وكان قصارى امرنا ان نرى القصيرا

قال رحمه الله : وفي أوائل سنة ست وسبعين توفي صاحب الموصل وهو سيف الدين غازي بن مودود بن زكي ونحن مقيمون على كوك سو من حدود بلد الروم وجلس مكانه أخوه أحمد عز الدين مسعود بن مودود بن زكي فجعنا رسول مجاهد الدين قايماز وهو الشيخ الفقيه فخر الدين أبو شجاع ابن الدهان البغدادي يلزمنا بحكم اليمين مع سيف الدين وقد سير معه بنسخة اليمين التي حلف بها السلطان وفيها ابقاء سيف الدين على ولايته وأنه لا يغير على نوابه وأخوته . وقال هذا أخوك (١) الذي حلفت أنك لا تغير عليه فبأي تأويل تقبض ما في يده فقلنا أما تلك اليمين فانها منوطـة باتمام الحياة ولا يلزمنا الوفاء بها بعد الوفاة / (٢٠٣) ونحن نرى رأيـنا فيما نعتمده ونحله في الأمر ونعتقد ، ونطالع الديوان العزيز النبوي أعز الله نصره ونمثـل في ذلك أمرنا واعدنا الرسول على عادة الأكرام بالتشريف والآنعام ، وشرعنا في العود الى دمشق واليقين من الله بتسديد مرامي المرام .

قال : وأقام السلطان بمصر مشتغلا بمصالح الدين والدولة مشغـلا من نعم الله على التفضيل وبالجملة محتفلا بمجالسة العلماء ومذاكرة الفضلاء والجلوس في دار العدل للمظالم وكسر المحامد بالمكارم ونحن في لهية وعيشة رغدة بل هنية . قال : وفي هذه السنة عريت كتاب كيميـاء السعادة (٢) تصنيف الامام أبي حامد الغزالي في مجلدين وفزت من تعريبه وعلم ما فيه بسعادتين وذلك بأمر فاضلي لزمـنى أمثاله وشملنى في اتـمامه اقباله . قال : وفي سنة ست وسبعين مات صاحبى المعتمد ابراهيم (يدمشق وأنا بمصر) (٣) وفجعنى مصاب كمصابه وفل ثـبا صبرى لفل شـبا شبابه وقد كان بمصالحى كافلا وجهده في صون حوائجى باذلا خدمنى في أول أيامى بالعراق وفراسة والدى رحمه الله دلت على ما وجدته فيه من الإشفاق ومما رثيته به تصنيـدة أولها :

أرى الحزن لا يجدى على من فقدته ولو كان فى حـزنى مزيدا لزدته

(١) فى الأصل : أخوه وكذا يتطلب السياق .

(٢) قارن الروضتين (١) ج ٢ ص ٢٠ . انظر أيضا دائرة المعارف

الإسلامية (٢) مقال الغزالي .

(٣) فى الأصل ما بين الحاصرتين مطبوس والضبط من الروضتين ١

ج ٢ ص ٢٠٠ .

تُفترت الأحوال بعدك كلها فلست أرى الدنيا على ما عهدته
عقدت بك الأمال بالنجح واثقنا فحلت يد الأتدار ما قد عقدته
أردت لك العمر الطويل فلم يكن سوى ما أراد الله لا ما أردته
فيا وحشتا من مؤنس قد عدمته ويا وحشتا من صاحب قد فقدته
فقدت أحب الناس عندى وخيرهم فمن لايمى فيه إذا ما أنشدته

قال : ودخلت سنة سبع وسبعين

والسلطان مقيم بالقاهرة ، والايام ظاهرة الليالى زاهرة ، والدولة
العالية ضاحكة المباسم مالكة المرامي مهتزة الاعطاف ، معتزة الأطراف ،
سنية اللطاف ، والانعم مستمرة مستقرة ، والاعين قريرة والالسن مقرة ،
وانامل الانام بالنداء الى الله مرفوعة ، وادعية الصالحين فى ذمام دولته
مسموعة ، ولرواية الأحاديث النبوية رواء ، وللارواح من أورادها ارواء .

وكان البندى المسعودى فصيح الحجة ، صبيح البهجة ، عالى
الرواية ، حالى الدراية يؤدى بقراءته رواية الصحاح صحيحة ، وتسمع من
الفاظه الفاظها الفصاح فصيحة وتسمع من الفاظ السلطان قد عين له
للسماع ميقاتا وجمع به من العلم والعلماء اثنتان فما أحسن شـمـايله
وأشمل محاسنه وأزين محافلـه وأحفل مزايينه وأمكن فضايـله وأفضل
أماكنه .

قال : وفى هذه السنة ورد كتاب عز الدين فرخشاه من الشام يذكر
ما من الله تعالى به على الانام من الانعام ، وإن ولادة التوم كثرت فى هذا
العام فأنشأت رسالة توامية أصدرتها الى الاجل الفاضل فانه يعرض فى
سوقه بضاعات الفضائل ومنها :

لئن أنتم العام بالحنين وأتى بالحسنين فما زال لكل قد توأما فللعـدل
العمران وللدهر القمران وللسماء سوى توأميها الفرقدان وللارض « مرج
البحرين يلتقيان » (١) لكن الزمان لم يزل بمثل مولانا الفاضل عقيما ولولا
صحة فضله وحصاة فضاله لكان الدهر سقيما فهو واحده وأوحده وماجده
وسيده وبراعته أم البراعة (٢) قد أنامت ملكى مصر والشام وعززت من القن

(١) سورة الرحمن آية رقم ٢٠ . (٢) فى الاصل : البراسة .

بثالث بين الاسلام ، والملك تواماہ الناصران فبأس الباسل العباسى بالامانة
كفيل وجود الماجد الايوبى فى نيابته وكيل ، والمال والنصر تواما نمت فخره
وتميما نحت نجره ، وكوكبا سعد فخره ومركبا جاش حزمه وموكبا جيش
عزمه وكذلك النظم والنثر (٦) تواما الفضل ومولانا الفاضل مربيهما ، وهما
نجيبا بنانه وجنينا عنانه وانسانا عين بيانه فلا جوار لهما من جور عناد
الدهر الا عنده ولا رواح لرجائهما بين كرام العصر الا فى سوقه ومجده .

(٢٠٣ ب) نكر وفاة صاحب حلب الملك الصالح رحمه الله

قال : قد سبق ذكر الملك الصالح اسمعيل بن الملك العادل نور الدين
رحمه الله ، وانه اقام مقام أبيه واقام عند وصول السلطان الى الشام
على تأييده . وكان قصد صلاح الدين اصلاحه وان يضمه اليه ويضمن نجاحه
وفلاحه فصد عنه ممالك كفلوه فأخذت بلاده كلها بلجاجهم وفرضت دولته
لسوء علاجهم فامتنع بحلب وبعد عليه من استعادة البلاد ما طلب ولم يزل
بحكم المسئولين عليه مكفولا ولا يجد لحلف رأسه عقولا فأسرعت شمس
البازغة افولا وسعت سعادته عنه قفولا .

ووصل صاحب الموصل عز الدين مسعود الى حلب فجمع ظاهره
وباطنه وأخذ خزائنه وأخرج دفائنه وأخلى كنفائه ثم عرف أنه لا يستقر له
بها أمر فرغب أخاه عماد الدين زنكى صاحب سنجار فى تعويضها له بحلب
فمال الى بذله ورغب وتسلم حلب وسلم سنجار واقام فى رغد لو أمن الجار .

ولما سمع السلطان بوفاة الملك الصالح فى مصر تحرك عزمه واحتد
أواره وندم على النزوح من الشام مع قرب هذا المرام وشرع فى جد الاهتمام
وصدق الاعتزام وكتب الى ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه وهو
يقولى له المعرة وحماه وأمره بالتأهب والربوض لفرصة التوثب وكان ناييه
بدمشق عز الدين فرخشاه قد نهض فى مقابلة الفرنج فان الابرنس الكركى
كان يحدث نفسه بقصد تيمنا فى البرية وأعد لذلك الأزواد والروايا مع
السرايا السرية فحركت عز الدين دواعى الحمية وبواعث النخوة الدينية
فعرف السلطان اشتغاله بذلك المهم وانه لا يتفرغ لدفع الملم فشد عزائم
نوابه بالشام بتجديد المكاتبات لهم وبعثهم على الاستعداد وحملهم (١) وكان

(١) فى الاصل : وحمايم .

الأمير معين الدين عبد الرحمن بن صاحب راوندان (٢) فى حضنه وهو يشتد بركنه فكاتبه بما أرفه حسه واستشف فى المساعدة جده .

فصل من كتاب اليه من مصر فى أواخر شعبان سنة سبع وسبعين وقد عرف ما تجدد من وفاة صاحب حلب وهى ولايتنا التى لا ننثى عنها عنان الطلب فاتها فى تقليدنا بأمر أمير المؤمنين وما تركناها للملك الصالح بعد التصرف فيها وحصول حصونها ومعاقبتها فى أيدينا الا رعاية لحقوق أبيه ورغبة فيه ، ولا مانع اليوم عنها الا من يمين معقودة ولا عدة معهوده ، وقد وفينا المتوفى بعهد والآن فقد سفر لنا وجه الحق وبان ودنا لنا مصعبه وأصبح ودان . وولدنا تقى الدين هناك بالقرب وعساكره جارية على حكمه وعزيمتنا معقودة بما هى عزمة فلتكن ايديكم متساعدة متعاقدة والقلوب واحدة .

ومنه ومعين الدين ينهض بنفسه ويمسكه ويؤثر فى هذا المقام حسن اثره ويعمل عمل المرء لنفسه وينتصف ليومه من أمسه .

وقال : وحررت فى المعنى مكاتبة الى الصاحب مجد الدين استاذ الدار العزيزة فى منتصف شهر رمضان سنة سبع وسبعين . ومنها أصدر مملوك الدار العزيزة ثبت الله قواعدها وشدها بعزى النصر بمعاقد سعادها مطالعته التى أعرب فيها عن صاحب الموصل فانه طمع فى جانب وطمح اليها ومد يد التعدى بالاحتواء عليها ونكث الايمان البرمة ونقضها وترك المراقبة التى فرضها الله ورخصها وأن حلب وأعمالها داخله فى ولايتنا التى يشهد بها شريف المثال وينطق بحقه المنشور العالى الموقع له من به العظمة والجلال . ومنها ورسوله الى الفرنج يستجديهم فى شغلنا ويغريهم ويبدل لهم الرغائب ويضربهم وقد راسل الحشيشية والمراد من الرسالة غير خاف والعلم بالمعتاد منها غير كاف وما تهيا للمذكور الوصول الى حلب الا بسبب غيبة ابن أختنا فى أقصى بلاد الفرنج فى أول برية

(٢) الراوندان . قلعة حصينة وكورة طيبة ممشبة من نواحي حلب ، معجم البلدان ٢ - ٧٤١ .

ثيماً (١) وهى دهليز المدينة على ساكنيها افضل السلام واغتنم كون البرية معشبة فى هذا العام قففا ابن اخينا اثره ومنع الكافر المخذول وصد قصده ولم يعلم بوفاة ابن نور الدين رحمه الله الا بعد عودته ومن العجب أن نحامى عن قبر النبى صلوات الله عليه مشغولين بمهمة والمذكور ينازع فى ولاية هى لنا لياخذها بيد ظلمه وكم بين من يحارب الكفر ويحمل اليهم قواصم الأجل وبين من يتخذهم بطانة دون المؤمنين وتحمل اليهم كرايم الاموال وبين بعيد من دار الخلافة المعظمة يفترض الطاعة / (٢٠٤ أ) ويستفرغ فى مرضيها الاستطاعة ، وبين آخر يدعى انه اقرب جيرانها ولا يمت بل لا يموت الا بعصيانها وكل يعمل على شاكلة أصحابه فهو يمرى بيد المرير اخلاقا خلفه ونحن لا ندين الا بطاعة الامام ولا نرى ذلك الا من أركان الاسلام هذا مع ما نعد من سوابق فى الملة الحنيفية والدولة الهادية العباسية لا يعد مثلها أولا لابی مسلم لأنه أقدم ثم عام وأمال ثم آلام ولا احرا لطفر لبك فانه نصر ونصب ثم حجر وحجب وقد عرف ما فضلنا الله به عليهما فى نصر الدولة وتطهير المنابر وحسن الادعاء واطلاع أنوار السمات الشريفة كاشفة لظلمة تلك الاسماء وانارة صباح الهدى بعد امتداد رواق الضلالة والمذلّة الظلماء ولم يفعل ما فعل لأجل الدنيا فأجزا منه بالحسنى طولع فى الأخرى غير أن التحدث بنعم الله واجب والفجج بالخدمة الشريفة والافتخار بالتوفيق شيها على سجيته غالب ولا غنى عن بروز الأوامر الشريفة الى المذكور بأن يلزم حده ولا يتجاوز حقه فلا ولاء بذله من خليفة يقترب بها المضاد ولا وراثة له فى أرض الله فان الأرض لله يورثها من يشاء ، فان أطاع وأتاب ورجع عن الخطأ وعاود الصواب والا فما قصدنا الا أن نقاتله وهو لأمر الخلافة المعظمة مخالف ونحن طابعون والمشار اليه متصامم (٢) ونحن سامعون .

ومنها فان جنى جان على الدولة العباسية بالنيابة عنه فى ذلك لا يقرب عن دخل معتقده وتكذب نهج الحق وجوده فالأولى تقليد المذكور جميع الولاية فان دخول الأيدى المختلفة من الاعداء شاغل ويحتاج الى مفرم يثقف فيه العمر بغير طایل وبقاؤنا فى هذه الدار القليل اللبث التصبر

(١) بليد فى اطراف الشام بين الشام ووادى القرى على طريق حاج الشام معجم البلدان ١ — ٩٠٧ .
(٢) فى الاصل : متصايم .

المكث يؤثر أن نفتنهم في الخدمة الشريفة النبوية والطاعة الامامية في مجاهدة العدو الكافر الذي صار له البيت المقدس محلا للارجاس ومضت عليه دهور وملوك لم يحصلوا من رجائهم تطهيره الا على اليأس . هذا وما بنا بحمد الله قصور عن أن نصده عن قصده ونرديه ثوب العجز برده ونكيل له بضاعة ونعثره في عثر اسراعه وقد طالع الديوان العزيز بطيه مستشفعا ولشرح قصته مستوفيا ولعذره في جميع الاحوال مبليا ولا غنى من نظره السامى ليكون للاحوال متوكيا ولراية الحق معليا لازال لذخاير الحمد مقتنيا ولقواعد المجد مبينا ورأيه أسمى .

قال رحمه الله : وفي هذه السنة سنة سبع توجه الابرنس بالكرك الى ثيما وتقرب من المدينة النبوية على ساكنها السلام فشهد عز الدين فرخشاه واستعد ووجد التوفيق الالهى وجد وتوغل في البرية وما زال على مقابلة الابرنس حتى نكس ذلك اللعين على أعقابيه وأذله عز الدين بحق باسه فبطل ما كان في رأسه (١) .

وقد جرى ذكر ذلك في الكتاب الذى انشئ الى الديوان العزيز وأعرب عنه باللفظ الوجيز . قال وفي هذه السنة توجه السلطان الى ثغر الاسكندرية وخيمنا عند السوارى وشاهدنا بسنا قدومه أشعة زند الاقبال الدارى وشاهد الاسوار (٢) التى جددناها وأمر بالاتهام والاهتمام بالاحكام .

وقال السلطان : نفتنم حياة الشيخ الامام أبى طاهر بن عوف وهو اسمعيل بن على بن عوف فحضرنا عنده وسمعنا عليه موطأ مالك بروايته عن الطرطوسى في العشر الاخير من ثوال . وتم له ولاولاده ولنا السماع والوالى بالثغر المحروس فخر الدين قراجه وقد أرتفعت بحسن سيرته عن تلك البلاد السهاجة . وفرعنا مفارة الاسكندرية وقضينا منها عجا وخرجنا من البلاد ولم نقض على الكمال اربا وعدنا الى القاهرة في ذى القعدة وشرع السلطان في الاعداد لسفر الشام واستصحب العسكر الهام وضربت على البركة بالبركة مضاربة وكتب بحركته الى الافاق وتحركت كتابيه فكتبت مناشير البلاد وتسم عسكر مصر تسمين فقسم في ثغورنا بحكم الملك العادل

(١) في الاصل غير واضحة وكذا من المرجح .

(٢) في الاصل : الاسواق .

وقسم في الصحبة ووصى كلا من المقيمين بملازمة النفر الذي هو فيه ، وأمر بهاء الدين قراقرش باتمام السور الدائر على مصر والقاهرة ، وأمره بمواد العدد الواهرة وأقام الى آخر السنة للحل والعقد والابرار والنقض وسيأتي ذكر رحيله في آخر السنة ان شاء الله تعالى .

ذكر آفة ضيافة

قال رحمه الله : كان الامير مجد الدين سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ لشمس الدولة نايبا بزييد ثم استقاله وانفصل وناب بزييد أخوه حطان وكان قد ابتاع من السلطان الناحية المعروفة بالعدوية وعدل أحوالها بالعمارة السوية وهو من أهل (٢٠٤ ب) المجد والأبوة والفضل والمروة وكانت بينى وبينه صداقة بصدق العقيدة معقودة ومقاربة بزمام النسب الأدبى والحسب العربى مقودة وربما أقام بالعدوية أياما وهى ذات جنان وعيون وأفنان وحدائق فاخرة ، وهى على الحقيقة جنة القاهرة فدخلنا اليه بها يوما وذلك في أول السنة فمضينا في جمع من الأفاضل منهم شمس الدين ابن الفراش قاضى العسكر ، وموفق الدين أبو يعلى حمزة بن الحسن العنزى وجمال الدين الفقيه والشاعر أبو على الحسين بن رواحه حتى قربنا فقربنا القاضى واستقبلنا وتلقانا فوفى كلا حقه من السلام والترحيب والاکرام وترجلنا ودخلنا دارا دارت له الاقدار بالاقدار ووردنا عذبا عدا لم تطرقه يد الاكدار واجلسنا في الرواق كالمملوك والماليك في الروق قيام واستيقظ لحظنا ناظر الدهر وصروفه عنا نيام ، وما زلنا في جد ومراح حتى طما على نهر النهار من الليل السيل وجر على الاتفاق من جلابيب غياهبه الذيل فازهرت نجوم الشموع في أبراج تلك الأروقة واشرقت شمسها للشموس المشرقة وما منا الا من زكت أثمار غرسه وذكت أنوار شمسه ونثرت عقود نظمه وكثرت نقود فهمه حتى تبسم الصباح وسعت ينابيع النور من ساحل لجة الديجور فأصبحنا على ما أمسينا عليه من جوار وار وشعار من العار عار . وقال الامير الأديب : ما تقولون في نزول النيل فقلنا : لأمرک الاتباع وحكمك المطاع فركبنا عثساريا مخضت بالمحاسن عثساره وأغرب من نجاره العربى نجارة فتوسطناه شموسا والبدور على الاطراف والماليك محيطة بشرافاته المحيطة بالاملاك والاشراف ، وأنفاس الصبا تصبى النفوس وشموسه الحجال تحجل الشموس والركب صاعد ونازل والراكب جاد وهازل ، وعندنا كل طيب وطاهر وبهي وباهر وزام

زاهر ثم استوت السفينة واحوتت عليها السكينة وملنا للخروج وعدنا الى الجلوس وقتلنا : قد اطلنا واحجرنا واملنا واضجرنا فان اذنت فحلف اننا لا نقوم بل نقيم وأنه يتكلف بكل ما نروم ولا نريم ، فذبح من الغنم قطيعا ، وصنع قري وسيما ، ثم رأينا اننا نستريح بالقيولة لعزم البيتوتة فقمنا وقتلنا ومال بنا الكرى وملنا ولم ندر أن النور غيور والأصل عثور فما شعرنا حتى ايقظنا الارتياح والارتياح وتقطعت بالمتواصلين الاسباب وأصحاب الامير تشاوروا وتشوروا فقلنا ما الخبر وهم غشا صفونا الكدر فقالوا هذا الامير قراقوش قد احق ببسيطة هذه الحديقة لقبض الامير وقد شغلته مسامرة الحادثة عن الحادثة السمر ففرقنا وتفرقنا وركبنا اذ انكبنا ونتمنا ولا عطف أحد على أحد ، ولا أخذت يد بيد حتى عدنا الى القاهرة متأسين متأسفين ملتهبين ملتحنين ، وكل من يلقتنا من اصديقائنا يغبطننا بالمداعبة ويقول كنتم على الامير مبارك مباركين فلم لما اخذ كنتم له تاركين وهلاك كنتم في المكروه له مشاركين فنقول : هذا قدر محتوم وسر للفيب مكتوم ، وشاع عند سلطاننا سره واعجبه امرنا وأمره ونقول ما أسفنا على تلك الحلاوة التي مرت ومرت والطلاوة التي سادت يوما بعدما سرت واحمدت العقبى ووجدت العقبى .

ذكر السبب في القبض عليه

قال كان خواص السلطان اذا خلوا به ذكروا المذكور وان له الذخر الوفور وانه استوعب أموال زبيد واقنى الاماء والعبيد ، وكثر كنوزا تأبى أن تبيد ولو حضرت ملأت البيد فيقول ما عليه سبيل ولا لما تذكرون دليل ، وقد اغناه الله في دولتنا فلا نفقره ، وعظمه بعظمتنا فلا نحقره ، فكانوا يتمتعون من هذا الحديث ، ويتقولون عليمه الاتاويل ، ويحققون فيه الاباطيل الى يوم الدعوة العدوية ، واشتغاله باشغالها وتحوله اليها لاحوالها ، واستدعاء آلات من البلد واحتفاله بجمع المطرف والمتلد . فقالوا للسلطان أن سيف الدولة اليوم في مهمة عظيمة وحث عزيمة ونهز هزيمة ، فان لم تدركوا مات ، وهيئات هيئات ، فأمر بهاء الدين قراقوش بأن يعدى الى العدوية العدوى وأن يركب (١) الجد في احضاره وجدوى فجاءه فجأة على تلك الحالة ولما رأنا عنده عرف اختلال تلك المقالة فاركبه على عادته الجميلة

(١) في الأصل ركوب وكذا يتطلب السياق .

وعزته الجلييلة ونحن معه/ (١٢٠٥) وللامير قراقوش عاتيون وسرنا الى العصر حتى وصلنا الى القصر فأفرد الملك العادل له فيه دارا ورتب له ولاصحابه من وصايف الطعام والشراب ادرارا فسمح السلطان خاصته بثمانين ألف دينار ولم يظهر فيها بيع متاع ولا استدانة عقار وعزم لاخوى السلطان الملك العادل وتاج الملوك ما حافظ به على نهج كرمه المشكور (١) وخرج مشرفا مكرما وزاد السلطان فى تكريمه ورفع مرتبته ونفذ اليه خط يده بان المبلغ دين فى ذمته ثم باعه املاكا بمصر بثلاثين الف دينار وبذل له كل ما طلب عن ايثار واختيار.

وكان هذا الامير من رجاحة عقله وحصافة فضله ما سمعت منه قط شكوى ولا حكاية فى بلوى ولا قتل أخوه حطان بزبيد وأخذ ماله فلم يظهر للسلطان منه كراهة وكل شيمة نراهة ونباهة قال ومما أنشدنيہ لنفسه قوله فى حال أحضرت .

وهيأ ما زالت عساكر حسنہا	تغير على العشاق نارة نائر
لہا فی احمرار الخد خال موزد بہ	خضرة شقائق النواظر
نقلت لہا ماذا النجیع الذی اری	وہل صیغ خال قبلہ من جواہر
نقلت وقد لاح الحیاہ بوجہہا	حالت جیوش البحر بین الجاہر
سفکت دماء وانستقت مزاہرا	فما ذاك الا من دم ومزایر

قال وفى هذه السنة تقرر مع سيف الاسلام ظهير الدين طفتكين بن أيوب أن يمضى الى بلاد اليمن وزبيد وعدن ويقطع (٢) بها الفتن (٣) ويتولاها ويولى ويعزل ويستثبت ويستبدل . فسار بعد مسيرنا الى الشمام وجرت مملكته فيها على احسن النظام وذلك فى سنة ثمان وسبعين . ووصل الى زبيد وحط حطان عن رحلته فاستشعر وآوى الى بعض الحصون فى ثروته وأمنه وسكنه وزال مخافته وأظهر له رافته ومارجه ومازحه

(١) فى الأصل : المشكوك وكذا من المرجح .

(٢) فى الأصل : مطموسة وكذا من المرجح .

(٣) فى الأصل : القين .

(ونافقه وامنه) (١) وأثر له في داره وأدخله الجنة وهو في ناره وهو يقول :
أمرى بتمشية مشيتك يتمشى وملكى يتوشية تدبيرك يتوشى وأنا في مراد مرارك
اتعدى وأتمشى فقال له حطان : أنت السلطان ومنك الاحسان وفي تخلية
سبيلي لك الامتنان وقد تأكدت منك بالامان الايمان فقال له ما أردت عندى
الا ليزى رايك زدى ثم أذن له في الانفصال الى الشام وهو يبدى الكراهية
ويريه أن يعيشه بمقامه لديه الرفاهية فجمع حطان كل ماله من سبد ولبد
ولجين وعسجد وياقوت وزبرجد وآلات وعدد وحصن وحجور غراب ومال
أنفذه من اليمن بغير حساب ثم قدم أمامه أحماله وأثقاله وظن أنه نجا وفاز
وركب الاوتات فورد اليه ليودعه ثم يشيعه ويركب معه فلما دخل اليه
اعتقله وسير وراء ماله من اقله والى خزانته نقله ثم أنفذه الى بعض
معاقله فحبسه ثم قتله ومما ذكر السلطان عن خبر ذهبه أن نيفا وسبعين غلافا
من غلف الزرد كانت مملوءة بالذهب الاحمر المنقذة وقوم الماخوذ بالف الف
دينار ، وأما صاحب عدن الامير عثمان الزنجيلى (٢) فانه لما سمع بسيف
الاسلام تجهز الى الشام قبل أن يحطم كتطم حطان بالحطام .

نكر عاطفة مستفربة

قال : أقام الملك عز الدين فرخشاه بعد أن صار السلطان الى مصر
بالشام فهيب ورجى وأمل وخشى فعن للفقيه العلم خطيب مرة أن يزور
على السلطان مثالا يتضمن له منالا شبه فيه بالحظ السلطانى وخطى ووقع
له أن يصيب بالتوقيع وهو المخطى فعرضه على عز الدين فما خفى عليه
تزويره ودار في الإيقاع به مع انه من أهل العلم تدبيره ، وهابه العلم وارتاع
وارتاب وأجاب غراب البين ونوى الاغتراب ووصل الى مصر وهو مرتعب
ومرتعب وقد سير عز الدين بالتوقيع المزور الى مصر نجانا وترقب في أمره
بالعنف جوابا فما تحدث السلطان / (٢٠٥ ب) بحديثه بل أذن للعلم في الدخول
وأجلسه الى جانبه وأكرمه وسأله فيما وفد الأجله من مطالبه وأسنه بالبشر
والطلاقة وصان ماء وجهه من الراقاة فقال له : أية حاجة أوفدتك أية ضرورة
من قرب الأهل بعدتك فهل كتبت الينا بالفرض فكنا نعد قضاءه من المفترض
فقال له : أصدقك عن حالى وأخلى بالى المشغول عن بلبالى قد جرى منى

(١) كذا . ما بين الحاصرتين غير واضح .

(٢) في الأصل : الزنجاني .

كيت وكيت فضاق بى بعده البيت فقال : هذه القضية تعزى بك الى التفريب وأنت تثرى بمأموك ولا تثريب ونحن نحقق ما عدوه مزورا ونودع روح المظلى فيما أحضر مصورا وأمرنى بأن أكتب له توقيعا بضعف ذلك الادرار وكتب له بخطه الاشرف وشرفه بالكسى والمال وأعادته الى الديار فتعجب الناس من هذه الرغبة الغريبة والصنيعة البديعة فعادة السلاطين الانتقام ممن يزور على توقيعهم بالايقاع الشنيع والعقاب الفظيع فخالف تلك الطباع وخرق ذلك الاجماع وأبدع مع عفوه الاصطناع .

وقال ومن كرمه وحلمه أنه كان له امام يصلى به وهو يكتب مثل خطه فأطلق به أموالا وأصلح وأنجح بتزويره لاصدقائه أحوالا وآمالا ولا يشك صاحب ديوان ولا متولى خزانة فى أنه صحيح وبالجود صريح فلما دام سنين انكشف وشارف عند السلطان التلغ وجلس خواص السلطان وامراؤه عنده يفرونه به فمنهم من يقول تقطع يده ومنهم من يقول يقتل ويطلق جسده فلما فرغوا من حديث العقوبة جذبتة المثوبة وقتلت له بالعجمية سرا تهبه للقرآن فقال وهبته مرضاة للرحمن فتنفس خناقته وعجل وكاد يحبس اطلاقه وأبقى عليه خيره حين استبدل به غيره وصار بعده للملك العادل اماما وبقي شغله معه مستداما وعزم ذلك الامام على الحج ذلك العام فودع السلطان وقال له اجعلنى فى حل فقال السلطان : بل أنت تدعوا لى فى حلك والاحرام وثق منى عند عودك بالبر والاكرام .

نكر سهوة تطير

قال : كان السلطان عشية توديعه لأهل مصر جالسا فى سرادقه آنسا بفيالته والمجلس غاص وعارض فضله بتلك العراض عراض وكل واحد منا ينشد بيتا فى الوداع ، ويورد أحسن ما قيل فى برج النزاع وهو يقول ما أعقب هذا الشميم وأطيب هذا النسيم ، وما أزهى هذه الأزهار وما أسحر هذه الاسحار فأخرج أحد مؤدبى اولاده رأسه وضوب للتنفيس كرية أنفاسه وأنشد مظهرها لفضله :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

(١) فى الأصل الاصطفاء وكذا يستقيم السياق .

فلما سمعه خمد نشاطه وتبدل بالانتباض انبساطه ونحن ما بين مغضب ومغض ينظر بعضنا الى بعض وكأنه نطق بما هو كائن فى الغيب فانه ما عاد بعدها الى الديار المصرية حتى انتقل من دار الففران الى غرفاتها العلية .

قال : ومن جملة نسج المعلمين فى القول ما حكاه لنا شيخنا أبو محمد ابن الخشاب بالعراق قال : وصلت الى تبريز وقد أحضرني رئيسا فى داره وقد احتفل فى مرابعه بمباراه وأجلس ولده بين يدي ليقرا بعض ما تلقنه على فقابلت احسانه باحسانى وقرظت ذلاقة لسانه بلسانى وقلت فرخ البسط سابج فقتال معلمه وكان حاضرا نعم وجرو(١) الكلب نابج فخلجت من خطأ خطابه ومقصوده ان يذكر قرينه ولا يبالى بعينه قريرة أم سخية ودأب آداب أولاد الملوك والرؤساء لاجترائهم على أعزة أولادهم الاجتراء على الآباء وانما يصلح لجالسة الملوك من يتحفظ فى كلامه ويتيقظ حتى فى منامه ويوافق محبة مرامه ويلازم مهابة مقامه ويجرى فى عقود النقود وخصوص الفصول على نظامه وختامه .

ذكر بطشه فرنجية وقعت الى البحر(٢)

فصل من كتاب الى الديوان العزيز بشرح ذلك : وجرى عند ذلك من الاتفاقات الحسنة فى هذه السنة أن بطشة كبيرة من مراكب الفرنج مقلعة من بلد لهم يقال له يوليه تحتوى على ألفين وخمسمائة نفس من رجال القوم وأبطالهم وهم على قصد زيارة القدس فى الساحل فالقتهم الريح الى ثغر دمياط المحروس بجدهم المنكوس ففرق منهم الشطر(٣) (١٢٠٦) وشمل الباقيين بأسرهم الأسر وسقط الفرنج فى أيديهم وحصل منهم فى الأسر زهاء ألف وستماية وستة وسبعين نفسا ذل لها جانب الكفر وقامت بها على الكفرة الفجرة حجة النصر . قال : ودخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة والسطنان لمضاربته(٤) مبرز والأيمان لعساكره مجهز ومصر قد أبرزت أثقالها وحققت « وألقت ما فيها وتخلت »(٤) وقد خفقت دوايب الدوابل وانتظمت بحار

(١) فى الأصل : جره .

(٢) فى الأصل : بحر .

(٣) فى الأصل : مضاربة واللام لازمة لإضافة لاستقامة السياق .

(٤) سورة الانشقاق : آية رقم ٤ .

السوابح وأطردت جداول الصفايح وخرجت المعارف للتوديع والاشياع
 للتشييع ونحن على العزم الصريح السريع وما منا الا من استكثر من الطهر
 والزاد واستظهر بوفور الامداد وعزمنا على الرحيل من بركة الجب خامس
 المحرم على طريق صدر وايلة ثم كانت منازلنا على الجسر ووادي موسى ووصلنا
 السير بالسرى حتى قطعنا بعد خمس ليال الى ايلة العقبة وسمعنا بأن
 الفرنج مجتمعون بالكرك لقصد الطريق فصممنا العزائم على جمعهم بالتفريق
 وشحننا الجودود وأنفذنا الى أطرافنا الجنود ثم فرضنا عقبة شتار وذكرنا
 الاوتار وشددنا بالقسى الأوتار فلما وصلنا الى القريتين أقمنا لتدمير العدو
 وأغرنا تلك الايام العشرة على طرف بلاد العدو ونواحيها وأزلنا نقوش عروشها
 بمواحيها وأنبئتنا فى ثانيا تلك الثغور من بيضها بيض أفاعيها فمكثنا على
 أنهم بغارتنا يسمعون وفى غزوتنا يطمعون فما برحوا من وراء جوارهم ورأى
 جدواهم قتال السلطان ازوادنا ما تفى بالمقام ومعنا خلق كثير من الخواص
 والعوام فأقام فى كماته المجردة وقال لآخيه تاج الملوك بورى : خذ الناس
 معك واقصد بهم على طريق مأمونة يمنية مسارت آلايه منتظمة واتخذت الدجنة
 جنة وأدلجنا وسار (١) السلطان على سمت الكرك وبيننا وبينه وهو مقابلنا
 فى العرض مسافة يجمع ويقصر فيها الفرض فوردتنا البشائر بنصر عز الدين
 فرخشاه وظفره وأنه غنم وعاد بكرم مآثره وحسن أثره وسأذكر شرح هذا
 الظفر بعد انتهاء هذا السفر . ثم اجتمعنا بالسلطان بعد اسبوع على الاردن
 ثم جئنا الى بصرى وهنا استقبلتنا أنعم الشام وتلقنا أيام من الايام وجاء
 الملك المنصور عز الدين فرخشاه وقال قد نال الاسلام باقباله ما كان يرجوه
 والكفر ما كان يخشاه وأقرت بجماله وجميله الأعين والألسن وشهدت له
 شواهد فضله بأنه المحسن المفضل وجنت الينا دمشق ثميراتها ووجبت بحكم
 الشوق المسارعة الى دخول جناتها ووصلنا الى دمشق يوم الاثنين سابع
 عشر صفر ووجه الدولة قد سفر ودخلنا منها الى جنة النعيم وفزنا منها
 بالمقام الكريم .

نكر ما تم بهنضة عز الدين فرخشاه

قال رحمه الله لما عرف الفرنج رحيلنا من مصر وجمع من الناس ومن
 التجار وأهل الشام الذين تغربوا خوف الفلا من الشام اجتمعوا الى الكرك

(١) فى الأصل : وصار .

للقرب من الطريق لعلمهم ينتهزون فرصة التعويق أو يقفون على بعض
العقاب ويتطرقون للاطراف والاعقاب فعرف عز الدين فرخشاہ بدشقی هذا
الخبر فنفّر وجمع جموع الشام وأغتنم خلو بلادهم من حمائها وفراغها من
كمائنها وتسببها على رعاتها فنهض اليها نهضة ثمرى مشمر وصحبها
صباح مدبر على الكفر مدمر وأغار على دبورية (١) وجاز الى حبیس جلدك
بالسواد وهو شقيف طالما شقى باشقيائه أهل البلاد فأسعد الله عز الدين
فرخشاہ بفتح المبين وتم به ذل الكفر وعز الدين ، فجاءت خيبة الفرنج من
ورائها وقدامها وتنوعت عليها فى صحة عزمه أقسام سقامها ولما استقر بنا
المقام مدحت عز الدين فرخشاہ بقصيدة طويلة اذكر فيها سعادته بهذه
الغزوة ، ومطلعها :

الى الاحبــاب ذنب
له جفــن وجنب
فيكم وعلى صعب
الحشــا فالبعــد قرب
لدر الدمــح ثقب
وجــيران وصحب
أقمار داجية وشهب

حتى متى يجفــى المحب اله
والام تنبــوا فى محبتهم
(٢٠٦ ب) سهل عليكم ما الاقــى
يا ظاعنــين وهم نــزل فى
من شوكتكم ابدا بأهدابى
لى بالمعراق فديتكم أهــل
بهم أرى الدنيا فهم

ومنها :

وديارهم شرق وغــرب
لغيث الجــود سحب
أكفهم للبيــض عقب
وله معز الدين قطــب
وبعض مدح الناس كذــب

كيف اللقــاء ودارنا
من آل أيوب الذين هم
القوا صــوارمهم كأن
فلك يدور من العــلى
المدح صــدق فى علاء

ومنها :

لها قلوب القــوم قلب
من حوله الارماح هــدب

وكان ارشــية الرماح
وكان ســيفك ناظر

(١) دبورية بلد قرب طبرية من أعمال الأردن ، معجم البلدان

وعرفت أن وكيــــــــــــدهم إلا لــــــــــــيفك لا يرب
بأس وچــــــــود أن ذكرتهما فمن عمــــــــرو وكعب
عليك علمت الفصاحة كلنا فالعجم عــــــــرب

قال : ونعت عز الدين بمعز الدين تميزا له وتفضيلا ، وقد حسنت البلاد بمحاسنه وزينت بمزايينه ، وأخصبت بوجود جوده وسعدت مطالعه بمطالع سعوده ، وله مهابة ومحبة فى قلوب القبول وتناسب وتناسق فى عقود العقول .

فكر نهوض السلطان الى طبرية وبيسان

قال رحمه الله : ولما ألقينا بدمشق عصا النوى عاد لنا الى ذكر الفزاة الهوى وقال السلطان : لا راحة الا فى التعب ولا دأب لنا غير الدأب ، وكيف لا نغتنم طيب الزمان وفرصة الامكان ، والعساكر بحمد الله ماضية العزائم مضية الصرايم ، وبرز بجموع العساكر والبحور الزواجر وأغار على طبرية وبيسان (١) وفتك وهتك وكسر وأسر وسل السيوف وقتل الالوف وأذل الانوف ، وكانت وقعة شديدة ونوبة للهداة مبدية وللعداة مبيدة . واستشهد من المؤمنين رجال الى حمى الحمام عجال وعاد السلطان ولحزبنا القاهر قبول واقبال ولحرب الكفر البابر أوجال وأوجاع (٢) وكانت عودته من غزوة طبرية رابع شهر ربيع الأول ، وكان مخيم السلطان فى هذا الفوار وعاد اليه فى الغزو والفواز ، وطال مقامنا به وبلينا بأحبتنا بمكروه ، ولم نقدر على اجتيابه فان ماءه ثقيل وهواءه وبى وييل وجوه عاقد وجواه واقد وعيونه أجون (٣) وما لساكنه سكون فالحيات أتراب أترابه والضفادع جازات ضيائه والاساور أساور أحجاره والافاعى مشاجرات أشجاره ، فخفت على مزاجى من انحرافه ، وأشفقت على نششاطى من انصرافه وأنشأت رسالة وعرضتها على الاجل الفاضل فى تلك المنازل وسميتها برسالة الحيات من الرسائل وهى التى من ألفاظها : المملوك فى منزلة عيونها سخينة وقطائفها ثخينة وفوارها فوار وانجادها أغوار فوساكنها غير ساكن،

(١) فى الأصل : بنيان .

(٢) مراعاة السجع تقتضى أوجاع وأوجال .

(٣) فى الأصل وشجونه .

وقاطنها غير آمن وجدا جداولها علاقم ، وخبا جنادلها أراقم ، وحياتها
موحيات ونافثاتها نافذات ، تسمى ملتويات وتلقوى ساعيات كانتا ترك
الترك سهامها والقسى ، والقت السحرة حبالها والعصى أو نبذت السرايا
بالعراء السراء وتيدت الغزاة بأذاهم/ (٢٠٧) أساورها الاسراء ، ساعيات
بالشر كالإقلام السعيات ، تاليات بألسنتها آيات الفكيات ، كانتا صاغت من
سنبليها الخلاخل أو أراغت من لوازعها الفوايل أو رمت للمساوى مساويكها
للمسالك ، ووضعت للعصيان غضبها الفتاك أو حذفت للقارع وراء الغيظ
الفرسان وناورت فى المأزق على ايمان الشجعان المران ، ثقال الرعوس
فاتها قصب الغرروس ، وهى حطب الخطب وخشب الاشب وخرعات المحن
وتذافات الاحن وحذافات السفن وجاريات القدر وحادثات العبر ، من طوال
كحراب الزنج وقصار كبيادق الشطرنج ، واوساط كاسواط العذاب ، سراع
كأنامل الحساب ، وخاطفات كبارقات السحاب ، ومارقات النشباب ،
مشجرات فى الاشجار كأنها أغصانها مستكنات فى الاحجار ، كأنها خباتها
نواظر بعيون كالجمر أو كالشرار ، كوامن تحت الصخور كأنها أسرار قلوب
الاشرار ان سعدت فى الصماد فالاسنة ، وان أشفقت فى إجهاد الجياد فالاعنة
وان تعلقت بقوايمها فأشباه الاشباح ، أو قيود القيود كالرياح ، وان التفت
على أذيابها فكالامطار ، وان نشبت فى سبورها فكالأسبار من خضر كضغابيس
الخضر وهم كفرايس الحضرة ، تخفف كصوائح الاصداغ أو كنافخ الصواغ أو
كباشق الاتراك أو كالوية الأفلاك وبتر كأيدى السارقين ، وسود كأعمال
المجرمين ، قوابل كأطماع المغيرين ، فواتك كأسياف المغيرين مخذولات
كالأزمة فى الهرين بهامات كالكرين وقامات كاتساع الوضين ، تنساب
كجداول البساتين وتنثنى كأغداق العراجين وتعدم فى دار الديوم كأنها
تسبح وتعم كالاساطين كان البطاح بها أجم وأوهاد بها اكم والرمال منها
غروق ، وكالنبال لها مروق ولذوى الاودية منها أقلام ولرعوس الجبال منها
اعلام ، وكأنها مكاحل كحائنا الشريف وانبساطه ، وصفارته أشباه العهود
وأهب الفهود أو حنك الشهود أو سكك اليهود أو نكل ذوات النهود أو أذنان
النمور وأعضاب الخيول وأنياب الفيول ، أو طوامير الكتاب أو مسامير
الأبواب من كل غليظة متعطفة على دقيقة منوطة ، رشيقة كالخوص وأسهم
الوتر على الحقيقة ومن كل رقتشاء اذا استلخت من جلدها ، ألفت كم درع
وأبقت حديد ذرع وسوداء كصحيفة المجرم كصفحة المتلوم ، قصصيرة
مقصرة الأعمار ، دقيقة جليلة الاخطار ، رشيقة كسهم الراشق ، نحيلة

كجسم العاشق خفيفة كخفافة الباشق ومن كل صل شجاع كلص شجاع
ومن كل اسود صالح وابتر نافح واشم شامخ واصم باذخ وأرقت كالوشى
المنهم كأنه رشا المائح أو قصبة الماسح أو صعدة الرامح ، أو كأنه سجل
الحاصد أو مبضع القاصد ، أو كأنه مزمار الزايط أو زنار القبط ان استدارت
فدركه التارس ، وان استقامت فخشبة الحارس ومن كل أقرن كان فى رأسه
سنايق سنانين أو فى حجاجه سراجين ، اسود تفرق بين المرء وحياته فهو
غراب البين ، حنش فى أنفه خنس فى خيشومه فطس فى عتقه قعس ،
ناظره نار أو دينار انقرب فتوار ، وان تلوى قصم سوار هامته مستديرة
كالرحى وأنيابه عضل كالمدى مدرع بنظر عيناه من وراه قيتير ، أو كأنما
النسيم عض وجه الغدير ، لسانه كذبالة الشمعة عند النضضة وثدقاته
كفكى عجوز عند المضمضة تكش كشيئش البكر ، وينش نشيئش القدر ،
أهابه لاذ ونابه فولاز ، وعطفه ماييل ، وشاحه حايل ومنه خايل سمه قاتل
فهذه حالة هذه الحلة فى همامها وهمومها وسمومها ، وهواؤها وبى وبيل ،
كل صحيح غير النسيم عليل بها نفتت سوق الاطباء وخفقت سوق (١) الاحياء
وضعتت جسام الأجسام وتضاعفت أقسام الاسقام .

نكر مكرمة للملك عز الدين فرخشاه

قال : ولما رحل السلطان من الفوار الى رأس الماء (٢) والأرض طيبة
الهواء ارجه الارحاء والخيم قد نزلت بوادها وانتظرت أوائلها ليصل بها
أوآخرها وأنا ساير فى موكبى صاير الى مصرى ، وقد نزل الملك معز الدين
فى مقدمة السراق السلطانى على مرج بهيج ، وروض أريج وعين
تعرف بأمر الدنانير وقد بسط عليها قدام مضاربه من البسط الموشاه الموشعة
التخيير فلما أبصرنى قال : هذا العماد ساير وهو علينا عابر فنادى بى الى
ناديه ووردت حلول واديه فوثب لى مكرما ورحب بى منعما وأجلسنى الى
(٢٠٧ ب) / جانبه معظما ، وقد أحضر عنده بطيخ أعدت بدوره أهله ، وأقامت
صنوره على طلاوة ظاهرة وحلاوة باطنه أدله ، ومكث ساعة وأنا مجالسه
ومحاوره ومؤانسه فقلت له : هل عرف المولى ان هذه العين تعرف بأمر الدنانير

(١) هكذا فى الاصل ويرجح أن تكون مقلوب .

(٢) ميدان فسيح للحرب فى حوران على بعد نحو عشرين ميلا من

Damascus Chronical, p. 306.

انظر :

ولا نظير لنصرة رياض دولتك فى هذه الروض النضير فاعتقده منى بطلب الدنانير تعريضا واخفاه فى نفسه الكريمة ، ثم تعجل رحيلنا صوب الشرق ، ولما خيمنا على بعلبك عابرين خرج الينا صارم الدين خطلخ واليها وأخرج الى مائة دينار مصرية فى صرة وواصل أيدي بره بميرة من حنطة ودقيق وشعير ومن الاغنام والطيور كل كثير ، وناولنى كتابا من مخدمه معزا الدين مضمونه تبريح لوايح الاشواق والتصریح بلواذع الفراق أننى ما نسيت عين الدنانير فسيرتها وعينت المحمدة وتخيرتها فكتبت فى جوابه ما أكرم من أتيت فى يدى وأقر ما قر من عان أبى الطبيب ولله در الجود البكر المولدى ولا سيما وبكر حمذى واسطا فألبثت وأطلت الرسالة بذكره وخلدت ذكرها كتخليد ذكره ثم تعجبت من تيقظه للمكارم وتحفظه من المكاره وما بينه للكرم غير الكريم التائه وجمعت فى مدحه وحمده نظما ونثرا بين المحكم والمتشابه .

نكر مكرمة مشتركة

قال رحمه الله : كان السلطان بمصر زوج احدى خطاياهم — أولاده لأمير كبير من أكبر أمرائه ، وكانت عند السلطان فى موهبة متسعة ومرتبعة مرتفعة ، وكانت لها فى الخزانة رواتب ممضاة ، ووظائف مجراة ولها نفقات وميراث ورسوم وكسوات فلما وصلنا الى الشام قال لى السلطان : فى بعض الايام اكتب الى مصر بقطع ما لفلانة من صلة ورواتب (١) متصلة فقلت له ما يستحسن ما نكارى ووافق ايثاره ايثارى وشكرنى على التنبية شكر النبيه للنبيه وبقيت تلك النعمة مدة عمره عليها داره وتلك المسيرة بها بارة هذا على أنه لم يكن لى بها ولا بزوجه معرفة الى حسن المناب عنها داعية ولم تعها منى فى القضية اذن واعية ، ولا ذكرت هذا الاحسان ولا عقدت به الامتان وانما ذكرته الآن من المكارم السلطانية ومنايحه السنية .

نكر العزم على قصد حلب وعبور الفرات

قال : ولما وصل الى الشام اظهر الى قصد حلب صدق الاعتزام وانه لا بد له من استضافتها للامن من آفتها ، ولما عاد من غزوة طبرية وبيسان توجه على سمت بعلبك وخيم بالبقاع . وكان قد وعد اسطول مصر أن يتجهز الى بعض بلاد الساحل ليوافقه عليه ، ويسير بعساكره اليه فجاءه الخبر بأنه

(١) فى الاصل : وراتب وكذا يستقيم السياق .

وصل الى ساحل بيروت (١) فبادره السلطان بعسكره جريده فلما وصل رأى أن أمر بيروت يطول ، وكان قد سبى الاسطول منها وسلب ، وظفر من غنيمتها بما طلب ، فأغار السلطان فى تلك البلاد وأتى فى تخريبها واحراقها بالمراد ورجع وأعاد الملك معز الدين (٢) الى دمشق ليقوم فى سد الثغور وتسديد الأمور بالنيابة .

وسرنا لقصد الشرق وجينا الى بعلبك فوخيمنا بمرج عدوسة اياما ، وأحكمنا أسبابا ، وسببنا أحكاما ، ورحلنا على حمص على طريق الزراعة ونزلنا على العاصى مذعنين لله بالطاعة ورجل السلطان ووصل الى حماة وكانت حماة للملك المظفر تقى الدين عمر وهو معه فأمره أن يرتب أمور ذلك الثغر لئلا يتبعه فامتلأ الأمر وما غارقه ونقل الامراء ورافقه وسار فلما قرب من حلب تردد عزمه فى المسير اليها والعبور عليها فما شعرنا الا برسول مظفر الدين كوكبورى بن على كوجك يشير بعبور الفرات وحضور تلك الولايات . ووصل مظفر الدين واجتمع بالسلطان وخلا به لخلابه واغرائه بالمالك وارغابه وقاتل له : أنا مواليك والمعالي فيك وصديق صديقك ومعادى معاديك ، وهذه البلاد لك وليس من النصح أن لا أدلك وأنا لديك وبين يديك ، فاذا ملكت تلك الممالك ، وسلكت تلك المسالك فحلب تبقى من ورائك وأنت بعد ذلك على ايثار عزمك ورايك والا فحلب تشغلك عن الامور ومهماتنا والجزيرة وولاياتها ، ولك الحجة العامة والمهابة التامة فاذا عبرت الفرات سلم لك الاتاليم أقاليدها ، وجيعت لك طامعات العباد صناديدها (٣) ، وما زلت شوقا اليك فى حران حران والى الرق من ورد خدمتك ظمآن ، وهى لك مجذولة وبأوليائك مأهولة . والرها لا تعتبر أمرها والرقعة لثرك والخابور فى انتظار خبرك ، ودارا دارك ونصيبين/ (٢٠٨) نصيبك اذا ظهر استظهارك وملك الموصل يوصلك الى الملك وما هذا اوان الونا وهل يقدم أحد على عصيانك وأنا أنا ثم عبر مظفر الدين الى بلدته عايذا وبصرته واعداد وحليت صورة اجتهاده ، وتليست سورة (٤) أحماده ، ووصل البحر الى الفرات وتبدل بالفنى فقر المفسرات

(١) فى الأصل : غير منقوطة الباء والياء .

(٢) عز الدين فرخشاه . وقد أطلق عليه لقب معز الدين بعد حربه مع الفرنج فى بيسان وانتصاره عليهم .

(٣) فى الأصل : عناديدها .

(٤) فى الأصل : صورة .

خيمنا على الفرات من غربي البيرة ، وارتاعت العدى من عدوى سطوتنا البيرة ، ومد الجسر كما امتد على الطريق السطر . وكانت البيرة قد طمع فيها صاحب ماردين واستولى على مواضع من أعمالها فلما سمع بنا تخلى ابن الياس الارتقى وشرعنا فى تهيئة أسباب العبور وبدأنا بنقل الاثقال على السفن ليحصل من مخاطرة الزحام على الأمن ، وضرب كل منا خيمته بالجانب الشرقي يحول إليها رحله وامددنا من معاقل الأرض بعدة من السفن . والخلق كثير والجمع جم غفير فلما جزنا الفرات وجمعنا من الرجال والرجال الثقات وتسلمنا البيرة والعراق كاتبتنا اصحاب الاطراف بالوفود للوفاء والتحنى عن مذهب الخلاف فانه من جاء مسلما وللامر مستسلما سلمت بلاده وصينت طرافه وتلاده على أنه يكون من أجناده لغزو (هـ) الكفر وجهاده .

وعاد رسولنا من نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب حصن كيفا يذكر أنه مدعن بالطاعة مؤذن بالتباعدة واصل برجاله ورحاله وأشيعاه وأشيائه وطلب عند وفائه بالعهد وقيامه بحسن البلاء ان يعان على صاحب آمد فانه تجرد فى عداوته وكان العائد العامد فشكره السلطان وأجاب سؤاله وأصاب سؤاله ورد اليه مع رسوله رسوله .

ثم رحلنا من البيرة والميرة مبرة ، والطاف الله مستدرة وفى كل يوم قوم لهم فى بحرنا عوم وفى كل فجر فجر ولكل جمع جمع وعسكر وافد وعثير عاقد وبيارق تبرق وبوارق تخفق . ونزلنا بالرها واستمر أياما حصرها . وفيها الأمير فخر الدين مسعود بن الزعفرانى فتتمر وتذمر وتبريض وتصبر ثم رأى انه لا طاقة فاستبدل (٦) من عبوسه الطلاقة وأرسل اليها بتسليمها لسلامته ووفيناها حق كرامته ، وتسلمها مظفر الدين والى حران مضافة ووجد بهما فى رتبة العلاء أنا قد جئنا (٧) الى حران ظافرين ظاهرين قادرين قاهرين وسحب البأس بارقة راعدة، ومثارات القتات من تحت الصلاد فوق الصعاد صاعدة وأقمنا حتى أقمنا الشعار وأتممنا الاستشعار فرحلنا الى الرقة وتم الحصر والتزال وفيها الامير ابن حسان قطب الدين ينال فدارت

(٥) اضافة اللام هنا يقتضيها السياق .

(٦) فى الأصل : فاستبدل .

(٧) فى الأصل : رجينا .

على قطبه الرحي ورأى من النازلين عليه جنح الدجى فى زاد الضحى ثم عرف أنه لا يطيق ومن مكر خطبه لا يفيق فبذل أذعانا وسأل أمانا وسلم وسلم وعصم المال والدم وخرج بنفائيس أمواله بعد ترك ذخاير عدده وغلالة وفارق وما رافق ووفقا لصاحبه وما وافق ورفقنا ريثما أصلحنا الفاسد ، ووفقنا الكاسد وولينا فى البلد من أهل الجلد من يفى بحفظ المطرف وصون المتلد . ولما أتهمنا المصالح وأجملنا المناجح هزنا معاطف الزمان الى مشهد الرمان وأثينا أعنة العراب الى عرابان (٨) وحين قربنا منها تلقنا قضائنا ورؤساؤها ورجالها ونساؤها وخيمنا على ظاهرها فرمينا منهم الرعوس ووضعنا عنهم المكوس ووضربنا على الضرايب وقتلنا بنوب النوايب وتواصلت أخبار وصولنا الى الخابور وهبت فيه ثبول أثبالنا أدبار الدبور وشاع العدل وذاع ورتبنا على قانون المعدلة الاوضاع وفتحت من عين رأسها عينها وأصلحت بالطاعة والتباعة بيننا وبينها . وقطعنا نهر الخابور على قنطرة التين وأخذنا الطريق الى نصيبين بسرة ونصبنا بنصيبين خيامنا بعد ثلاث وسلكنا مسالك سهول وأوعاث ودخلنا المدينة وأنزلنا بها السكينة ، وجئنا الى القلعة وقد تحصنت وبمنعتها تحسنت وأشفقنا فى حصرها من سفك الدم وهتك الحرم وولكلنا من يمنع من الدخول والخروج وسلطنا الى اللجاج على واليها اللجوج فأرسل بعد برهة من الأيام فى الاسلام والاستسلام ، وتسلمناها بما فيها من أخاير الذخاير وعولنا فى تولى نصيبين على حسام الدين أبى الهيجاء السمين وكنا قد ولينا الخابور جمال الدين خوشترين . ولما توفر نصيبنا بنصيبين واختلينا من مشرق الظفر النصر المبين وكانت الحشود مجتمعة والوفود مزدحمة والعقود منتظمة والسعود ملتية وقطعنا أعمال بين النهرين وأزرن الرعية زور الرعاية وأمرنا بالعدل والاحسان فى تلك الولاية ثم حزننا الى أعمال البقعة ووصلنا الى بلد وأشرفنا على دجلة وكنا أوردنا خيلنا فى أشهر من تلك السنة فى أسفارنا الحسنة / (٢٠٨ ب) نيل مصر والفرات ودجلة فأصفت إلينا المسامع ومالت نحونا المطالع ، وتواصل إلينا مقطوعوا البلاد وترادفوا أمدادا بعد الامداد ومن ثم صممنا عزم الوصول الى الموصل وبشرنا الصوارى بقرب المنهل وأطرن الاطراد برياحها الأربع وسرنا اليها بقصد الحصيف والمربع وقربنا منها فى مراحل متقاربة وقد خمدت

(٨) أوردتها ياقوت عرابان وهى بليدة بالخابور من أرض الجزيرة .
معجم البلدان ٣ — ٦٣٢ .

بما اثارَت الاسد عين القراءة (٩) وبطشت من ليل العجاج بصفو النهار يد
الازالة وعادت تلك البرارى (١٠) من مراكز رماحنا بسـاتين ومن مراكز
جيدنا ميادين والليوث معتقات ثعابين ممطيسات سراجين وكأنها رياض
تخلوا بأيديها من القواصب رياحين قال : ولما قربنا من الوصول كبرنا تكبير
من ظفر بالسؤال وتقدم السلطان فى الامراء ذوى الآراء ودار حول السور
وعين لكل مقدم مقاما ولكل مقدم أقداما فنزل هو وراء البلد وتقى الدين
من شرقيه بأهل الجلد وأخوه تاج الدين بورى عند باب العمادية ، وضائقنا
الأسوار أشد المضائقه وصاحب الموصل حينئذ اتابك عز الدين مسعود بن
مودود بن زكى وتولى ناييه مجاهد الدين قايماز حفظ البلد بأحسن تدبير
وتلقى كل ما قابله من العسر بوجه يسير . وكان قد كاتب الديوان العزيز
للإيعاز بأعزازه وأعانتته على أعوازه وله موعد انجاح وانجاد عند الصاحب
مجد الدين فتقاضى بانجازه .

ذكر وصول رسل دار الخلافة (١)

قال : ووصل اليها الخبر بأن رسل دار الخلافة المعظمة واصلون ،
وفى أمر الموصل شافعون وهم شيخ الشيوخ وشهاب الدين بشير ومعهما
من خواص الديوان العزيز جمع كثير فتلقاهم السلطان بالصدر الرحب
والبشر العذب والخطاب المتوجه لصرف وجهه (٢) الخطب وكنت الى جنب
السلطان له مسائرا وفى المهام ناظرا ومناظرا والموكب مشهود والطباع
مسعود وشاع أن شيخ الشيوخ قد وصل فى الصلح واغلاق باب الفتوح
واطفاء الوقود واخفاء الحقود . ووصل مظفر الدين قزل أرسلان حسن
الجائدار واجتمعت رسل الآفاق داعين الى الوفاق فقال الذين لأنوا بنا
من أهل البلاد من الأجناد الاتراك (٣) والاكراذ هؤلاء غدا يصطلحون ونحن

(٩) فى الأصل : القراءة .

(١٠) فى الأصل : الرارى .

(١) برق ه ورقة ١١ ، ١١ ب يضيف : للشفاعة ورد المواصله
بالمصلحة فى المصلحة الى الطاعة .

(٢) فى الأصل : وجد والضبط من البرق ه ورقة ١١ ب .

(٣) فى الأصل : النزال والتصحيح من البرق ه ورقة ١١ ب .

نحظى بالاخفاق وحرمان الأرزاق ونبوء (بالشقاق والشقاء) (٤) واخذوا امان البلد ودخلوا واعتزروا بأننا نشبنا ووافقهم جماعة من أصحابنا طمعوا في الخلع وهذه من أيسر جنایات الطمع ونحن نصرع باب(٥) المصلحة والاستواء على المكافحة وترك قبول الشفاعة وانراغ الجهود في شغل الحصر وبذل الاستطاعة يوفى كل يوم ثنایوب القتال ونعاقب النزال ، والمك المظفر تقي الدين يحمل من جانبيه ويبلى ويجرى في مضمار النضال وهو السابق المجلى وتاج الملوك أخو السلطان يبارز ويحاجز وجمرات اللظى(٦) تسلمهم وغمات الوغى تتتحم وتشيخ الشيوخ ينهى وينكر ويقول أنا جئت في التوسط وانزع من التوريط وهذا الفصل المقتوت اذا غبت لا يفوت فان كان لى قبول فاصبروا حتى ارسل من اليوم الى القرم واتكفل في متاع هذه المناعبة برفع السوم فقلنا له :

السمع والطاعة والحب والكرامة وما احسن مرادك اذا اردت انسلم والسلامة . وتحولنا الى جانب لا يبعد على ارسل طريقته وارسل شيخ الشيوخ اليهم صاحبه وذكر مآلله فشرعوا يذبحون في كل يوم رسالهم ويملأون بالمراسلات الخادعة سبلهم فخرج أول يوم جمال الدين محاسن مع أخ الشريف النقيب واستفتحنا فيماتاهم بالتقريع والتأنيب وان حضورهم في خيرة شيخ الشيوخ فأنفذ الى السلطان من عرفه وصوابهم واستدعى من ثقائه الذين يسمعون فصولهم فتقدم الى الأجل الفاضل والى والى الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري(٧) بأن نحضره ما يقولون ونحمي فاذهبوا ذلك اليوم بالشكاية ولم يواصلوا مبدأها الى الغاية ثم قالوا ندخل ونخرج غدا بالحدث المبين والاثر المعين وجاءوا ضحوة الغد وذكسروا مطالب متكررة ومآرب متحفرة واقترحوا اعادة البلاد المأخوذة وقصدوا بها تقايل الجدود المشحوذة وأنا نعود الى الفرات ثم نتكلم بما يعود بجمع الشتات ومكتنا(٨) علم هذا السنن قريبا من شهر ولا تنتهى الى امر مستقر وشيخ الشيوخ نسبنا الى أننا لا نؤثر الفضل فدخلنا في كل ما اراده وانفصل

(٤) هذه العبارة وردت في البرق ٥ ورقة ٢ اب الشقا والشقاق ووردت

الشقاوة والشقاق في :

H.A R. Gibb, al-Barq al-Shami W.Z K.M 1952, pp. 55 : 111.

(٥) في الاصل : بابا .

(٦) في الاصل : الظبي وكذا يستقيم السياق .

(٧) في الاصل : الهكاري . (٨) في الاصل : ومكتنا .

الأمر على أنهم يردون إلينا حلب ونرد على صاحب الموصل كل ما طلب وكان قد عرف الأجل الفاضل فحوى مقالهم ودعوى / (٢٠٩ أ) مجالهم فانقطع بعد أيام عن الحضور وكنت أحضر والفتية عيسى للسمع والانهاء والتحمل والاداء ثم انقطع الفتية عنهم وتأنف منهم واستمر ترددى ولم اجذب عن المهم يدى فوجدوا بذلك مهلة وهم يستهدون الاملاك وينصبون الحبايل ويطلبون المقاتل والمخاتل ويظهرون الوفاق ويذهبون فى الشر الى الخلاف حتى استقر أن يدخل اليهم شيخ الشيوخ فى ابرام العقد المنسوخ فظن أن وردهم صفو وأن وعدهم من الخلاف خلو فمضى اليهم وراهم (٩) متفرقين فى طرف التلون والتلوم غير مجتمعين على سلوك النهج الاقوم وانكروا كل ما ذكره رسولهم وان سوى ما شاء سؤلهم وأن صلاح الدين ان أراد وفاقنا رد بلادنا ورحل عنا ونحن نخلى بينه وبين حلب ولا يطلب أيضا استعادتنا عليها فان لعماد الدين زكى أخينا معنا يمينا فكيف يجد منا عليه معينا فان رضيتم بما سألنا والا فما سمع الناس وما قلنا .

وكان المقرر مع الرسل أنهم يسلمون إلينا حلب ويستعيدون منا البلاد ويحضررون معنا الجهاد ثم ندموا على ما قدموا من التقرير وأخذوا فى غيره من التدبير فانصرف مفضيا وخرج الى بغداد متوجها وعلى نكر (١٠) مكرهم متنبها (١١) فحلوا اليه وتضرعوا وتشنعوا وقالوا : تعود وتعيد ما سمعته وتحلى من المعنى ما استملحته فلعلك ترد بلطفك ما صعب الى المنهج الأسهل ويأتى بالفل بعد النهل فرجع بغير مارجا واستكشف عندهم حجاب الحجب فلما اجتمع بالسلطان استغنى من الكلام واستوفى حديث ما سمعه وأبصره من الاقسام فقال له : هذه أشبه شراف وقد عزمنا أن نرحل ونهتج لوصولك الموصل وكان نزولنا عليها فى رجب ودخل شعبان وامتد الزمان .

(٩) فى الأصل : وراءهم .

(١٠) فى الأصل : مكر .

(١١) فى الأصل : منتها والضبط من برقي ٥ ورقة ١٦ ب .

نكر الرحيل الى سنجار وفتحها (١)

قال : كان من بسنجار (٢) من عسكر الموصل مدة مقامنا عليها يقطع دوننا الطريق ويمنع السير فأمر السلطان ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر أن يمضى لحصر سنجار وقصر من جار غسار في الأسد والغاب والجيش الغضاب فنهض في بحوره وأهواجه وجموعه وأفواجه ، وخفقت كواسره ورعدت قساوره وترتبت ميمنة وميسرة ، وقلبا وجناحا عساكره وصبح بمنزلة بارنجان (٣) قريبا من سنجار عسكرا من الموصل إليها مجردا فأخذ خيلهم وعددهم وثقت عدوهم ووكل بهم من ردهم الى الموصل رجالة ونالوا من عثرتهم منه اثالة واحتبس عنده مقدمين محترمين مكرمين وكتب بخبرهم إلينا وقال : قد وقينا بما علينا فاعثموا استضافة سنجار فانها غنيمة وخير ما تصمم له عزيمة فرحنا ومعنا رسل دار الخلافة ومطالع المطالب مؤذنة بالانابة والانافة ولاح سنا سنجار بعد ليال ونزلنا على عيسونها ، وطرقتها الخيل طروق خيال واقتسمنا المنازل حواليتها وولينا الوجوه إليها . وفيها شرف الدين أخو صاحب الموصل فاحتفى منها بالمعقل ، وكان معنا نور الدين بن قرا رسلان صاحب حصن كيفا فأئزنا في أنزه الرياض وأنضرها وأفرج البساتين وأمرها فأذن نزولهم بنوازلها والحق بمجالها بمجالها فقطعوا أشجارا ووصلوا أشجانا ورموا جدراننا وخربوا عمراننا .

وأنتهى الى السلطان اجترأ القوم واجترأهم ومرامى فسادهم وكان المرام اصلاحهم فيغتم ويمتعض ويرتقى الى ذروة الالباء ويرتمض ويبعد ويمتنع ويوبخ ويقرع .

فصل من كتاب انشأته الى الديوان العزيز عن السلطان : وقد ترك الموصل في العاجل اكراما للشفاعة والتزاما للتباعة واشتغل بسنجار لينظمها في السلك ويضمها الى بلاده الداخلة في منشور الولاية .

ومنه : ومن جملة نعم الله التي نحمده على اتمامها وصول البشر من اليمن بفتح زبيد وان حطان ابق اباقي العبيد وان الكلمة فيها قد اتحدت

(١) برق ٥ ورقة ١٦ يضيف : وحصارها وفتحها وسبب قصدها .

(٢) في الأصل : سنجار . الاضافة من برق ٥ ورقة ١٦ ب .

(٣) قرية وبها خان وعين قريبة من سنجار . معجم البلدان

والقلوب قد انتفتت . وكان الخادم قد جهز اليها جيشا من مصر لتهديد أمرها واخراج من خرج بها منها فجرى الأمر على وفق المراد وانتظم في سلك السداد .

ومن جملة البشائر الواصلة من مصر عود الاسطول المنصور نوبة ثانية اليها كاسرا كاسبيا غائبا بعد نكايته في أهل الجزاير بالخساير (٤) وبعد أضرار ما وجده فيها من الأعمار والعمائر ومن جملة ما ظفر به في طريقه بطشة (٥) كبيرة من مراكب الفرنج تحمل أخشابا منجورة الى عكا ومعها نجارون ليبتنوا منها سوارى (٦) فأسر النجارون ومن معهم وهم نيف وسبعون وأما / (٢٠٩) / الأخشاب فقد انتفع بها المجاهدون وكفى شرها المؤمنون وللخادم عسكر في المغرب قد بلغ أقصى إفريقية فتوجه وعاهد به بهاء الدين (٧) في تلك البلاد روجه .

قال : ولما اتخنا على سنجار واستفتحنا الاستفتاح بالرسائل وقربنا من السور من يكلمهم فكلموه وأفهناهم الرشد فما فهموه وناظروا بالسنة النصال ونظروا بأعين المصال فقدم المنجنيق وهدم النيق الوثيق وأغرينا النقاين برفع نقاب السور وهتك حجاب المستور . ودخل رمضان فقلنا شهر مبارك وبر متدارك ففترنا ونحن في زي الارهاب وسكنا مظهرين التحرك للارعاب فطال عليهم الأمد وضاق بهم الجلد ، وتمادت المدد فسكنوا الى السكون وركنوا الى الركون فجاءنا ليلة من أخبرنا بأن الحراس نيام فغذب اليهم منا انداب نجازهم ونجادهم وضبطوهم وربطوهم وانقضوا عليهم انقضا البزاة (٩) على القنص (١٠) ، واغتنموا في قبضتهم انتهاز الفرص ، وهم من المقدمين وأعلام المعلمين فأصبح الذي بسـنـجار بادى الانكسار قد عرف العقبى واعترف بالعقبى واحسن في التقاضى واقتضى الحسنى واجيبت دعوته ورعيت أزمته وسيرت اليه هدايا وتحف وعطايا

(٤) في الأصل : الخزائر .

(٥) في الأصل : بطشه .

(٦) كذا وقد وردت في الأصل سذاء .

(٧) في الأصل : شمس .

(٨) في الأصل : كما الضبط من برق ه ورقة ٢٧ ا .

(٩) في الأصل البراة .

(١٠) في الأصل : القبض .

وزلف لكونه من الأولاد الاتابكيه ، وشرف أصحابه وخرج عن العطاء الحساب حسابه وخرج من سنجار بكوسه وعلمه وحشره وحشمه وعبيده وخدمه وأظلى لنا المدينة فأسكنها السكينة ، وخرج إلينا أعيانها وحسن بنا ظهورها وظهر احسانها أفراح رعاياها فرحين برعايتنا مفتصفين من الليالى بأيماننا مستسعين الاء انعامنا . وما أسرع ما أعدنا عمارتها واستجلينا بالمباهى مباهجها وأخلينا من المناهى منهاجها والفينا رياستها لصدورها بنى يعقوب فأتيناهم من كرامتهم سؤلهم المحبوب المخطوب . وعول السلطان فى تضائنها على نظام الدين نصر بن المظفر فانه كان أعرفهم بحكم الشرع المطهر .

وكان (١١) الأمير سعد الدين أنر (١٢) مسعود أنار سعده وسار بالذكر الحسن مجده والسلطان يعتمد عليه فى اعلانه وأسراره وإيراده وإصداره وأخته ابنة معين الدين أنر فى حيالته فلم يعتمد الا عليه ولم يسلم مدينة سنجار وقلعتها الا اليه وولاه وقدمه وحكم سيفه وقلمه وأبقى عنده من خواصه من استحمد شيمه واسترقد فى النجح ديمه (١٣) . ولما قضينا بسنجار الآراب شاورنا الإمراء فقاتلوا قد توسطنا الشتاء والصواب الإقامة بمكان حتى ينقضى فصله وحينئذ نستأنف الفتوح ونستزيد من الله بزيادة الشكر بره الممنوح فرحلنا الى نصيبين فأمقنا حتى ودعنا شيخ الشيوخ صدر الدين وشهاب الدين بشيرا وركبنا معه حتى توجه سائرا الى العراق وشكى أهل نصيبين ما هاج من نصبهم بأبى الهيجاء فاستلمنا اليه بصرفه رجال الرجاء واستصبحنا المذكور معنا ورحلنا الى دارا وتلقانا أميرها صمصام الدين بهرام الارتقى فأكرمناه واحترمناه وأرغدناه وأفدناه ووصلنا الى حران (١٤) فى أوائل ذى القعدة والثينا بها الحران . وسار الملك تقي الدين بعسكره وعبر الفرات الى حماه وعاد كل متغرب من بلده الى مثواه

(١١) البرق ٥ ورقة ٣٠ ب يضيف العنوان التالى : ذكر تولية الأمير سعد الدين مسعود بن أنرقى سنجار .
(١٢) فى الأصل : أبر .

(١٣) برق ٥ ورقة ٣١ أ يضيف : ذكر الرحيل صوب نصيبين وانفصال شيخ الشيوخ صدر الدين وكان ذلك فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعين .
(١٤) يضيف البرق ٥ ورقة ٣٢ ب : فصل من الكتاب الذى انشأته اليه بتاريخ خامس عشر ذى القعدة سنة ثمان وسبعين من حران .

واقمنا بالمخيم بظاهر حران في الخواص من ذوى الاستخلاص في أحلى حالة وأجلى جلالة وقتلنا أن الدهر قد أطمأن والأمر قد أرجحن ، وأهل الموصل مع من وأزهرهم في حشد وحشر وطى ونشر وأظها أيد وأضمار (١٥) كيد وقد اغتصموا لتفرق جموعنا الجموع واعتزموا إلينا لرجوعنا الرجوع ونحن مع ثلثنا ثابتون وفي حلتنا نابتون وهم يعتقدون أنا إذا سمعنا بجمعهم نتفرق وأنا نتأخر ولا نتقدم وعلى ما فرطنا في حقهم نتقدم فاستحال تخيلهم واختل تحيلهم على ما سيأتى أن شاء (١٦) الله تعالى .

تذكر وفاة الملك المنصور معز الدين فرخشاه بدمشق في جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين

قال : وبعد انفصالنا عنه بالشام لازم الجهاد بجد الاجتهاد وصدق الاعتزام فوعك في نهضة من نهضاته وأعضلت خلاف ما اعتاد من أعضائه، ونهك بمرضة (١٧) اشتدت عليه شعاع الدمشق منيا إلى الله في طلب مرضاته وانتقل من حومة الشهادة إلى حمى السعادة ومن غار الاغترار إلى مقرر الاستقرار ومن الرتبة التي التربة ومن الوطن إلى القرية فقبا للدهر ما تبقى بناته على بنيه ولا يلى بكوائه بالسوء سوى مواليه . لقد فجعت الدين والدولة به ملكا هماما ماجدا ماجد في الأمر الابغ وغلب ولا سعى لنجح الا ظفر بما طلب ولم يزل المستشار المؤتمن والمستجار المتمكن وكان السلطان/ (١٢١٠) يقطع برأيه ويصل ويكأ الثغور اليه ويكل . قال : رأى يوما بين يدي السلطان وهو يأمرني بفصول أكتبها ومقاصد في مجاوبات مكاتبات أرتبها وأنا ساكت مصغ وساكن غير لأغ ولا ملغ فعجب منى في السكوت والسكون وأطراقي (١٨) وترك أستفهامى عن طرق تلك الفنون فلعبت به مرجمات الظنون فقممت وكتبت الكتاب ونظمت تلك الأراب وكسوت كل معنى لفظ الفضل وختمت كل قضية بنص الفصل وزدت وزنت وعبرت بحمصا الحصافة ما وزنت وجئت بالكتاب مسطورا وبالادب منشورا فاقراه معز الدين فرخشاه فقال لله درك من فضلاء الكتاب وتلا « وترى الجبال

(١٥) في الأصل : اظمار . (١٦) في الأصل : انشاء .

(١٧) في الأصل : بمرض . قارن برق ه ورقة ٣٧ أ .

(١٨) في الأصل : وأطرانى .

تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب « (١٩) ولقد كان له فى عقودى اعتقاد
ولامورى افتقاد وهو من اهل الفضل ويفضل على اهله ويفنى الكرام عن
الابتذال بكرم بذله وكان من اخص خواصه وذوى استصفائه واستخلاصه
الصدر الكبير العالم تاج الدين أبو اليمين الكندى أوجد عصره ونسج وحده
وقترع دهره ، وهو علامة زمانه وحسان احسانه ووزير دسته ومشير
وقته ورفيق درسه وشجاع شمس يروى بصوب روائه صواب
آرائه . قال : وكانت منايح عز الدين بواعث القرايح ودواعى المدايح ولى
فيه قصايد منها كلمة هائية موسومة مدحته بها فى اول سنة صحبت فيها
السلطان الى مصر وهى سنة اثنتين وسبعين وعارضها تاج الدين أبو اليمين
بكلمة بديعة فى وزنها ورويها فأما كلمتى قهى :

بين أمر حلالوة العيش الشهى وهوى أحال طلاوة الزمن البهى (٢٠)
وصبابة لا استقل أبشرها عن حصرهما حصر البليغ المـدـره
أما عقود مدايمى فلقـد هـت وأبت عقـود الود منى أن تهى
ومنها فى المدح :

أنتم بنى أيوب أكرم عصابة هذا الزمان بفضـل سؤددكم زهى
ان الملوك تخلفوا وسبقتهم ابن السـوام من العتاق الفـره
(٢١)
أن يجحد الثانى علاك فهل ترى اشراق عين الشمس عين الاكمه
بك أصبحت رايائته منصورة ياسيدا عنت الوجوه لوجهه

(١٩) سورة النمل ، آية رقم ٨٨ .

(٢٠) قصيدة طويلة تقع فى الاوراق ٣٨ ب : ٤٠ ب اختار منها البندارى
هذه الأبيات . وهى واردة فى الخريدة كما يقول العماد فى ورقة ٤٠ ب .

(٢١) هذا البيت ورد فى البرق ه كالآتى :
ان يجحد السابى علاك فما ترى اشراق عين الشمس عين الاكمه
تارن برق ه ورقة ٣٩ ب .

وأما الكلمة التاجية (١) فهي التي أولها

هل أنت راحم عبسرة وتوليه ومجير صب عند مأمنه دهى
من بل من داء الغسرام فاننى مذ حل من مرض الهوى لم أنقه
يامفردا بالحسن أنك منتسب فيه كما أنا فى الصباية منتسبه
قد لام فيك معاشرا فانتهى باللوم عن حب الحيوه وأنت هى
كم آهة لى فى هواه وأنه لو كان ينفعنى عليـــــــــــــــــه تأوهى
ومأرب فى وصله لو أنها تقضى لكانت عند مبسمه الشهى (٢)

ومنهاقى المدح :

فليحجج العلياء منه مجرب يوما ينالام فيبتدى يتنبه
متنبه للمكرمات ولم يكن للنظم هجرة آنف متنزّه
انى على شرف القريض لهاجر فى جهل قيمة ذى الحجى والاوره
اضحى واهلوه كههد وحيهم فى الناس بين مفهه ومفوه
كل الميز سامعا ومنشيدا

(٢١٠ ب) / ذكر نصره الاسطول المتوجه الى بحر قلزم وكانت فى سؤال
سنة ثمان وسبعين والمقدم فيه الحاجب حسام الدين لؤلؤ (٣)

قال : لما صنع على الابرنس (٤) صاحب الكرك ما توالى (٥) عليه من
نكاية أصحابنا المقيمين بقلعة ايله وهى فى وسط البحر لا سبيل اليها (٦)
لاهل الكفر ائكر فى أسباب احتياله ، وفتح أبواب اغتياله فبنى له سفنا
ونقل أجسامها على الجمال الى الساحل ثم ركب منها مراكب وشحنها
بالرجال والآلات ووقف منها مركبين على جزيرة القلعة يمنع أهلها من
استسقاء الماء ومضى الباقون فى مراكب نحو عيذاب فقطعوا طريق التجار

(١) نسبة الى تاج الدين أبى اليمن .

(٢) قصيدة طويلة تقع فى الأوراق من ٤٠ ب الى ٤٢ ب .

(٣) قارن برق ٥ رقة رقم ٤٢ ب . حيث يضيف لطلب الفرنج السالكين
بحر الحجاز .

(٤) فى الأصل : الأرض .

(٥) كذا وفى الأصل : تولى .

(٦) فى الأصل : عليها .

وشرعوا في الفتك والنهب والاسار ثم توجهوا الى أرض الحجاز فتعذر على الناس وجه الاحتراز فانه لم يعهد في ذلك البحر طروق الكفار فعظم البلاء وأعضل الداء وأثرف أهل المدينة النبوية على خطر ، ووصل الخبر الى مصر والملك العادل متوليها ورافع أعلام الاسلام ومعليها فأفكر فيمن يسلك الى القوم في البحر ويفتك بأهل الكفر ووقع على السهم المختار والليث المغوار (٦) الحاجب حسام الدين لؤلؤ ، فعمر في بحر القلزم مراكب وملأها بالرجال البحرية ذوى التجربة والتحرية من أهل النخوة للدين والحياة وسار الى ايله فظفر بالمركب الفرنجي عندها فحرق السفينة وأسر جندها ثم عدى بأهلها الى عيذاب وشاهد بأهلها العذاب ، ودل على مراكب العدو فتبعها وظفر بها بعد أيام فأوقع بها وأوقعها فخرجت الى بعض سواحل البرية بشعابها مجتمعة في تلالها مرتقيه ولم يزل الحاجب لؤلؤ ناكب مراكبها وراكب مناكبها حتى أزالها وهجم على كثرتها فاستقلها ، فما استقرت وفرت وتفرقت وما بدا بالسفن فأطلق المأسورين من التجار ورد عليهم كل ما أخذ منهم من المتاع والدرهم والدينار . . ثم صعد الى البر فوجد أعرابا قد نزلوا منه شعابا فركب خيلهم وراء الهاربين فحصرهم في شمب لا ماء فيه والهاهم بالانضمام حتى استكانوا واستهانوا واستأمنوا واستسلموا فأسرهم بأسرهم وكان ذلك في أشهر الحج فساق منهم أسرى الى منى كما يساق الهدى ، وعاد الى القاهرة ومعه الأسر والسبى ، وقد بذل وسع النجح ونجح السعى وجاءت البشرى بما من الله تعالى به من النصر فكتب السلطان اليه بضرب رقابهم وقطع أسبايهم بحيث لا يبقى منهم عين تطرف ولا أحد يعلم طريق ذلك أو يعرف .

ذكر تولية الأمير شمس الدين بن المقدم بعد الملك مهر الدين فرخشاه

قال : لما وصل الينا بوفاة معز الدين النعمى فتر منا الى البلاد الشرقية السعى وكنا عبرنا الفرات على قصد الرها وقد دنا منا دارها ودرها . فتقدم السلطان الى شمس الدين بن المقدم بالعود الى دمشق أخذا بالأحوط الأحزم وهو أكبر الأمراء المقدمين ، وأكرم الأكابر المكرمين ، وهو

(٦) في الاصل : المغوار والضبط من البرق ٥ ورقة رقم ٤٣ ب .

القرن الذي لا يوجد قرية . والقرن الذي الذي لا يستقل في الوغى صريعه وأمرنى بإنشاء منشوره وتحكيه (١) في أحكام أوامره وأمره .

ذكر مكرمة لمظفر الدين كوكبوري (٢)

قال : لما وصل السلطان حران عند عبوره الفرات وبعد تسلم الرها أبلغ في إكرام مظفر الدين المنتهى المشتفى وقام المذكور بما وجب عليه من حق الخدمة وشكر النعمة واحتفل بنزولنا على بلده وسخا لنا بسبده ولبده ومن غرايب رعايه أنه نفذ الى صاحبه بالطفاه وأنه يعتذر عن المقدر المنقود بوعد أضعافه ويقول (٣) ههنا بحران قرية من قراها وقد جعلت برسم وفادتك قراها ولم تزل هذه الضيعة المسماة ضرعا (٤) باسم كاتبه الموصل وأنت أولى بها فأنت يمين الدولة وأجل كتابها ، واستأذن السلطان في كتبها الى ملكية شرعية معقودة مرعية فأشهدت عليه وعلى السلطان بإجازتها وتفردت بحيازتها عشر سنين الى آخر العهد السلطاني سقاه الله العهد .

قال : وفي هذه السنة أنعم السلطان على نور الدين بن قرار ارسلان بأعمال الهيثم ثم سلمها اليه دون أعمالها تحلة ليمينه ووفاء بوعد لكرمه ودينه ، ولما جاء لمساعدتنا في هذا العام خصه عاجلا بهذا الانعام ثم وهب له قلعة الجديدة وهي من نصيبين (١٢١١) / قرية ولاستصراخ من يدعو أمنها مجيبه ووعده بفتح آمد له وان ينجح بتسليمها اليه أملة فقد كان أبوه فخر الدين قرار ارسلان درج على حصره آمد وكان الرئيس على بن نيسان مرتبا لحصافتها ومزينا لحصانتها ، ولم يزل منها الإبلق (٥) الفرد (٦) راكبا ولكل من يقاربه فيها مجانبا ، وكان يضرب بأحكامها المثل ، وفي تفسير فتحها يحقق

(١) في الأصل : تحكيمهم والضبط من البرق ٥ ورقة رقم ٤٦ ب .

(٢) ورد في الأصل بعد هذا العنوان العبارة التالية :

(ذكر تولية الأمير شمس الدين بن المقدم بعد الملك معز الدين فرخشاه صاحب حران) وهذه العبارة زائدة وليس لها علاقة بما جاء بعدها . ولا توجد أيضا في البرق ٥ .

(٣) في الأصل : وهو والضبط من البرق ٥ ورقة ٤٨ ا .

(٤) انظر معجم البلدان ٣ — ٤٦٩ .

(٥) في الأصل : للإبلق .

(٦) في الأصل : للفرد .

الأمل ، وابن نيسان متغور في كهفه (٧) متكف في غاره ، آمن من النوازل والدواير بمنزله وداره ، وكان لآمد أمير قديم يقال له ايكلدی (٨) من أيام السلاطين القدماء ، وولده محمود شيخ كبير عنده يطعمه ويسقيه ويدعى أنه من غلمانه ومصطنعيه وأنه يحفظ البلد له ولا يفدر به ولا يؤثر بدله وإذا جاء رسول يحضره عند أميره ، ويسند ما يديره الى تدبيره ، ويقول : انه غلام وما معه كلام ولا عليه فيما يجرى ملام .

وكنيت عبرت في سنة خمس وستين بآمد ، وقد سمرني الملك العادل نور الدين رحمه الله (٩) في مهم ، ودفع ملم ، وأتفق نزولى بظاهر آمد بكرة جمعة وحسبت صلاتها على غير ممتنعه فقيل لى تحتاج الى استيذان الرئيس وذلك محتاج الى مقدمات ونتائج ومواصلات ووشايح فقلت : هذا عذر وقد ضاق الوقت ثم تقدمت الى غلمانى بابتياح ما لا بد منه للطريق من الطعام والعليق فقيل هذا أيضا مشروط باذن الرئيس فأسرعت الرحيل ازالة للكرية بالتنفيس فقدر الله بعد سنين فى الدولة الصلاحية اننى دخلتها بالسيف وحللتها حلول المالك لا الضيف ، وانما شرحت هذه الحال استدلالا بها على حزم ابن نيسان . قال : وتوفى وتولى مكانه ابنه مسعود على رسم أبيه وجرى على عادة ثابتة ولم يخطر ببال أحد من الملوك الطمع فيه حتى جاءت الأيام الصلاحية ، وصار ابن قرار أرسلان من أشياعها وتدين باتباعها ، وأطعمته فى اقتناص ايكار الفتوح وافتراعاها وعرفته أن آمد آمد لا يبعد وأنه عن القيام بمساعدته فيها لا يتعد ، وحلف السلطان له على هذا الوعد ، وأنه يحقق فى حقه صدق القصد .

قال : وكان جمال الدين عيسى صاحب السويداء (١٠) مسائرا لى فى طريق ومذاكرا فى جليل ودقيق ، وفى جملة ما قاله هذا سلطانكم يحلف على المستحيل فان فتح آمد ممتنع الدليل فقلت له : سعادته من الله تذلل المصاعب ، وتسهل المطالب . ولما خيمنا بحران بعد العود من الموصل تقاضى ابن قرار أرسلان بانجاز عدته فأذن فى تفرق العسكر للاستراحة

(٧) فى الأصل : كهف الضبط من البرق — ورقة ٤٩ أ .
 (٨) فى الأصل : ايلده .
 (٩) برق ٥ ورقة ٤٩ ب يضيف الى خلاط .
 (١٠) فى الأصل : التعويدا الضبط من برق ٥ ورقة ٥٠ أ .

ووعده بتحقيق الوعد عند العود استمر على هذا العهد الى أن وصل الخبر باجتماع شاه أرمن صاحب خلاط ، وأنه اتصل به صاحب الموصل عند ماردين (١١) وأنهم خرجوا على نية أن يكونوا لنا طاردين ماردين .

ذكر السبب في ذلك

قال : كان عند نزولنا على الموصل وصلت رسل شاه أرمن فيها شافعين ولأسياب الحرب رافعين ثم استتب الرحيل عنها اظهارا لقبول الشفاعة الامامية واعلانا بسر (١٢) الطاعة الناصرية . ونزلنا على سنجار ووصل سيف الدين بكتمر وهو أعز أصحاب شاه أرمن وبذل للسلطان في الشفاعة في سنجار كل ما أمكن فاشتربنا شرائط ما قبلها فنفر سيف الدين وسار مغيظا وأبدى خلقا خشنا ، وقال قولا غليظا ، ولم يقبل خلع ولا نفقه ومضى الى صاحبه ونحاه ونقله عما توثاه الى ما توخاه ، وشاه أرمن ظهر الدين سكران هو خال صاحب ماردين قطب الدين ايلغازي بن البى بن تيمرتاش وهذا ابن (١٣) خال صاحب الموصل عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى وكتب اليه واستدعاه وخرج واجتمع به واتاه الياروقية وغيرهم من عسكر حلب ونزلوا من ماردين الى ضيعة يقال لها حردم (١٤) وموج قصدهم يرزم . وجاعنا خبرهم فلم يندبه أكثرنا ولم يظهر لصحته التياثا ، وكتبنا الى أمرائنا الغائبين فبادر الملك المظفر تقي الدين من حماه الى حران في خمسة أيام ووافنا بجد اهتمام وصدق اعتزام وقال : قوموا بنا الى القوم فلا تعود بعد اليوم فقلنا أنهم مئ كثرة ولا بأس بالاحتراز من عثرة وهو العشر المبارك من ذى الحجة والنصر مع الصبر واضح المحجة (٢١١ ب) / فابى الا الرحيل موافقة لرأى السلطان ومتابعة الأمر ومشايعه لسرور سره . واقمنا حتى صلبنا العيد ، واستقبلنا الطالع السعيد ، وقدمنا الازماع وأجلنا الاتساع وسرنا بالأسود في غابها ، والبروق في سحابها ، وقدمنا من الرعب جيشا ، وأبدينا من الحلم طيشا وعلونا الجدد بعزائم صحيحة غير علية ، وتلونا كم

(١١) في الأصل : مادين .

(١٢) ساقطة في الأصل الضبط من برق ٥ ورقة ٥ ب .

(١٣) في الأصل : ساقطة الضبط من البرق ٥ ورقة رقم ٥ ب .

(١٤) حرزم اسم بلدة في واد ذات نهر جار وبساتين بين مادين

ودنيسر من أعمال الجديدة وأكثر أهلها أرمن نصارى ، معجم البلدان

من فئة قليلة (١٥) ، ونزلنا برأس عين فطار الخبر الى القوم فطاروا شماعا وتفرقوا ولم تدر لما در من شمويسهم شماعا وذلك يوم عرفة فتركوا الوقت ، وعزموا العزوف ونفروا قبل يوم النفر ، ونحروا أضاحي جلدهم قبل النحر ، وعاد الخلاطى الى خلاط باختلاطه ، ورجع الموصل الى الموصل بمواصلة احتياطه ، واعتصم الماردينى بحصنه المارد (١٦) ، وهتكوا حرز حرزم للمصادر والوارد ، وهاب عسكر حلب العود اليها ، ونحن على طريقه فاذن جمعه بتفريقه ، ومضى معظمهم الى الموصل فمعب الفرات عند عانة (١٧) ولم يجدها اعانة الاعانة ونسفتهم ريحنا وهم جبال وذهبوا بقلوب النساء وجاعوا وهم رجال ووصل اليها خبرهم ونحن للقصد سايرون ولجناح (١٨) النجاش مطايرون ، وأكلنا المسير ، وقتلنا هذا أخلى المشاه وتعتت ببيارقه وأفراسه ورخاخه وخاف وقوعه فى الشبك قبل نصب فخاخه ، واستصرخ صاحب الموصل به فلم يظفر باصراخه ، ولم يصغ الى نصايح أشياخه فان مجاهد الدين قايمار ما يزال يشير بالثبات ويحذره مخاوف الزلات ومواقف العثرات ، وعرف بنور فراسته عاقبه الحال ومغبة الاستعجال . ولما نزلنا فى منزلة القوم لم نسمع لهم خبرا ، ولم نعاين لهم أثرا وهناك بحرزم لصاحب ماردين قصر مشيد على حسنه مزيد وقد زوقه (١٩) . وصوره وحاله جنة (تجرى من تحتها الأنهار) (٢٠) . ويترنم من فوقها الأطيوار ، وتترنح من حولها الأشجار فأبقينا بأسه الأثير الأثيل وأشفقنا بنيته الكثيف الأثيب ، وعصمنا عمارته من التشيعث ، وأقام فيه تاج الملوك أخو السلطان برسم التنزه ووكل بحفظه عين (٢١) . التنبه .

(١٥) سورة البقرة ، آية رقم ٢٤٩ .

(١٦) فى الأصل : الماردين .

(١٧) بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد من أعمال الجزيرة ، معجم البلدان ٣ — ٥٩٤ .

(١٨) فى الأصل : يحتاج .

(١٩) فى الأصل : زوره .

(٢٠) سورة النساء آيات ١٣ ، ٥٧ ، ١٢٢ . وسورة المائدة ١٢ ، ٨٥ ،

١١٩ (جنات تجرى من تحتها الأنهار) .

(٢١) فى الأصل : عن والتصحيح من البرق ٥ ورقة ١٥٣ .

ذكر المسير الى آمد وفتحها وكان النزول عليها يوم الاربعاء سابع عشر ذى الحجة وفتحها يوم الأحد

قال : ولما أحمدا المتاصد وقصدنا المحامد واغتنمنا آمد القرب من
آمد وقلنا تنجز (١) لنور الدين المواعد ، وكنا لما رجعنا من الموصل كتبنا
نطلب الاذن في قصد آمد بتقليد أملى نجعله أمامنا ونتخذة أمامنا فوصل
التقليد بملكها والاذن بفتحها فغوى العزم وتحقق بالصدق المقصد الجزم
وما زالت قلوب أهلها صادرة (٢) الى وردنا ، والسنتهم صادحة بحمدنا
مقصدينا لها لنعنتها من الرق النيسانى ، ونوثقها بالحق السلطانى . وأعدنا
الى الشام من أكابر أمرائنا من يسد الثغور ويسدد الأمور ، وتوجهنا فى أيام
التشريق وتأييد الله معنا فى الطريق وجزنا على قلعة البارعية فتلقتنا بالبر
البار العرية وما اعترضنا بلدا ، ولا عارضنا أحدا ونزلنا على آمد فنصبت
المنجنيقات ، وكان معنا منجنيق يقال له المفتش لان حجره يدور فى الزوايا
يدواير المنايا ويشوش وشرعنا فى أدوات الحصر وحصر أدواته واشتغل
الجمع واشتمل الجمر ، ووقع الحجر على البلد الحجر .

قال : ودخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة

والعسكر السلطانى للنصر فى حصر آمد وآمل والشمل جامع والجمع
شامل فصيحناهم بالسلاليم وطمعنا منهم فى التسلى من البلد بالتسليم ،
وصعد فيها الرجال وحالت فى قلوب الخصوم الأوجال ، وملك أصحابنا بين
السورين قطعه من الفصيل وتعمدوا عقد بنائها بالتحميل ، وتطرقوا فيها
فاذا هى مسدودة السبيل فشرعوا فى النقب وابن نيسان فى البلد قد جمع
الرجال وفرق الأحوال ، وحرضى الكماه وحض الكماه وانهض الحماه وظن
اننا نكل ونمل وكما (١) شددنا البعد ينحل فالفوا كل يوم جدنا حديدا ووجدوا
من بأسنا عليهم مزيدا ، وكتب فى اعداد من الشباب فصولا للارهاب
والارهاب نعدهم تارة وتوعدهم ونهدهم مرة ونهدهم ففترت عنه مساعدة
الاستطالة وشرعوا معه فى الاستقالة فبدا له وجد الخذلان وخيانة الاخوان

(١) فى الأصل : تنجزها والهاء زائدة . وهذا وفقا للبرق ه ورثة

(٢) فى الأصل : صادية .

(٣) فى الأصل : ساقطة وكذا يستقيم السياق .

أهل المدينة وحصلوا منا على الوثوق والسكينة (١٢١٢) / وقد كانوا تضجروا بولاية ابن نيسان ، وعدموا العدل وألفوا الصدوان فتقاعدوا عن الاستطالة وشرعوا معه في الاستقالة فبدا له وجد الخذلان وخيانة الاخوان وخطاب الخطوب وحدث الحدثن . فعرف أن سلامته في السلم فأرسل في الاستعطاف والاستسعاء قبل طلب الأمان وأصبحنا بعض الأيام ومواقع النقب نخشى عليها من الانهدام ، والعمل منته الى التمام اذ خرج نسوة من المدينة ذوات جاه وقدر قد أخرجن فأخرجن من أعز خدر لا عهد لآثارهن بالترج من البروج ولم يحوجهن الا صرف الزمان الجاقى الى الخروج فارتدين على الاضراب برداء الأضرار وطلعن سحرة طلوع كواكب الأسحار معتبرات الى حرم الكرم الفاضلى معتقيات نصرة العفو الناصرى مستشفعات بشفيع كريم لا ترد شفاعته بل تراد لطاعة الله طاعته فأواهن الى فناء خيمته وعرف السلطان أن القصد لحرم حرمة وان المعتصمات بعزة عزه وعصمته وانهن نسوة الأمير والرئيس يسألن (٤) ما خربهن بالتفيس فأكرمن واحترمن وشفعن وشفعن فيما له شفعن وأعطين الأمان على أنهم ان قاموا توفرت عليهم الاملاك والأموال وان تحولوا سهل عليهم الانتقال ولم يسألن في البلد لعلهم أنه لا يخلو وانما سألن الا تسلم المدينة الى أن يفرغ من نفائس اعلاتهم وتخلي فاعطين الأمان على أنهم يخرجون بكل ما يقدرون عليه مدة ثلاثة أيام بلياليهن وانا نعينهم بدوابنا وأصحابنا على اخراج جميع ما لهم فيها وعدن بما وعدن وما سعدن كيف ما أسعدن وأن قربن أبعدن وان شفعن في استتبات أمورهن فقد رجعن بخراب معموهرن وهذه عادة الليالى العادية ، وقضية الأقدار القاضية في ارخاء الطول وانقضاء الدول وايقاظ النواظر بشوك أذايها وايقاظ النواظر بشوك أذوائها .

قال : ولما استقر تسليم المدينة بعد ثلاثة أيام تقدم السلطان برد النساء باكرام واحترام فنفذ ابن نيسان يخبر بأن غلماته خرجوا عن طاعته وأنه لا يقدر على نقل ما له ان وكل الى مجرد استطاعته فندب له من خواصه من يراعى باعائته أحواله ودواب من اسطبلاته تنقل أمواله ونزل في غير منزل وضربت له خيمة بمعزل فشرع بنقل درهمه وديناره ويحول اليها من كلا الجنسين أوقاره ويعجل منها ما خف حمله وخيف عليه اذا لم يعجل نقله ، ونقل المصوغات النضارية والفضية والمنسوجات الذهبية والجواهر والفرايد

(٤) في الأصل : يساكن .

والعقود والتلايد ولم يقدر في المدة المضروبة الا على تحويل الأمتعة الكريمة المحبوبة ، وكم تشبعت الطوارق في طرقه بنشبهه وكم ذهبت أعوانه في مذاهبه بذهبه ، وكان من أصحابنا جماعة ندبوا لاعانتته فاستغنوا بما أصابوه وذكر أنه كان يحمل من داره عشرة أحمال بأثقال الأموال فربما وصلت اليه من تلك العشرة ثمانية فيسأل عن الباقي فيقال دوابها وافية وهى في الوصول متدانية ، وما تزال تدخل جملة في جملة وقد عبثت بها أيد جائية وهو لما به من روع وكره بغير طوع يحصر لدى التكلم ويقصر عن التظلم فلما انقضى الاجل خامره الوجل واعترف بأنه عن نقل ذخائره عاجز وان غدر الزمان بينه وبين ما غادره حاجز فتركها من غير أن فركها وفاته دركها وما ادرکها ولو استزداد مهلة لاستفاد نيله لكنه هاب وارتاع وارتاب وفي مظنة الرجاء خاب وعلى مطية التجاء نجا وغاب ولو رثد لرثد ضالته في ظل السلطان وأوى احسابه الى مأوى الاحسان لكنه بعد فبعد ولو أسعده لسعد .

نكر تسليم متينة آمد الى نور الدين محمد بن قرار أرسلان

قال : ولما انقضت مدة الأمان فتحت لأولياء الله ابواب الجنان ، وذكرنا ان النزول على آمد في سابع عشر ذى الحجة وكان الاشتغال بالقتال باقى السنة فما استهلّت السنة الا وقد سمرت الحسنة ونطقت بالبشائر الالسنّة، وقيل للسلطان هذه آمد فيها ذخاير تربي على ألف ألف دينار ، وما دخلت عند الوعد بآمد في شرط ولا قرار فاقض بها المهام وخص وعم بها الخواص والعوام ، وابن قرار أرسلان يقنع بآمد فارغة ويعدها حجة بالغة ونعمّة سابغة فقال : نور الدين صار من أشياعنا فلا نضن عليه بهذه الأشياء ولا يظن بجحود هذه النعماء وهبنا له الأصل مع الضفة بالفرع فما يليق بما سننته مكرماننا من الشرع . فأما ما كان في الاهراء من اجناس الغلات وانواع الحبوب فما يحويه علم المظنون وعلم المحسوب (١) وأما الامتعة والأسلحة (٢١٢ ب) / والمعدن فما يحصره العدد ومنها ان برجا من سور المدينة يحتوى على ثمانين ألف شمعة ، وأما المستعملات الامدية من البسط والفرش والخيام فلا يدخل حصرها تحت الأوهام وكان من جملة المستودعات القطن فقد امتلأ به البلد ولا أقول الخزن وذكر أنه بيع منه سبع سنين فما غنى مع أن متولى البلد ببيعه غنى قال : وانما ذكرت ذلك ليعلم

(١) في الأصل : المحبوب ، وكذا يتطلب السياق .

أن الدنيا ما كان لها عند السلطان قدر وأنه لم يتطو منه على قلبها صدر فأول يوم فتحها نصبت على سورها أعلامه ونفذت فيها أحكامه ثم سلبها إلى نور الدين بن قرا أرسلان وكتبت له بها وبأعمالها التقليد وتسلم منى لمغاليق المعاتل التقليد واستعبد السلطان منه حرا وفاة ثمنه ووفى له ومكنه .

قال : ودخل السلطان إلى المدينة وجلس في دار الإمارة فهي على أحسن ما يمكن من العمارة ، عالية الأبواب حالية البنيان رايقة الرواق شايقة الاشراق يحدث ربيع ربوعها بنيسان وتحدث ذكر نباهتها بناء نسيانها وهذه شيمة الدنيا لا يبق وأما ولا يرمى رامقا من جنى منها جنت عليه ، ومن علت يده فيها علت عليه وقد ظهرت آثار غدرها بابن نيسان حيث غادرته وقد رجا نصرها مخذولا ، وتركته وقد اعتصم بها مبتذلا لليالي مبذولا ، وهكذا نور الدين امتد زمانه وامتد إلى داره بعد سنين مكانه وسيأتى ذلك في موضعه ويشرح شأنه . ولما استقر السلطان في الدار استحضر نور الدين وأخذ يده واستوثق معه بحلف أكده وعقد ميثاق عقده وعاهده من طاعته على ما عهده وأقامه للملكه وفي دسته أتعده وشرط عليه طاعته وفي كل غزاة متابعته ومبادرته عند الاستدعاء ومسارعته وأنه يعمر البلد وأعماله ويعمها بأحسنه ويعود ما تشعت منها إلى عمرانها ويسقط المكوس ويغبط النفوس ويبقى السعود ويمحى النحوس ثم استودعه وودعه بعد أن نور العيون مطلعته وأوضح وأعذب منهجه ومنهله وأناه بجميله تفصيله جملة .

ذكر القوام أحمد بن سمانه وزير نور الدين محمد بن قرا أرسلان

قال : كان صدرا رحيب الصدر جليل القدر متحببا إلى القلوب بكرمه متقربا إلى الملوك بخدمته ناصحا في خدمة مخدمه مدبرا بقلمه لا قلمي ، وهو الذي عطف قلب السلطان على صاحبه باستعطافه ونال مراده منه باستنعاfe . ولما سأل السلطان في مبتدأ مسافراته ومفتتح زيارته عن مشتهى مخدمه ومنتهى مروه وما العمل الذي يقترحه وما الذي يستنجه فقال : ان أباه فخر الدين قرا أرسلان درج على جبره آمد فان فتحتها له استعبدته للابد وأرشدته في الجد لخدمتك إلى أوضح الجدد وأخذ اليد الناصرية لاتخاذ نصرته وحسر لثام الحرص على تحصيل ما هو في حسرته فسبق الوعد وصدق واتفق من الفتح ما اتفق وكان الوزير المنعوت بقوام الدين قوام دولته ونظام مملكته . ودخل إلى سلطاني من باب عرفاني وانتظم

مع أخواني ولم يزل نحوى مترددا والى متوددا حتى أخجلنى بمننه وأثقلنى بمنحه ، وشغلنى بفروضة وسننه ، وجعلنى فى مقاصده مقصدا واتخذ عندى بصدق صداقته يدا ، ونجحت له عند السلطان وسهلت حجابيه وصوبت لديه آراءه وآلايه وقرر لى على مخدمه وظائف عطايا ورواتب هدايا استمرت من احسانه واستمرت الى آخر زمانه وسيأتى ذكر ذلك فى مكانه :

ذكر الرحيل عن آمد والتوجه الى الفرات لقصد حلب والولايات

قال : ولما تسنى الغرض وتؤدى المفترض وحصل المقصود رميت النوبتية وقد دنت العشية فعرفنا دليل الرحيل ، ونهجننا سبيل التحويل وشرعنا فى ضم نشر الاحمال وجمع شتات الأثقال ، وتفويض ذات العماد وحمل الاطناب وتلع الاوتاد فاستقلت الجمال نصف الليل آخذة فى الاعناق كأعناق السيل ، واصبحنا على الركوب وملأنا الشعاب بالشعوب والصواهل فى الأعنة تمرج والذوايل بالأسنة (١) تلمح وبحر البر بالجيش جايش وقلب الجو من جوى (٢) النقع طايش (٣) والأرض قد تنقبت من وقع الحوافر فما تحرك الخميس حتى صار بالأسد العريس ، وتعينت المنازل وتبينت المراحل . وكان عندنا رسل ملوك الاطراف قد وصلوا على اختلاف المقاصد باتفاق الاستعطاف وكل يسأل فى سؤل بكتاب منه ورسول . وأحضرنى السلطان تلك الليلة عنده (١٢١٣) / وأفردنى بخطابه وحده حتى أنجزت الكتب وجهزت الرسل فمنهم من أحلت على رسوله بسؤله ومنهم من بشرته باقباله وقبوله ومنهم تطب الدين ايلغازى بن البى بن تمرتاش الأرتقى رتق فتقه ورعى فى اعتذاره حقه وكان أمره كما ذكر فى فصل من كتاب وهو لما رأى صاحب ميافارقين أن أخت صاحبه قد ابنتى بها ابن عمه خاف أن يجمع له بين الاختين فراسل يبذل الخدمة ليكون فيها لنور الدين ثانى اثنين وقرر أن ينهض عسكره فى اوقات الملاقات وينتقل عن حكم التفاق الى حكم الثقات .

فصل من كتاب آخر : كان الملك نور الدين بن قرا ارسلان فى الخدمة

منذ عبرنا الفرات بنفسه وعسكره ملازما لنا لحرصه على المناصحة وتوفره فأنجزنا له فى آمد موعده لدينا وحملته انشاء بالأعمال والبناء . ورأى صاحب

(١) فى الأصل : ساقطة والضبط من البرق ه ورقة ١٧٥ .

(٢) فى الأصل : جرى وكذا يتطلب السياق .

(٣) فى الأصل : الثائر ، والضبط من برق ه ورقة ١٧٥ .

ماردين أن ابن عمه قد فاز بالسبق وقد حاز الفضيلة فدعانا بالاذعان وابتغى
الينا الوسيلة وقد كنا فتحنا من بلاده طرفا وحررنا من قلبه شغفا فحين عاد
الى الحمد شملته عاطفتنا بالاصطناع والاختصاص وملكانه ما ملكناه عليه
وأعدنا كل ما أخذناه من ولايته اليه واستمسك منا بحبل العصمة واستقر
أيضا أن يكون عسكره معنا في الخدمة .

ذكر القبول وعبور الفرات وفتح تل خالد

قال : ووصلنا الى الفرات في مراحل وعبرنا (١) ببحر الجيش اللجى
وغزونا النهار بليل العجاج الدجوى وأسدلنا على الخضراء ستر الغبراء
وسلونا عن السوداء بحب الشهباء ونزلنا على تل خالد يوم الثلاثاء ثانى عشر
المحرم وكان قد تقدمنا تاج الملوك أخو السلطان اليها وأناخ عليها . ولما
أطلت عليه راياتنا ألقى من فيها بيده وأنجز النصر صادق وعده .

فصل من الإنشاء الفاضلى فى المعنى

فان راياتنا المنصوبة المنصورة قد صارت مغناطيس البلاد تجذبها
بطبعها ، وسيوفنا مفاتيح الامصار نفتحها بفصر الله لأخذها ولا يقطعها ولما
قطعنا الفرات بعثنا سرعات العسكر المنصور الى تل خالد فنزلوا
بمقربتها (٢) ورُمع المنجنيق يده الى ذروتها فلما نزلنا بها نزل من فيها على
حكمنا وأجزيناه من الاحسان على رسمنا واستجار من حربنا بذمة سنسلمنا
وطوينا الى أخرى بمشيئة الله قريبا كتاب فتحها ويقر الله بها العيون أسرع
من لحها .

قال : ثم نزلنا على عين تاب حائزين فنزل صاحبها الينا وهو ناصح
الدين محمد بن خماركين وتبرع بطاعته وشرع فى بذل استطاعته فمكناه فى
مكانه واحسنا اليه لاحسانه فهأنأ له النحلة وعجلنا عنه الرحلة ووصلنا الى
حلب وعماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى ثاقب سمائها وراكب شهابها
وآمرها وناهيها وزاهرها وزاهيها وهو مع ذلك على ما فى يده متخوف والى
سنجار بلده متشوف ومن استئناف الحرب مع أماكن السلم آنف لكنه بأمر

(١) فى الأصل : الخضر .

(٢) فى الأصل : بعقو ، وبتيها فى الهامش .

الأمراء النورية مستنير ولرايهم مستشير وهم أوثقوا للحرب نارا وخرجوا لاسلافهم وأخلافهم على الاسلام الحقوق والسلطان لا يؤثر جراحهم وخرجوا مدججين ودفعوا عن مقاربة النور وهم على كل حال أجناد الجهاد واجلاد الجلال ومنهم النورية الأذكاء القارية الرماء ومنهم اليازوقية الروق وقد سلفت اجتياحهم ، وقد راقه بأسهم ويسالتهم وترجحت في نظره استمالتهم ، وكان هو مع عقلاء العسكر يتقى (٢) واليزكية مع جهلاء المعشر تلتقى (٤) . وكان تاج الملوك فارس ومعفر الأقران بحكم شبابه الطرى وشبابه الطيرير ولما سبق حكم الله في التقدير يسرع الى الحملات ويشرع الاسلات وما زال به الاقتدام حتى توقظ وسنذكر شرح ذلك مع النزول بظاهر حلب في منزلتين :

المنزلة الاولى :

قال : نزلنا بالميدان الأخضر في الزمان الأنضر والربيع في ريعانه والزهر في زهوه والروض في ضوعه وضوئه فضربت سرادقات السلطان في صدر الميدان وضربت خميتى عن يمينها على العادة في البستان ، ولقد أسفت على تلك المستزهاة كيف تشعنت (٥) وأيدى التعدى بها قد تشبثت . ثم للعساكر على ككرتها من بعيد بالبلد أحاطت واشتطت في حب الكريهة واستشناطت ، وفي كل غدوة وعشية وكرب الى كروب وهبوب الى وثوب وتاج الملوك موقد نارها وخايض تيارها والسلطان لاشفاقه على رجال الاسلام وأبطال الشام (٢١٣ ب) / يأمرهم بالكف وينهاهم عن الزحف ، والشباب يشبون الضرام ويحبون الاقتدام فأصاب تاج الدين طعنة لم يكررت بها وفكت ركبته وقتلت ركبته وقضت بقلول شبا شبابه ودبول جنى جنانه ومؤول رتبته الى تراهه .

المنزلة الثانية :

ثم رأى السلطان ان مقامه بالميدان الأخضر لا يقضى بتضييق حصر ولا يفضى الى تحقيق نصر فصبحنا بعد أيام على عزم الرحيل وازماع التحويل وعبرنا بمن معنا من العساكر على بيوت الحاضر ولما وصلنا الى جبل جوشن ضربنا عليه الخيام واطلنا به المقام واحضر السلطان بنائين

(٣) في الأصل : شقى .

(٤) في الأصل : يتقى .

(٥) في الأصل : لا تشعنت ولا زائدة وكذا يقتضى حذفها .

ذكر نكتة : قال ومدح القاضي محى الدين بن الزكى السلطان بأبيات منها :

وفتحكم حلبا بالسيف فى صفر مبشر بفتوح القدس فى رجب

فوافق فتح القدس كما ذكره فكانه من الغيب ابتكره ففى صفر سنة تسع وسبعين كان فتح حلب وكان فتح القدس سنة ثلاث وثمانين فى رجب . قال : ويشبه هذا أننى فى سنة اثنتين وسبعين طلبت من السلطان جارية من سبى الأسطول المنصور بأبيات وهى :

يَوْمَ لَ الْمَلُوكَ مَمْلُوكَةً	تَبْدُلُ الْوَحْشَةَ بِالْإِنْسِ
تُخْرِجُهُ مِنْ لَيْلٍ وَتَوَاسِيهِ (٣)	بَطْلَعَةٌ تَشْرِقُ كَالشَّمْسِ
فَوَجْدَةُ الْقَرْيَةِ قَدْ حَرَكْتَ	سَوَاكِنَ الْبُلْبَالِ وَالْمَسِ
فَلَا تَدْعُ يَهْدِمُ شَيْطَانُهُ مَا	أَحْكَمَ التَّقْوَى مِنْ الْإِسِ
فَوَقَعَ الْيَوْمَ بِمَطْلُوبِهِ مَا	سَبَى الْأَسْطُولَ بِالْأَمْسِ
وَأَنْنَى أَمَلٍ بَعْدَهَا كَرَامِ	السَّبَى مِنَ الْقُدْسِ

قال : فجاء الأمر على وفق الأمل كما قلت وذهب لى تلك السنة ما سألت وأعطانى عام فتح القدس ما أمليت . عاد الحديث قال : وخرج عماد الدين الى خيامه التى ضربها وشرع فى استنجاز الموعد فى البلاد التى طلبها ولم يزل وزيره شمس الدين بن الكافى مترددا فى الطلب وأمر السلطان باتشاء عهده وإيجاب عقد يتأكد به الميثاق ويتمهد به الوفاق فلازمنى (١٢١٤) / أياما حتى حررت نسخة حكمها المحكم لا ينسخ وعقدها المبرم لا يفسخ وأنعم عليه ببلدة سنجار وزيد الخابور ونصيبين والرقعة وسروج .

قال : ولما فتحنا حلب ودانت لنا معاتلها بقى حارم مع أحد (٤) المماليك الصغار النورية وقد طمع أن يحميها ثم أن أجناد حارم اتهموه بهراسلة الفرنج ومداخلتهم فأخرجوه وأكرهوه على النزول ونزل به المكروه وأعلنوا بشعارنا فسرنا إليها وتسليمتها ودبرنا أمرها وأحكمناها ووقرنا من الإحسان قسط أولئك المسلمين وتلونا فى حقهم « ان الله لا يضيع أجر المحسنين » (٥)

(٣) فى الأصل : وسواسه .

(٤) فى الأصل : أحد .

(٥) سورة التوبة ، آية رقم ١٢٠ .

فراسل صاحب انطاكية ضارعا وللعجز عارضا والى الانقياد الينا مسارعا
وسير الينا من أسارى المسلمين جماعة وافية وأظهر أسكانه فيه لأسباب
الإيقاع نافية .

ذكر عبيرة

قال : وعين السلطان يوما للضيافة العمادية وكان ذلك بالخيم (١) قبل
انتقاله الى البلاد فكلمت له أسباب وشروط ونظمت للسماط سموط وترنم
الشادى وترنح النادى وكأنما اجتمع القمران بجلوس عماد الدين بجانب
السلطان وبنياهم فى أحظى حضور وأحبى حبور وأتم نشاط. وأتم اغتباط
اذ جاء بعض الحجاب وأسر اليه بنى أخيه تاج الملوك فما تنكب عن منهج
ثباته السلوك ولم تتغير طلاقة وجهه وأمر سرا بتجيزه ودفنه ، وأعطى تلك
الضيافة حقها وبسط بسنا انبساطه أفقها ثم انتقل السلطان الى حلب وأقام
بالقلعة ووظف الكارم وكشف المظالم واستقط المكوس وكتب الى أصحاب
الأطراف والأوساط باجتماع عساكر جميع الجهات عنده للرباط ويتم له ملك
الشام وسر سره بالتمام ، وحالفه عماد الدين فى الموافقة فى سائر المرام .
وأمرنى بكتب المناشير لأكابره وأمائله بعد ما خص أرباب الفضائل بفواضله
واعتصمت العواصم بعصمته ووقفت القلوب فى القبول بين مهابته ومحبتة
وأحسن رعاية محسنى الرعاية وأعاد القضاء والخطبة الى أهل مذهب (٢)
الشافعية .

ذكر القلاع وما ترتب من وجوه الاصطناع

قال : وأبقى عين تاب (٣) على صاحبها وخصه بأيادى يده ومواهبها ،
وأما تل خالد فانه أئعم بها على بدر الدين دلكرم بن بهاء الدولة بن ياروق
مضافة (٤) الى تل باشر فهدم قلعتها وتصرف (٥) فى أعمالها واستبد بارتفاعها
وعلالها .

(١) فى الأصل : للخيم .

(٢) قارن برق ٥ ورقة ٩٩ أ .

(٣) فى الأصل : عن بات .

(٤) فى الأصل : مصافه .

(٥) فى الأصل : وانصرف .

وأما قلعة عزاز فان عماد الدين زنكى كان قد هدمها لتوفر قوته على حفظ حلب فأقطعها وأعمالها علم الدين سليمان بن جندر فأعاد عمارتها كما كانت وظهرت آثار كفايته وبانت ، وسلم حارم الى أحد الخواص من أهل الولاء والاخلاص ، وولى القضاء بحلب محى الدين أبا المعالى محمد بن زكى الدين على القرشى فاستتاب فيها القاضى زين الدين نبأ بن الفضل ابن سليمان المعروف بابن البانياسى ، وأقام فى قلعة حلب سيف الدين يازكوج واليا وولى الديوان العميد ناصح الدين اسمعيل بن العميد ، وجعل حلب باسم ولده الملك الظاهر غازى وكان قد اصطحبه من مصر عند وصوله الى الشام وعادت الأمور بسيرته (٤) السارة الى النظام وما برح (٥) السلطان من حلب حتى استقامت أحوالها على جدد الصلاح واستقامت آمالها الى مدد النجاح وضرب باسمه درهما ودينارها وأنارت معالمها وعلا منارها وصدحت بالأدعية منابرها وصدق لأرعاء الرعية منابرها قلت : وأورد ههنا مناشير من انشائه لأماثل منها منشور للشيخ الامام علاء الدين الكاسانى (٦) مدرس المدارس الحنفية بحلب ، ومنشور للمحتسب (٧) بها ولم يسمه وآخر باسم طبيب ثم قال :

ذكر بشاير بوقعات نصر فيها الاسلام (١٠)

وصلت ونحن بحلب منها وقعة برية بالفرنج على ما يعرف بالعسيلة ووقعة بحرية فى ظفر الاسطول وذلك فى محرم سنة تسع وسبعين وشرح ذلك فى كتاب من الانشاء الفاضلى الى الديوان العزيز يتضمن الوقعتين : ادام الله أيام الديوان ولا زالت منازل ملكه منازل التقديس والتطهير وموالاته وسيلة التمحيص والتكثير ، ومواقف الأولياء ببابه مواطن السجود والتعفير ، والولاية من قبله علامة التملك والتأمر ، والوقوف بأقصى المطارح من مرآته موجب التقدير والتصدير ، وآيات نعمة الله فى وجوده واضحة تغنى فيها الالباب عن التبيين والتفسير ، والأمة مجموعة بأمامته جمع السلامة لا جمع

(٦) فى الأصل : بسرعة .

(٧) فى الأصل : غير منقوطة .

(٨) وهو علاء الدين أبو بكر مسعود الكاسانى ، قارن برق ٥ ورقة

١٠٠ ب .

(٩) قارن برق ٥ ورقة ١٠٣ .

(١٠) قارن الروضتين ١ ج ٢ — ٤٧ — ٤٨ .

التكسير . الخادم ينهى الذى يحمله على ما يحمله الى الديوان العزيز من كتيه ويبيديه من رسله ويجيب به دواعى طبيعه فى الولاء المسترسل على سجيته أو يحركه المتبعث فيه على رسله أمران أحدهما أن الذى يفتتحه من البلاد ويتسلمه أما بسكون التغمذ (٢١٤ ب) / أو بحركة ما فى الأغمد (١١) انما يعده طريقا الى الاستنفار الى بلاد الكفار وانما يحسبه جناحا يمكنه به المطار الى بالامسه الكثر من الأقطار .

والثانى اعلام أمير المؤمنين ان تقليداته وتقليدات آباءه الطاهرين اذا صدرت عنه وعنهم قريت وما عصيت ، ونفذت وما نبذت فيعلم ان له عبدا يمثل أمره ويلزم الناس بامتثاله ، وخادما يطيع الحكم الجليل ويحكم على غيره بطاعته واجلاله . وعلى هذه التقدمة فهو يستفتح هذه الخدمة بذكر ظفرين للاسلام برى وبحرى أحدهما وهو البحرى عود احد الأسطولين اللذين أغزاهما أخوه أبو بكر بمصر وكانت مدة غيبته من وقت خروجه الى وقت عوده الى دمياط تسعة أيام لأنه غادرها (١٢) فى خامس عشر المحرم وقفله رابع عشرينه فظفر ببطشه مقلعة من الشام فيها ثلثمائة وخمسة وسبعون منهم خياله ذووا شوكة وأزعة وتجار ذووا ثروة واسعة فأخذ الله بأيدي الأولياء برقابهم ومكن الحطم والقصم من صلبهم وأصلابهم ومسح عزة أقدامهم بذلة أحجامهم وسيوفهم اللاتى (١٢) فى أيديهم سلاسل ومليت آمال الجاهدين أموالا وأثقالا وانقلبوا بالقلوب خافا وبالأيدى ثقالا وبرد مغنهم بعد ما تقدمه من حر الحرب وعادوا عن البحر الملح شاكرين لما أوردتهم من المشرب العذب .

والظفر الثانى وهو البرى ما طولع به من مصر من نهوض فرنج الداروم الى أطراف بعيدة وهذه العصابة ملعونة لا ترع الأعنة ولا تنزع الأسنة تسرى فتسبق الصباح وتدلج فتستصيح الرماح فنزل بهم والى الشرقية فركب الليل فرسا أركبوه حملا وسروا ثقلا وسرى رملا فتوافى الفريقان الى ماء يعرف بالعسيلة سبق الفرنج الى مودته والسابق الى الماء محاصر

(١١) فى الأصل : غزاها .

(١٢) فى الأصل : الذى وكذا يتطلب السياق .

(١٣) غير منقوطة .

المسبوق ووردوا أزرقه فتعصب لارزقتهم فظن المؤمن أن الكافر مرزوق وأُستد بالمسلمين العطش وقل أيديهم الدهش فأنشأ الله في ناجز الهواجز سحابة ماء صيفى شفاهم بها « من فوقهم ومن تحت أرجلهم » (١). وأمسك به أيديهم فاستمسكت على أنصلهم فثابوا الى الفرنج بقوة أنجاد السماء بالماء وثاروا الى الملاعين الاعداء بالعزم الجرى ذاكرين معجزة اليوم البورى يوم من الله على أهله بالتطهير والرى فلم ينج من الفرنج الا رجلان أحدهما الدليل والآخر الذليل وانجلت الجلى بعد أن صاروا معصفين ، وتساقوا كئوس الموت تحت ليل العجاج مفتبقين فقطعت شوكة شديدة وقلت شكة كهر جديدة وعاد المسلمون برعوس عدوهم فى رعوس القنسا وقد اجتنوا ثمراتها وبأرواحهم فى صدور الطبى وقد اطفأوا بمائها جمراتها .

قال : ولما تم الفراغ من شغل حلب وأعمالها وتسديد اختلالها فاستصحبنا عساكر حلب والجزيرة واجتمعنا فى جموع كثيفة كبيرة وتلونا السلطان بتل السلطان مخيمين على عزم الفزاة مصممين فما وصلنا الى حباب التركمان حتى وصلت قبائل التركمان فتفرقت العساكر فى الطرق وأجدت فى الجيب والعنق حتى ناطحتنا قرون حماه ، وصافحاتنا سعود قرائها ، وقرت بنا عيون أعيانها فأول من تلقانا ببره القاضى أبو القاسم حاتم الاكرم وقاسم المكارم وكان هذا القاضى أمين الدين بن حبيش لم يزل ذا سجية وعيشة رحية فاذا وصل الى حماه سلطان أو أمير أو معروف أو كبير دعاه الى ريعه وأجراه على كريم طبعه فان لم يزره زارته تحاياه وقرته فى مخيمه تحفه وهداياه وله من القلوب أتم قبول ولكل نازل به أنها نزل وأكرم نزول . ولهذه الشوافع لم ترد له عند السلاطين والاكابر شفاعة ولم يعر شيئا من حقوقه المصونة أضاعة . ولم يكن هذا القاضى متوليا لعمل ولا قضاء ولا حكم له فى انفاذ ولا امضاء وكان قانعا بحدى ملكه ويستثمره بفضل جاهه ويفوق المعروفين بتيقظه وانتباهه .

قال : وكان الملك المظفر تقى الدين بى أخى السلطان صاحب حماه ومالكها ، وقد تولى بالامن والعدل مسالكها وممالكها فوشع ذراه ووسع

(٦) سورة المائدة ، آية رقم ٦٦ .

« ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصده وكثير منهم ساء ما يعملون » .

قراه وحبر يديه رجب نداء وحسن الحصن الذي لحماه وحماه ، وقصر نظرنا على قصره الناظر الذي اعتنى به وابتناه وما أبهج وأبهى بهوه وبهاه وأعظم أيوانه وأكرم أيواه فتفرقنا بعد الاجتماع وجذبنا زمام الإزعاج واستن العسكر سنن الرستن وعبرنا العاصى فى طاعة الله بقصد الغزاه والجرد تحت المرد والكمث تحت الكماه ، ومالت بنا أعناق الاعناق ، وقصدنا الى حمص أشواط الاشواق ، وخيمنا على عاصيها وضائق بجموعنا ادانيها وأقاصيها وجئنا الى الزراعة ثم اللبوة ووصلنا الى بعلبك ثم قربنا من دمشق ودخلنا اليها وهى ببشرنا مستبشرة وعن صباح سفورنا مسفرة ولم يطل بها المقام وعجلنا الرحلة عنها ، واغتنمنا حضور العساكر المتضاعفة العدد المتظاهرة العدد فخرجنا نحو العدو متوجهين/ (٢١٥) وفى رياض مراسى الله متنزهين فأول ما وقع البأس ببيسان (٧) وجاء الفرنج فربطهم السلطان على عين الجالوت (٨) وواقع باعداء الله أولياء الطاغوت وقد صفت غزوة ببيسان .

وفى كتاب انشأته عن السلطان وهو : وأقرب غزواتنا عهدا بالفرنج غزوة ببيسان فى كتاب انشأته كان من حديثها المبهج أنا سرنا بعساكرنا الموفورة وقطعنا الاردن وعبرنا مخاضة الحسينية (٩) بخلوص الضمير فى سبيل الله وحسن النية وذلك يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة فلما وصلنا الى ببيسان وجدنا بأسنا قد سبق اليها وقد أخلاها أهلها فعاجلها الاصحاب بما أحل لاهلها الكفار من النيران وعقدوا تحت سماء العجاج منها سماء الدخان فما برحنا حتى عفونا آثارها ونهب العسكر فيها من زاد وقوت ما زاد به قوة وكانت هذه المقدمة نصرمة مرجوة ألحقنا بها مدنا معمورة وقلعا حصينة واضرمنها نارا ولم نذر بها من الكافرين ديارا ووقعت مقدمة العساكر

(٧) بالفتح ثم السكون مدينة بالاردن بالفور الشامى ويقال هى لسان الارض وهى بين حوران وفلسطين واليهما ينسب القاضى الفاضل أبو على عبد الله عبد الرحمن بن على البيسانى وزير الملك الناصر يوسف بن أيوب والمتحكم فى دولته وصاحب البلاغة والانشاء التى أعجزت كل بليغ وفاق بفصاحته وبراعته المتقدمين والمتأخرين ، مات بمصر سنة ٥٩٦ معجم البلدان ٧٨٨-٧٨٩ .

(٨) بلدة بين ببيسان ونابلس من أعمال فلسطين ، معجم البلدان ٧٦٠ - ٣ .

(٩) من أعمال طبرية فى شرقيها ، معجم البلدان ٣-٥١٠ .

المنصورة فى أول يوم على خيل ورجل للفرنج عابرين من نابلس شأوتعت بهم وسدت عليهم طريق مهربهم وقتلت راجلهم وأسرت جماعة من الفرسان قيدوا فى الاقياد وتوغل الباقون فى الجبال بحزازات القلوب وحرارات الالكباد ، وكان مقدمهم ابن هنفري ففر ووصل الخبر بأن الفرنج وأنوا بجمعهم الحشود وحشدهم المجموع وكانوا فى ألف وخمسمائة رمح ومثله تركبلى وخمسة عشر ألف راجل وزحفوا كأنهم أسود الشرى فى آجامها وهضاب شرورى بأعلامها فبعثنا اليهم الجاليتية فجالت أمها وجاشت قدامها وعينا(١٠). الاطلاب للموت طلابا وللنصر بلسان الفصل خطابا وكثر الله المؤمنين فى أعين الكافرين فعادوا بعد الانس نافرين ولما رأوا بأسنا اخلدوا الى الأرض مهطعين وخندقوا حولهم وأسندوا الى الجبل بالذل لابدين واركزوا قنطارياتهم فى مركز دايرة الخذلان وطلبوا ربح سلامتهم من الخسران وأقاموا كذلك خمسة أيام آخرها الاربعاء خامس عشر جمادى الآخرة ونحن فى كل يوم نتوقع منهم الحيلة التى هى عادتهم والمبادرة فى اللقاء التى هى فى الصدمة الأولى سورتهم فنكبوا عن اللقاء وما هاجوا الى الهيجاء وعساكرنا المنصورة حولهم حايمة فى بحار السوايح فى بلاد الساحل دونهم عايمة ويعادونهم مساء وصباحا والفرنج قد ييست أيديهم على الاعنة وغلت فى صدورهم وحراب الرعب على صدور الاسنة والمفرون فى بلادهم يشنون الغوار ويكثرون القتل والأسار فلما رأيناهم لا يبرحون رحلنا عنهم يوم الخميس لخنائهم بنفسين فما صدقوا حتى جفلوا أجفال النمام وتوغلوا فى الجبال وهم أضل من الانعام ، وتصاعدوا فى العقاب ونكصوا على الاعقاب ، ونحن قد بلغنا النكاية(١١) فيهم غايتها والفنايم ، والإسارى قد ملأت الأيدى وثقلت الظهور ، وعجل الله للإسلام وعسكره النصر والظهور، وعدنا سالين سالبين غانمين غالبين « والحمد لله رب العالمين » وقد شرعنا الآن فى غزوة ثانية لعزب الكفر ثانية والمسير بالعسكر الذى عدنا به الى الكرك والالتقاء بالعسكر الواصل من مصر عليها فان الفرنج قد بان لنا هوانها وهذا وقت منيتها وأوانها فما نزال بتأييد الله نوالى الفزوات حتى يأذن الله فى فتح الأرض المقدسة والسلام .

(١٠) فى الاصل ساقطة والضبط من البرق ه ورقة ١١٣ ب .

(١١) فى الاصل : النكاب الضبط من برق ه ورقة ١١٣ ب .

**ذكر العودة الى الكرك واستدعاء الملك العادل من مصر لتسولى حلب
واستنابة الملك المظفر تقي الدين فى مصر وشرح السبب فى ذلك (١)**

قال : وكان الملك العادل سيف الدين ابو بكر أخو السلطان على عادته فى تولى الديار المصرية مستمرا ، ولأمورها بفضل سياسته وحسن رعايته ممرا ، وهو مستقل بالامر والنهى يولى ويعزل ويعطى وينزل ، وهو سلطان الديار المصرية على الحقيقة ومترتب أمورها الجليلة والدقيقة . والسلطان بالشام فى مهام الاسلام وهو بأخيه كثير وبحسن أثره أثير ، وهو يمدد بالمال والرجال ويجرى الارزاق والآجال فلما ملك حلب كتب الملك العادل لها طالبا وفيها وفيما يجرى معها من البلاد والمقاتل راغبا فكتب اليه لسؤاله مصيبا ، ولسؤاله مجيبا وواعده الى الاجتماع به على الكرك ليفوز من بغيته بالدرك واستصحب معه الملك المظفر تقي الدين ابن أخيه ليوليه فى مصر ويستنييه وكل ذلك بمشورة الأجل الفاضل وعنايته بالسائر والواصل فان السلطان لم يزل يأخذ بإشارته ويعطى ويصيب ببركات آرائه ولا يخطئ . ولما آب السلطان من الغزوة جعل مآب الجهاد الى جهة مآب (٢) من اقليم الشراوة ونزلنا بادرادر واستأمن اليها أهلها المسلمون فأذقتهم بحلية الدين حلاوة الامان وساكنتوا تلك الاعمال مسلمون من قديم الزمان وتربى اولادهم فى حكم الفرنج فالفوا ما الفوه وخافوا منهم على ظهور حبههم لنا فأخفوه ثم خيمنا على الرية ثم حصرنا الكرك وحصرناها وكانت المناجيق (٢١٥ ب) تراوحها وتفاديهها وتماودها وتباديهها ، وتحول السلطان الى الرىض ملازما للغرض وأقام بدار الرئيس ليقرب من المناجيق المنصوبة ويشاهد مواعيد النكايه فى القلعة المحصورة وكانت سبعة قد فتحت لأهل جهنم سبعة أبوابها وفغرت أفواها وكشرت عن أنيابها ، وفصلت أوصال السور بسوء خطبها وخطابها وقد رتب السلطان نوب الرملة على رجال الامراء فى الصباح والمساء ولم يزل يرحم الحصن ويهدم والسلطان فى اثناء ذلك مشتغل من جانب بتعمير البلاد وترتيب الممالك ومن جانب بتدمير الكفر والتدبير له فى الممالك . ثم انقضى شهر رجب وعلم بالاجتماع الفرنج فى الوضع المعروف

(١) ما بين الحاصرتين من العنوان يوجد بالهامش .

(٢) مآب من قرى البلقاء ويقال لها موته ، معجم البلدان ٦٧٧—٦٧٨ .

بالوالة فقالوا هذا حصر يطول ومسألة تعول وقد أضعفنا الحصن ومكنا منه الوهن ، وهذه نصرة قد أحكمنا أسبايقها ولا خوف من فواتها وما نزال نعاود بالاضعاف حتى نوفز بالفتوح ونحوز ذخّر الظفر المنوح ، وهذا جمع الفرنج ملتئم وجرهم مضطرب وقد اجتمعوا فنحن نقصدهم ونلقاهم ونقدم عليهم ولا نتوقاهم وسيأتى ذكر عودنا فى موضعه .

ولما وصل الملك العادل أظهر عن حب مصر سلوه ، وطلب من حلب واقطاعها مرجوه فعول السلطان على تقى الدين فى تولى الديار وزاد منه اقطاعه بالشام اقطاعا فى مصر وانعم عليه بالأعمال الفيومية وسائر نواحيها بجميع جهاتها وجواليها وزاده القبيبات وبوش وأبقى عليه بالبلاد الشامية مدينة حماه وتلعتها وجميع أعمالها وجبله بصحبة سيدنا الفاضل حتى اذا وصل تقى الدين الى مصر اقتدى بالتدبير الفاضلى واهتدى بسننا رايه الجليل الجلى .

وكان السلطان لا يؤثر مفارقتة ولا يحضره أنس اذا فارق حضرته ولما لم يجد من توجه تقى الدين الى مصر بدا وأنه سيكون بالأعمال مستبدا ، وكانت فى تقى الدين الى مصر جدة لم تكن فى الملك العادل احتاج الى تقويمه الى تدبير الاجل الفاضل فأذن له فى السفرة بشرط الاسراع فى العودة والمبادرة الى الاجابة عند تحقق الدعوة . فسارا بمن فى صحبتهما وعاد السلطان بالملك العادل وكتبت لهما منشورين فى شعبان سنة تسع وسبعين ، قال : وكتبت الى سيدنا الاجل الفاضل عند الرجوع من وداعه وكان رحيله من الكرك فى منتصف شعبان : رجع الملوك من الوداع وداعى الاسى يحفزه وعادى الاسف يزعجه ويعجزه معدم الشمس التى تفيض عليه والظل الذى ينفى اليه . لا مجيب لاستدعائه ولا مجبر لاستعداداته ولا قابل له ولا قابل به ولا منفق لنقده ولا موثق لعقده ولا مروج لرجائه وظل كضالة لا ينشد وكالضال لا يرشد وكالفتيد لا ينتقد وكالزيف لا ينتقد وكيف حال من حالت كفيته إياسه بأسوة أم نيته أمنيته ياليت المولى قبله صاحبا لركابه وراكبا فى صحبه متلاشيا فى اشعة آلائه متعاشيا فى سابغ آلايه وضاسيا مع الشرفاء ثقيلا مع الظرفاء ، سبقنا مع الاصحاء هجينا مع المرحاء والعقد الثمين ربما انتظمت فيه لصرف العين الخرزة وسدت بالخرزة ثلمتها المعوزة على انه اذا اتاهه فى كنف الرعاية مرعى الكف غبطه السايرون وتحاماه

الضايرون ولم يثر اليه الثايرون ولا غنى بالملوك فى كل وقت لاستزادة محقته واستزالة مقتته عن تجديد جاهه وتوجيه جده واسعاد رجائه واجراء سعده فالفارسي يستثمر بالتربية غرسه ولا يضيع الملوك الذى ملك رقبه باحسان عشر سنين « ان الله لا يضيع اجر المحسنين » (٣) .

ذكر الرحيل الى الشام

ولما رأينا (٤) أمر الكرك يطول ، ودافعنا عن حقه القدر المطول جهز السلطان العسكر المصرى فى الخدمة التقوية التى بالصحة الفاضلية يقويها ومن أرائها فى كل ما ينادى له تلبيتها وتربيتها وانصرف بعسكر الشام عابدا الى دمشق عود الحيا الهاطل الى الثرى الماحل ، والقينا بها المصا واجرينا ذكر من أطاع وعصى ، وعدنا من فرض الجهاد الى فرض الصيام ، ووقع الشروع فى اراحة العساكر عند استقبال العام واستئناف الجمع لنصرة الاسلام وتولى الملك العادل سيف الدين أخو السلطان حلب وقلمتها وجميع أعمالها وجميع قلاعها ، ومدينة منبج ومعقلها وصار اليها وتسلط بها سلطانه وتمكن منها مكانه ، وتحكمت ولايته وتولتها أحكامه ، ونفسنا أوامره فى امورها نقضه وإبرامه ودرت على مراده أخلاقها بوضوح مذهبه فى الوفاق خلافتها وانصرف نواب السلطان الى دمشق فى خدمة الملك الظاهر ظاهرين بصفو الموارد والمصادر .

(٢١٦) / ذكر وصول شيخ الشيوخ وشهاب الدين بشير

فى الرسالة الشريفة الامامية ووصول محى (٥)

الدين الشـهرزورى معها رسـولا من الموصل

قال : ولما استقر بنا فى دمشق المقام وتم الصيام جاء من رافد نعم الله التمام . ووصلت رسل أمير المؤمنين عليه السلام فوفيناهم فى الاستقبال كل حق وذكرنا من الاسراع الى الاستسعاد بهم كل سبق .

(٣) سورة هود آية ١١٥ « واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين » .

(٤) فى الاصل : رأنا وكذا يتطلب السياق .

(٥) فى الاصل : يحيى — قارن الروضتين (١) ج ٢ — ٥٤ .

ولقى السلطان الرسل فنزل ونزلوا ، وأقبل عليهم وأقبلوا ثم قدم لهم المراكب التي أعدت لهم فركبوا وسأيرهم السلطان واصطحبوا ، ونزل شيخ الشيوخ بالرباط على المنبع ، ونزل القاضي محيى الدين بن كمال الدين الشهرزورى فى جوسق بستان الخلخال ونزل شهاب الدين بشير جوسق صاحب بصرى على الميدان .

قال : وكان بينى وبين شيخ الشيوخ قرابة قريبة فانه اتصل الى ابنة عمى عز الدين أبى نصر أحمد بن حامد ، وقد كانت عقيلة بيت السؤدد ، وكان وزراء الزمان وعظماء دولة السلطان يخطبوننها رغبة فى طيب النجار ونزاهة العنصر ، واتفق حضورهما بالكعبة المعظمة فى سنة خمس وأربعين . وتكررت منه الخطبة وصحت الرغبة فأجيب لدينه وأصله وتقواه وفضله وبارك الله منها فى ذريته ونسله . وكان له منها أولاد نجباء أستاذ الله بهم فى ريعان شبابهم وبقي الذى اصطحبه فى هذه الرسالة وكان منعوتا مكنى مسمى بما كان لجده العزيز أبى نصر أحمد فمرض فى الطريق واصطحبه معه فى محفه فوصل ونفسه رهينة بنفس وقد جاء الأجل وذهب الأمل وانقضى العمر وقضى الأمر .

وجلس ثانى يوم وصوله للعزاء وحضر السلطان وجماعة الامراء وصلى عليه ودفن بالمقبرة بمحاذاة الرباط وبردت حرارة الرسالة وشغلت حادثته عن محادثته حتى انقضت ثلاثة أيام موسم التهنئة ولم يقدر على التسليم والتسلية .

ذكر السبب المقتضى لهذه الرسالة فى هذه السنة

قال : لما عرف صاحب الموصل ما تسنى لنا من فتح آمد وحلب وتيسر كل ما اراده السلطان وطلب خطر بباله خطر البلوى وعود العدوى فمال الى الاستعطاء والاستعطاف وشرع فى استسعاء رسله للاستسعاء واستدعى من الديوان العزيز ارسال شيخ الشيوخ للاستشفاع لهم اننا لا نرى الا الانتهاز بالطاعة للامر المطاع ونذب قاضى القضاة محيى الدين أبى حامد محمد ابن محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى للرسالة من جانبه وأناط بسميه نجح مطالبه فجاء فى جاه أنيق ولسان دليق وترفع وتعزف وتثقف وترق فى ذروة الخطاب بطلو آيه على سريرة نبرة الخطابة ولو تخلق بخلق

مرسله فى الدفع بالتواضع لكفى الغرض وشفى المرض فانه لما وصل لزمه ناموسه واطال فى محل بستانه جلوسه واظهر كانه الامين نزل بالوحى من السماء وجاز بالعطارد فى بيته بالجوزاء ولم يأخذ فى طريق الاستحذاء وظن أن ذلك لخدمه نصيحة وخدمة صريحة وبغية صحيحة على أن السلطان مقابل شدته باللين واعطا يمينه على أخذ اليمين فاشتط واشترط وكلما قاربناه شحط ، وكلما أرضيناه سخط وكلما توخينا جامعا للمصالح أبى الا مراده المارد ولم يوافق مصادره الموارد ولو أنه تلطف واستعطف حصل المخطوب (١) ووصل المطلوب وتأكدت العقود وتمهدت العهود لكنه الزم ما لا يلزم وجزم ما لا يجزم وعين شرطاً له مانع وفيه منازع .

نكر كشف الحال

قال : كانت قد وصلت رسل صاحب الجزيرة وكان صاحب (٢) أربل وصاحب تكريت والحديثة (٣) يشكون من صاحب الموصل وتكليفاته وأثقاله الكثيرة الكبيرة فأما صاحب الجزيرة فهو معز الدين سنجر شاه بن غازى بن مودود بن زنكى وهو خايف من صاحب الموصل عمه وأنه يلزمه أن يدخل تحت حكمه ويخشى أن يكشف ضياء حاله ظلمة ظلمه . وأما صاحب أربل فهو زين الدين يوسف (بن بكتكين) (٤) بن على بن كوجك وهو أيضا شفق من أمره محترق بجمره ، وكذلك صاحب (٥) الحديثة وتكريت يرهبان وفى الاعتزاز بنا يرغبان وكل أخذ من السلطان عهداً على أنه يحميه ويقيه ويسمعه ولا يشقيه ، وانصرف رسلهم على هذا القرار . ثم كان وصول شيخ الشيوخ صدر الدين ومحيى الدين الشهرزورى ووقع الشروع فى حديثهم وحادثهم واجازة دواعيهم واجابة بواعثهم . وكان القاضى محبى الدين الشهرزورى سالفاً فى المدرسة النظامية ببغداد زفيقى وآتفا فى الايام النورية صديقى فصدفوه فى هذه المرة عن مشاورتى وصرفوه (٢١٦ ب) عن محاورتى ولو استشارنى لعرفته النهج وسلكت به طريقاً للمصالح جامعة للعوايق رافعة

(١) فى الاصل : الخطوب ، الضبط من برق ٥ ورقة ١٣٠ .

(٢) فى الاصل : ساقطة . كذا .

(٣) وتسمى حديثه الموصل وهى بليده على دجلة بالجانب الشرقى قرب

الزاب الاعلى ، معجم البلدان ٢-٢٢٢ .

(٤) غير موجودة فى البرق ٥ ورقة ١٣٠ ب .

(٥) فى الاصل : صاحب .

فصرت عن سره بمعزل حتى استقرت قاعدته (١) ولم يبق إلا عقدة للتأليف
تقرر ونسخة التطيف تحرر فاستدعاني السلطان ذات يوم غدوة وقال :
اكتب لنا شرطاً ليكون لنا في الوفاق قدوة فقلت له : كيف تستثنى أولئك
الذين وثقوا بعهدي ؟ وسكنوا الى وعدك وهؤلاء لا يرضون (٢) بالاستثناء
وكيف تنسب الى ترك الوفاء فقال : اكتب ما ينزهني عن الخلف وينبهنى
على صدق الحلف فقلت تحلف لصاحب الموصل على موصله ونجح مؤمله
وتجعل أمر أصحاب تلك البلاد الى اختيارهم فمن اختارنا تم منا له مناله ومن
اختاره فله عنده سؤله وسؤاله ، وهو يشرع في استدعائهم واسترضائهم
على وفق آرائهم فان صح لنا في عودهم (٣) اليه أمرهم بسط عذرنا (٤) وقبض
عذرهم .

فقال : امض الآن الى شيخ الشيوخ وعرفه بالقضية وأرضه بهذه
الحالة الرضية والم ايضا بمحى الدين وانا قد أجبناه على هذه الشريطة الى
اليمن . فلما شيخ الشيوخ فانه عرف واعترف واسعد بالمراد وأسعف ،
وأما محى الدين فانه ابى الا الالباء وانكر الاستثناء وقال : هذا مستحيل ولا
ينقطع به القال والقال وأولئك في بلادنا ونوابنا وفي ولايتنا ولاتنا وأصحابنا
وفي خروجهم علينا ما لا خفاء به من تفريق الكلم وتشيت الشمل المنتظم ،
واذا علموا أنكم لهم توفقتم وعليهم أشفقتم خرق أجماعهم ، وزاغت عنا
أسماعهم وأبصارهم فانركونا وآياهم واعتذروا اليهم بأننا قبلناكم أيام
السخط والآن فقد كمل الصلح فاجروا على العادة ولا تخالفوا في الإرادة
فقلنا تأخذ الآن عهدا كما شرحنا وشرطنا وحفظنا به الجوانب واحتطنا ،
وانتم اشرعوا في الاستمالة وتكبوا طرق الاستحالة فما قبل الرسول ولا
تم بقبوله السؤال . ثم استأذنوا في الانصراف والاستيثار على ما تقرر في
الاستحلاف فأكرم الرسل الكرام وقضيت حقوقهم بكل تشريف وعطية وتحفة
وهدية وكان شيخ الشيوخ كبير الهمة أثيرا (٥) لا يقبل قليلا ولا كثيرا فاذا

(٦) ساقطة في الأصل والضبط من برق ٥ ورقة ١٣٠ ب .

(٧) في الأصل : ولا يرضون .

(٨) في الأصل : وسودهم .

(٩) في الأصل : عدنا والضبط من البرق ٥ ورقة ١٣١ .

(١٠) في الأصل : أسيرا .

حمل له الطعام ترققه على الأجناد الذين معه من الديوان العزيز الامامى ، وعصم احواله بالخلق العصامى فما زلت به حتى اجاب كل يوم الى رغيـف وباجة متخذة من تجاجة .

فلما خرجوا من دمشق عازمين على المسير وعرف السلطان انهم خيموا بالقصر قال السلطان : قد استحييت من صدر الدين شيخ الشيوخ ، وقد عولت على ان اركب لوداعه واقابل مقاله بامتثاله واقبل مقاله لاجله ولاجلاله ، ويكتب نسخة اليمين كما يمليه بعبارته . فسبقت اليهم بأمر السلطان ، وعرفتهم بسرعة وصوله ، فلما وصل نزل فى خيمة الصدر منشرح الصدر متضح البشر ثم كشف له فى القناعة ما سألـه القناع وسألـه بالرسول فى عقد الاجماع الاجتماع (١١) . فأرسل اليه من يعلم بالأمر ويقفه على السر وضيق عليه سعة العذر فلما رأى تواضع السلطان ترقق وقال : انا بعد ما جرى من الحال لا رغبة لى فى الاسترسال حتى انتهى الى من خصنى بالارسال . ولعلكم اعتقدتم انه ليس لنا مظاهر ولا مظافر ولا موازر بل لنا من يشتمل علينا ويعصمنا ويميل الينا ونحن نكاتبه . ونستشير به ولا نتوخذ خلاف مذهبه واشار الى سلطان العجم والبهلوان فان هذا القول منه بنقار السلطان وترك ما عزم عليه وودع وركب ، وبعد الأمر الذى كان قد قرب وكان قد أرسل للاطفاء قاسع وللاستحذاء فتكبر .

وقال السلطان قاتر العزم فى العود الى الموصل فهاجه وحرف اليها مزاجه ولو تمسك منه بظاهر يمين لفاز لرسله فى مكانه بتمكين وكأنه ذكر بما نسى واستعجل فيما نسى ، فخطب خطابه خطوبا وغير تغيير ثلـبه قلوبا وجر ذنبه (١٢) تجريه ذنوبا ، وحدثت كوارث ، وكثرت حوادث كلها الى هذه الحالة منسوب ومن هذه المقالة محسوب وسيأتى ذكر ذلك فى مكانه بشرحه وبيانه .

قال : ووصل رسول عماد الدين زنكى صاحب سنجار فاتخذ توخى المصلحة فى المصالحة وعاد فعرف ما أفضى اليه الأمر وما جرى عليه رسل

(١١) فى الاصل : الاجتماع والضبط من البرق ه ورقة ١٣٢ ا .

(١٢) فى الاصل : ساقطة الضبط من برق ه ورقة ١٣٢ ب .

الموصل من الالباء والعود الى عادة الاعتداء . وانا فى هذه السنة المقبلة قد عزمنا على الكر الى الكرك وانا راغبون فى جهاد اهل الشرك فى الثواب المشترك وقوبلت تحاياه وهداياه بأضعافها وبذل له من الابتهاج لمودته كل ما يؤذن ببهجة الدولة وهز اعطافها وكتب فى جوابه مع رسوله وهو وزيره شمس الدين بن الكافى كتاب من انشائى بتاريخ ثلاث خلون من ذى الحجة (١٣) قال : (٢١٧) وكثرت الأمطار فى شتوة هذه السنة والثلوج وتعذرت (١٤) الحركة والخروج .

ودخلت سنة ثمانين

والبرد قد تقوض أساسه وانقرض بانه وسقطت جمراته وسخطت غمراته فتقاضى السلطان عزم الجهاد وحزم الاجتهاد فاستدعى الاجناد واستعد وخرج الى مرج الدليمية من عمل البقاع وقد اذن مرعها بالامراع وغضت الشعب ورضت الاعشاب وأمكن الرعى وتمكن السعى وشرع الجند فى الاجتماع والجد فى الارتفاع وتواصلت الرسل وتراسلت الموصل ، وجاء رسول نور الدين بن قرا ارسلان يظهر لما يومىء به الانتقياد والاذعان وهو وزيره قوام الدين أحمد بن سماقه وهو حاكم ملكه وناظم لسلكه وأخص خواصه وأخلص نوى استخلاصه ودخل الى السلطان من بابى واستفتح خطابه بمفاتحة خطابى وفرق على الخواص والعوام تحفا وهدايا خصت وعمت ، وطرفا وسنايا مقاصده بها استتمت . وردة السلطان سريعا واتحفه احسانا وسيعا وشيعا وسامه بالوصول بمخدمه فى خصوص عسكره وعمومه واقمنا حتى وصلت البشرى بقدومه . وركبنا وتقليناه على فراسخ وشاهدنا منه الطود الراسى الراسخ وأنزله السلطان فى سرادقه وعام فيالقه فى فيالقه واستصحبه الى دمشق فأبدي بمنزلاتها العشق وأضافه وأزاره الطافة وأدنى من فضله قطافه ولأعبه بالكره فى ميادينها ودأبسه بالطرف فى بساينها . ولما تم عبير الربيع فى عبوره ونمنم حبى الحبير فى حبوره تقاضى غريم الغرام بقضاياه واعلن العزم السلطانى بخفـايـاه

(١٣) نص الخطاب فى برق ٥ ورقعة ١٣٣ ا وبقية الاوراق من ١٣٣ ب — ١٤٠ غير مذكورة فى المختصر . وبهذه الاوراق ينتهى ج ٥ من البرق وتبدأ سنة ثمانين وخمسمائة ويقول العماد : ويتلوه الجزء السادس ودخلت سنة ثمانين .

(١٤) فى الاصل : وتعذر .

وأخرج خباياه وأيقن الاسلام بأمانيه والكفر بمنياه . واجتمعت
العساكر برأس الماء على الملوك والامراء والأكابر والعظماء ، وأشفق
السلطان من تكليف ابن قرا ارسلان تجشم المشاق فأنزله فى مقام الارفاد
والافاق وتقدم الى اخيه الملك العادل سيف الدين بالاقامة معه لايناسه .
وكان قد قدم كتباً الى الأجل الفاضل بالوصول العاجل ، والى تقي الدين
ناييه بالديار المصرية باقباله منها بالجحافل ، وسار على سمت الكرك
واستصحب عدد الحصر وعدد الابصار والعسكر اللجب والمنظر العجب .

فصل فى كتاب الى صدر الدين شيخ الشيوخ ببغداد فى شهر ربيع
الأول سنة ثمانين : قد توافدت العساكر الشامية والجزرية والديار بكرية
ووصل نور الدين بن قرا ارسلان (١٥) فى عسكره المجر وجنده المصحوب
بالنصر ، وعسكر صاحب ماردين فى جمع كثيف ومطلع فى السعد منير منيف
وصاحب دارا وشهاب الدين اخو صاحب سنجار ، وكل منهم ماضى العزم
شديد السهم لما مهدنا له من المهم . ونحن متوجهون الى الكرك يسر الله
فتحه وقرن بمتجرنا فى سبيله ربحه ، وقد استدعينا العساكر المصرية
وتواعدنا بالوصول اليه والحصول عليه فأنا كنا أضعفناه وخربناه وخبرنا
القتال عليه وجربناه وان فتحه يستدعى تكرير العود اليه بالحصار وتكدير
صفو العيش على أهل الكرك ولعل بهمة سيدنا يتخذنا فى الملتقى ويسعدنا
على نيل الفتح البتقى . قال وسرنا بالنصر واثقين وفى العزم صادقين
ووصلنا الاساد بالتأويب والخبب بالتقريب حتى أنخنا فى خامس ربيع الآخر
بأعمال الكرك على اذر وما منا الا من شرح الله له الصدر . ووصل الخبر
بقرب العسكر المصرى بالنصر الناصرى والبأس العمري ففتشوقنا الى اللقاء
وجينا الى الكرك ونزلنا قبالة الحصن على واديه وعادتها منا عواديها .
ووصلت العساكر المصرية ووصل الأجل الفاضل ثم وقع التظاهر وكمل
التظاهر على مضايقة الحصن (١٦) باعادة قوتها الى الوهن فعبى السلطان
الى الرىض ليقرب سهمة من القرض وسكن فى دار الرئيس . ونصب تسعة
من المنجنيقات الكبار ورتب عليها نوب الليل والنهار وكان نصبها صفاً قدام
الحصار مبنية والاستار موثقة بأسباب الاستظهار فزارت الاسوار بالاسوار
ورامت بالداهية الدهياء حتى هدت أركانها وهدمت بنيانها وجردت من العمارة

(١٥) توجد فى الاصل بالهامش .

(١٦) قارن الروضتين (١) ج ٢ — ٥٦ .

جدرانها وغمراتها ، ولم يبقَ بيننا وبين الحصن مانع الا الخندق الواسع العميق وقد تعذر فيه الطريق وكان من الادوية الهائلة والمهاوى والمهالك الغالية ولم يكن فى الراى الا طمسه وملوه بكل ممكن وردمه فعد ذلك من الامور/ (٢١٧ ب) الصعاب وتعذر لحزونة الأرض وتمخرها اليه حفر الاسراب فأمر السلطان يوم الخميس سابع جمادى الاول بضرب اللبن وجمع الاخشاب وبناء الحيطان المتقابلة من الرىض الى الخندق وتسقيفها ، وتسقيف ستابرها وتأليفها ولما تمت دروبها ومنافذها وكانت شعاب واسعة لا يزحم فيها الجاي الذاهب ولا يصدم فيها الماضى الايب توافدت رجال العسكر على ذلك واتباعه واشياعه على نقل ما يرمى فى الخندق ويحشى به عرض ذلك المخرم وعمق ذلك المخرق فتمادى على ذلك تتابع الايام والليالى وكاد ان يتساوى بالهدم والطم مخارم الاسافل والاعالى وكاد الفتح يقرب والنجح يكتب حتى عرض التونا وعنا ما عنا ودنا القدر بما دنا .

فصل من كتاب الى ابن قرا ارسلان وهان ظم الخندق بالدبابات التى قدمت والاسراب التى بنيت واحكمت فوجد الناس اليه طريقا مهيعا فهم يزدحمون آمنين من الخراج عاملين على الافراج ، وقد امتلا الخندق حتى ان اسيرا مقيدا رمى بنفسه من السور اليه ونجا بعدما توالى من الفرنج رمى الحجارة عليه .

قال : ووصل كتاب الملك العزيز وكان مقيما بدمشق بوصول رسل الديوان العزيز صدر الدين شيخ الشيوخ وشهاب الدين بشير ومن معهما فكتبت من السلطان جوابا منه : وما أسعده حين فاز بخدمة سيدنا صدر الدين ولقد وفق فى حضور حضرة جلاله كل يوم والتمين بأنوار عزته والتبرك بایشار ادعيته وقد ظهر أثر قدومه المبارك وبشرت ببشر وجهه وجوه الممالك فلنا كل يوم نصره ومبرة من الله مبرة ومصرة معلنة بالمنايح مسرة .

من كتاب فاضلى الى الديوان العزيز : أصدر الخادم هذه الخدمة من الكرك يسر الله فتحه وعجل فتحه وتوجه اليه عقب منصرفه من بلاد الساحل وبعد قضاء مفترضه وأعرض عنه أولا وهو قصد اعراض الرامى عن مراده وغرضه فانه لجى فى الحناجر وقذى ، ورصد الطرقات المسلوكة وصير فى السبل المشكوكة وقد أخذ من الامال محققها وتعد بارصناد العزائم وطرقها وصار ذنبا للدهر فى ذلك الفج وعذر التارك فريضة الله من الحج وجلسي من هام الاسلام بمكان عمامته وختم على انفاس الحجاز

فما يدع نفسا يصعد من تهاوته وخف بهذه القطيعة مدينة قد عقل الجبل حبوتها وأزلق الغراب أن يطاء ذروتها وعصم سوار الوادى القوى بعصمها وحمت عزة الجبل المطل ادهمها والخيّل تصعد منه أنجها فى غلك بين طالع طالعها وغارب فى واديه لغاربها وجنا المنجنيق بحاكمها وقامت كف كنفه تراحمها ولسان حبله للنضض يخاصمها . قال : واستمر مقامنا واستحتر غرامنا وقد آن أن يفتح الفتح المرتجى بابه المريج ويحد الحد المبتغى المنهج البهيج (١٧) وما فى الفرنج من أهل الحصن من رأى له مخرجا وفرجا وتطايرت كتبهم الى من ورائهم بالاستصراخ واستأبس روع الكفر من الافراخ .

ذكر القبول من الشام واجتماع الفرنج

فى الموضع المعروف بالواله

قال : وصل الخبر ونحن على حصار الكرك وقد ضايقناها أشد مضايقة وعالقناها أحد معالقه بأن الفرنج قد أقدموا مجتمعين ولنداء المحصورين مستمعين وقد جاعوا مدججين وفى بحر الموت ملججين فلما سمعنا بجمعهم طمعنا فى وقعهم وقتلنا متى رقمنا القوم وعأودنا السوم فى مجمعهم وريضنا على مطلعهم وخيمنا قرب مخيمهم وهم فى منزلة الواله نازلون والهون للكريهة كارهون ، وكانت مسالك الدخول اليهم صعبة وعرة وطرق التطرف نحوهم متعمقة متقمة فقلنا نحصرهم ونصبر عليهم ونصابرهم حتى يخرجوا فيخرجوا الى مفازة البلقاء فيفوزونا للقاء وأطاف العسكر بهم أياما فلم يطق اقداما فرحل عنهم لخناقهم منفسا فبقي الأمير عز الدين جاولى هناك مقيما للاطلاع على احوالهم مستديما حتى اذا عرف بحركتهم للخروج أعلمنا بحالهم وأقدمنا على قتالهم فأصبح وريعهم خال ورسهم بال وأنهم لم ينالوا بركوب الخطر فى طريق لم يخطر ببال فاتخذوا الليل حملا ورجعوا القهقري وسلکوا فى المضايق سبلا وفرّوا من الشرك وكروا الى الكرك فأسفنا على فوت الفرص وافلات الطائر من القفص ، واجتمعت العساكر فى عماق بالاثقال وركرنا زرق الاسنة الزرقاء وقربنا بلقيا الخير ترى البلقاء وعدنا بالسلامة نذكر سلامة الاعداء .

ولما رأى السلطان أن الفرصة / (٢١٨) فاتت استدرك الفارط بغزوة

(١٧) فى الاصل : المنهج وكذا يتطلب السياق .

قدمها وخطوة اغتتمها وجاب نابلس واجرى اليها الخيل وجر عليها الذيل
وسبى وسلب وغنم وغلّب وأقام بها بياض يومه بنسواد قومه حتى استخرج
العسكر المغانم من المغاني وتفرقوا في اقاصى شعابها والادانى . وفى طريق
عوده نزل على سبيطة وفيها مشهد زكريا عليه السلام وقد اتخذ الفرنج
كنيسة واودعوها اتمشة نفيسة وبها من الفرنج سكان واقتساء ورهبان
فقدوها باسارى مسلمين ولاذوا بالامان معتصمين . ثم اتاخ على جنين
فماهبط أوجها وهدم برجها وآب بالنهاب والسبايا والمراع والصفايا فاجتمعنا
على الفوار وبادرنا بالوصول الى دمشق للاستسعاد برسلى الديوان العزيز
وبرؤية شيخ الشيوخ وكان البحر متوهجا وضرام الجو متأججا وفشت
الامراض ووشت بالجواهر الاعراض ومرض شيخ الشيوخ فتعفف عن
مواصفة الاطباء واستمر في ذلك على شيمة المتوكلين الاتقياء وقال : ان
البلى بالمرض هو المنعم بالشفاء . ومرض ايضا شهاب الدين بشير واصحابه
وخواصه وحجابه فضجوا ومجوا وابوا الاتامة وابدوا السامة وظنوا في
الرحلة السلامة وقضى كثير من اصحابهم قشاعموا بمصابه واسقوا على
شبابه والسلطان يستهلهم خوفا على مزاجهم ورجاء نجاح علاجهم فاشفق
اصحاب بشير لشدة مرضه من وفاته واساعوا الظن بعده بغطايا السلطان
وصلاته فارادوا ان يستعجلوا نقودهم ويستعملوا نفوذهم ويجتابوا خلعتهم
وبرحوا وياخذوه معهم فما عليهم بعد ذلك ما يقضى به القدر ويقضى به بعد
قضاء وطر الورد الصدر فحملوا لاجله المطمع في ثقتهم مخدومهم على القدر
وساء حظه الخطر وحسنوا له ان الهواء وبى وبيل وان رسم الصحة في
هذا المحل محيل قطلب بشير الاذن في الرجوع بعد استماع جواب قوله
السموع فتقضى السلطان حق اكرامه وادى قرض اجلاله واعطاه ومد له
حصنا عربا وحجورا متاتا واطلق لاصحابه اعنة جوده على حساب اقتراحهم
اطلاقا فلما كمل لهم العطاء وكشف لهم عن ستر الراحل القطار رغبهم في
المقام رفقا بقرى السقام فلم يكن للاصحاء بعد استيفاء حظوظهم في اللبث
حظ ولا لزمهم لاجل مرضاة مرضاهم حفظ واصبحوا وقالوا لريضهم الثقل
انت اليوم في خفة وحملوه راحلين به في محقة واجاؤا شيخ الشيوخ وهو
في بحرانه للعموم في بحرهم ولفح حر وجهه في وجههم لحرهم فلم يران يقعد
عنهم وان كان مرضه مقعدا . وقال : ان القضاء المحتوم ان لم ادركه اليوم
ادركه غدا وعاده السلطان بل تردد اليه كل يوم وليلة في الرباط بالمتبع

ثم استقل مودعا وداع الابد ولم يعلم ان الامل فيه (١) منقطع الابد وكان من سنجار حسام الدين طمان مقدم عسكرها معنا فى الجهاد فاذن له السلطان فى عوده الى مقره بعسكره وأمره بمرافقة صدر الدين والرسول معه والرفق به وبهم فى مسيرهم ومذهبهم فسناروا على سمت الرحبة واغتنم الامير طمان بركة تلك الصحبة فواجهوا مهاب السموم ودبت الامراض فيهم مدب السموم ولما بلغ بشير الى السخنة شفت أعين مجيئه بيومه وسلبه الاجل المقدر من بين قومه ووصلوا بشيخ الشيوخ الى الرحبة وهناك لقي ربه وورد من الكوثر شربه فهو ممن رفع سريره الملائك ووضعت له فى عليين الارايك . ولما جاء السلطان نعيه ساء وعيه ولم يزل يجرى على قلبه ولسانه ذكره وشكره ولم يصف لاحد كما صفا له بشيره وكانت وفاته فى شعبان بواه الله الجنان .

نكر الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ووصوله مع عمه الى دمشق وعوده الى مصر منتصف شعبان

قال : كان تقي الدين نايب عمه السلطان بمصر ولما استدعاه مع عسكرها للفرقة رتب بالديار المصرية نوابه ووصل لعمه موازرا مظاهرا وبمضاء مضاربه له مظافرا فلما وصلنا الى دمشق حضر بها معنا وأبدى مكارمه وأبدعها بما وسعنا وبث الزند وبث الحمد وكانت بيني وبينه صداقة لصدق الاعتقاد معقودة واثمان صنايعى فى سوق صنايعه منقودة وأنا اثبت فى هذا الكتاب قصيدة ثائية مدحته بها فى سادس رجب سنة ثمانين بدمشق حرصا منى على تخليد ذكره وتعمير مجده قلت ومنها :

فما حل فيه الهم الا ليبلثنا
الهوى ضناسا كنا منى ودمعى محدثا
هيك من حال عذرى لها ملثا
وقد علقت فيه غريق تشبثا
من النار ما فى خذه الحسن وارثا (٢)
على غير متن الهوى ما توعثنا
أرى طرقات الصبر عنسدى أوعثا

إذا شئتُها عن غير قلبى تحدثنا
خذا شاهدى صدق على صحة
(٢١٨ب) / رثى لى عدوى من جفا عيني ونا
غدت دمعنى فى هدب عيني كأنها
واهيف حزنى فيه ارث فى الحشا
يقول خليلاي الشقيقتان لو مشى
رأيتم طريق الحب وعثا واننى

(١) فى الاصل : فى .

(٢) فى الاصل : ارثا . تارن الروضتين (١) ٢ ص ٥٧ .

قال : وخرجنا من دمشق في شعبان وخيمنا على الفتيع (٣) ودعا السلطان ثقي الدين فأمره أن يرجع بالعسكر الى مصر بعد ما ودع في منتصف شعبان وعاد الى القاهرة ثم رجعنا من فرض الجهاد الى فرض الصيام واجدنا شهر رمضان في دمشق راحة المقام ورجع كل عسكر الى مركز ملكه وكل تبر الى أربع فلكه .

نكر الشيخ العالم زين الدين أبى الحسن على بن نجا الواعظ المقيم بمصر

قال زين الدين هذا من أهل دمشق ومن ساكنى مصر ذو لهجة في الوعظ صحيحة وبهجة في الفضل صبيحة وقبول من القلوب وفصول في فصل الخطاب الخطوب ، وكان السلطان يستشيريه ويروقه تدبيره ويتيمن بنديه واستحباته ويده بميراته ويوده بمكرماته . ووصل في هذه السنة منه كتاب الى السلطان يتضمن برج لوافع الاشواق وشرح فوادح الفراق ويشوق الى مصر ونيلها ونعيمها وسلسيلها ودار ملكها ومدار فلكها وملتقى البحرين ومرتقى الهرمين وريفها الريف وصيفها الخريف وان شتاءها ربيع وشتاتها في الفضل جميع وذكر في كتابه ما دل به على فضيلة تلك الديار من الآيات والاعبار فكتبت اليه في جوابه عن السلطان بتفضيل دمشق على مصر : وردت مكاتبة الشيخ الامام زين الدين اطال الله بقائه وسعدنا منها بعد عهد بعيد من مراسم سرورها بعيد وشكرنا الله تعالى على ما تضمنته من النعم المستمرة والمواهب المستقرة وعرفنا طيب الديار المصرية ورقة هوائها وترفرف آلايها وضحك أرضها من بكاء سمائها وبعد شهادة زين الدين بزيئة مشهدها واجتلاء العيون برسمها مقام أثدها قد حكمنا بفضلها وفضيلتها وحفظ وسيلتها وصدق محلتها ونحن نسلم له المثلة في طيبها وتوفر نصيبها ورقة نسيمها ورايق تسبيها لكن لا ريب أن الشام أفضل وأن أجر ساكنه أجزل وأن الزلال البارد به أعل وأنهل فان الهواء في صينه وشتائه وان الجمال فيه أكمل وأن الجمال فيه أجمل ودمشق حديقته الناضرة وحديقته الناضرة ومنه : لا سيما وقد تمسكنا بالاية والسنة والاجماع

(٣) يرجح أن تكون في شرق الاردن . انظر الخريدة شعراء مصر ١-٧.

وغنينا بهذه الأدلة عن الاختراع والابتداع أما قسم الله بدمشق في قوله « والتين والزيتون » (١) والقسم من الله بها أدل دليل على فضلها المصون . أما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيرة الله من أرضه يسوق إليها خيرة من عباده وهذا أوضح برهان على أنه خير بلاده . أما الصحابة رضی الله عنهم أجمعوا على اختيار السكن بالشام . أما فتح دمشق بيكر الاسلام وما ينكر أن الله ذكر مصر وسماها أرضا فما الذكر والتسمية في فضيلة القسم ولا الاخبار عنها دليلا على الكرم وانما اكتسب الفضيلة من الشام بنقل يوسف الصديق اليها عليه أفضل السلام ثم المقام بالشام أقرب للرباط وأوجب للنشاط وأين قطوب القطب من سنا ينير وأين ذرى منف المشرف من ذروة الشرف المنيف المنير وأين الهرم الهرم من الحرم المحترم ويبينهما فرق مابين الفرق والقدم وهل للنيل مع طول نيله وطول ذيله واستطالة سيله برد بردا في تقع الغليل وما لذلك الكثير طلاوة هذا القليل وسبيل هذا السلسبيل ونحن ما نجفوا الوطن كما جفاه ولا نأبى فضله كما أباه وحب الاوطان من الايمان ومع هذا ما ننكر أن مصر اقليم عظيم الشأن وأن مغلها كثير وأن ماءها نعيم وأن ساكنها ملك وأمير ولكن نقول كما قال المجلس السامى الاجلى الفاضلى اسماء الله أن دمشق يصلح أن يكون بستان لمصر ولا شك أن أحسن ما في البلاد البستان وزين الدين وفقه الله قد تعرض للشام فلم يرض أن يكون المساوى حتى شرع وعد المساوى ولعله يرجع الى الحق ان شاء الله تعالى . قال : وذكرت بما انشأته في تفضيل دمشق كتابا كريما أصدره مولانا الفاضل الى السلطان يشوقه الى مصر وأولاده بها ويصف طيبها وذلك في سنة أربع وسبعين وهو (٢١٩) / ١) ادام الله سلطان مولانا الملك الناصر وأعلى ولاءه في صدور الاولياء ومكن اسنته من ظهور الاعداء ولاعدمت السنة منه أمداد النعماء ولازالت بادية لعين صوابه وجوه الآراء باسمه الى قلوب رجال رجائه أساير السراء المملوك يقبل الارض وينبىء انه وردت المكاتبات الكريمة والتشريفات البارة والشروح الشارحة المسار السارة وتسلم منها حصته التي لا تتبع حظه فيه بملء الأرض ذهباً ولا تأخرت عنه اسار خلقها بنفسه طلبا وجمع بين خطاب المولى وسمعه وخطه وقلبه طامعا أن يجمع الله بين عينيه ووجهه وذلك يوم يكون فيسه كما قيل :

رفعت عن الدنيا المتى غير حبها فما أسأل الدنيا ولا استزيدها
أو مما قال قيس :

متى بات هذا الموت لا يلف حاجة وقيل الإجابة عند الفضول

فبشر بما جرت العادة به لا تطع الله تلك العادة من سلامة وصحة
وعافية شملت الاولاد السادة أطاب الله الخير اليهم عن المولى وإلى المولى
عنهم وعجل لقائه بهم ولقائهم له فانه من يلق منهم فلك دستة برجه وفارس
مهده سرجه فمن الذى لا يصلح له منهم السرح :

فهل لدى منهم ما محالة الميـدان والدرج تبين فيهم ميسم الجـد

تبين فيهم ميسم الجـد والعلى وليدا يفدى بين أيدي القـوابل

لم يستهل بلى ولكن وحشه لم لا تعد له الدروع لفافيسا

فهم والله بحمد الله بهجة الدنيا وزينتها وريحان الحياة وزهرتها ،
وان فؤادا وسع فراقهم لواسع ، وان ثلجا تنع باخبارهم لقانع وان طرفا
ما نام على البعد عنهم لهاجع ، وان ملكا ملك تصبره عليهم لحازم ،
وان دهر ا جاد بهم لسخى ثم اذا أبعد عنهم لظالم ، وان نعمة الله فيهم لنعمة
بها المشى ناعم انك ان ابصرتها مرة اكبرتها أن يتمناها فدعونا من تعليل
البلد الاعسر وملعبها الملعب الاصغر وشتائها العذاب الاكبر ، ومن رأس
عينها الضيقة المحجر ، ومن ثلجها الذى مقس الجبال بعينه ومن بردها الذى
لا يشفع الخمر عنه الا باذنه . وعود الى ما اترفتم فيه من مساكنكم فائها
قد علتها وحشة لعطينها وسالت مطالع رسنومها عن أثمار سلاطينها ،
واذكروا النيل الذى وفى لكم هذه السنة بتقصه وإلى أن يكون ماؤه ذخيرة
لغير جودكم الذى أحصاه الله ولم يحصه ، واذكروا فرطها فقد بلغ شطاطه
الى الجناد وعلت افراطه الى أن يكاد يصفاح افراط اللحم متمكنا ، واذكروا
ما طوبيتها فقد كاد يقيم الحجة على ملك الشام ووجهه ويتغفل برده فيسرى
الى قلب العليل وكأنه جار على غير طريق فمه واذكروا صحة هوائها وتقضيته
لأمالكم حتى انعم الله عليكم قبل صحة أجسامها بصحة أجسامكم ولولا انكم
اهتمتم الذهب الاحمر والبستموه للروح من جودكم الشعار الاصفر لقلنا
واذكروا ذهب مصر لكن قد اهنتموه واذهبتموه مجانا حتى غلب هم العافين
فاسقلوا منه بما اتخذته الاملاك تحايا واذكروا رياحين القلوب من زهرات

أولادها ، وقطعت أكبادها أما يشتاقي جيد المولى بدرهم أما تظلم عينيهِ
الى أن يتروى بنظرهم .

كم ذا التجلد والاحشاء راجفة اعيز ثلبك أن تسطو على كبدي
وللمولى ابتغاء الله أن يقول :

وما مثل هذا الشوق تحمل مضغة ولكن قلبي في الهوى بقلوب

فلو أطيع الملوك وقبل رأيه المسئول لكانت كنية المولى الى الاملاك
فانها كنية حقتها القدر وما يحليها ووسمه بها أولاده لا كتابه وساق بها كتاب
الله ومن الملوك وما كتابه وقد كان الرشيد رحمه الله يسمى أبو الامناء
لمكان أولاده الامين والمؤمن ، واذا كانت الكنية لثلاثة فلا يكن أباً لثلاثة عشرة
أنا بيت القنائة وعثمانهم كسنانها وكليالى البدر ولانها ليلة سرار نقصانها .
والمملوك في هذا الفصل رسول مصر وما هو عنها في البلاغ بلاغ لا صاغ
عنها من القول الا ما صاغ ، وهو ينتظر جواب الرسالة وقد خالطها بانشاد
وما هجروا أوطانهم عن ملالة وللآراء العالية فضل الشمول .

ذكر صاحب أربل الامير زين الدين أبي سعيد يوسف نيانكين بن زين الدين على بن بكتكين وانتمائه الى الخدمة

قال : كانت أربل من ولايات الموصل معدودة وايلتها بايالته مشدودة
فأراد صاحب أربل أن ينفرد بالاستبداد/ (٢١٩ب) ويستقل بالبلاد فكاتب
السلطان بالاعتزاز به والاعتزاء والانحياز الى حوزته والاشتداد بقوته فترددت
كتبه ورسله ووضحت في الموالة والمشايعه سبله وأخذ اليمين على حفظه
وصيانة حقه ورعاية حظه ولزم عقده وحزم عهده .

وكاشف المواصله بالمقاطعة وأظهر المناب عن المتابعة وترادفت رسائله
في حظه بالحض واقامة جداره المنقضى فان المواصله قامت قيامتهم بقيامه
فما اقمدهم غير المهابة والخواطر المرتاعة من الاخطار المرتادة فداروا
أعراضهم بالاستعطف وداووا امراضهم بالاستلطاف فمزع عليهم وعزف وركب
الانف وغنى عن السواقى بالبحر الخضم وأعاد نشر أمره بالانضمام اليه .

الى الضم ونفذ يطلب المنشور ببلاده وتحكيمه باستبداده وانفراده فاجيب الى مراده ، وكتبت له منشورا وفق آربه وفوق طلبه فى مستهل المحرم سنة ثمانين وتفصيل ما كتب فى منشوره : اربل وقلعتها وأعمالها وجميع ما قطعه الزاب الكبير شهروزر وأعمالها ، معايش بيت القرايلى الدشت(١) والزراية .

قال : وممن لجأ الى السلطان واحتفى بحمايته معز الدين سنجر شاه ابن سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى صاحب الجزيرة فنفذ فقيه الجزيرة مع حاجبه فى استخلاف السلطان فأكرم الرسول وأبرم السؤل وكان يحث على قصد الموصل وكان هو ولى هذه والموصى له من بعده فلما فسل شبا شبابه وتقل من بين أترابه الى ترابه خلفه أخوه عز الدين مسعود وقتنع ابن أخيه هذا سنجر شاه بالجزيرة وكان بعد ذلك على عمه من الجزيرة فرجا من السلطان له فرجا وأمل ان يحدد له من العز منهجا مبهما(٢) .

نكر صاحب مازدين قطب الدين ايلغازى بن تهرتاش ابن ايلغازى بن ارتق وفاته فى هذه السنة

قال : هو من جملة الامراء الارتقية ممن رتق اولوهم فتوق الاسلام ووقفوا فى نصره الدين مواقف الكرام ولهم فى مبادئ خروج الفرنج غايات فى الجهاد لا تحرك وملكوا من قياد المصاعب وعاد المطالب ما لا يكاد يملك وحفظوا حلب وأبطلوا من الفرنج عنها الطلب ، ونزلوا البيت المقدس قبل استيلاء المصريين عليه وحملوا بياسهم ما حواله فما أخذته الفرنج الا من المصريين فى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وبقيت تلك الخطة وبلاد الساحل مع أهل الشرك وعجز عنهم ذلوا الملك الى أن يسر الله سبحانه فتحها للملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن أيوب فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وسيأتى ذكر ذلك فى مقامه عند ورود عامه . فبقيت ديار بكر وبلادها فى أيديهم وتفردوا فيها بتوليهم وذبوا عن محصنات معانها ومحصنات عقايلها فبهم بقاء بقاعها وبها بهم ضياء ضياعها وبأمرهم أمور ولاية قلاعها يتوارثها كابر عن كابر وماجد عن ماجد . وقد تقدم فى عصرنا هذا ملكان أحدهما هذا قطب الدين ايلغازى صاحب مازدين ومعه ميانارقين وتلك الولايات والبلاد

(١) الدشت بليدة بين اربل وتبريز . معجم البلدان ٢—٥٧٥ .

(٢) فى الاصل : منهجا .

التي تجاورها والاعمال والمعاقل التي تتاربيها والآخر نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سكرمان بن أرتق وهو صاحب حصن كيفا وخرتبرت (١) والبلاد التي تناسبها فلما ملك سلطاننا الشام ولزم أمره النظام فأول من لاذ ببابه وعاد بخباياه نور الدين بن قرا ارسلان فانه خاف من حمية قتلج ارسلان كما سبق فقصده السلطان ودخل حدود بلاد قتلج ارسلان وخيم على كوك سو حتى زال الخوف وأمن السوء وذلك في سنة ست وسبعين وقد مضى ذكره وشاع في ذلك أمره فلما خرج من مصر سنة ثمان وسبعين راسل هذا نور الدين وابن عمه قطب الدين صاحب ماردين في مساعدته على قصد الموصل فأجاب نور الدين دعاه ولبي نداه وسار اليه وقدم عليه ونبا قطب الدين وأبى فان صاحب الموصل ابن عمته وما لاق خذلانه بكرم سيمته ولكون شاه أرمن صاحب خلاط خال صاحب ماردين ثبت على مؤازرته بمضاء عزيمته فلا جرم سعى السلطان في نصره نور الدين وفتح آمد وهبهما له وأتاه من المال والجاه ما أتاه . ثم راسله صاحب ماردين بالوفاق وتنكب نهج الشقاق فاثبت عذره ونفى ذعره ولم يزل عيشه رغيدا والظل مديدا الى أن قلصه القضاء المحتوم والقدر المعلوم ونعى شبابه ونعب غرابه وخلف عيالا وأولادا أطفالا وله ابنان صغيران أكبرهما ينيف على العشر (٢) سنوه فسفرت بولايته (١٢٢٠) بعد قطوبيهما الوجوه وكفل به في ماردين أحد الاعيان من ممالك أبيه نظام الدين البقشي (٣) وتولاه تولية المشفق النبیه واستقامت الاحوال واستنابت الآمال واقتروا الى اشفاق السلطان واشباله وابدال اعراضه باقباله وايوائهم الى وافر أفضاله ووارف ظلاله .

(١) خرتبرت : بالفتح ثم السكون وفتح التاء المثناة وباء موحدة مكسورة وراء ساكنة وتاء مثناة من فوقها وهذا اسم آرامي وهو الحصن المعروف بحصن زياد في أقصى ديار بكر من بلاد الروم بينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما الفرات . معجم البلدان ٢-٤١٧ .

(٢) في الأصل : عشرين وكذا هو الصحيح فمن المعلوم أن أولاد قطب الدين كانوا أطفالا . وقد ذكر البنداري بعد ذلك عمر الطفل أنه كان ابن عشر سنوات .

(٣) قارن الروضتين (١) ج ٢ — ٦٣ .

ذكر ما اعتمده السلطان فى باقى هذه السنة

قال : أقام السلطان فى دمشق حتى دخل الشتاء وعارضت عارض نداء الانداء وجادت كجوده السماء ومنح فى خصب السنة كما منح فى احسانه الرجاء وتفرقت بايدى اوليائه كاهواله الاعداء وأقام حتى أنقضى رمضان ولم يرض بالمقام فى كن كانون وآثر الدنو من اعدائه الذين لا يدينون ولا يدنون فهمت همته وحملت حميته وأخذ بالحزم ونفذ بالعزم وأستحض واستحث وحظر اللبث وأصبح فى يوم أضحت سماه وصحت فى الحسن والطيب اسماره فأخرج مضاربه على سمت بعلبك وضربت خيامه من دمشق على فرسخين وهو يركب كل يوم لصيده وقنصه واهتبال فرسه . وأقام أياما حتى اجتمعت اليه الشداد واتصلت بتوامها الاقتداد وشد زمام الزماع للاسراء والاسراع وسار على طريق البقاع وفزعت تلك الجبال بفوارع الجبال واصحرت الاساد الخوادر من الفيافى الاغيال وسالت أودية الشعاب ببحر الجيش ذى العباب وسرنا حتى خيمنا على بعلبك بظاهرها ودخلت البلد هناك فى العشرين من ذى القعدة مفارما للمخيم بسبب المرض الملم وشق على السلطان انقطاعى وتوجع لما راعه من أوجاعى فانقطع أبلى واتصل أبلى . ورحل السلطان الى حمص فسير الى طيبها ابن الصورى وسمع المخدم الاجل الفاضل بخبرى وكان بدمشق فجمع الاطباء وخاطبهم فى تدارك حالى فندب من وقته الموفق بن المطلوب (١) وسار فى يوم وليلة الى بعلبك من دمشق فرأيت منه عمل من طب لمن حب فشفيت بعدما اشقيت وعجلت أوتى الى دمشق وكان وصولى اليها فى ثامن ذى الحجة وأخرست بحضورى شقاشق المرجفين وأقمعت بأوتى مناشق المتشوقين واقمت الى أن عاد النشاط وتيقن على المزاح الاحتياط والسلطان لحماه يرقب قربى ويطلب أبى وجاءه عند استشعار اليأس منى من بذل له فى منصبى بذولا فما استحسن عنى اليهم عدولا وخلع على البشير بسلامتى . وحين استقام مزاجى استقيمت على منهاجى ووافيته وما برح من حلب حتى جئته وما لقيت السعادة حتى لقيته وما أمر بالرحيل حتى وضعت بمخيمه رجلى وأبدى لى أن مقامه من أجلى .

(١) أرسل له أيضا الفاضل من دمشق الحكيم ابن المطران واسمه أسعد بن الياس وطب العماد على يديه ، الروضتين (١) ٢ — ٦٠ .

قال : ودخلت سنة احدى وثمانين

والسلطان بظاهر حماه مخيم وللعزم على قصد الموصل مصمم والثناء قد انكسر والنور قد انصرف ووصلت الى السلطان يوم عزمه على الرحيل واذن وصولي بأحياء رسم منصبى المحيل ورحلنا للارب منتبئين والى حلب متوجهين ولما قربنا من تل السلطان تلا السلطان سورة الحمد وتلاه سلطان السعد وجاء اخوه الملك العادل سيف الدين صاحب حلب لتلقيه وقد أقبل بالاقبال وجلا وجه الجلال ومعه عسكر حلب فى هيئة رايقه وهيبة رايعة فاستبشر السلطان بلقائه ودعا له بلقائه . ولما وصلنا الى حلب در حلبها وتلقانا عجمها وعربها وخرجوا وتبرجوا وتنزهوا وتفرجوا وخيم السلطان بظاهرها ظاهر المخيم طاهر الاديم مستقيما من امر الله على المنهج القويم واقام امامها (٢) الى أن سأل عن الأحوال ومال نحوه بالنوال وأطلع بدور الدور فى آفاق الاتفاق وأطلق قيود النقود بالارفاذ والارفاق وتوجه للسير ماظر السماء سامى المطار سامى الاقتداء قوى الاقتدار . وكنت فى ستة من ممالكى وخدمنى واشياع أسمى واتباع عملى والمحتدين احسان السلطان والمعتمدين سلطان احسانى . ولما تكاملت جهوع الجنود وتواصلت وفود الحشود رمى قبل العشية دهليز النوبتية فى صفر وفض الختام وقوض الخيام . واصبح السلطان راكبا فى عسكره ساحبا ذيل عشيره وهو قمر هالته وشمس جلالته ووصلنا الى مضيق جبلان ثم سرنا فى سهول وأوعاث فى مراحل ثلاث حتى خيمنا على الفرات ببحر المبرات ونزلنا بمكان تحت البيرة على فرسخين نعرف ترتيا . والفرات قد تجاوزت محوده وتجاوزت حدوده ومحت من جسوره سطوره وأعجزت ورده وصدره اعجازه وصدوره/ (٢٢٠ب) وهو متلاطم الامواج متراحم الاثباح وكان السلطان قد سير الى معقل الفرات وتلاعه ونواحيه وضياعه وأمر عليها بعمارة كل سفينة ومركب وزورق فحالت جوارىها كالجبال الزواى فعلونا آكامها ورفعنا اعلامها « بسم الله مجريها ومرساها » (٣) وأقمنا ثلاثة ايام للعبور وأحمدنا مصبحها وممسأها وأخضنا الخيل الماء فقامرت الداء فسبحت السوابح فى تيساره وتسابتقت السوابق فى مضماره ولما وقع العبر توقفنا حتى ضم النشر فأخذنا

(٢) فى الاصل : أيامها .

(٣) سورة هود آية رقم ٤١ « وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرسأها » .

على سمت حران فى طريق برج علوة والبيضاء وقد ضاق بالعسكر واسع
النضاء ووصلنا الى حران فى عدة مراحل وخيمنا بظاهرها ظاهرين وبامداد
نعم الله مظاهرين .

ذكر الامير مظفر الدين كوكبورى صاحب حران

قال : قد مضى ذكر الامير مظفر الدين كوكبورى زين الدين على كوجك
فى سنة ثمان وسبعين عند توجه السلطان الى الموصل ووصوله الى الخدمة
وحلوله محل المشاركة فى الدولة والنعمة ولم يفارق الخدمة على الموصل
وسنجر وكان معنا على آمد عند افتتاحها واختتم كل خدمة نجاحها وحلب
على حلب أمالوبق الوفاق وظاهر فى الفزوات وظاهر على العزمات ولم يزل
بأخيه زين الدين يوسف بن على صاحب اربل يستعطفه ويستجديه ويحسن
له الالتجاء الى الخدمة السلطانية ويرغبه . وصار مظفر الدين لكل من يرغب
فى الخدمة قدوة ونال بذلك من القرب والزلفى حظوة وعاد من يهتدى به
يقندى وبوسيلته يحتدى وبخطابه يبتدى ولما عدنا من غزوة الكرك فى سنة
ثمانين وأقام السلطان بدمشق لاداء فرض الصوم وظن أنه يريح ويستريح .
وتواصلت كتب مظفر الدين بالحض والحث وتتابعت رسله على هوى الهوادة
عادلين وللمعونة بالمثونة باذلين وبذل رسوله الخاص ابن ماهان^(١) عن صاحبه
ما عز وما هان وقال : ان مظفر الدين اذا عبرتم الفرات يستدرك كل ما فات
ويقول بكل ما يحتاج اليه فى تلك البلاد ويقدم يوم الوصول الى حران خمسين
الف دينار وكتب خطه بما أفصح به من قول وأوضحه من قرار وأرغب الامراء
والحجاب والخواص فى البذول فسرنا على ما سبق ذكره على البلاد والاقامة
بها بارزة الاستعداد حتى خيمنا على حران بالشرح الذى تقدم وسكنت
السلطان عن طلب ما كان من البذول وما تكلم فان شيمته الحياء وسجيته
السخاء لكته لما وجد مظفر الدين غير منبعث لحركة ولا متحرك فى مملكته
وهو غير مبد لاهتمام ولا مجد بالتزام ارتاب بسكوته وسكوته وتواجهت
مختلفات ظنونه ووشى الوشاة وسمى السعاة وقيل لولا عمارة الحال بينه
وبين المواصلة لبقى على حميته وتحقق بفعله ما تبرع بقوله وسيرنى السلطان
ومعى شمس الدين بن الفرائش قاضى العسكر وقال : احضرا لديه واكشفا

(١) فى الاصل : هامان وكذا صحته .

عن حالتيه وأخبراه بما أخبر عنه رسوله وبما سبق به بذوله (٢) وبما استأنفه من الأعفاء والأغفل دون الاحتفاء والاحتفال فلما بصر بنا مظفر الدين أنباته الفراسة بما جئنا فيه وشرع في اثبات ما ينافيه وقام قبل أن يقعد وجاء بمصحف كريم وأقسم به قسم بر على الولاء مقيم . ولما فتح المصحف ووضع عليه يده ليحلف قرأت منه « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (٣) فقلت له: يا أمير هذا يأمرك بالوفاء وقد أتى القرآن لكل مرض بالشفاء فما رفع يمينه حتى استوفى يمينه واستحسان أمينه وكذب رسله وجحد ما اعترفوا به من قوله وبذله كله ثم صرف وزيره وادعى عليه تزويره ولولا ذلك ما هان ابن ما هان ولم يصدق على أن ما كان . فجئنا وأخبرنا السلطان بحلية الحال وأن ما سبق من القول كان محالا على محال فتذمر وتذم وتلون وتلوم وتعجب من القضية وأنها ليست على الحالة المرضية ثم سكت عن شأنه مطرقا حتى أصبح وركب البدان وفرغ من اللعب بالصولجان استصحب معه مظفر الدين الى سرادقه على العادة واطاع فيه حكم الارادة ونقله الى خيمته ووكل فيها به ومنعه من أصحابه فوقع الخبر بخفضه وشاع سر قبضه وهاج العسكر وماج المعشر وقام المحشر واجتمع الامراء عند السلطان وأشاروا عليه بخلات العفو والاحسان وأجمعوا على أن ينقلوه الى قلعة حلب وخافوا انه اذا خلى سبيله هرب وفات الطلب فلما انصرف الامراء وتصرفت بهم الاراء وخلا وجه السلطان وانا عنده والفقير ضياء الدين عيسى وقاضى العسكر وعرفنا منه سجية (٢٢١) الاحسان فقلنا له انتهب فرصة الامكان وقتل المذكور طوق الامتنان وما بلغ الامر الى الايحاش وما فقد العثار مهلة الانتعاش والذي أشاروا به ليس من الصواب ولا يحكم فيه بظن الارتياح وكان هذا رأيه فوافقه وعلم أنه قد ما خصه ومازحه وناصحه وما ناققه وأنه بالعقب مصاب وباللن مقتاب ، وقال : امضوا اليه فاكتنفوا ضمائره واستوضحوا سرايره وسكنوا من روعه وأعيدوا الى افقه حلقة عادتى ضوءه وضوعه فوافينا وهو مرتاع مستشعر فاجتلى منا وجوه المعارف وهش بهشاشتنا وسر ببشر أسرتنا وقتلنا له لا تغتم لسابك فان السلطان يطلب بعثبك اعتابك وانما أجلسك ليقرب عليه المراسلة والمخاطبة . فقال : هو مالك رقى وعارف حقى وأنا أسمح بما معى من البلاد وأخرج اليه

(٢) فى الاصل : بذل وكذا يتطلب السياق .

(٣) سورة المائدة ، آية رقم ١ .

من الطراف والتلاد وأصحابه وأخدمه ويبين له صدقى الذى اعزمه فقلنا له بل تسلم اليه قلعتى الرها وحران وتظهر بذلك له الاذعان . فثقال : كل ما تتسرون به فهو مقبول وعلى الرأس والعين محمول ، وعدنا الى السلطان ولم يبرح من المكان وأمر من الخزانة بتشريف يليق فقد شفعه التأييد والتوفيق ، واستدعى به فقبل الارض وتقبل الفرض وعاد الى بيته بالحمد جديده السعد سعيد الجد وتسلمت منه القلعتان ثم اعيدتا اليه فى آخر السنة ومحيت سبة توهمها بكل ما استباحه من الحسنة .

ذكر الرحيل من حران وما جرى بعده

قال : وأقمنا بحران فى صفر ووجه المنى قد صفر ودخل شهر ربيع الاول فى أوائل الربيع واغثمنا مرعى المراد فى المراد المريع . وقال السلطان : لا مكث بعد اليوم ولا ليث فى قصد القوم فصمنا على الرحيل وجينا الى رأس عين فملأنا سهولها وحزونها وكدنا نشفه عيونها وعبرنا على بلاد رمت الينا باكبادهام وملكنا طوعا وكرها أزمة قيادها ونزلنا بدارا لنا أميرها ووصل الى الخدمة وامتزج بنا وانشج بالود وانتسج وكان قد وفد بعساكر ديار بكر عماد الدين أبو بكر بن قرا ارسلان بسبب مرض نور الدين أخيه فشكرنا على تهديه فى توقيه . وأقمنا بنصبيين ريثما قضينا الاشغال ونضونا الاسمال ثم سرنا وخبب الفلق على نسيج الفيلق مزور وطرף الشمس الارمذ بكحل العجاج مذرور واقبل صاحب الجزيرة معز الدين سنجر شاه بن غازى بن مودود بن زكى وكان قران النيرين والتقاء البحرين بين النهرين فأصبحنا لاقباله حامدين ولاستقباله عامدين والتفينا به بدرا طالعا فى هالات اعلامه واسدا خادرا فى سلات آجامه واختليناه تمرا فى نجومه وسررنا بقدمه فانتظم فى السلك واحتكم فى الملك وفاض الجود له ولاصحابه حتى دنت كل شاحط ورضيت كل ساخط ، واستدركنا بالاحسان كل فارطة لاجل تراكم الجحافل والتزاحم على المناهل قصدنا دجلة من أقرب الطرق وتركنا طريق الدولعية (١) والمرق ونزلنا على بلاد دجلة على بلد وكان وصولنا الى هذه المدينة فى آخر شهر ربيع الاول ثم حدنا على الشاطيء للثقل والتحول حتى تصل الى الموصل ثم خيمنا على الاسماعيليات وهناك القينا العصا

(١) الدولعية قرية كبيرة من قرى الموصل — معجم البلدان ٣—٦٢٤ .

واستقرت بنا الهوا وتلونا سورة « والنجم اذا هوى » ما ضل صاحبكم وما غوى » (٢) وضربت الخيام الى المعركة مغربة ومشرقة ومجموعة ومتفرقة ، وقد هزتنا الى النصر الاشواق واستفزتنا الى ممالكها الآفاق وطارت الاخبار الى الاطراف ورجفت الاداني والاتاصى بالأرجاف . وأول ما بدأ به السلطان يوم نزوله ببلد قبل الاسماعيليات تقديم ما هو اثم الواجبات والزم المفترضات وندب القاضى ضياء الدين أبا الفضائل القسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزورى فى الرسالة الى الواقف الشريفة النبوية وسدة المنيفة الامامية الناصرية وانهاء الاحوال وذكر الاسباب المتضمنة للنهوض وأن اهل الموصل مواصّلون الأعاجم وخاطبون لسلطانهم القايم وناقشوا اسمه فى الدناير والدراهم وأنهم يتعززون بالبهلوان وأنهم يرسلون الى الفرنج ويقوون أنفسهم على قصد الثغر وتفريق الجمهور وانه ما جاء طمعا فى استضافة ملك ولا قلع بيت قديم/ (٢٢١ب) ولا قطع أصل كريم وانما مقصوده الاصلى ومطلوبه الكللى ردهم الى طاعة الامام ونصرة الاسلام وقطعهم عن مواصلة الاعجام والزاهم بما يجب عليهم من حفظ الجار وصلة الارحام . فهذا صاحب الجزيرة وهو ابن أخى صاحب الموصل ولى عهد أبيه ولم يرع فيه ذمة أخيه وأبعده عما استحقه بالارث والتولية وأجاز حربه وقطع رحمه ولو تمكن منه لأطاح دمه ولولا خوفه من جانبه لما التجأ الى هذا الجانب وما اختار الأجانب على الأقارب . وهذا صاحب اربل جار الموصل أبوه زين الدين على هو الذى حفظ ببيتهم وخلف فى احيائهم ميتهم وهذا ولده فى جوارهم يشكو جورهم ولا يعرف فى المكيدة عليه غورهم وقد استجار وهو جارهم الادنى حديث صاحب الحديثة (٣) فى حديثه لا يخفى وقد اشرف على الضرار وأشغنى وعين من تكريت من مخالفتين لا تكره وهلم جرا من نوايب وصروف لا تحصي وخرائب ومكوس عنها لا يستقصى أهل الشرك فى تفريق الكلمة وتبديد السلك وعود فى ذكر هذا كله مشافهة الرسول وعلى ما يراه من علاقات الود والقبول . وكتبت الى الديوان العزيز وإلى الصاحب كتباً برسالاته والحوالة على مشافهته وكان ضياء الدين الشهرزورى الوزير يشير بمدحة أسيرها الى الصاحب

(٢) سورة النجم آيات رقم ١ ، ٢ .

(٣) بلدة من أعمال الموصل . يقول ياقوت هي بليدة على دجلة كانت بالجانب الشرقى قرب الزاب .

معجم البلدان ٢ - ٢٢٢ - ٢٢٣ ؛

واستندار ما فى الديوان باسمى من رسوم المواهب فاصحبتة كلمة
مطلعها :

قضى الوجد لى أن لا أفيق من الوجد	فياضله اللاجىء اذا ظن أن يهدى
اياحادى الاظعان خل زمامها ودعها	على خدى بظعنهم تحدى
وما كنت أدرى قبل صارم حثفه	وتبلى أن السيف يقتل فى الغمد
ولاصبح الا وجهه الواضح السننا	ولا شمس الا زايد الثاقب الزند
ما رعوس الاعداء الا سنانبل	وما نبتت الا لسيفك والحصد
كان لثام الزحف من فوق وجهه	عام لبدر التم وفراقه مبدى
بدرع كان البحر فى البحر زاخر	وطرف كان البرق يومض فى لبـد
تساور افواه الجراح رماحه	مساورة الاميال للاعين الرمد
وما لامير المؤمنين كيوستف	فتى فى مرضيه بمهجته يفدى (٤)

قال : وشرع السلطان فى اقتطاع البلاد والتوسع بها على الاجناد
وسير الامير سيف الدين على بن أحمد بن المشطوب الهكارى ومعه الامراء
من قبيلته والاكراد من شيعته الى بلد الهكارية وجماعة من الامراء الحميدية
الى العقرة (٥) وأعماله لاستفتاح قلاعها واستغلال ضياعها ونصبنا الجسر
وعبر مظفر الدين صاحب حران وخيم بالجانب الشرقى ووافقه جماعة من
الامراء فى العزم الماضى الماضى وجاء أخوه زين الدين من اربل بجنوده وبنوده
وجموعه وحشوده وتصرفت فى الاقاليم اقلامى ونفذت فى تلك الممالك أحكامى
وكان السلطان قد خصنى بما كان للوزير الجواد جمال الدين بالموصل من
الخواص فاغتنتم فيه نهزة الافتراض وشحنت على صنيعه بأحد يدا وغيرها
ورد على مدة مقامنا حلب خيرها ونامشنى نواب الديوان فيها وكتبوا الى
السلطان أن يأخذ ما بذل فيها خمسة عشر ألف دينار وأنتم تحتاجون فى
اجرائها الى استيثار فرمى الرقعة الى وقال : تأمل هذا الهذيان فمتمت له
وشكرت الاحسان وتسلمت على أدوات الديوان بالسلطان .

(٤) ذكر أبو شامة ابياتا من هذه القصيدة ، قارن الروضتين (١)
ج ٢-٦٣ .
(٥) قرية بين تكريت والموصل وهى أول حدود أعمال الموصل من جهة
العراق . معجم البلدان . ٣-٦٩٦ .

نكر ما رآه السلطان من ترك القتال

قال : ولما نزلنا بالبلاد وجدنا الحر قد وفدت ناره ولفح أواره وقد وقد شهرا ناجر والهجير غير هاجر وجاشت الجيوش وشاقت الخيوش فأشفق السلطان على رجاله من لبس الحديد ومن أوار الحر الشديد وقال : نستعمل ولا نستعجل ونقيم ولا نرحل ونسكن الى أن تحل الحركة وتحل البركة وكفى بأهل الموصل أنهم فيه مسجونون وبما هم فيه محزونون/ (٢٢٢ أ) ، والغرض من التصرف في الممالك حاصل والمدد من الطائف الله متواصل فسلطنا وهدانا واشتغلنا بما به بدانا وكان حينئذ ماء دجلة في نقصانه ونضوب بحرهما في بحرانه ، فجاء من زعم أنه يمكن سد دجله وسكرها وفق فرصة أخرى وكسرها ونقلها أو تحويلها الى دجلة نينوى ويعطش الموصل اذا الماء عنه انزوى فضحكنا من هذا القائل وقلنا له ومالك ولهذا الرأي القائل فأمر على القول وطول في ادعاء حقيقة الطول . وكان الفقيه العالم فخر الدين أبو شجاع بن الدهان البغدادي حاضرا فجعلناه في الأمر ناظرا ، وكان وحيد عصره وفيلسوف دهره ومهندس زمانه وموسوس احسانه وانسان عين الفضل وعين انسانيته وله الحظ الوافر من جميع العلوم ولا سيما في المنثور والمنظوم والحكمة والهندسة والنجوم . وكان من عهد قديم سكن بالموصل ولما سمع بكرم السلطان تقياً بظله وتعرف الى فضله فركب في خدمة السلطان ووقف على المكان وشاهد ما توهّموه من سدد دجلة وماخذة وفتحها للتحويل ومنافذه . وقال هذا يمكن ولا يتعذر وصدق القائل على رأيه وآمن بآيه ولم ير خلاف مذهبه في ذلك فطلبه ثم وصل الخبر بوفاة شاه أرمن صاحب خلاط فتحول اليها العزم وترجع بها الحزم .

نكر شرح ذلك

قال : ولما كان يوم السبت العشرين من شهر ربيع الآخر ورد الخبر بوفاة شاه أرمن صاحب خلاط وأنه توفي يوم الخميس تاسعة (١) وحينئذ ترددت الآراء وتشتت الآوايب واختلفت في المشورة الامراء والاصحاب فمنهم من أشار بسلام (٢) الى حصول المرام ومنهم من رأى المصلحة في البدار

(١) هكذا في الاصل .

(٢) في الاصل غير واضحة .

الى تلك الديار ومنهم من قال نجح بين الامرين فترك ههنا من العسكر بقدر ما يحصل به مضايقة القوم من الجانبين ويعجل بالمسير بالعسكر الباقى الى تلك البلاد والله كفيل بالمراد . وبيتنا فى هذه الاقسام الثلاثة منزوين وبارشاد الله فى استخارته متقدين فلما أصبحنا وردت كتب الاولياء بالولايات بخلاط وبديس واطهروا الماحضة والموافقة والتأنيس ثم رأينا من امراء خلاط وقد وصل عماد الدين بابل وقاتل للسلطان : أدرك أولياءك وأحبائك وهذه خلاط خلا طريقها وفارق الى قبوك بالقلوب فريقها وان أهلها بالاعاجم لم يخلصوا من المظالم فعجل بدارك وأحسن اليها بآثار ايثارك فما زال بالسلطان يحرك همته ويحرض عزمته ويذكر حلو العرصة ويخوف من قوت الفرصة ، وهذه الموصل مأمونة الثوات مأمولة فى سائر الاوقات وهى اليك واصله وفى اليد حاصلة فأصبح السلطان ورايه فى الرحيل راجح وغدا الرسول وسعيه فى التأميل ناجح وأمر الامراء بالتأهب للرحيل وعرفهم ما تصمم فى عزم التدبير ثم أرسل الى زين الدين صاحب اربل بالعود اليها وقواه بالامير سيف الدين على بن أحمد وأمره بنصرته والمقام عليها .

فصل من كتاب أنشأته الى الديوان العزيز : ومما ينهيه الخادم وفاة شاه أرمن أورث الله المواقع المقدسة أعماق الخلايق ونصر الوليه أوليائها فى المغارب والمشارق ، ولم يخلف أحدا ، وبلاده سايبة شاغرة وأفواه المطامع من الاعاجم نحوها فاغرة ، وكذلك ديار بكر جميعها قد خلت واختلت ومعاقد الاستقامة بها قد حلت . فصاحب ماردين توفى وخلف ابنين صغيرين أحدهما فى عمر عشر سنين والآخر فى عمر سنتين ، وكذلك صاحب حصن كيفا توفى وله ولد فى عمر عشر سنين ودولتشاه صاحب أرزن (٢) وبديس موجود فى حكم العدم ومن علة الصرع كلحم على وضم وخلاط الآن قد صار طعمة الأعاجم وابنة بهلوان فما زوجها أبوها من صاحب خلاط الا طمعا فى مملكته وأن يحتوى بعده على ولايته . والخادم منذ نزل على الموصل لم يشتغل بالحصار لما اشتغل من وقد الحر ورأى المصابرة الى أن يطيب الزمان وشرع فى تحويل دجلة الموصل عنها وأحضر المهندسين فوجدوه هينا والنفع لسهولة الفتح بينا وأحضرت الآلات وشرع فى حفر المحولات

(٢) مدينة مشهورة قرب خلاط .

معجم البلدان ٢-٢٠٥ ،

فلما وصل خبر وفاة صاحب خلاط/ (٢٢٢ ب) تردد عزمه فى الإقامة والرحيل ثم وردت كتب المتقدمين هناك فى مسيره راغبين وللاعاجم كارهين فتعين حينئذ أن يجيب المستدعى ويجير المستعدى . أما الموصل فما يفوت أمر هؤلاء يعيد بعد العود إليها بمشيئة الله حصرها . ومنه وقد عرف أنه لم يبق لتلك الممالك خصم سوى البهلوان وما مقابله الا الخادم وعلى قدر أهل العزم تأتى المعزاييم وهو يسأل من العوارف الجزيلة ويرغب الى العوايد الجميلة فى مثال شريف يجمع ديار بكر وخلاط والموصل حتى يفتتح بأقاليمه الاتاليم ويسلك بهدايته فى النصر على الاعداء المنهج القويم .

ذكر رحيلنا الى ديار بكر

قال : رحل السلطان بعسكره عن الموصل فى أواخر شهر ربيع الآخر سايرا ببحر جحفله الزاخر جامعا بالأس والفال وشغل الفأخر ، وتقدم الى ابن عمه ناصر الدين بن شيركوه أن يسير فى المقدمة الى خلاط ثم قواه بمظفر الدين صاحب حران فلما وصلوا هناك وجدوا من المتفلبين بها الحران . وكان سيف الدين بكتمر من ممالك شاه أرمن قد دخلها وحمل معقلها فوق ناصر الدين دونها وحبس على طيور سكانها وكونها ، وكان قد جاور بدليس الى الطيطوانة (١) ولو سبق الى المكان لم يسبق الى المكان لكن وزير خلاط مجد الدين بن رشيق كان يظهر للسلطان مناصحته ويسر مشايعته ويبدى الاثفاق ويذكر الوفاق وهو فى ذلك صاحب عشار وطالب ايثار فكتب الى ناصر الدين بالاتامة على القرب لتحقيق الهبة به والرعب وجاء بهلوان فى عساكر الشرق وهو شمس الدين أبو جعفر محمد بن ايلدكز متولى البلاد بقضه وقضيضه وسمره وبيضه ونزل بقرب خلاط من الجانب الآخر وقيل أن الوزير أيضا كاتبه وأطعمه وأفضى اليه بسر خلوصه واستودعه وهو فى أثناء ذلك يثقل الموازين حتى آل الأمر الى ما آل وتولى بكتمر وأنصرف الحاج والمعتمر وسيأتى ذكر ذلك .

عاد الحديث : واستشعر ملوك ديار بكر حركتنا وقالوا صلاح الدين مدين رغبتة الى مملكتنا وكانا صاحبا آمد وماردين صغيرين يقسوم بأمرهما أمراؤها المتدمون فخافوا من الانتهاء اليهم والاستيلاء عليهم .

(١) الطيطوانة . بلد من أعمال أرمينية . معجم البلدان ٣-٥٧٠ .

فأما متولى ماردين وهو نظام الدين البقشي فإنه احترز وكشف وجسد الحزم فى التحصين وأما من بآمد فإنه خاف أن يستدرك السلطان الفارط ويستعيد آمد التى فتحها ووهبها اذا لم يجد كما قرر الشرايط فقد كان عند وفاة نور الدين قرا ارسلان يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول أشير عليه باسترجاعها وقيل له انما سلمتها الى نور الدين محافظة على مرات خدمته ووثوقا بمعدلته وحفظا لمنزلته وقد انتقل الآن منها وخلها خاليفة وابنه يتيم وهؤلاء الكافلون بأمره قد عرفت سيرتهم وعلمت سريرتهم فكيف يحل لك أن تغلدهم وتجرأهم على الرعية وتجردهم فقال : هذا امر لا يفوت استدراكه وتقدمنا ما يجب تقديمه ويلزم بعد الشروع فيه تكميمه ونحن نقدم انفاذ من نثق به على وجه الرسالة لشامل ما هم فيه من الحلية والحالة وكانت بينى وبين وزيرهم القوام بن سحاق معرفة صدقت به الصداقة فكتبت له أن يبادر بالوصول مع مخدومه جاريا من استصحاب المحمول والمذول على رسومه . وندب للرسالة الى آمد القاضي شمس الدين محمد بن محمد ابن الفراش فمضى اليهم فوجدهم على جادة العزم جادين فحثهم على الحضور وجاء قدامهم بخبر وصول ولد نور الدين محمد وهو قطب الدين سكران وشيخته الطاعة والاذعان ولمسا وصلنا فى أول جمادى الاول الى ميلانرتين وكان دخلها من أمراء ماردين أسد الله يرتقى فتممر وثشمر وشغل البال وأشغل القتال ونصب المنجنيقات وجود العرادات وملا الإبراج بالاعلاج والأسماع بالضجاج متعليا بأمره واستشعلنا بجمهره وأبصرنا ما لم نكن نظنه واستصعبنا ما كنا نستسهله ودام قتالها صباح مساء وسام نزالها من الجرح والقتل كل ما سر وساء وخرجوا مرارا وأحرقوا المنجنيق فكم دم هريق وأصر حمل وما أطيق وشجانا ذاك الشجب وجاء الامر كما لا يجب واستشهد يوسف المنجنيقى وكان برجال ولم يزل له فى مواقف الجهاد كل مجال وندمنا على ما قدمنا (٢) من حصر البلد وقصر الجلاء على ما ليس فى الجلاء وكانت الخاتون ابنة قرا ارسلان زوجة قطب الدين صاحب ماردين المتوفى فى المدينة مقيمة وعلى سنن حفظها مستقيمة وهى ذات يقامى والى لطف الله بهم مستقيمة وللصوم والصلاة برقع يدها فى الدعاء مستديمة وانها أيم مالها قيم متقنة بكفافها متممة بعفافها حاضنة من بناتها لعدد (٢٢٣) الثريا

سالية بدينها عن الدنيا يحميهم اميرهن فى المدينة حماية الغير أن وتضرم دون
حماهن جواحم النيران ظلماء لج الحصار .

وراسلنا الامير المذكور بمن يستلينه ويستكشف نهج الصواب من جانبه
ويستبينه فذكر أنه يقضى حق من وجب عليه حقه وكان له ملكه ورثه ، وان
قطب الدين مذ أدرج فى كنفه درج أفراخه الى كنفه ولا يزال فى عونهن ويذل
روحه فى صونهن ، والخاتون مالكة الأمر ونحن لامرها نطيع ولخلافها
لا نستطيع فراسلنا الخاتون وتردد الزاهبون اليها والاتون وقلنا نحن أولى
بحفظ بيتك وأحق برعاية حق ميتك ، وهذه المدينة اذا دخلناها فلا خروج
عن رضاك ولا دخول اليها الا وفق هواك ، ونصاهر ك فى احدى عقايلك
ويبقى على الأبرام لك معاهد معاتلك ، وقلنا للامير الاسد سرا : قد مالت
الخاتون الى المقاربة فلا تصر أنت على المجانبة واتخذ عندنا قبل أصحاب
جماحها يدا ، وكن فى الانتياد لنا مقتدى . وثيل للخاتون : ان أسد الدين قد
لانت عريكته ودانت اريكته وأحمد أمره وأحمد جمهره ، واستقر بعد ذلك الامير
أسد الدين ، وان ينقطع الى الخدمة ويتصل بالنعمة ووفور الحرية ويخص
بولاية جليجور وأعماله ويقطع عدة نصيبيهم من خواص رجاله وتقسرر مع
الخاتون أن يبقى عليها كل ما باسمها وباسم خدامها وجواربها وأيتامها
وسألت أن يفرض لها حصن الهتاخ (٣) ليكون لها عشنا للأفراخ . وخطبنا
اليها احدى كرايمها لابن السلطان الملك المعز فتح الدين اسحق ، والتست
اليمين المؤكدة بالحج والعقاق وأخذت اليد السلطانية أبرم العتوذ وحرز
نسخ المواثيق ، والسلطان يسارع الى بذل كل ما يقترحونه عليه مضافة
التمويق ، وأعيان البلد حاضرون وفى الأحوال ناظرون . ولما أصبحنا
يوم الاربعاء آخر جمادى الاولى تقدم السلطان الى موالى القاضى نجم الدين
بركأت بن عبد الله بن أبى عمرو ومعا جماعة مقدمون أن ندخل البلد
لعقد النكاح على ابنه قطب الدين لاسحق ابنه وأن نبتدىء الامر بنجح ذلك
المقصد ويمنه ، فدخلنا المدينة وأنا وكيل السلطان لابنه فى قبول العقد ،
وإذنت الخاتون أم اليتيمة لابن عمرو لها فى تعيين المهر وتسلم النقصد
فتم النكاح وعم الصلاح وكمل بالفتح الاستفتاح . وجلس السلطان فى

(٣) الهتاخ ، بالفتح والتشديد قلعة حصينة فى ديار بكر تسرب
ميفارقين معجم البلدان ٤-٩٥٢ .

سرأدته وخرج اليه اعيان البلد من المقدمين والامراء والامائل والكبراء ، وسير السلطان الى الخاتون برسم الخطوبة حمولا وهدايا وبذولا وعطايا ومصوغات ذهبية ومستعملات عراقية مغربية وحصنا وجحشورا عربية وسلم اليها الهتاخ بصياغة وأجرى خدمها وخواصها على اقطاعاتهم ومكنهم من تسلل ارتشاعاتهم وأخذ الأسد المنشور بجلايجور وألف الله القلوب ونظم الامور . وسألت الخاتون أن يخلى القاضى أبو الفرج يوسف بن هبة بن بسام الجبلى على قضائه فكتب له منشورا فى مستهل جمادى الآخرة وأجربناه على تولية الحكم والقضاء والاحتساب بميفارقين ونواحيها وما يجرى معها من الحصون والبلاد ، والهتاخ وجلايجور ، وذى القرنين استجابة الى أمانته ووثوقه بعلمه وأمانته .

تذكر وصول صاحب آمد ونحن على ميفارقين فى جمادى الأولى

قال : قد سبق ذكره وذكر صفر سنه ومخافته وأمنه وذلك أن وزيره التوام كان عارفا بالمصلحة فانتقل بالامر ووصل بمخدومه قطب الدين سكرمان ابن محمد بن قرا ارسلان تادما بالسادة الرابعة والبشارة الرابعة وارثا خلاص الولاء من أبيه ، متقربا باستصحاب صحبه ومقريبه . ولما ورد خبر اتباله أمر السلطان باستقباله فتلقيناه على مرحلة فتأناه السلطان بعد امرائه بالقرب واقبل عليه وحباه بالقبول والحب وأكرمه وبجله ووقره وعجله وأفاض عليه جوده حتى أخجله وعجل اعادته الى آمد بعد أن شرفه وأجابه ثمسار عواطفه واقطفه وخلع على امراء دولته ومقدمى مملكته وأسهم باحسنانه اكابر ديوانه وأصاغر غلمانة نعاد الى آمد وقد تزينت له وتعلقت وتألقت بتألف شمل ابن نورها وتألفت ، وتمكن الوزير وأمر ونهى وأدرك من منصبه المشتهى .

تذكر النزول على شاطيء قرامان ومراسلة بهلوان

قال : ولما استتب الفتح وخلصنا ميفارقين تجدد لنا ذكر خلاط وكيف تكسر انشغالنا بسواها النشاط ولما تهادى الزمان وقرب / (٢٢٣ ب) منها بهلوان راسله بكتير وحمل اليه مع ابنته زوجة شاه أرمن الاموال التى أودعت المخزون وندب السلطان اليها الفقيه ضياء الدين عيسى فدخلها وتكلم مع الوزير وشاوره ظنا بصدق مناصحته فى التدبير فظهر له من محسوى خطابه ما مخضت به الزبدة ونتجت به لوائح الاراء المستجدة وأحال الحال

على البهلوان وأنه جاء ليملك المكان ولو استعجلتم لسهل ما صعب وهان ، وكان الفقيه عيسى قد صير صاحبا له الى المعسكر البهلوانى للتجسس ومعرفة الاحوال بالتفرس فلما حضر هناك ادعى أنه رسول وان قوله فيما يورده ويصدره مقبول فقالوا له ان صاحبك ان جاءنا تحقق فى المصلحة والمصالحة رجأؤنا فكتب اليه الفقيه عيسى يعلمه بما ذكره وان بحضوره تسكن الدهماء ويؤمن المكروه فكتب الى السلطان بأن التوم قد طلبوه وله مع ما سنع من الخطوب خطبوه فكتبت الى اتابك شمس الدين بهلوان كتابا بارسال الفقيه اليه عن السلطان ، فتوجه الفقيه رسولا وصادف اقبالا وقبولا ووجد كل ما يقترحه مبدولا وكانوا منا مستوحشين فأنسوا ومن قصدنا اياهم مستشعرين فأمنوا ، ومن حركتنا حذرين فأسكنوا ، وبجلوا ضياء الدين وعظموه وكفلوه بالأمر وأطلعوه على السر وصيروهم بالاحوال محيطا وجعلوه بيننا وبينهم وسيطا . فعاد الينا نشيطا يدرس من شرح حشرهم وجيزا وبسيطا ، وأتانا من عند اتابك بهلوان رسل مكرمون وخواص مقربون ، وفتحت ابواب الرسالة وسنحت أسباب الاستعطاف والاستمالة ، وعرفنا ان خلاط قد حمى غسلها نخلها ، وأن غابة عثرها قد نبت عنها فحلها وأنها أعرضت بعدما تعرضت وأبلست بعدما ثمرضت (١) ففارقنا قصدنا بعدما فات انتهاز فرصة الامكان وخلو عرصة المكان من عسكر البهلوان ولا رغبة فى ايداء الاحد واذكاء الفتن ، فتركنا الدست تايها والخصم خايها خايما ، ولبثنا أياما لترتيب ذلك الاقليم ومباشرة ضعفها وأمنها بالتقوية والتقويم وفوضى السلطان ولاية تلك البلاد الى مملوكه حسام الدين سنقر الخلاطى فحسم ببايائه داء الشر ومحاسننا بالعرف سنة النكر وأقام السياسة وأدام الحراسة . ولما دخل رجب أصحت السماء التى أضحت تحتجب وجاء نذير البرد مسمعا صوت الرعد وسعا من البرق الودق بالودق فرأى السلطان أن يعجل الى الموصل أمامه ويحكم هناك أحكام العزم وأسبابه وقال : نقضى بها هذه الشتوة وتستتم بالاقامة الخطوة فقوضنا المضارب وقوضنا الى الله المأرب وجبنا السبايب وعبرنا السور (٢) وتكبنا مزورين عن ماردين الزور وألمنا بدارا وأقمنا مستريحين ثم نصبنا الاعلام على اعلام نصيبين وورد كتاب من آمد مضمونه أن سيف الدين ما يفارق قصد ميافارقين

(١) فى الاصل : تعرضت وكذا يتطلب السياق .

(٢) فى الاصل : الصور .

وأنه على قصد أن ينهض اليها فما رفعنا بهذا الخبر رأسا ولا رأينا بأسا وعرفنا انه مع سكوننا لا يتحرك ولحجرنا لا يتحكم ثم انفصلنا عن نصيبين للوصول الى الموصل وشكرنا فيما نقيم به من المنزلة بحيث يسهل على من بالجزيرة امدادنا بالامداد فوقع الاختيار على كفر زمار (٣) فقطعنا اليها نواحي البقعة حتى وصلنا وقررنا منازلنا بها ونزلنا في شعبان وأغلقت الموصل أبوابها وكثرت للنكاية أبوابها وارتجت وارتجفت (٤) مغالقتها وكان السلطان يركب في بعض الأيام ويشرف عليها ، وهي ترفع أيدي الضراعة رجاء عاطفته اليها وهو مقيم في منزلته لا يريم ومقدم على غريمته لا يخيم ، ودجلة تمد بفلكتها وأغلاكها وإكلأ عينا وإكلأها ، والعزم مصمم على الهدو والمكث والسكون والليث الى أن ينتضى البرد ويقتضى بالرى والورد .

وأصبحنا ذات يوم وكانت يأتينا في الرسالة قوم بعد قوم فثقل قد أقبلت محفات فيها مخدرات خواتين أتاكيات لا عهد لشموسهن بشروق ولا لنفوسهن بخفوق ، ولا لمطالعهن بهبوط ولا لمطالعهن بثنوط فخرجن يستشغن ويستغن فأنزلن خير منزل وأوردن من الأكرام أعذب مورد وأصفى منهل . وقال السلطان : انما جينا لتأليف كلمة الاسلام واعادة الأمور بازالة الخلف الى النظام ، وقد قبلت شفاعتكن ورأيت في عصيان العزم طاعتكن ولكن لا بد من مصلحة تتم ومصالحة نفعها يعم فاستقر الأمر على أن يكون عماد الدين صاحب سنجار أخو صاحب الموصل وسيطا في البين وحكما فيما يعود بمصلحة الجانبين فانه كانت شفاعته سابقة ، ومسالته هي ذلك صادقة صادقة فرأى بهذا الرأي قضاء الحقين ووقف السداد (١٠٢٤) / فيه على الطريقين وتعطف وتلطف لأجلهن ولأجلالهن وأتى من الكرامة والمبرة بما يليق بأمثالهن وكن ظنن أنه لا يقيم بحرمة تصدهن ولا يشتغل بأمر يؤذن بمرادهن فدخلن المدينة متلومات متلومات ويلطف الله لأبذات معتصمات .

(٣) في الاصل : كفر زما . وردت في ياقوت كفر زمار والبراء ناقصة في الاصل : وهي من قرى الموصل ، معجم البلدان ٤—٢٨٨ .

(٤) في الاصل : وارتجت .

ذكر وصول عماد الدين في الوساطة وما عرض من مرض السلطان

قال : وكان السلطان لما دخل شهر رمضان داوم قراءة القرآن وحفظه والاعتقان واشتغل بالصيام والتقليل من الطعام ، وظاهر انزعاجه وتغير مزاجه وطال مرضه وامتد وحال مضطرب واشتد ومبداً ذلك أنه أصبح يوم الاربعاء ثامن رمضان محمواً وبقي أياماً سقامه مكتوماً رجاء أن يزول ولا يطول ثم سار خبره وطار شره وقدم على رد الشوائع وردع الشوارع ، وسير الى عماد الدين صاحب سنجار في انفاذ رسوله ليوعز بكل ما يعود بسؤله فيوصل وزيره الكافي شمس الدين بن الكافي وكان من قبل قد سبق القول في تسليم بلاد شهرزور وقلاعها وحصنها وكذلك ما وراء الرأس من البوازيج (١) والرساق وتلك بلد القرابلية وبنى قفجاق فدخل ابن الكافي وابن الفراش قاضي المسكر من جانبنا الى الموصل لاجراء العهد على هذا الملتزم المستقبل ، ورحل السلطان قبل عيد الفطر بيوم وهو من بحر جرانه في عوم وخيما على نصيين في شوال ولم نترقب عود الرسل بنجاز الاشغال ثم استمر الصلح وصلاح الامر وخلص ما بينهم وبينه السر والخبر وخطب في جميع بلاد الموصل للسلطان بعد قطع خطبه السلجوقية وفي ديار بكر أيضاً والديار الارتقية وضرب باسمه الدينار والدرهم وانحل الاشكال وانكشف البهم . ولا تسلمنا البلاد منهم نفذ السلطان الى شهرزور مملوكه مجاهد الدين اياز شريك فتملى بها وتملك وكان التركمان الايوانية مستولية فشتت شملها وقتك ونذب للنظر في تلك الاعمال القاضي شمس الدين بن الفراش فمضى وحل وعقد واصدر وأورد ، وأقطع لبعض خواصه الممالك البوازيج وسير الى البلاد نوابه ورتب فيها أصحابه ، ورتب ضيعة بالبوازيج تعترف بإقلا على ورثة شيخ الشيوخ ببغداد ، وأقام السلطان على نصيين أياماً قليلاً ثم رحل مستقلاً في منازل ومراحل حتى القينا بظاهر حران عصا النوى والقلوب لمرض السلطان متخاذلة القوى واجتمع عندنا من البلاد الاطباء وللمرض ضرم يلفح وللسقم قسم لا يبرح والامل مرتعب والجدل محتجب والسماح يقول هذا أوان كسوف سمائي ونضوب مائي والدين يندب والملك يصخب والأيدي الى الله مرفوعة والنيات بالاخلاص مشفوعة

(١) بلد قرب تكريت على فم الزاب الاسفل حيث يصب دجلة ويقال لها بوازيج الملك وهى من أعمال الموصل . معجم البلدان (١-٧٥) .

والأنفس متوجعة متوجلة والآنفس بالدعاء مبتهلة والرجاء تحت الخسوف
واليلاء فوق الوصف وفى الغيب أسرار وللقمر أمدار تارة وسرار الدموع
منا غزار والضلوع حرار وما كنا نعلم أن النعمة فى سر تلك البلية وأن
الصحة ظاهرة فى تلك السريرة الخفية وأن لهذه القرحة فرحة وأن لهذه
الغمة فرجة ولهذه الليلة دلجة وأن العافية عافية وأن كفاية الله كافيّة
وسياتى ما من الله تعالى به من الرجاء فى الشفاء بعد الاشتقاء .

ذكر شيعمة السلطان فى مرضه

قال : وكلما زاد ألمه زاد فى لطف الله أمله ، وكلما بان ضعفه قوى
على الله توكله وأنا ملازمه ليلا ونهارا وهو يملئ على وصاياه ويفرق بقلمى
على عفائه عطاياه ، واشتدت به الحال ليلة أيس منه فيها الأطباء فلما أصبح
المعتقون والوافدون الى بابه وضجوا ضجة ارتجت منها الدهماء ولانت
لسماعها الصخرة الصماء فسأل عن تلك الرجة وما موجب هذه الضجة
فقتل له هؤلاء وفدك ورجاؤهم رفدك ، وقد اشرفوا على الخيمة وخرقوا
لاجلها حجاب الهيبة فدعانى وأمر بكتب أسمائهم وتفريق ما اجتمع فى خزائنه
من المال على أقدارهم وتحقيق رجايمهم وأعطى كل سائل وأغنى كل آمل
فوجد بتلك السماحة راحة ترجى لعلته بها ازاحة واستمر مدة استمرار
مرضه على بذل جوهر ماله وعرضه ، وكان خلقه أحسن ما كان فى حال
الصحة يخاطبنا بسجايه السهلة السمحة ولا يخلو مجلسه من ذوى فضل
وأولى نباهة وهم يتجاذبون بحضرته أطراف الفوائد ويهزون لمكارمه أعطاف
المحامد فتارة فى أحكام شرعية وآونه فى صناعات شرعية ومرة فى أحاديث
الاجواد وشيم الامجاد ودفقة فى ذكر فضائل (٢٢٤ ب) / الجهاد وينذر انه
ان خلصه الله تعالى من نبوة هذه النبوة اشتغل بفتح بيت المقدس ولو يبذل
نفائس الاموال والآنفس وأنه لا يصرف بقية عمره الا فى قتال أعداء الله
والجهاد فى سبيله وأنجاد أهل الاسلام والاقبال على قبيله وأنه لا يترك
شيعمة الجود والسماحة بالموجود وربما استراح فى بعض ساعات الليل
والنهار الى السماع لاشارة الاطباء لاجل التفريح والانتفاع فان ظفرنا بمفرد
مفرب ومطر ومطرب وصانع صوت ومحسن لحن احضرناه عنده فربما رآته
وشأته ووجد به أفراحه .

ذكر الملك العادل سيف الدين ووصوله الى حران

قال : ولما سمع الملك العادل فى حلب بمرض أخيه ووصوله الى حران بادر بالوصول وقام بضبط الامور وسياسة الجمهور والجلوس كل يوم فى النبوة السلطانية لتولى مصالح الرعية واتامة وظيفة السباط والعمل فى كل مهم بالاحتياط والتعدى لكشف المظالم وبث المكارم وسماع مشافهات رسل الجوانب وابلاء كل عذر واجلاء كل ذعر وتيسير كل عسير ورفع كل خرق ورتق كل فتق ، ولقد عصمنا اذ كنا على خوف من ارجاف يقوى وانتشار خبر سوء لا يخفى ولا سيما اذا خرج الاطباء وقالوا ما فيه أمل ولكل عمر أجل فهناك ترى الناس يستشعرون وبابعد ما يعز عليهم من اعلاقهم ودوابهم يستظهرون ما اراك من المهملين لا من الموقنين فقلت له : أنا لا أخاف الا على سلطاني فاذا ذهب فلا شداد لشانى والذي يفوت أعز من المال والدواب ولا أخاف على ذلك مع ذهاب الاصل من الذهاب فزال بالحضور العادل كل مخافة وسلم الله برأفته من كل آفة ، وكان الملك العزيز عثمان ولد السلطان مع أبيه مقتد بمعالیه مقتف بمراضيه ، وكان من جملة وصاياه عند اشقائه ان ادركنى المحتوم ودنا اليوم فقد خلفت أبا بكر وعمى عثمان وعليهما وكلهم أراه بهرادى فى اقامة الجهاد مليا يعنى بأبى بكر الملك العادل أخاه ويعمر تقى الدين بن أخيه وبعثمان وعلى ولديه الملك العزيز والملك الافضل ورأى عليهما بكفالة سيف الدين وتقى الدين فى مصر والشام العول وأقام الملك العادل الى أن وضع المنهاج وصح المزاج وطابت القلوب وغابت الكرب ثم وصل مع أخيه الى حلب وتم معه الى حمص ودمشق وهب له نسيم مصر فاستجد لنشره النشيق .

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برق تالسق موهنا لمعساته

وسياتى ذكر مضيه مع الملك العزيز الى مصر فى سنة اثنتين وثمانين ووصول الملك الافضل من مصر وبعده الملك المظفر تقى الدين .

قال : وكان الاجل الفاضل نى هذه السنة بدمشق مقبها والى احسان منابى عنه فى الحضرة السلطانية مستنهما فلما وصلنا فى هذه النبوة الى حران أول ما فتحت عينى على الملوك الفاضلى سافرا مسافرا وقد أصبح لى تشريفا شريفا ووفرا أوفرا واحضرنى رزمة ثياب أرزمت لى ركبها بنجح كل منى ومنيح كل غنى وناولنى كتابا وأوقفني على البحر بجواهره والفلك بزواهره .

ذكر نوع من المكارم السلطانية

قال : لما نزلنا على الموصل فى النوبتين اجتمع شعراء البلاد وحضر الحاضر والبادى وما بقى من ينظم وهو قعيد بيته بيتا ويجرى فى مضمار فروسيته كمينا الا وقد اتى بمدحه ليعود بمنحة فتناولها الفقيه ضياء الدين عيسى وكان معنا فى كل نعمى وبؤس وجرح الكرام بكرمه يؤسى وحملها الى السلطان ولعلها مائة قطعة أو قصيدة لواهبه مستريدة ولعل وارفه مستريدة فقال سلمها الى العماد ليتأملها ويعرف أصيلها ومتنحلها فمن استحسّن شعره حسن بالتشريف شعاره وأكثرها درهمه وديناره فاننا نجود لمن يجيد ومن أفاد يستفيد فسلم الفقيه تلك الأوراق وعرض ما فيها على فما استملحت أكثر ما استملحت وفيها منتحل ومنتحل ومتول ومنقول وصحيح وسقيم ولائح وعقيم ومعوج ومستقيم وسمين وغث وجديد ورث فلو حملنا أمرهم على مقتضى الأمر لقل من استقل بالنفع وباء الباقون بالضرر فضمت نشرها وطويت خبرها وسرت عيوبها وزرت جيوبها ودرجتها فى دروجها وأبقيت نجومها فى بروجها وجئت الى السلطان وقربت تلك المقربات بسروجها وقلت ما هذا اوان الانتقاء (٢٢٥) أ/والانتقاد وتعرض الرجاء فنيك للكساد وما من هؤلاء الا من استنزغ وسعه وقطع فى الطريق شعثه وأحال على نضو أهله نسوه وأتى بجهد المثل وهم وفدتك وقد هدتهم نارك وحدتهم أبارك فجد لهم على أقدارهم ولا تشعروهم بشعار أشعارهم فقال : نعم ما به أشرت ولنشره بهرفنا عرفت ونشرت ثم أحضر الاكياس وأجرى فى تفريق جمعها القياس وأوجد الرجاء وأعدم اليأس وأغنى الوفد ونأخر الحمد .

ذكر حكاية أخرى

قال : كان من معارفى فقيه قد تأدب وأعجبنى قد تعرب وعن له أن
ينظم فى السلطان قصيدة كانت الفاظها مضحكة وكلماتها بين العربية
والعجمية مستدركة فأوصلها الى لأوصلها الى السلطان وأهز بها منه عطف
الاحسان فارتقت لعرضها ليلة موافقه لاداء فرضها وجئت الى السلطان
بها وقد سر بشفائه وقر بما أقر الله عينه من اماطة أدوائه فأنشدها من
جلسائه من صوته أئدى وثناده أجدى والسلطان يضحك من سماعها
وتعجب من أعاجيب ابداعها وجلساؤه يوافقونه على ضحكهم وينظمون النظم
المسموع فى مسلك الاستغراب وسلكه وأنا ساكن لا أبدي حركة فتعجب

السلطان من سكونى وسكونى واستغرابهم الضحك دونى فقلت انه استعان
بى فى احسان المناب فلا أقل أن لا اسهمه بالارتياح والاعتياح فلما كان
موسم ارضاء الوافدين واغناء القاصدين وحررت ورقة باسمائهم وتجردت
لتفرقة عطائهم عين لصاحب ذلك النظم ثلاثون دينارا وجعلها له ادرارا فقلت
له بل تضعفها وتجعلها ستين فأنكم ضحكتم بثلاثين وجائزة قصيدته
ثلاثين فقال : انصفت واحسنت النياحة ولو كانت الجائزة بمقدار القيمة
لم يبلغ خمسة صداق تلك اليتيمة فاستغنى ذلك المعلم وحصل له فى مظهره
المعزم المغنم .

ذكر الصدقة فى المرض

قال : لما مرض قال لى اكتب الى الولاة والنواب بالديار المصرية
والشامية أن يتصدقوا على الفقراء والمساكين من المال المعد للحمل على
قدره فى التعمين ولم يبق فى الممالك الا من وصل اليه نصيب ودعا
بالصالحات لن الله لدعائه مجيب ومن جملة تلك الصدقات انه امرنى أن
اكتب الى الصفى القابض أن يتصدق بخمسة آلاف لئنوز من الثواب بأضعاف .
قال : ولما امتد زمان مرضه أمر ببناء دار عند سراحته وحمام فى أربعة أو
خمسة أيام وكان قد استحضر من دمشق ولديه الصغيرين تورانشاه وملكشاه
وأههما فأسكنهم فيها مدة مقامه فسمها دار العافية للبرء فيها من سقامه
ثم خلاها لن يترك بها ضيفا وجعلها للأويين اليها وقفا فله وطن وطبر
عمرت بعمارتها الاوطان وببيت سرور خرجت بدخوله اليه من بيوت الكرام
الاخوان وبنيان سلطان شاد مباني السلطنة ومكان عز تفاضل بفضل عزا
الامكنة ومريض أسد تقتشع من بأسه الأسود ومجثم سداد يترافد الى رغه
الوفود وكان مثل السلطان فى تلك المنزلة وهو مقيم كما قال الله تعالى فى
حق يونس « فتبذناه بالعراء وهو سقيم » (١) فيها الق حب الحياة وازجا
النجاة وخص الله السلطان بفضيلة فتح القدس وقضى حاجاته التى كانت
فى النفس وسيأتى ان شاء الله تعالى شرح كل فتح فى موضعه وكيف أشرق
سنا النصر من مطلعة .

(١) سورة الصافات : آية رقم ١٤٥ .

ذكر من توفي في هذه السنة من أكابر الدولة

قال : توفيت الخاتون العصمية بدمشق في ذي القعدة وهي عصمة الدين ابنة معين الدين أنر ، وكانت في عصمة الملك العادل نور الدين رحمه الله فلما توفي وخلفه السلطان بالشام في حفظ بلاد الإسلام تزوج بها في سنة اثنتين وسبعين وهي من أعف النساء ولها أمر نافذ ومعروف بأيدي المعروفين آخذ وجناب ما يزال يلوذ ويعوذ به لائذ وهي في الدولة حاكمة ولها صدق وصدقات ورواتب للفقراء وادارات ، وقد بنت للفقهاء والصوفية بدمشق مدرسة ورباطا وذلك سوى وقفها على معتقها وعوارفها وأيادها وكان السلطان حينئذ بحران في بحر المرض وبحرانه فما أخبرناه بوفااتها خوفا على زايد علقته ووقد غلقته وهو يسدعي كل يوم درجا ويكتب اليها كتابا طويلا حتى سمع نعي (٢٢٥ ب) / ناصر الدين محمد ابن شيركوه بن عمه فنعت اليه الخاتون وقد تعدى عنه اليهما المنون (١) وكانت وفاة ناصر الدين بحمص في تاسع ذي الحجة من هذه السنة من غير مرض أشعر بها ولا علة أضيف حكم الحمام الى سببها فجأته المنية فجأة فوجدنا من القدر بقاء السلطان احسانا وبوفاة ناصر الدين اساءة وكادت مطالع الانس تظلم لولا أننا استأنفنا لها بالشفاء السلطاني لها اضاءة وكان ناصر الدين هذا الى محسنا وبفضيلي معلنا ولي فيه مدايح وله عندي منايح وان أوردتها طال الكتاب وأول ما مدحته به في الايام النورية سقاها الله كلمة منها .

قد اذل الكفر قاهره	وأعز الدين ناصر
كم ساع في الزمان	له كرمت منها عشائره
وعلى دون الملوك له	عقدت فيها محاصره

وفي هذه السنة في جمادى الآخرة توفي الامير سعد الدين مسعود ابن أنر ونحن قد فتحنا ميافارقين ولقد كان من الاكارم الاكابر ولم أر أحسن منه خلقا وازكى عرقا ولم يزل في الدولتين النورية والصلاحية أميرا مقدما وعظيما مكرما ولسفور فضايله ووفور فواضله رغب السلطان وهو زوج

(١) ساقطة في الاصل ، والضبط من الروضتين (١) ٢٧٢ .

أخته أن يكون هو زوج أخته وواصله السمسرة تحقيقاً
لنعتيه بالتي تزوج بها مظفر الدين كوكبرى بعد
وجدد بها اسعاده وسعده . قال الفتح بن على بن محمد الاصبهاني منتخب
الكتاب وهذه الجهة (٢) المعصومة بقية شعب الدوحة الايوبية وهى الآن
ساكنة بدمشق وقدمتها فى سنة عشرين وستماية والملك المعظم أبو الفتح
عيسى بن السلطان الملك المعادل هو القائم بشرايط تعظيم قدرها وتفخيم أمرها
وهى التى توسطت بين السلطان وبين زوجها مظفر الدين فى اتصال
الملك الناصر أبى سليمان داود بن السلطان الملك المعظم حتى يميره من دمشق
الى اربل فى رمضان سنة احدى وعشرين وستماية وهو الآن متملك تلك
البلاد والمتكفل فيها بأموال العباد والله تعالى يبلغه تحت ظل ابيه غاية الطلب
ونهى المراد . قال : ولم يزل سعد الدين لى متعصباً متصعباً وللسعودى
منتقرباً ولقربه من السلطان يتحجب عنده فى مطالبى وينيب عنى فى تقرير
مراتبى .

قال : وفى هذه السنة رد السلطان قلعتى الرها وحران الى مظفر
الدين كوكبرى لتوفره فى الخدمة على حفظ القوانين وظهر منه كل ما حقق
الاستظهار وأوجب لامره الامرار ورغب فى مصاهرة السلطان وقلده وطوق
الامتنان .

وفى هذه السنة توفى عز الدين جاولى وهو أكبر الامراء الاسدية ولم
يزل فى الجهاد يحسن بلاؤه ويصدق غناؤه . ولما عدنا بعد فتح ميفارتين
الى الموصل طرقة الابلاء وأوقعه التضاء وتفرز لحصانه بعض السواقي فمثر (٢)
به وانكسرت رجله ثم اشد ألمه وطال سقمه وانتقل الى دمشق وتوفى بها
فى اواخر هذه السنة او فى أول سنة اثنتين وثمانين .

وفى هذه السنة يوم الاربعاء ثامن رمضان قتل بآمد وزير قرا ارسلان
وهو قوام الدين أبو محمد عبد الله بن سهاقه (٤) قتله ممالك مخدمه غيلة
ومحلوا فى مباغتته فى الفنا حيلة . والسبب فى ذلك انه كان قد تمكن من

(٢) ربيعة خاتون بنت ايوب عمريت الى أن توفيت بدمشق بدار أبيها
وهى دار العقيتى فى شهر رمضان سنة ٦٤٣ هـ وهى آخر أولاد ايوب
لصلبه موتا وكان يحترمها الملوك من أولاد أخوتها وأولادهم ويزورونها فى
دارها انظر الروضتين (١) ٦٧-٢ .

(٣) فى الاصل : تعد والتصحيح من الروضتين (١) ج ٢ ص ٦٧ .

(٤) قارن نفسى المصدر . نفسى الصفحة .

الامر وسكن الى قوة نفسه وركن وكان أحد الامراء الكبار المعروف بالصلاح فبلغ أنه قد تولى الاعراض وأنف من الوزير ولم يرض أن يتبعه وكلاهما مستشعر من صاحبه فتسبب الوزير الى قبضه وحبسه واشتغل في التدبير بنفسه فلما سمع السلطان بخبره قال انه تعرض للوقوع في خطره وكأني به وقد ذهبت نفسه وتدانى أمسه وسيثق يقوم به يفتكون ولدمه يسفكون وكأني تعلق بما في الغيب مكتوم وفي اللوح المحفوظ مكتوب محتوم فانه وصل الخبر بقتله على ما تم من ختره وختله فان جماعة من الممالك المفردين تأمروا بينهم على الفتك بالوزير فجاء واحد اليه وهو جالس في ديوانه وايوانه في الدست الاثير وعنده الاكابر والامائل وهم ينتظرون الاذن على العادة فقال : الملك يدعوك وحدك يسألك عن حديث عندك فقام يسحب ذيل اختياله ولم يدر بما يستصحب من ويل اغتياله فدخل الدهليز وقد اغلقتوا (٢٢٦) / الباب الذي يصل فيه الى الامير وأغلقتوا وراء الباب الآخر لما تصوره من التدبير فاعتالوا وفتكوا به وقتلوه ثم أخرجوا الصلاح من حبسه وردوه الى مجلس أنسه فلما تمكن قبض وبسط وشرك أصحاب الوزير وقتل منهم من أدركه واستولى على كل ما ملكه ثم قتل أولئك القاتلين وكانوا به واثقين وعن مكره غافلين وبقي متوليا للدولة الى أن أدرك الامير رشده والى أن يبلغ أشده فاستبد بملكه وأخرجه من سلكه .

وفى هذه السنة توفي الفقيه المذهب عبد الله بن أسعد الموصلي بحمص وكان المدرس وكان علامة زمانه في علمه ونسيجه وحده في نظمه وقد أوردت في صدر الكتاب ما يستدل به على فضله .

ذكر العزيز علي الرحيل من هراة

في هذا الشأن قد كل علاجه واشتد مزاجه وأراد أن يكون في وسط الممالك وعلى جواز المسالك فتواترت في البلاد أخبار ابلاله وأبناء استبداده واستقلاله وكان عنده ولده الاعز الملك العزيز وأولاده الصغار الاعزة ، والملك الظاهر بدمشق مقيم والامر هناك مستقيم فلما ورد نعي الخاتون وناصر الدين وخلا شبلة أسد الدين بعده في العربن وخيف على بلاده لصفر أولاده واحتيج أيضا الي الاحتياط علي ما في خزاينه واستخرج

ما خلفه من ورثته من دفاينه . وكذلك الخاتون عصمة (١) الدين خلفت
أملكا وتراثا وأوقافا واسعة وأثنا ولم يكن من الحركة بد ولم يكن الا
بحضور السلطان لتلك الخلات والاختلالات تسديد وسد .

قال : وفى هذه السنة لما كنا على ميافارقين وقد فتحناها ورد للسلطان
مثال شريف أمانى ناصرى بتفويض ولاية ماردين وحصن كيفا اليه تاريخه
غرة جمادى الاول . قال : ودخلت سنة اثنتين وثمانين والسلطان ساير
بمعسكر مفاخر معسكره وخيم على شاطئ الفرات وقد مشط البؤس وصفا
من الصحة العبوس ، وودعنا مظفر الدين صاحب حران من الفرات
مصحوبا بالقوة والثبات مشحونا وفلك آماله بالمكرمات ، ورحلنا صوب حلب
والملك العادل سيف الدين سلطانها على المقدمة وقد هيا لقدومنا أسباب
التكرمة ونزلناها فى العشر الاوسط من المحرم فألفيناها كما ألفناها بالعدل
أهلة ومن الفضل ناهلة والخطوب (٢) عنها ذاهلة والقلوب بحب الدولة
عامرة والنفوس بنعمة ربها متحدثة ذاكرة .

واحتفل الملك العادل بأخيه السلطان وحمل عنه وله وأظهر (٣) مجمل
جميله ومفصله وقام بكل فرض وسنة فى الخدمة وتقبله وما خلى أحدا من
خواصه الا خوله وموله .

وأضافنى الصنيعة ابن النحال كاتب الملك العادل واستضاف معى قوما
وفيهم نجم الدين بن المجاور الوزير العزيزى وقد بعثتنى على مصاحبتي
اليه وده العزيزى . وكان سكن الضيعة من قلعة حلب فى برج من أبراجها
وكان فى ذلك مذعورا معذورا فانه كان بالاحتراز من المخالطة مأمورا وكان
قد نفق على مخدمه واختص بسرّه وأطلع على مكنونه ومكتومه . وكان
نصرانيا من القبط ثم اضطر الى الاسلام بسبب امرأة هوى بها وعشقها
وحظى بها ورضيها وما سلمت له الا بالاسلام فاذن سعه فى اسعادها
بتمامه واستقر أمره على نظامه وأفضى به التوفيق الى التمكين ولم يزل
معه حتى انتهى عمره فى سنة تسعين .

(١) فى الاصل : عضد .

(٢) فى الاصل : خطوب .

(٣) فى الاصل : وأظهر .

قال : ولما قضينا بجلب الارب رتب الملك العادل فيها نوابه واحكم
 احكام الملك العادل واسبابه ، وصحب اخاه السلطان منفذا لاوامره ومديرا
 لعساكره اشفاقا من تعب يلحقه وارفاقا به فى نصب يرهقه فانه كان فى
 غيب وعكته ولا يؤمن من مضرة حركته ، ووصلنا الى حماه فى مراحل طاب
 مراحلها واسفر بحمد مسراها صباحها وتلقانا النايب عن الملك المظفر تقي
 الدين بكل جمال وجميل وحسن واحسان جلى جليل وتقى الدين حينئذ
 نايب السلطان فى الديار المصرية وقد عول فى حماه على نظر ناصر الدين
 منكورس بن ناصح الدين خمارتكين وفيه السماحة والحماسة والحجى
 والحصافة (٢٢٦ ب) / وكان تقي الدين منذ تولى حماه حصن قلعتها وعمق
 خندقها وادام بعمارتها اشتهاره وبارادة ادارتها استتظها فلهما ندبه
 السلطان للنيابة عنه فى مصر سألته أن ينزل عن حمص (٤) فأبى فوافقه على
 مراده وأبقاها لما عرف من اجتهاده فسلمها الى ناصر الدين منكورس وشكرته
 الرعية . وكانت بينى وبينه صداقة بصدق الاعتقاد معتودة . واتفق أن سرقت
 لى فى طريقها الى حمص ثلاثة جمال بما لها من عدة ورجال وكنت قد سلوتها
 وتمكن عندى موتها ، فجعنا هذا الامير بعد يومين بقطارين من الجمال
 المسروقة وقال : لما سرتهم عرفت أن وراءكم لصوصا فرتبت أصحابى فى
 المواضع البعيدة من العمارة ليرصدوا أهل الذعارة فوجدوا هذه الجمال
 التى احضروها فثأملتها فاذا هى جمالى نفسها (٥) فشكرت همته الكريمة على
 احسانها ولم تزل الثغور لسداده مسدودة والرعايا بسياسته محروسة
 ورايات الكفر بنكاياته منكوسة .

فصل قال : وهؤلاء الذين قرضتهم ووصفتهم تنكرت معرفتهم بعدد
 الايام السلطانية فمهم صدقونى لصدق الحاجة فلما استغنوا عنى حملوا معرفتى
 وانكروا عارفتى وهذه شيمة اخلاء الدنيا فى دين الاخلال وملة الملال
 واستحالة الحال .

(٤) فى الاصل : مصر .

(٥) فى الاصل : نفسه .

ذكر الموصول الى حمص وتقرير أمر أسد الدين أبي الحرث شيركوه بن محمد بن شيركوه مكان أبيه

قال : كان قد وصل صاحب أسد الدين الى الفرات لتقرير ما يجرى له من الولايات فأمر السلطان بنظم منشوره وضم نشره وكتاب منشوره فأجرى عليه (١) جميع ما كان لآبيه وجئنا بعد ذلك الى حمص واقمنا واستعرضنا خزائنه واستخرجنا دفاينه وقسمنا ميراثه . وكانت أخت السلطان الحسامية زوجة ناصر الدين وهى مستحقة للثمن والباقي بين البنت والابن وخلفت عينا وورقا ومجتمعا ومفترقا ومبلغ التراث فى الملك والعين والاثاث أناف على ألف دينار فما اعاره السلطان طرفه ولا امترى خلفه بل تركه على اهل التركية وأبقاه برمته لهم وأسد الدين مع صفره (٢) وأن كان سهمها (٣) لبيا وسهما مصيبا احتاج الى أمير أمين ينتقدم على أصحابه ويتولى مصالح بابيه فرتب أميراً من الاسدية يعرف بإرسال بوغا فؤاده وأولاده ولم يزل مستقلا بالولاية الى أن تفرد الامير بالامر لسداده وبلغ فى السن مدى رشاده ونعت بالملك المجاهد وفى نسخة منشوره : وأنعمنا عليه بكل ما كان لوالده رحمه الله من البلاد والضياح والمعاقل والاقطاعات والولايات وقررناه عليه مستمرا على الدوام مصونا من الاحداث معصومة سرايره المحصنة من الانكاث وذلك حمص، سلمية، تدمر، وأدى بنى حصين، الرحبة، زلبيا . واعتمد على الامير الحاجب بدر الدين ابراهيم بن شروة (٤) الهكارى فى ولاية قلعة حمص وما رأيت من الاكراد مثله دينا ومروءة وكرما وقوة فأقام بها مدة حسنت فيها آثاره وشاعت بالخير أخباره الى أن نقله السلطان الى قلعة حلب فكان كما رغب ثم طلبه الملك العزيز فى آخر عهد السلطان ورتبه فى قوص . ولما فرغنا بحمص من اشفالها ورتبنا ولاه ولاياتها ونواب أعمالها عادنا هوى جلق وطبيب هوائها وموافاة أندية أندائها ومعاودة جنا جناتها ومواعدة لذات لذاتها فلما ترتبنا واستقطننا لها النشر والنشق قال لى السلطان : جرد القلم فابد مشق دمشق واكتب الى الاولياء وبشرهم بوصولنا فقد هبت لهم

(١) فى الاصل : على .

(٢) كان عمره ١٣ عاما . انظر الروضتين (١) ٢-٦٩ .

(٣) فى الاصل : غير منقوطة .

(٤) فى الاصل : غير منقوطة .

قَبُولِ اِتِّبَالِنَا بِاِتِّبَالِ قَبُولِنَا وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى اَعَادَنَا وَرَدَ اِلَيْنَا بَرْدَ الْبَلَاءِ
 بِلَادِنَا وَلَمَّا شَاعَ بِدِمَشْقَ خَبْرُ دَنُونَا اَحْتَفَلَ اَهْلُهَا وَاجْتَمَعَ بِالسَّارِ شَمْلُهَا وَطَلَعَتْ
 اَعْيَانُهَا وَنَبَعَتْ عِيُونُهَا وَوَأْتَتْ اَبْكَارُهَا وَعَوْنُهَا وَتَطَبَّقَتْ عَلَى سَنَةِ الْاَمَنِ
 بِقُدُومِنَا جَفُونُهَا وَرَاقِنَا تَلَقَى اَوْدُ الْاَمَلِ وَلَمَلَقَ اخْلَاءُ الْعَمَلِ وَاتَّفَقَتْ الْمُتَمَشِّقَةُ
 وَسَمِعَتْ الطَّلِيقَةَ وَدَخَلْنَا الْمَدِينَةَ وَزِينَةَ الدُّنْيَا خَارِجَةً وَسَكِينَةَ النِّعْمِ فَارِجَةً
 وَكَانَ النَّاسُ قَدْ سَاءَهُمْ خُبْرُ الْمَرْضِ فَسَرَّهُمْ عِيَانُ السَّلَامَةِ وَمَا الَّذِى الرِّجَاءُ
 بَعْدَ الْاِبْلَاسِ وَالثَّرَاءُ بَعْدَ الْاِفْلَاسِ وَانْتَهَمَ ظُفُورُنَا فِى الْاِيْحَاشِ بِالْاِيْنَاسِ وَأَمْنُوا
 بِمُشَاهَدَةِ الْاَنْوَارِ السُّلْطَانِيَّةِ حُنَادِسِ الْوَسْوَاسِ وَاجْتَمَعَ السُّلْطَانُ فِى الْقَلْعَةِ
 بِأَهْلِهِ وَاقْلَعَ الزَّمَانُ عَنْ جِهْلِهِ وَشَاهَدْنَا الْفَضْلَ وَالْكَرَمَ (٢٢٧) / (١) بِالْمُشَاهَدَةِ
 الْفَاضِلِيَّةِ وَعَدْنَا اِلَى السَّعَادَةِ الْقَدِيمَةِ وَاجْتَمَعَ السُّلْطَانُ بِهِ فَبَثَهُ (٥) اَسْرَارَهُ
 وَزَارَهُ مَرَّةً وَاسْتَزَارَهُ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَجَنَى ثَمَارَهُ وَرَاجَعَهُ فِى مَصَالِحِ دَوْلَتِهِ
 وَاسْتَشَارَهُ وَعَمَلَ بِمَا اَشَارَ بِهِ بَعْدَ اَنْ شَاءَ اللّٰهُ وَاسْتَخَارَهُ وَعَادَ الْهُوْىَ
 وَعَدْنَا وَزَادَ الْحَجَى وَزَدْنَا وَوَفَيْنَا بِمَا نَذَرْنَا وَانْجَزْنَا مَا وَعَدْنَا وَاحْيَى السُّلْطَانُ
 سُنْتِى الْاِسْعَافِ وَالْاِنْصَافِ وَأَجْنَى قَطَافِ الْاِلْطَافِ وَجَلَسَ فِى دَارِ الْعَدْلِ
 لِكُثْفِ الْمَظَالِمِ وَبَثَ الْمَكَارِمِ وَاحْيَا الْمَعَالِمَ .

ذَكَرَ مَا اسْتَفَافَهُ السُّلْطَانُ مِنْ نَقْلِ الْوِلَايَاتِ

قَالَ : وَكَانَ السُّلْطَانُ لِلْمُلَازِمَةِ اخِيهِ الْعَادِلَ لَهُ قَدْ مَالَ اِلَى رَايِهِ وَغْنَى
 بِغَنَائِهِ وَوُثِقَ بِتَفَافُذِهِ فِى الْاُمُورِ وَمُضَائِهِ وَهُوَ يَشِيرُ عَلَيْهِ بِمَا يَتِمُّكَ فِى نَفْسِهِ
 وَيَقْتَرِنُ بِأَنْسِهِ وَيَتَصَوَّرُ فِى حُدُوسِهِ . وَكَانَ الْمَلِكُ الْاَفْضَلُ نُورَ الدِّينِ عَلَى بَمْبِي
 وَهُوَ وَلَدُهُ الْاَكْبَرُ قَدْ بَدَأَ يَظْهَرُ وَقَدْ مَالَتْ اِلَيْهِ بِمَبْرُجَةِ جَمَاعَةٍ وَلَهُ مِنْهُمْ طَاعَةٌ
 وَرَبْمَا نَقَمٌ تَقَى الدِّينَ النَّائِبَ هُنَاكَ مِنْ وَاحِدٍ أَمْرًا فَوَقَعَتْ فِيهِ مِنْهُ شَفَاعَةٌ
 فُكِّتَ بِشِكْوِهِ مِنْ اخْتِلَالِ أَمْرِهِ وَانَّهُ لَا يَسَعُهُ خِلَافٌ مِنْ اسْتِبْدَادِ بَحْكَمِهِ وَلَا يُمْكِنُهُ
 اَيْضًا مَا يَقَعُ مِنَ الْمَصْلُحَةِ بِرَغْمِهِ فِى عَزْمِهِ . وَكَانَ فِى نَفْسِ السُّلْطَانِ اَنْ يَنْقَلِ
 وَلَدُهُ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ عُثْمَانُ اِلَى مَبْرُجَةٍ لِيَكُونَ عَزِيزًا وَلِيَحْرُزَ مَلِكُهَا وَيَحْزُوزَهَا وَهُوَ
 مُفَكِّرٌ فِى وَجْهِ تَقْرِيرِهِ وَطَرِيقِ تَدْبِيرِهِ حَتَّى بَدَأَ لَهُ نَقْلُ الْاَفْضَلِ بِخَطِّهِ بِكُلِّ مَا
 يَسْتَمِيلُهُ اِلَى بِلَادِ الشَّامِ فَاِذَا وَصَلَ نَظَرَ حَيْثُ نَظَرَ فِى اِتِّهَامِ مَا يُوَثِّرُهُ مِنَ الْمَرَامِ
 (فُكِّتَ اِلَى الْاَفْضَلِ بِخَطِّهِ يَسْتَمِيلُهُ) (٦) وَيُضْمَرُ بِالنَّجْحِ تَأْمِيلُهُ وَيَذَكَّرُ لَهُ فَرَطُ

(٥) فِى الْاَصْلِ : فَاَبَقَهُ وَالضَّبِيطُ مِنَ الْرُوضَتَيْنِ (١) ٢ - ٦٩ .

(٦) هَكَذَا فِى الْاَصْلِ .

اشتياقه وأنه لا انفراق من ألم فراقه فليصل بجميع أهله وجماعته ووأذنته وحشمه وأصحابه وسحره بمعاني الترغيب كتابه فلما قرأ (١) كتاب والسده وثق بنجاح مقاصده وايقن بنجاح مواعده فودع مصر وداع القتلى وأزمع عنها أزماع المسالى واعتمد فى الرحيل على أمر الله تعالى وسار بالهمم العوالى والأحوال الدوالى وجاء البشير بوصوله يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الأولى فأمرنا السلطان بتلقيه فى خواصه وحشمه وحواشيه فركبنا سحرة هذا اليوم المبارك وخرج معنا الامراء والولاة والقضاة وكان يوما مشهودا محمودا مشكورا واستصبحنا الحرس الخاص واستتبعتنا العوام والخواص ، ودخل فى زى موكب السلطان وجاء به وأُنزل بالقلعة فى دار رضوانه ومكن مكانه وكتب الى تقي الدين أنه قد ازلجت علته وشقيت فى الاستبداد بمصر غلته فابتهج تقي الدين بتفرده وانتهج سر توحده ولم يدر أن الوهن يطرق الى وثوقه وأن الكساد يسوقه الى سوقه وان كان فى ذمة ولد السلطان وعصمته وان تمام حرمة بجرمته فلو استمسك به واعتصم بسببه وقال : لا ولاية لى فى بلدك الا بولاء ولدك واننى فى التربية كفيله وفى التولية وكيله لصعب تحويله وما أمكن تبديله لكن قضاء الله ماض وقدره قاض .

ذكر تسليم حلب الى الظاهر

قال : ولما دخلنا دمشق كان بها من اولاد السلطان غياث الدين غازى نزار (٢) عمه الملك العادل وهو صهره وقد اشد بمظاہرته ظهره فقال له قد نزلت عن حلب لك وحليت بها عطلك وأنا أقنع من أخى باقطاع أين كان والزم الخدمة ولا أفارق السلطان وأطلبها من أبك ان كانت ترضيك وجاء الى السلطان فقال : هذه حلب مع رغبتى فيها أرى أن أحد أولادك بها أحق وملكها به البق وولدنا الملك الظاهر أحب اننى بها أؤثره وملك الدنيا فملك (٣) حلب له لا استكثره وأنا مع ملازمتى لخدمتك ومساهمتى فى نعمتك لا يعوزنى بلد وقال السلطان : مالنا الآن لها عوض ولا لنا فيما ذكرته غرض المهم الآن

(١) كذا . وفى الاصل مطموسة .

(٢) فى الاصل : غير منتوطة .

(٣) فى الاصل . فكيف .

تدبير أمر ولدى الملك العزيز فان مصر لا بد أن يكون لى بها ولد اعتمد عليه واسند ملكها اليه والصواب خروجنا الى البلقاء ونخيم على الزرقاء ونرتب معه من يمضى الى مصر من الامراء . فرحلنا ومعنا الملك العادل والعزيز والظاهر والامراء والخواص وسرنا حتى خيمنا على الزرقاء وارعبنا بقرينا من الثغور قلوب الأعداء (٢٢٧ ب) / وكان قد مضى أن الملك العادل قد زهد فى حلب وطلبها الملك الظاهر والتمس عوضها بلادا عينها ونواحي بمصر بينها وكان قد مال الملك العزيز اليه لاشفاقته عليه فسأل اياه أن يسير معه الملك العادل فانه نعم الكافى الكافل وحلف انه عن عمسه غير عادل ومازالت الرسائل تتردد والاقتراحات تتحدد حتى اعطاه السلطان بمصر البلاد المعروفة بالشرقية واعتمد عليه فى ساير الممالك المصرية وسمع تقى الدين فى مصر هذا الخبر فغبا ونفر واذا تولى أبو بكر فلا عمر فمعبى الى الجيزة مظهرا أنه يمضى الى بلاد المغرب ليملكها وكتب الى السلطان أن لا يمنعه من سلوك مسلكها وسمت همته الى مملكة جديدة وأقاليم ذات ظلال مديدة وقد كان أحد ممالিকে المعروف بقراقوش قد جمع من قبل الجيوش وسار الى بلاد برقه وهدته الامنية الى النفايس فى بلاد نفوسة فادركها وتجاوز الى افريقية وهو يكتب الى تقى الدين مالكة برغبته فى تلك المملكة ويقول أن البلاد ساييه وعرايسها لكفوها منها خاطبة فلما تجدد ما تجدد عبر تقى الدين بمسكركه وجنده ومالت اليه عساكر مصر لبذوله ومخالفة عدوله وتقديم مملوكه يؤزبه ليكون فى المقدمة .

ولما ائتمنى الى السلطان خبر عزمه قلق بتفربه وعلق بتفربه وقال لعمرى ان فتح المغرب مهم لكن فتح البيت المقدس أهم والفائدة به أتم واذا توجه تقى الدين واستصحب رجالنا المعروفة وأبطالنا الموصوفة ذهب العمر فى اقتناء الرجال واذا فتحنا القدس والساحل طوينا الى تلك الممالك المراحل وعلم لجاج تقى الدين فى ركوب اللجة واحتجاجة فى سلوك تلك المحجة .

قال : ولكننا نكتب اليه بالوصول ليشافهه بوصايا ويطلعه على خفايا وحينئذ يعزم ويصمم فاذا وصل اليها شغلناه واذا استقلنا عثره اقلناه فكتب اليه يأمره بالقدوم عليه . ولما استقر أمر الملك العادل فى المعيشة التى بها توحد الولاية المصرية التى بها تفرد استدعى نجاز أمر العزيز للسير معه فقرر السلطان لولده قوص وأعمالها ومرافقها وأموالها وأضاف

أليه أجنادها ورجالها ورتب له رواتب ووظف له وظائف مواهب وعين له من خواصه حجابا ومن ذوى استخلاصه أصحابا ودون له ديوانا وكتبا ، وودعه فى العشر الأول من شعبان ، وسار الملك العادل وودعناها وعدنا مع السلطان والمناضل ، وكان دخولهما الى القاهرة فى خامس رمضان . وأما الملك الظاهر فان السلطان سيره الى حلب وانعم عليه بها وببيلادها وسائر قلاعها وأقاليمها وضياعها وأمر أمرائها بطاعته ومتبوعيها بتباعته ، وندب معه شجاع الدين عيسى بن بلاشوا ، ولم يزل الملك الظاهر من أيام صغره كبير القدر نسيج الدهر شديد التيقظ ، شديد التحفظ بعيد المثال قريب النوال .

وأما الملك المظفر تقى الدين فانه لما وصل كتاب عمه بالاستدعاء سارع الى تلبية النداء ، فجاء مغذا يغذ السائرين نداء وخلقى بمصر أصحابه وأسبابه فوصل الخبر بوصوله فى العشر الاخير من شعبان وخرجنا لتلقيه ، وخيم السلطان على كتف المصرى فوق قصر أم حكيم فلما قرب ركبنا الى موكبه وقرت عينه بلقيا عمه وظفر من السعادة وما فى قسمه ونسى ذكر المغرب لآتارة مشرق سعده فلم يرجع الى ذلك الحديث من بعده ، وخاطبه السلطان بكل ما عاد بآتسه النافر والسلو عن أمسه القابل ودخل الى دمشق فى آخر شعبان فابصرنا على وجهه هلال رمضان وعاد الى ما كان له من البلاد ومنبح والمرة ثم أضاف اليه مياfarقين وجميع ما فى ذلك الاقليم من المعامل وخصه من ممالكه بالكراميم والغنايم وكتب الى مصر باستدعاء رجاله واعلامهم بتأخر عزم المغرب بل ابطاله فامتلوا الامر وفارقوا الى الشام مصر سوى ملوكه زين الدين يوزيه (٣) فانه رتب له عسكرا الى المغرب ومضى واستصحبه وغلب على بلاد افريقية ثم قصد صاحب المغرب فأخذه مأسورا ثم اغزاه مع الغز فى ثغرة من الثغور فألفاه مشهورا مشكورا فقدمه على الغزاة الفزاة ولهم بلاء حسن فى تجمع الكفر ولا قدر للبعثات مع البزاة .

ذكر مكرمة لتقى الدين

قال : اجلسنى عنده يوم قدومه بالمخيم على المصرى ييثنى (١) أسرارهُ
ويذكر لى فى الحسن والاحسان آثاره وأطال معى حديثه عتيقة (٢٢٨ أ) /
وحديثه فجاعنى من سارنى بخبر أزعج خاطرى وذلك أنه أخبرنى احتراق
دكان فى جوارى غلبت عليه النار حتى أشرقت بها الدار فسألنى تقى الدين عن
الحال وما سبب شغل البال فأخبرته هو وقلت هو قربان هذا القدوم المبارك
فقد كان العصر القديم وقوع النار فى القربان امارة قبوله وعنوان حصوله
فأثر هذا القول فى اريحيته ونفذ الى يوم وصول الى دمشق مائتى دينار
وقال رم بهذا ما تشعث من هدم أو نار ولم يكن العهد بعيد بانفاذ رسمى من
مصر ودناير مصرية مائتين ولم يستكثر فيكون الضنين وكم له عندى من
اياد مبتكرة وكان لا يسمع لى قصيدة الا استأنف لها جائزة جديدة وما
مدحته به فى هذه الدفعة قصيدة سنينة تشتمل على مائة وأربعين بيتا
انشدتها اياه فى ثالث رمضان من هذه السنة ومطلعها :

فقد تلفت منا قلوب وأنفس
ولا لكم الا بهمى تأنفس
فهلا بعثتم طيفكم يتحسس
عيشة لى مجنى ومجلى ومجلس
ومقلته راح وورد وترجس
فهلا بعثتم فؤادكم يتحسس

عفا الله عنكم من ذوى الشوق نفسوا
أيا لكم الا ببلواى سلوة
جرحتم فؤادى بل هدمتم تجلدى
لم أنس أنسى بالحمى سقى الحمى
ولى فيه من ثغر الحبيب وخده
ظننتم بعينى انها تألف الكرى
ومنها فى المدح :

فهل قلم فى كفه أم قلمس
عيون الندى من كفه يتحيس
فأشكيتة والجور بالعدل يعكس
ف فتاكم بالعجـاج يترمس
سجدا فله نصرانيه تتجس
كفيتم على رغم المعاذير كل سو
لاقدامه من عصبة الشرك أرؤس
وتزكوا ثمار الغرس أن طاب مغرس (٢)

بتوقيعه تجرى المواهب أبحرا
وهل بظلم الراجى مكارم ماجد
تشكى اليه الغرب جور ملوكه
يستر بالنقع السماء كأنها بخو
شموس ظلى تغدوا لها الهام
وكم كفى الاسلام سوءا بملككم
اذا ما تقى الدين صال تساقطت
بثمار شكرى غرس نعماك مثمر

(١) فى الاصل : غير منقوطة .

(٢) وردت هذه القصيدة فى الروضتين مع اختلاف فى بعض الابيات

أنظر الروضتين (١) ج ٢ ص ٧١ ، ٧٢ .

ذكر ظهور كذب المنجمين فى شعبان هذه السنة

قال : كان المنجمون فى جميع البلاد يحكمون بخراب العالم فى هذه السنة فى شعبان عند اجتماع الكواكب الستة فى الميزان بطوفان الريح فى سائر البلدان وخوفوا بذلك من لا وثوق له باليقين ولا أحكام له فى الدين من ملوك الاعاجم والروم وأشعروهم من تأثير النجوم فشرعوا فى حفر مغارات وتعميق بيوت فى الاسراب وتوثيقها وسد منافسها على الريح وقطع طريقها ونقلوا اليها الماء والازواد وانتقلوا اليها وودعوا الطراف والتلاد وانتظروا الميعاد وكلما سمعنا بأخبارهم ضحكنا من عقولهم الواهية المقود وسلطاننا يسخف آراء أولئك الملوك وكيف خص الله بصايرهم بالاضلام والحكوك فلما كانت الليلة التى عينها المنجمون لمثل ريح عاد ونحن جلوس عنده السلطان فى فضاء واسع وناد للشموع الزهرات جامع وما يتحرك لنا نسيم ولا يبرح للهوا فى رعى مناقب الأنوار مسيم فذاكرنا ما ذكره المنجمون وشرعنا فى رواية أحاديث الرسول وذكر ما يدل على بطلان أقاويلهم من المنقول والمعتول فما رأينا ليلة مثلها فى ركودها وركونها وهودها وهودئها .

ذكر الحوادث فى هذه السنة

قد سبق ذكر أتاك شمس الدين محمد بن أتاك ايلدكز المعروف بههلوان وعساكرهم وانهم وصلوا الى قرب خلاط عام أول فى جمادى الآخرة/ (٢٢٨ ب) ونحن على ميافرتين فلما انصرفنا انصرفوا وتصرف بهلوان وجرى بما قدره الله الحدثن ومرض مرضا أعىى الاطباء دواؤه وأعضله داؤه وأيسه عن الصحة أطباؤه وانتطع رجاؤه من الثرا الى الثرا ومن البراءة الى السرا وجاعنا نعيه فى أول سنة اثنتين وثمانين فما ندرى أكانت وفاته فى هذه السنة أم قبلها وكانت حياته متصلة للجد والجدى الى أن جذ القدر حبلا واضطربت من بعده تلك الممالك وتطرقت الى البلاد من بلائها الممالك وأحربت أصفهان والى اليوم من سنة أربع وتسعين ما وضعت أوزارها وما ببالى أزور عنها من استولى بها أوزارها . قال الفتح على بن محمد الاصفهانى مختصر الكتاب والى اليوم من سنة اثنتين وعشرين وستماية الحروب فى اصفهان قايمة على ساقها والفتن مميحة فيها على سكانها بأوراقها والله تعالى يفرج عن أهلها ويبدل حزن أحوالها بسهلها . قال : وتولى بعد بهلوان أخوه تزل أرسلان غازال مهابة الملك السلجوقى وسلك

بالسعيد الشقى الى أن اتضع الملك وانقطع السلك وطمعت خراسان فى المراق وعدمت الافاقة من الأفاق .

عاد الحديث : قال : واتصلت المواسلة بيننا وبين المواسلة واستمرت المراسلات بالصلوات وفقدت الحقوق فى الحقوق وجاء البر من العقوق وأعد السلطان لاتابك الموصل هدايا وتحفا ومستعملات مصرية وثيابا وحصونا وجحورا عربا وطيبا أهدها أخوه سيف الاسلام من اليمن وكذلك لوالدة الاتابك وصاحبته ولابنة نورالدين رحمة الله عليه ولأترابه من يليق بهن من البدلات الثمينات والمفاخر الذهبيات وتلايد الفنبر الاشهب ونقايس اللبس المذهب . وأعد لمجاهد الدين قايماز مدبر ملكهم ما يعسر نظيره من الخلع النضارية والهدايا الكثيرة والمركوب العربى وقوم ما سيره اليهم بما يربى على عشرة آلاف دينار سوى الخيل والطيب والشئ البديع الغريب ورخص ما نزع (١) به الشيطان ورفع الشنان وارتفع الشأن واستظهر بمظاهرتهم السلطان .

ذكر جمال الدين محاسن بن محمد المعروف بابن العجمي ووصوله الى الخدمة السلطانية

قال : قد أجريت حديثه لما نزلنا على الموصل فى النوبة الاولى وانه المتردد فى الرسالة وانه ذو رأى وبصيرة وفضل وفطنة وهو أمين الأمير مجاهد الدين قايماز (٢) وحاجبه ومهديه التى تتضح بسنا رأيه مذاهبه . وفى تلك الدفعة عند حضور شيخ الشيوخ على الموصل فى الشفاعة يخرج كل يوم هذا محاسن بحديث حديث ويحضر وهو عاد فى زى مستعد مستغيث حتى بردت تلك الحرارة بطبه وفلت عن الموصل حدود بأسنا بحدده وعزمه ، ولما رحلنا عنهم تلك الكره وفتحنا بلادهم بالخابور وسنجار واشتغلنا بحصار آمد فى أوائل سنة تسع وسبعين وجئنا الى حلب وطلبنا درها ونظمنا فى سلك الفتوح أمرها جاعنا الخير بدمشق أن أتاك الموصل قبض على مجاهد الدين وحبس به وأخفى موضعه الذى فيه أجلسه وكان من قبل اعتقاله له قد توجه الحاجب محاسن إلينا بأرساله فعلم بحاله وكان قد قرب

(١) فى الاصل : نفع والتصحيح بالهامش نزع .

(٢) فى الاصل : قايماز .

من حلب فأبعد عنه ممن وراءه الطلب وكتب الى السلطان وأمره بالوصول وأعطاه حتى أغناه وحقق له من الاتطاع والاصطناع كل ما اقترحه وتمناه ثم استخلصه لنفسه واستخضعه لأنسه وأنساه بجوده الموصل والاتابك وقال الحمد لله الذى أتى بك وهو من جميل دابة وحسن أدابه كل يوم فى زيادة وتحسن وسعادة دين ودنيا . وكان يعتمد عليه فى المهام العظام وأرسله مرات الى قزل أرسلان والى السلطان السلجق (٢) بهمدان وأما مجاهد الدين فانه طال اعتقاله أشهراً وأيس صديقه لما لم ير له مظهراً ثم رأى صاحب الموصل بعد حين أنه من أمر مملكته فى تهويم وتهوين واستيقظ وإذا أموره بسواء مختلة وعقوده منحلة فعرف وانف واستدرك ما فرط وكان مجاهد الدين عنده مكرماً ولم يزل له مستثيراً معظماً فأخرجه يوماً بعد اليأس منه الى مرتبته وسر السلطان بما سمعه من خلاصه فانه لم يزل من مريدى الخير وخواصه ولما نزلنا فى المرة الثانية فى سنة احدى وثمانين على الموصل صحبتنا جمال الدين محاسن من جملة خواصه الامراء ومن المعدادين فى المشاورات والآراء واقطعه من أعمالها باوشنايا (٤) وانفصلت بتوصله وتوصله هناك القضايا ولما صالحناهم اعتمدوا على محاسن فى حفظ مصالح الجانبين فاستقرت الالة بوساطته وجرى امر المواصله بمقامه عندنا على السداد وأمنوا بأمانته وكفايته (١٢٢٩) / طوارق الفساد وتخيروا فى النصرة الناصرية على ما سيأتى شرحه الى الجهاد ونقل جمال الدين محاسن اهله وولده الى الشام ووفرت حظوظه من الاكرام والانتعام .

قال : وكان مجاهد الدين قايماز فى أيام الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكى رحمه الله وهو يتولى اربل يتوفر على مصالحى ويؤثر مناجحى ولما جاءت الدولة الصلاحية وانتقل هو الى الموصل جرى معى على احياء تلك المعرفة فلما تنفس صبح الصلح حررت عهداً عبرت به معاهد الاحرار

(٣) هكذا فى الاصل .

(٤) باوشنايا : قرية كبيرة من قرى الموصل قرب بلد من أعمال البقعاء .

واسوت بإبراء اساءة كلبي كلم الابرار وقصدت التحقيق وأحكمت المواثيق وقضيت حق الكلم فقتضوا حق الكرم وانفذوا الى بغلة مسرجة ومائتي دينار وثلاثين ثوبا من مقدمات أنواع الوشي . ولما أتمنا بدمشق سنة اثنتين وثمانين أنفذوا على يد جمال الدين محاسن ذلك الرسم بل أضعفوا فان مجاهد الدين تقرب من خاصه بما أحرزته قصب السبق وأبقى الى انقضاء بقاء السلطان صدائه الصديق ، قال : واشتغل السلطان في بقية سنة اثنتين وثمانين في استقراره بدمشق ومقامه أشفاقا لنكس سقامه في بعض أيامه بالصيد والقتص فكان يركب الى قل راهط بالبراة والشواهين مع ماليكه الخواص الميامين وله شاهين يجري كأنه بحر ، وإذا خلق فشرار ، وإذا أحرق فحجر فكلى المدار ملكى المطار شهاب ثاقب في الديجور عذاب واصب على الطيور وكم صاد ليوسف يعقوبا وعقر في أنجاز وعد صيده عرقوبا ولما رايت للسلطان هذا الجارح غبطته عليه وطلبته اليه وقتلته هب لى هذا الشاهين فتعجب من سؤالى المستبعد وسؤالى المستغرب فقال أنت للقلم والدواوين والحجج والبراهين فمالك وللبراة والشواهين فقلت : يكون في ملكى وكل ما يقتنصه يأمر لى به المولى وهذا أريج لى وأنفع وأولى . فقال : نعم وهبته لك ولما أصبح وعاد من القنص سیرلى سبعة عشر قطعة من طير ماء حجل وقال : هذا صيد شاهنيك في طلق واحد وعلى عجل فملكت ذلك الشاهين خمس سنين والسلطان يصطاد به ولى قنصه فهازال لى على هذا الحق محافظا ولهذه النكتة ملاحظا الى أن أودى الجارح فيالله دره من سلطان خاطره بهم المالك مشغول وعلى قلبه عبء الدنيا والآخرة محمول ولا ينس ذكر هذه القضية التى أعاد مزاحها جدا والشدة لى حقا معيدا فدون حقه على مثله أنه يوسف ومن حقنا بعده أن نتلوا : « يا اسنى على يوسف » (٥) .

ذكر ما أنعم به في شهر رمضان من هذه السنة

قال : لما دخل شهر الصيام نوع أقسام الانعام وأصل وفرع وأعرب وأبدع وأنفق ان بعض التجار كانت بضاعته بياقير رفيعة مالها نفاق ولا له في اخراجها ارتفاق فحملها الى الخزانة السلطانية وهى أكثر من مائة قطعة فقال خذوها واكتبوا أثمانها الى مصر . فاشتريت منه وكتبت له بذلك توقيع

على ما نرى مصر من المال الحاضر وكان من كرم شيم السلطان اذا عرف في خزانته موجودا انه لا يستطيع تلك الليلة حتى يفرقه جودا فقال لى قد اجتمعت لنا بياتير وعمائم فقد تقاضتني نفسي بجعلها على أهل الفضل والكارم فنبدا بأهل الدين والتقوى ونجعل لهم أوثر خط من الجدوى وكان في الوافدين ومن أهل البلد وعاظ وعلماء وحفاظ فيكون كل يوم بكرة نوبة (١) لمن يتكلم على المنبر ثم يخلع عليهم وعلى القراء ويفضل بمدهم على الشعراء فاشتغل مدة اسبوعين بالمواعظ وسماعها ووضع المنبر في ايوان القلعة للناس واجتماعها ولما فرغ الوعاظ من شغلهم واتوا بظلمهم وورينهم قلت : قد قضينا حق الوعاظ وبقي حق الفقهاء وهم العارفون بأداة الشرع ناقلون حكم الأصل والفرع ولا بد من احضارهم في الايام الباقية من هذا الشهر وسماع مناظرة ائمة العصر فقال : انهم يقضى بهم الخلاف الى التشاحن والتضاغن فقلت : أنا أضمنهم ولا أحضر الا أوترهم وأوزنهم فقال : أنت تتعصب لهم لا بل منهم لأجل اجلالهم لا يمهلم ولا تغفل عنهم فحضر أول يوم في ذلك المحفل جماعة اكابر من مشايخ أهل الفضل فجرت مناظرة مفيدة ومباحثة مبدية للفضل معيدة فأول من أشار اليه السلطان بالاستدلال من هو منظور بعين الاستقلال وهو مدرس الحنفية في المدرسة النورية برهان الدين مسعود فتأبى وتكذب وخاف أن يعرض عليه من لا يباريه في نظاره ولا يجاربه في مضماره فقلت له أبدر الى الميدان منطلق العنان فما يقوم برهان الا بالبرهان فقال : ان كنت تعترض فأنا بحكمك افترض فأجبتة الى مراده وأمنته (٢) أن يجاربه سوى في ميدانه (٢٩٦ ب) / وبجلته بأن أكون في اقترانه فشرع في الدليل وقضى حق السائل في السؤال والجواب ثم نص السلطان على في الاعتراض فباشرت اباكار افكارى بالانتقاض وثبتت العلة وشغيت القلة وحللت الاشكال واعدلت ما مال وبيئت فيه الاختلال . وكان تمسكه بخديث ثم شرع في اثبات الحكم بالقياس فالزمته الانتقال فشرع في الجواب واحسن واتى بها أمكن وتعوض النادي وسال بالفوايد الوادى .

(١) في الأصل ساقطة ، الضبط من الروضتين (١) ٢-٧٤ .

(٢) أبو شامة يقول : فاستدل أول يوم برهان الدين مسعود مدرس الحنفية في المدرسة المعمورة النورية واعترض عليه العماد الكاتب الروضتين (١) ٢-٧٤ .

وكان فى اليوم الثانى محفل أحفل وأستدل فيه أكبر مشايخ الحنفية بدر الدين عسكر واعترض عليه من أصحابنا القاضى محى الدين بن الزكى غفاض الفضل ودر الحفل ، وكان السلطان يجلس كل يوم لطايفه ويجدد ذكر كل تالدة بطارفه فلما دنا العيد وقرب من الأمل البعيد أمر بانبثاق ما يخص بالخلع فكاثوا أكثر من مائتين وخرجوا عن عدة المعينين فأمر بانبثاق العمايم واحياء سنة المكارم ونقل جميع ما فى الاسواق الى الخزانة للاتفاق وكنت قد أخذت رسم التشريف فى أول شهر رمضان فسحبت فى العيد بالدخول فى زمرة العلماء بالخلع المستجدة الاردان وكان قد اجتمع الوفود والرسل من الاطراف فدخلوا فى عموم الاسماف بخصوص اللطاف . قال : وفى هذه السنة بنيت دارى بدمشق مقابل القلعة وكان السلطان لا يكاد يقيم فى بلدة ولا يستقيم على أحد ينتقل فى البلاد اما للجهاد واما للاستكبار من الممالك واخراج الملوك الى الانقياد فلما أقام فى هذه السنة سنة اثنتين وثمانين بدمشق للاستراحة كان يستدعنى ليلا ونهارا ويستكفينى فى المهمات والمهمات سرا وجهارا فبنيت دارى للقلعة مجاورة ليقرب طريق قصده وأدخل دارى اذا خرجت من عنده ففى الان مريمى ومناخى وبه عش أفراخى وهى حقه درى وحته درى وببيت عطاردى ونظم (٢) أوانسى وشواردى .

ذكر ما تجدد من الخلف بين الفرنج

قال : كان قومص طرابلس ريمند بن بيمند الصنجلى تزوج بالقومصية صاحبة طبرية وجعل بها لأجلها سكناه وقصر على تملك الفرنج مناه فان الملك المجذوم لما هلك أوصى لابن أخته وهو الذى بعده ملك والأجل صفره كفله القومص وهو على تربيته يحرض وبثوب الاستبداد يقمص وهو بالقوة والرأى مسلسل ويزعم أنه بالأمر مستقل فهلك الصغير وبطل عليه التدبير فان الملك انتقل الى أمه وبطل ما كان فى زعم القومص وزعمه فوقعت عينها على أحد المتقدمين العرب فاستخلصته للقرب وانكحته نفسها وبردت لسهمة قوسها ومكنته من مزرعتها لسقيها وحرثها وأدنته من خلوتها لادناء خلخالها من رعائها وقالت : ان الفرنج ذكورها أقوم بالملك من أناتها ثم جمعت المتقدمين والبارونية والاسبتار والداوية وقالت : هذا زوجى قد نقلت اليه ملكى وعقدت به مسلكى فوضعوا على رأسه التاج فزخر بحره

وعب وماج فسقط القومص في يده وخرج من جلد جسلده وعمى عليه
واضح جدد وطولب بحساب ما تولاه فنفر منه واباه وناداه الملك وما لباه
وادعى أن ذلك انفقه في الملك الصغير والذي رباه ثم حل حباه وسل
ظباه واحتزل واعتزل ومن ذورة العتو ما نزل ولاذ بسلطاننا وانفذ رسله ببذل
الاستطاعة في الطاعة والجري على حكم التباعة وانه وان دعى أجاب
وان رعى اهاب فأعجب السلطان قوله وقالوا ربما كان هذا ختلا وختمرا
وخداعا ومكرا فقال : ليس قد وقع بين الكفر اليأس وحصل لهم من اصلاحه
البأس فيجربى به مجرى المؤلفة القلوب وكان الأمر على ما تفرسه والعقبى
الحميدة على ما جد منه فان ذلك كان من أسباب وهن الكفر ومنزل نص
النصر . وكان في الاسر خيالة من أصحاب القومص قد قررت عليهم قطايح
ثقيلة فأجاب سؤاله في المن والاطلاق واخرجهم الى عز السراح من ذل
الاسترقاق حتى كاد القومص لولا خوف أهل ملته يسلم وصار بدولة السلطان
وملكه يقيم ومال اليه من الفرنج جماعة وظهرت له منهم للطاغية طاعة وأمن
الشفر وسكن الدهر ودخلت من جانبهم الى بلادهم السبايا وخرجت الغنائم
والسنايا والقومص قوم صدق يساعدونه في كل باطل وحق ففل بهم أهل
الساحل وبلوا منه بالشغل الشاغل .

(٢٣٠) / ذكر غدر البرنس الكرك

قال : كان هذا البرنس ارناط اغدر الفرنجية وأخبثها وافحصها
عن الردى وأبختها وانقضها للمواثيق المحكمة وانكثها وهو على طريق
الحجاز ومن نهج الحاج على المجاز . وكنا في كل سنة نغزوه وبالبوايق
نعزوه وقد أجانا الى مضايق المضايقة والاضاقة فأظهر انه الى الهندنة
والهدوء شديد الفاتنة فتعرض للتضرع وجنح للسلم وأخذ الأمان لبسلده
وأهله وبقي الأمن شاملا والقتل من مصر في طريق بلده متوصلا وهو يمكن
الجأى والذاهب ويحيى من الضروب والضرايب وينكب النواكب حتى لاحت
له فرصة في الغدر فانتهازها وقطع الطريق وأخاف السبيل ووقع على قافلة
ثقيلة ونعمة جليلة فاجتاحها واستباحها وكان معها من الاجناد فأوقعهم في
الشرك وحملهم الى الكرك فأرسلنا اليه واذمنا فعالمه وقبحنا احتياله فأبى
الا الاضرار والاصرار وأضرم الشرار وأضرى الشرار فنذر السلطان دمه
فأظفره الله به يوم حطين فقدمه ووفى في اراقة دمه بما التزمه . وأقام

السلطان بقية سنه اثنتين وثمانين بدمشق وقد شغل الفرنج بعضهم ببعض وعسكر الجهاد فى العرض ونحن من عداد الاعداد واستمداد الامداد فى اقامة سنة وأداء فرض .

قال الفتح بن على الاصفهائى مختصر الكتاب : قد أورد الصنسر السعيد عماد الدين رحمه الله ههنا رسايل لفضلاء العصر مبينة على حروف معينة أكثرها وان اشتملت على الالفاظ البارة والمعانى البديعة لا تخلوا من تكلف تبجه الاسماع وتعسف تنبوا عنه الطباع فتركناها وأضربنا عن ذكرها صفحا وطوينا دون وصفها كشحا وسلطنا طريق الاختصار وأعزناها جانب الأزوار واختصرنا على ايراد هذه الابتداءات الفاضلية من كتبه الجليلة الجليلة فمنها :

وقفت على كتابه الذى توالى فيه سجعات الصاد ولسيدنا فخر كل من ينطق بها كما قال أبو الطيب وتناسقت محاسنها تناسق قطرات السحاب الصيب وهو يتناول الالفاظ والمعانى من مكان قريب وان مد باعه فمن سحاب وان اغترف فمن قلب والله لا يخلى النفس من انفسه المستطابة والدولة من آرائه المستصابة . أخرى سلام له من صاحب وأهلا بكتابه ومتى نقول أهلا بالكاتب وفداه من يعرفه وان أبوا فانا والطالب الغالب وسبحان من خصه بمعجزة بنوته فسيح القلم بين أصابعه وتفجرت الحكم من ينبعسه وجعله اماما ومن الذى لا يفخر بأن توسم تتابعه .

أخرى : أدام الله توفيقه والتوفيق به وصرف عنه كل مكروه من صروف الدهر ونوبه ولا أخلى المملكة من كريم مرتبته وشريف منصبه ولا زالت مبرات الخلق مضمونة على رسله وكتبه وعين الله كالية له فى منصرفه ومثقله .

أخرى : احظى الكتب أدام الله سعادة الحضرة العالية وأحضر التوفيق لمقاصدها وأعان اللسان على فروض محامدها والقلب على شجون تباعدها وأجراها على جميل عوايده لديها كما يجرى الاصدقاء على أحسن عوايدها وفصح فى مدتها ومدة محبيها حتى تستدركوا فوايت فوايدها عند عبدها وأدعها الى تملك رق الحر من شكره وأولى المحللة فان تحت المحظور من نشره سكره ما كان قريب العهد بمواطن خواطرها مذكرا بأيام الربيع من لقائنا التى فيها ذكرى لذواكرها فلذلك لا يقرأ منها حرفا الا قرانه من

الثقل ولا يبين منه صدرا الا قال ان من البيان لسحرا وهى ادم الله نعمتها اذا ارسلت نفسها على السجية اتت بالمطبوع التى تقصر عنه الطبع فاذا جاءت بالامور المهمة اتت بالمصنوع الذى يملأ الاسماع فلها الفضلان مسترسلة ومختزلة والصوابان مروية ومرجلة والاحسانان متأنية ومستعجلة كيف ما شاعت جاءت وكيف ما أرادت اوردت وفى أى جلسة برزت قال رحمه الله .

ودخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

وهى السنة الحسنة المحسنة والزمان الذى تقضت على انتظار احسانه الأزمنة وطهر(١) فيه المكان المقدس الذى سلمت بسلامته الأمكنة وخلصت بمنحة الله من المحنة الأرض المقدسة المبتحنة ونصرت الدولة الناصرية وخذلت الملة النصرانية وتميز الطيب من الخبيث وانتقم التوحيد من التثليث وشاع فى الدنيا بمحاسن الايام الصلاحية حسن الاحاديث .

(٢٣٠ ب) / قال : وقد وصفت فى الكتاب المرسوم بالفتح القدسي(٢) الأحوال ووسعت ووشعت الأقوال وحليت الفتوح واثبت الشروح وأنا أورد فى الكتاب مما أورده جملة الجميلة وجلالته الجليلة .

ذكر مقدمة لئلك مباركة

قال : كان السلطان قدم الكتب لاستقدام الكتائب وقرب جنابه للجانب والأقارب وواصل الموصل وسنجار ونصيبين وآمد وديار بكر من البر بالأمداد بعد الأمداد واستدعى لذلك ممالك الشام من الأطراف والاضباط وأمرهم بالاحتياط وبرز من دمشق يوم السبت اول المحرم فى العسكر العرمرم والعزم المصمم ومضى بأهل الجنة لجهاد أهل جهنم فلما وصل الى رأس الماء وجعلها محط مضارب سرادقه ومجر صوانعه ومجرى سوابقه وأمر ولده الملك الأفضل نور الدين عليا بالاقامة هناك ليستدنى اليه الامراء الواصلين والاملاك وسار السلطان الى بصرى وخيم على قصر السلامة وقد استقبل من الله الكرامة والاستقامة .

(١) كذا وفى الاصل ظفر .

(٢) فى الاصل : أداة التعريف ساتطة .

ذكر سبب ذلك

وقد سبق ذكر غدر ابرنس الكرك وهو على طريقى العسكر المصرى والحاج وكان فى الحج حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ووالدته أخت السلطان وجماعة من الخواص وأقام الى تلقى الحجيج وذلك فى آخر صفر ثم لما فرغ باله حم الى الكرك استقلاله وتقدم بمن معه من العساكر حتى نزل على حصنها فأقمنا هناك حتى أجتث أصولها وفروعها واستأصل كرومها وزروعها . ووصل العسكر المصرى يقوى الاستظهار ، وأقمنا على الحالة الحالية والجلالة الجالية ، وأما الملك الأفضل فانه اجتمعت عنده الجنود من كل فريق وأتوه من كل فج عميق وضاق بوفودهم الفضاء وفاض بوفورهم الفضاء وانقضى من السنة شهران وطال بهم انتظار السلطان فرأى الملك الأفضل أن يشغلهم بغزوة يعودون منها بحظوة فانهض منهم سرية ورتب على خيل الجزيرة وما جاء من الشرق وديار بكر مظفر الدين كوكبرى صاحب حران وعلى عسكر حائب والبلاد الشامية بدر الدين دلدرد ابن ياروق وعلى عسكر دمشق وبلادها صارم الدين قايماز فأسرجوا الخيل وادلجوا الليل وصباحوا صفورية (١) فى أواخر صفر وصباح النصر قد أسفر، وخرج اليهم الفرنج فى الداوية والاستبار (٢) والبارونية والدركبولية ووثبوا فى وثبات الاساد وحملوا فى ثبات الأطواد فلولوا أن الله أصحاب أصحابنا التوفيق لكاد الكفر ينجو والاسلام لا يدرك ما يرجوا لكن امرأنا الكرام استطابوا (٣) الحمام فلاقوهم بقلوب الصخور وهبوب الصقور وفازوا وظفروا وقتلوا وأسروا وهلك مقدم الاستبار (٤) وحصل جماعة من فرسانهم فى قبضه الاسار فعداوا سالمين غالبين غانمين وكانت تلك النوية باكورة البركات ومقدمة ما بعدها من ميامن الحركات وجاءتنا البشرى ونحن فى نواحي الكرم فلما قرأنا الكتب عدنا واجتمعنا بالعساكر وانتظم شمل الأوائل والأواخر وخيننا على عشترا وقد غص بخيل الله الوهاد والذرى واشتمل المعسكر على فراسخ

-
- (١) فى الاصل : صفورته . وهى كورة من نواحي الاردن بالشام وهى قرب طبرية . معجم البلدان ٣—٣٩٩ .
 (٢) فى الاصل : الاستبار .
 (٣) فى الاصل : واستطابوا .
 (٤) فى الاصل : الاستبار .

عرضا وطولا وملأنا المأ حزننا وسهولا وعرض العسكر في اثني عشر ألف مدجج ولما انتضى العرض واقتضى الفرض وسالت بأفلاك السماء الأرض كان السلطان قبل رحيله بيوم أركب العسكر بعدته وعدته ورتبه أطلابا وحزبه أحزابا وعين رجال القلب ومن يقف بالقلب والميمنة وحمايتها والميسرة وكمايتها والجناحين وقوادمها من ذوى الأقدام والمقدمة والساقة على سنن النظام وعين مواقف الرجال ومواضع الإبطال وعين الجاليشية من كل طلب باسمائها ورماة أحداقها وحداق رمايتها وقرر هياتهم في الركوب والنزول وسار يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخرة بالعساكر وسارت على تعبيتها وتربيتها واناخت ليلة السبت على صفين والكفر مخوف والشرك مكسوف ونسيم النصر من تربها مسوف وباتوا (١) تلك الليلة فلما بكروا ركبوا وكبروا وقد أخذ (٢) بحرهم في الالتجاج وبرهم في الارتجاج ونزلوا بثغر الاقحوانة وضربت الخيام وزهى الاسلام وأمكن من الكفر الانتقام وأقام السلطان هناك خمسة أيام الى يوم الخميس ثم صمما الغزائم على الأقدام وسلب لبس السلامة من ملابس (٢٣١) / عداوة الاسلام .

وأما الفرنج فأنهم لما سمعوا باجتماع كلمة الاسلام ووصول امداد العساكر المصرية والجزرية الى الشام فزعوا وشرعوا في اصلاح ذات بينهم ورجعوا عن التغاير والتنافس وقتلوا نحن أنصار الطرسه وأصلا ب الملة الصليبية وآثروا صلح القومص ووصلوا على مراده مطالع أمانيه بالخلص وتزاوروا وتوافدوا وحشدوا وحشروا وجمعوا عنده الناسوت واللاهوت ورفعوا صليب الصلبوت واصحروا بصحراء صفورية وطما سيل خيلهم على الوهاد والربى (٨) ودب راجلهم كرجل الدبا واجتابوا سوابغ واجتنبوا سوابق والمعوا البوارق واسمعوا الصواعق وشبوا نار الفرق وأشابوا المفارق وما زال السلطان مستخيرا ولاعوانه مستشيرا فأنشأ الأمراء ذوا الاراء بالصدود عن اللقاء والمحافظة على زمار الاسلام وصون الدماء ، وقالوا لم يسبقك أحد الى مضايقة القوم فلا تعركهم عقال المعركة ولا تلق بأيديهم الى التهلكة وهذه بلادهم قد خلت منهم فتشتغل بالاغارة

-
- (٥) في الاصل : وحملها .
 (٦) كذا وفي الاصل وبتك .
 (٧) كذا — ساقطة في الاصل .
 (٨) كذا وفي الاصل الدبى .

على بلادهم الخالية ونقدم باقداً عطل أحوالها الحالية . فقال السلطان :
 الأيام غير مأمونة والاعمار غير مضمونة والجهاد قد تعين فرضه ولا بد لى
 من اللقاء وقد قال الله أصدق القائلين : « ولينصرن الله من ينصره » (٩)
 فقالوا خصك الله بهذه الفضيلة ونجح الوسيلة وحيث استخرت الله فى
 الإقدام فانا نبذل المهج بين يديك للإسلام فلما أصبح يوم الخميس سار
 الخميس وزحف بأسده العريس وحارت غزالة الفلق من أسد الفيلق وتقيد
 عنان الحوض عنان الجواد المطلق ولا ح سنا الموت الاحمر فى السنين
 الاعرق وأشرف على الفرنج فى مصكرها العسكر (١٠) وقام المحشر ومأح
 البيض والسفور وارتفعت الاصوات بقول الله أكبر فلو برزوا للحصاف
 لطالت عليهم يد الانتصاف لكنهم رضىوا وما نبضوا وهدعوا وما نفضوا
 فلما عرف السلطان أنهم لا يبرحون من قرب صفورية أمر أمراءه بأن يقيموا
 على مقابلتهم وقدموا على عزم مقابلتهم ونزل هو فى خواصه العشية على
 مدينة طبرية وعلم أنهم اذا علموا بنزولنا ثاروا للوصول اليها فحينئذ نتمكن
 من قتالهم ونجهد فى استئصالهم فحضر طبرية وجمع العساكر على أحد
 أبراجها فوقع ذلك البرج وانهزم عنه الفرنج ونصبت عليهم سلايلم الاسلام
 ودخلوها فى جنح الظلام واستضاءوا بما أعلاوا من الفرام وعادت ليلة
 معدودة من الأيام ووقعت النار فى مخازن كبار واهراء الاغلال وبقيت الدور
 فارغة شاغرة وأفواه الاطماع الى ازواد ما يحويه فاعرة وتحصنت القومسية
 سمت طبرية فى قلعتها ومعها بنوها وحموها بسيوفهم وعصموها ووقع
 الاشتغال بحصارها ونقب جدارها وقصم سوارها فجاء من أخبر بأن الفرنج
 قد ركبوا وارتكبوا وجاعوا فى ليل القتام مداجين والى حرب التوحيد بحرب
 التلث مخرجين فلما سمع السلطان بحركتهم ايقن بهلكتهم وقال : الحمد لله
 الذى أنجز وعده وأيد جنده ونهض بجباله الى جبالهم وسار لقتالهم وضيق
 عليهم سعة مجالهم ووقف بصفوفه أمامهم وقد وقد الحر واستشرى الشر
 ولأمدى شمل ولأولئك الكلاب بين اللهب لهب وفى ظنهم أنهم يردون الماء
 ويردون الدماء فخلاتهم الحالة الحالية وعالتهم العلة العاللة وذلك فى يوم
 الجبعة ووراء عسكرنا بحيرة طبرية والورد عد ومأمنه بعد وقد قطعت
 على الفتوح طريق الورد وبلوا من العطش « بالنار ذات الوقود » (١١) فوقفوا

(٩) سورة الحج آية رقم ٤٠ .

(١٠) وردت فى الاصل الفرنج ثم صححت فى الهامش الى العسكر .

(١١) سورة البروج آية رقم ٥ « النار ذات الوقود » .

صابرين مصابرين على ضراوتهم وشربوا ما فى أدواتهم وشفوها ما حولهم من المصانع واستنزلوا حتى ماء المدامع ، ودخل الليل وسكر السيل وماتوا بظماء برح وقدوا أنفسهم على الشدة واستعدوا بالعزائم المحتدية وسهر السلطان تلك الليلة حتى عين الجاليشية من كل طلب بأسماء رجالها وملأ كتيبيها وكان ما فرقه من النشاب أربعمئة حمل ووقف سبعين جمارة فى حومة الملتقى يأخذ منها من خلت جعابه وفرغ نشابه من تعالق يفتح من باب الموت والمغالق وتواضیح لخرق المضاعف الفسيح وناوكات ذوات نكيات وزياريات وزنبوركات .

فكر يوم حطين وهو السبت الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر

قال : وأصبح الجيش على تعبيته والنصر على تلييته وبرز رجال الجاليش وارتجزت دعاء التحريض والتحريش وقامت (٢٣١ ب) / الحرب على ساقها ووفت بميثاقها ، والفرنج متكاثرة العدد متكاثرة العدد آخذة طريق البحيرة بطوارق الحيرة قد أحاط رجلها بخيلها جارية الى القرار بمسيلها فاعترضهم سدا واعترها صدنا فعرفوا أنه لا سبيل الى الحياة الا بسلك نهج الموت وأنه لا مطمع فى اللقاء الا باستحلاء طعم الفوت والسلطان وقف قلبه ووقف على الوثوق بنصر الله قلبه وهو يمضى بنفسه على الصفوف ويحضهم على حظه من الفتوح والحقوف وكان له مملوكا اسمه منكورس من شמוש الترك قد كمل الله تعالى له حسن الخلق والخلق وفضله فى الفروسية وهو راكب أمام العسكر وأراد أن يكون له فضيلة السبق فى الإقدام فوثب بحصانه وثوب الضرغام وحمل حملة جرى فيها عنانه وشكر لها احسانه وظن انه يوافقه فى الركضة أعوانه فجذبته لقوة رأسه حصانه وخلاه خلانه فلما رآه الفرنج وحيدا ووجدوا المدد عن نصرته بعيدا رجعوا اليه ورموه عن ظهر حصانه وأحاطوا به فى مكانه فأثبتت فى مستنقع الموت رجله وقاتل الى أن بلغوا قتله فلما أخذوا رأسه ظنوا أنه بعض أولاد السلطان وزعموا ظهور الكفر على الايمان وأما عساكرنا فانها لما رأت استشهادهم حمت حيتها وخلصت لله فى إرداء أعدائه بنيتها وصممت الجاليشية تلفحهم بلوافحها وتقدحهم بقوادحها وبرح بالفرنج العطش ووجدوا الطرق مسدودة والسبل مسدودة . وكان النسيم أمامها والحشيش قدامها فرمى بعض مطوعة المجاهدين النار فى الحشيش فتأجج عليهم أسعارها وتوهج أوارها

فوصلوا في ورطة الاحتدام فضايقت ذيابهم منا الضراغم وعارضت صقورنا منهم الثغام ودارت بمساعير الجحيم ودواير الشعرا بجواحم ، ونظسرو القومص من مبتدا الأمر الى غايته وعلم أن القوم قد تداعى بنيانهم ودعاهم خذلانهم فأفكر كيف ينجو فقال لهم : أنا أسبق بالحملة وأفضلهم بالجملة فاجتمع هو وآزروه جماعة من المتقدمين هم مظاهروه وصحبه صاحب صيدا وباليان بن بارزان فحمل القومص ومن معه على الجانب الذي فيه الملك المظفر تقى الدين ففتح لهم طريقا ورمى من أتباعهم فريقا فمضوا على رعوسهم ونجوا بنفوسهم ولما عرفوا أن القومص نفذ في الهزيمة هازوا ثم اشتدوا وما لانوا وحلوا حملات راضوا بها جهاج الحرب وخلصوا فيها غمار الطعن والضرب وعمدوا فيها استطاعة القدر بل طاعة القدر واستعزنا النصر عليهم من النصل المستعر فوقنا فيهم وقوع النار في الحلفاء وصبنا ماء حديد للاطفاء فزاد في الازكاد فخطوا خيامهم على غارب حطين حين راونا بهم محيطين فأعجلناهم عن ضرب الخيام بضرب الهام وازلنا أقدامهم عن مداحض الاتدام وما زالت اللجج تفيض والمهج تقيظ والنفوس تنقع والرعوس تطير حتى كست أشلاء مثلوليتهم عرى المراء وحشت (١) شفاها الشفاء من أفلاء مثلوليتهم أحساء الدماء وانكسر من الصليبي صلبه وبطل طلبه وحيرت كمانه وكمته وقبابه وتببه وملك عليهم صليبيهم الأعظم وذلك مصابهم الأعظم ولما شاهدوا الصليب سلبا أيقنوا بالهلاك واثخنوا بالضرب الدراك وما برحوا يؤسرون ويقتلون وللوثوب يحفون وبالخراج يثقلون فנקبوا في أرواحهم وأنفسهم ووصلنا الى مقدميتهم وملكهم وابرئسمهم فتم أسر الملك وابرئس الكرك وأخذ الملك جفري ودوا (٢) صاحب جبيل وهنفرى وأسر من نجا من القتل من الداوية ومقدميها ومن البارونية من أخطاه البوار أصابه الاسار وجبر الاسلام بكسرهم وأسروا بأسرهم فمن شاهد القتل قال ما هناك أسير ومن عاين الأسر قال ما هناك تقتيل ومنذ استولى الفرنج بساحل الشام ما شفى للمسلمين كيوم حطين غليل فالله عز وجل سلط السلطان واقدره على ما أعجز عنه الملوك ونظم له في حتوف اعدائه وفتوح أوليائه الملوك وخصه بهذا اليوم الاغر والنصر الأبر .

(١) كذا وفي الاصل : وحنت .

(٢) ورد هذا الاسم في الروضتين (١) ٢ — ٧٨ مقيرا : أوك

قال : هذه النبوة المباركة كانت للفتح القدسي مقدمة ومن عجائبها أن فارسهم مادام غرسه سالما لم يذن لمصرعه فانه من لبسه الزردى من فرقه الى قدمه كانه قطعة حديد ودراك الضرب والرمى اليه غير مشيد لكن غرسه اذا هلك فرض وملك فلم يغنم من خيلهم (٢٣٢) / ودوابهم وكانت الوفا غرس سالم وغنمنا ما لا يحصر من بيض مكنون وزعف موضون وبلد وحصون وابتدلنا منهم بهذا الفتح كله اقليم مصون وذلك سوى ما استفتح من مال مخزون واستخرج من كنز مدفون ولما صح الكسر وقضى الأمر وسكن البحر وتمكن النضر ضرب للسلطان فى تلك الحومة دهليز السرادق وتوافت اليه غرسان الحقيق ونزل السلطان وصلى للشكر وسجد وجدد الاستبشار بما وجد وأحضر عنده من الاسارى الملك والابرنس (٣) وأجلس الملك بجانبه ليزيله الوحشة ويحصل له وهيات الانس والفاه يلهث للعطش وينظر مبهوتا نظر المستوحش فأمر له بماء مثلوج فشربه ثم ناول الملك الابرنس القمح فأستشفه ثم حضر الترجمان حتى يعرف جواب ما يخاطبه به السلطان وما زال يقرعه بغدره وبغيه ويذكره بجهله وغيه ثم ركب وخلاهما ولم ينزل حتى شاهده ضرب سرادقه وبسطت نمارقه وركزت أعلامه وبيارتته ثم نزل وأمر باحضار الابرنس فقام اليه بالسيف فحل عاتقه وحفظ مع الاله فى نذر دمه موافقه وكان عنده خادم ثم فجر برجله بعد أن أخذ رأسه وهذ أساسه فلما شاهده الملك يسحب بقدمه ويشحب فى دمه طار عقله وثار خبله واستحضره السلطان فخانت رجله فجاء مرتعبا مرتعشا (٤) وظن أنه كرفيقه هالك فقربه وسكنه وأدناه وأمنه وقال : ذاك يصنعه لعده ضيعه واصراره على غدره صرعه وأجلسه وآسنه وهيات ينتمش من الله اتعسه أو يسعد من الكفر أنحسه ثم جمع الاسارى المعروفين وسلمهم الى والى قلعة دمشق الناصح وسلمهم الى أصحابه وأمرهم أن يأخذوا خط الصفى القابض فى دمشق بوصولهم ويحتاط عليهم فى أغلالهم وكبولهم فتفرق العسكر بمن ضمته أيدى السبى أيدى سبا وهادتهم الوهاد والربى وضرب الله ذلة أهل السبت فى يومه على أهل الأحد وسار الناس منهم بالمدد بعد المدد . وعبرت بحطيين فرأيتها موضع الاعتبار وشاهدت ما فعل أهل الاقبال بأهل الادبار وعانيت أعينهم خبرا من الاخبار ورأيت الرعوس طائيرة والنفوس بايرة والجسوم

(٣) الواو اضافة وفى الاصل ابن زائدة .

(٤) كذا وفى الاصل مر .

رمتها السوافى والرسوم درستها العوافى ولما أبصرت خدودهم ملصقة بالتراب وقد قطعوا أربابا تلوت قول الله تعالى « ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا » (٥) ولما أصبح السلطان يوم الاحد خيم على طبرية وراسل القومصية وأخرجها من حصنها بالأمان ووفى لها ولبنيتها الفرسان شروط الايمان فخرجت بمالها وعيالها ورجالها وأثقالها وولى طبرية صارم الدين قايماز النجمى فعادت بعبادته الجميلة آهلة بأهل اليمن والايمان معتدلة المحاسن بالعدل والاحسان وسكنت مساكنها وعمرت أماكنها وقبضت مخازنها وعرضت دفاينها وعاد الاسلام الغريب منها الى وطنه والدين الحافل منها الى مأمنه وأصبح السلطان يوم الاثنين السابع والعشرين من الشهر مغتبطا بما شوره الله له من سيف النصر فرأى أنفاذ مقدم الداوية مع الملك وأخيه وجماعة الاكابر الى دمشق كما سبق ذكره ثم نفذ فى الاسارى الداوية والاستبقارية (٦) خاصة أمره وقال : لا نفع فى ابقائهما وهما جنسان نجسان فلا بد من ابادتهما وادائهما فما جرت عادتهما بالمفاداة ولا يتلعان من المفاداة فتقدم باحضار كل أسير داوى واستبقارى (٧) ليبيض فيه حكم السيف ثم علم أن كل من عنده أسير لا يسمح به فجعل لكل من يأتيه باسير منهما من الدنانير الحمر خمسون فأتوه فى الحال بمائتين وأمر باعدابهم وضرب رقابهم وكان بحضرته جماعة من المطوعة المتورعة والمتصوفة ومن تمت بالزهد والمعرفة قد اعتقوا الى ضرب الاعناق ووقف كل منهم حائرا عن ساعد ومثمرا عن ساق فمنهم من أمضى عقبه وأمضى ضربه ومنهم ما كبا زنده ونبا جده والسلطان جالس وماله عن انفاذ حكم الله فيهم حابس ووجهه باشر ووجه الكفر عابس فشاهدته الضحوك القتال والمختال المقتال وكان الاسارى قد سبق بهم الى البلاد الناس ولم يقع على عددهم القياس فكتب الى الصفى بن القابض نايبه بدمشق أن يعجل لطلب الداوية والاستبقارية السبق ويضرب عنق من يجده منهم فامتثل الأمر فى ازهاقهم (٢٣٢ ب) / وضرب أعناقهم فما قتل الا من عرض عليه الاسلام فأبى أن يسلم ورأى لشدته فى كفره أن ينقاد للقتل ولا يستسلم وما أسلم الا آحاد حسن اسلامهم وتأكد بالدين غرامهم .

(٥) سورة البنا آية رقم ٤٠ .

(٦) فى الاصل : الاستبقارية .

(٧) فى الاصل استارى .

ذكر السبب في نذر السلطان دم ابرنس الكرك

قال : وما زلت أبحث عن ذلك حتى حدثني الامير عبد العزيز بن شداد بن تميم ابن المعز بن باديس وهو ممن يتولى الافضال الفاضلى من دونه التنقيس ولم يزل له بحاضرتة ومحاورته الأنيس وهو من البيت الكبير وكان جده صاحب افرقية والقيروان وكانوا يتوارثون ملكه الى قريب من هذا الزمان ذكر أن الأجل الفاضل حدثه بما حدث من مرض السلطان وأنه لما عاد الى دمشق من حران بعد المرضة وذلك فى سنة اثنتين وثمانين وهو فى عقابيل سقمه لا يفارق الاين واشفى ذات يوم على الخطر واستسلم للقدر وحضره فى يوم الجمعة وهو يوصيه وهو فى تنظر أنفاسه المعدودة وترقب تلوص ظلال عمره المعدودة وقد تنظ من الحياة وفاته امكن من الوفاة فقال فاردت أن أشغله عن الوهم والههم وقلت ما معناه قد ايقظك الله وما يعيذك من هذا السوء سواء فانذر انك اذا أبليت من هذا المرض تقوم بكل ما لله من المفترض وأنت لا تقايل مع المسلمين أحدا أبدا وتكون فى جهاد أعداء الله مجتهدا وانك اذا نصرك الله فى المعرك وظفرت بالقومص وابرنس الكرك تتقرب الى الله تعالى باراقة دمهما واعطاه يده على هذا النذر وانجاه الله فأبل من مرضه واستقل بنهضته واستقبل السنة القابلة بسنة الفوز وفريضته وجرى من مقدمات الجهاد ما جرى وخيم السلطان فى جموع الاسلام بعشيرا وركب يوما فى عسكره وأمواج بحره وأفواج معشره وقد التقا الطلعة المباركة من الأجل الفاضل فقال ليكن نذك على ذكرك وستزد نعمة الله بمزيد شكري ولا تخطر غير قمع الكرك بفكرك فما أنقذك الله من تلك الورطة ونعشك من تلك السقطة الا لتوفر حظك من هذه القبضة فتوكل على الله عازما وجاز الاردن حازما وأرعب جأش الكفر وفل جيوشه وثل عروشه ووقع فى الشرك ابرنس الكرك فوفى بضرب عنقه نذره وأما القومص فانه أخذ فى الالتقى بالهزيمة حذره ولما وصل الى طرابلس اخافه فى مأمنه القدر وسلمه مالك الى سقر .

ذكر فتح عكا

قال : ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء والتوحيد ظاهر على التثليث والطيب قد امتاز عن الخبيث ونزلنا بأرض لوبية (١) عشية وأصبح سايرا الى

(١) فى الاصل : لوحة الضبط من الروشتين (١) ٢ - ٨٦ .

عكا « فساء صباح المنذرين » (٢) ولما أشرفنا عليها أيقنا بفتحها فما كان فيها من يحميها وما صدقنا كيف نملكها ونحويها وظهر أهلها على الأسوار لظهار الممانعة وخفتان ألويتها (٣) يشعر بقلوبها الخافقة وأرواح جلداهم الزاهقة ووقفنا نتأمل طولها ونأمل حصولها وخيم السلطان بتربها وراء التل ولبت عساكره في الحزن والسهل وبتنا تلك الليلة وقد هزتنا الاطراب كأنما دار علينا الشراب والسلطان جالس ونحن عنده وهو يحصى جنده ويقسح معهم في اقتباس الاراء زنده ومنا من يستسح رفده ومنا من يستتجز وعده ويواصله بالدعاء ويشافهه بالهناء الى أن نادانا ابن ذكا فلبينا وناديننا العسكر فمبيناه ووقفنا بازاء البلد صفونا وأطلنا على أطلاله وقومنا فخرجوا اليينا رجالا ونساء واكثرنا ضراعة ودعاء وبذلوا الاذعان وطلبوا الامان فاعطيناهم الامان على الأنفس من المال والأنفس وخيرناهم بين المقام والترحيل والسكن في وطنهم والتحول فشرع معظمهم لشدة الخوف في التثقل وأرخينا لهم طول التمهل وفتحوا يوم الجمعة في مستهل جمادى الأولى بابها (٤) ودخلناها لاقامة الجمعة وزادوا في الدخول عدة من المتطوعة وجماعة من الطمعة وأخياف من الاتباع لا تخاف من التبعة فما منهم الا من ركن على دار رحمه وأسام فيها سرحه فحطوا على دور اخلاها أربابها وأموال خلاها أصحابها (٢٣٣ ١) / وجينا الى كنيستهم العظمى وحضر الأجل الفاضل فرتب بها المنبر والقبلة وهى أول جمعة أقيمت بالساحل وكان الخطيب والامام فيها عبد اللطيف بن الشيخ أبى النجيب ولما رآه السلطان اتقى وأزكى ولاه مناصب الشريعة في عكا فتولى القضاء والوقف (٥) والحسبة والخطبة وغوض عكا وضياعها ومعاقبها وقلاعها الى ولده الاكبر الملك الأفضل نور الدين على وجعل للفقهاء ضياء الدين عيسى بن محمد الهكاري (٦) كل ما كان للداوية من معيشة وأقطاع ودور ورباع فتصرف فيها وحصل على حواصلها وعلق بكرامتها وعتايلها ووقع في مراعيها المربعة نوابه وأثرى بثراه وثروتها أصحابه وولجوا المخازن واستخرجوا الدفانين وكذلك مهالك الملك الأفضل أصحابه

(٢) سورة الصافات آية رقم ١٧٧ . « فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين » .

(٣) في الاصل : قلوبها الضبط من الروضتين (١) ٢ . — ٨٦ .

(٤) كذا وفي الاصل : بهابها .

(٥) في الاصل : الموقف .

(٦) في الاصل الهكاري .

وولاته ونوابه نبشوا المخازن وفتشوا المزاكن واستباحوا المخزون والمدفون والمحروس والمصون ومن جملة ذلك أنهم احتاطوا بغير علمى على دار باسمى فباعوا منها متاعا بسعمائة دينار وقلدنى المنة فى تحصيل الدار فانها كانت من أنفس العقار وانما وصفت هذا لعلم ما غنموه وما التهبوا على حيازته والتمهوه ، وتصرف الملك تقى الدين فى دار السكر فاقتنى قنودها واستوعب موجودها وقد أشرت الى هذا المعنى فى الكتاب الموسوم بالفتح القدسى وقرىء على السلطان منه ليلة وثن بالقدس سنة ثمان وثمانين وسمع ولو ذخرت تلك الذخاير وجمع لبيت المال ذلك المال الجموع الوافر لكان عدة ليوم الشدايد وعدة لنجح المقاصد فقال السلطان : هذه رفيعة على ثلاثة اثنان منهما فى جوار الرحمة والآخر باق فى مقر العصمة يعنى بالاثنتين الفقيه عيسى وتقى الدين وبالاخر الباقي ولده نور الدين ولعمري هو كما ذكره لكن الملك الافضل نور الدين ما حصل له بخاصة بل لذوى اختصاصه واستخلاصه ولقد شرحت فى ذلك الكتاب الأحوال ووصفتها وذكرت بالحالة (٧) التى شاهدها .

عاد الحديث وأقام السلطان بمخيمه على عكا أياما وأعلى بالمنى اعلاما وكان يوم فتح حطين قد كتب الى أخيه الملك العادل سيف الدين بما من الله به على الاسلام والمسلمين من الظفر والتأييد والتمكين فوصل بعسكره ورعيه ومعشره وجاء كتابه مبشرا بوصوله ومذكرا بسؤله وانه فتح فى طريقه بمن صاحبه من فريقه الحصن المعروف بمجدل يافا وانه حاز منه الفنايم والسبايا وانه مجد فى طى السهول والحزون وفتح ما يستقبله من الحصون فسطر جوابه وشكر صوابه وانه يقيم فى ذلك الجانب جامعاً للكتايب ليجمع به الواصلون من مصر الأمون معه النصر . وتوجه عدة من الامراء الى الناصرة وقيسارية والبلاد المجاورة لمكا وطبرية وآبوا بالغنيمة والسبى خير أوب وجاعونا بكل مليحة مليحة متعبة مريحة مقبلات اواب طويلات الذوايب ثقيات الروادف خفيمات المعاطف فكم أجد الله لنا من نعمى هنيهة وأمدنا من حبي سنينه فما الا من انقض و غضب وعض وفى كل يوم لنا فتح جديد ومنح عتيد وتأييد يتبعه تأييد .

قال : وفى هذه السنة نكب صاحب مجد الدين أبو الفضل عبد الله ابن صاحب استاذ الدار العزيزة بجريرة جرت عليه القتل وجريمة ما اطلع عليها وما أقبل عثرتها وذلك ظهر يوم السبت رابع عشر ربيع الأول فجاءه القدر من كمينه وفجأه الكدر من معينه وبينما هو فى أمر قاطع وفجر ساطع وفخر صاعد وشمل جامع اذا بفته الزمان ومحنه الحدثن وعثر منه على جناية أسعت الى دمه قدمه ودعت الى وجوده عدمه وانما أوردت ذكر مقتله فى هذا الموضع لأنه جرت العادة منا بمكاتبة من يكون أمر الديوان اليه فيما يستحق من المقصود المتوقع فلما مضى لسبيله قام فى موضعه عميد الدين أبو طالب بن زيادة فتولى الثانى لما بدأ به الأول الاعادة ووصل كتسابه وكتب جوابه وفى بعض الكتب اليه : والبلاد والمعاقل التى فتحت هى طبرية وعكا والناصرية وصفورية ونابلس وحيفا ومعليا وفولة والطور والشقيف . قال : وأما الفولة فهى قلعة للداوية حصينة لما خرج سكانها لم يدخلها سكينه فان الداوية الذين كانوا فيها قد هاجوا الى الهيجاء وطروا فى القتلى والاسراء فنعب القراب على طول الفولة بدماء أهلها المظلولة فهى غاب غابت اسودها الحماة وغيل غالت (٢٣٣ ب) / ليوثة عداتها الهداة وفيها ذخاير كنايسهم وأخاير نقايسهم وسبايك نضارهم وكرايم اعلاقهم ولم يبق فى الحصن الا آحاد من الفلمان واتباع الفرسان مخافوا على النفوس وارتاعوا من البؤس ومالوا الى الازعان وسلموا الموضع بالامان وتسلمنا بتسلمها جميع ما يجاورها بظك الارض كدبورية وجنين وزرعين والطور وأضيفت الى الثغر وأما حيفا فاتها من عكا وقيسارية على البحر وتسلمت لسيف النصر وأما نابلس (٨) فان أهل ضياعها ومعظم أهلها كانوا مسلمين وفى سلك الرعية مع الفرنج منتظمين وفيها أفرنج ونصارى مقيمون مدبرون وقد أقرؤا منذ استولوا عليها المسلمين على عوايدهم فى قضائهم وحكمهم ومشاهدتهم ومساجدهم وهم يجيئون كل عام منهم قرارا ولا يغيرون لهم شرعا ولا شعارا فلما عرفوا كسرهم وأنهم لا يرجون جبرهم وخافوا من مساكنة المسالين واشفقوا وأخذوا بالحزم لما فرقوا وتفرقوا وكبسهم أهل الضياع فى الدور الرباع وغنموا ما وجدوه من الذخاير والمتاع ووقعوا بضعفائهم وضايقتوا الحصون على أقويائهم وطلبها من السلطان ابن أخته الامير حسام الدين

عمر بن محمد بن لاجين وكان الامير القوي وهو عزيز عند خاله ملى بفضله وأفضاله متقبلاً شئمة السلطان فى بأسه ونواله متفرد من الاملاك بمحاسن خلاله فاقطعه السلطان نابلس وأعمالها وضياعها ومعاقلها وقلاعها متوجه لفتوحها وصحب جموعه جماعة من الاصحاب وسال بالجيال « وهى تمر مر السحاب » (٩) فأول ما أناخ على سبسطية (١٠) وفيها مشهد زكريا عليه السلام وقد أخذها الاقساء كنيسة منذ فارقتها الاسلام وفيها أوانى وآلات فضيات وذهبيات وقومتها من الرهايين فيها مقيمة ولا يؤذن فى الزيارة الا لمن معه هدية لها قيمة فدخل الموضع وأغلق بابه وأفرد عنه حجابيه وأصحابه وأمر بجمع ذلك الصوغ والحوك والمسبوك والعقود والسلوك كل ما يعز وجوده فى خزائن الملوك فاقتناه جميعه لنفسه خاصة وأمن أن يرى بعدها خصاصه وصارت له خزانة ثقيلة وذخيرة جليلة وأبقى فى الموضع من الفرش والآلات ما لا يستغنى عنه المشهد ولا يحسن أن يخلوا من مثلها المسجد وفتح للمسلمين أبوابه وأظهر للمصلين محرابه ولما فرغ من شغله سار الى نابلس عليها منيخا ولدعاء المسلمين بها مصيخا وطال حصره للفرننج بالحصن ثم استنزلهم بالامان واستمال من سكانها من ضرب عليه الجزية بعد زمان فعادت بلدة محشوة بساكنيها كالرمان وبقيت (١١) الى آخر عهده وعمرت بعدله واحسانه ورفقه ورغده قال : وكانت بينى وبينه صداقة بصدق العقيدة معقودة ومودة أسباب النقص فيها مفقودة فنظمت هذه القصيدة قلت ومطلعها :

استوحش القلب مذ غبتم فما انسا
وأظلم اليوم مذ نبتم فما شمسا
قلبى وصبرى وغمضى والشباب وما
التم من نشاطى كله خلسا (١٢)

(٩) سورة النمل آية رقم ٨٨ .

(١٠) سبسطية : مدينة من نواحي فلسطين من أعمال بيت المقدس .

ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٣ .

(١١) فى الأصل : ويقشعه وفى الروضتين بقيت بيده .

تارن الكتاب (١) ٢ — ٨٨ .

(١٢) وردت هذه القصيدة فى الروضتين (١) ٢ — ٨٨ وهنا يورد أبو شامة العبارة التالية : قال العماد وانشدته يوم فتح القدس قصيدة أولها :

ذكر فتح تبين وصيدا وبيروت وجبيل

قال : وكان السلطان مدة مقامنا بعكا يندب العساكر الى الولايات وسير الملك المظفر تقي الدين وأمره بقصد تبين (١) فمضى اليها واستسهل اجتيازها ووجد بالمنعة اغترارها ورأى الى وصول الشام ونزوله عليها أغوارها فكتب وتواترت كتبه وافية بالحشد والتحريض والبعث بالتصريح والتعريض فأخذت العزائم في الاقتضاء والصواب في الانتضاء ورحلنا يوم الجمعة تاسع جمادى الأولى رواحا وأعرنا العزم على تأييد الله في منزلة نزلت بها الإلطف وعذبت لمواردنا النطاف وأصبحنا على الرحيل وبتنا ليلة السبت دون تبين ونزلنا عليها يوم الأحد الحادى عشر فوجدناها قلعة أرضها في السماء وقلعة في جوزها جواز الجوزاء ما يمر السحاب الا على سفوحها ولا تسترق شياطين الكفر الا من سطوحها فلا جرم جعلنا (٢٣٤) / نجوم النصال لها نجومنا وأنزلنا الوبال عليهم سجوما وهاج بهم وهج الرعب وأبدوا وجوما وأخرجوا من عندهم من أسارى المسلمين قرية وطاعة تبدو بهم للشفاعة منهم ضراعة ثم أمن السلطان أهل القلعة وأهلهم الى أن ينزلوا خمسة أيام وأخرجوا من مقدميهم جماعة رهابين فضربنا عليهم خيمة الى أن انتهت المدة وتسلمت القلعة واقتضت العذرة وخلص الحصن بما فيه وترتب واليه وملكت أباعدة ونواحيه .

وأما صيدا فأنا لما فرغنا من شغل تبين رحلنا على سمتها معدين وعبرنا في طريقنا على صرفند (٢) ونشقتنا رياح رياحينها ونظـمـرنا نضرة بساينها وجلنا لحكم الرياضة في رياضها وربضت أسودنا في آجامها وغياضها وافتتحنا بفتحها ثم أنصرفنا عن صرفند نحو صيدا صابرين ودخلناها ساعة الوصول وحالة النزول فان صاحبها كان ناظرا في العواقب سائرا جرح النوايب فتقدم الى نوابه أن يفتحوا لنا بابها ويرفعوا أحجابها ويخلوها ويعطلوها حتى يحلها المسلمون فيحلوها فلما جيناها حلقت لنا عروسها

(١) بكسر أوله وتسكين ثائية وكسر نون وياء ساكنة ونون أخرى ، بليدة في جبال بني عامر المطللة على بلد باتياس بين دمشق وصور . معجم البلدان ١ - ٨٢٤ .

(٢) وصفها ياقوت : مدينة لطيفة على الساحل وأوردها كالتالى : صرفنده قرية من قرى صور بسواحل الشام ، معجم البلدان ٣ - ٣٨٢ .

وجنبت غروبها وذلك يوم الاربعاء الحادى والعشرين من جمادى الأولى
فحان الفتح المبسر على الوجه الأسهل .

وأما بيروت فأنما لما حصلت لنا صيدا سرنا فى يومنا على سميت بيروت
وبتنا ليلة الخميس دونها وصبحنا بكرة يوم الخميس فى خميس بكر للصباح
وضايقة ناهم أياما ودافعوا أشد دفع ومانعوا أحد منع فبيناهم فى أحر حرب
وأمر طعم طعن وضرب اذ صاح صايحهم وناح نايحهم أنهم يركبون السفينة
وينزلون المدينة فأصبحنا يوما على العادة المستمرة فى المقارعة والمضايقة
خط السلطان بجميع شرائط الايمان واتفق فى ذلك اليوم لى تغير المزاج وتعذر
العلاج واحتجت الى مفارقة الخدمة للضرورة والوصول الى دمشق لمداواة
الادواء المحذورة ولما احتاج السلطان لتأمينهم الى انشاء مثال طلبنى
فاعتالت فعذرنى وأحضر عنده كتاب العسكر ومتصرفيه ومن يظن به فضلا
ويعتقد فيه وحسب أن كل من يحمل قلما كاتب وأنه يستحق الرتبة من له
راتب وكل من كتب الايمان المطلوب تناوله منه وتأمله واستنقصه واستزاده .
فقال السلطان لكل عمل رجال ولكل جواد فى حلبة السبق مجال وهنا عرف
قدر العماد وأنه موافق موفق للاتيان بوفق المراد ، فجاء الى النقيب العدل
بالحديث ووجدنى فى العارض الكريث وقال : اكتب هذا الايمان فان هذا
الفتح بقلبك مصدوق وقد خصك خالكك بالفضيلة فما يشاركك فيه مخلوق
فقلت له : قد غلق رهنى وذهب ذهنى وحبس قللى الى فقال : ان كنت ما
تكتب فأهل فقلت : أرجو أن تشملنى السعادة السلطانية فاكذب ما يرضى
فوفقتنى الله تعالى للمراد وهدانى فى الانشاء لما يجب من الاصدار والايراد
ووقع ذلك التوقيع الموقع الحسن وسلم البلد خطى ثم ارتحلت الى دمشق
وعدت عند ابلالى وحال اعتدالى يوم فتح القدس وسلمت بيروت بحضورى
وخرج منها ومن قلعها الفرنج وامتأ بهم الى السور النهج وعاد الاسلام
الغريب منها الى وطنه وذلك يوم الخميس التاسع والعشرين من جمادى
الأولى وكانت مدة النزول عليها الى نزول أهلها ثمانية أيام .

وأما جبيل فان صاحبها أود كان فى جملة من نقل الملك الأسير الى
دمشق فتحدث مع الصفى القابض فى أمره وباح اليه بسره وقال له : ما لكم
فى أسرى فايدة ولا غنيمة على فتح جبيل زايدة وأنا أسلمها بشرط سلامتى

فأنهى الصغنى حاله فاستصيب ما قاله فأمر باحضاره فى قيده والاحتراز من كيده فوصل به ونحن على بيروت فطلبنا منه الشرط الموعود والاجل الموقوت فسلم جبيل وسلم وربح لخاتمه وغنم ومضى اليها من تولاها وتبعها فتح بيروت وتلاها وانتظمت هذه البلاد المناسقة بالساحل فى سلك للفتوح متسق وأمرها من الاستقامة فى متفق .

نذكر ما تجدد فى صور من خروج القومص منها ووصول المركيس اليها

قال : وما شك القومص أن السلطان اذا عاد لا يتعدى صور وأنه يجمع عليها العسكر المنصور فأخذ بالحزم ومضى الى طرابلس ولم يلبث قليلا (٢٣٤ ب) / حتى هلك وبتوا من أسفل السافلين فى النار الدرك ولما كان من مراد الله بقاء صور وصل اليها المركيس وهو الذى أغاث الشرك وكان من خبره أنه وصل الى الساحل هذا العام لفتح بلادها فأربنى على عكا مركبه ثم صوب نحوها مذهبه ثم رأى فيها غير الذى بالمعتاد فحداه الارتياح بالارتياح الى الارتياح فاستخبر فأخبر بالحال فشرع فى التخلص والاحتياط وكانت الريح راكدة فنادى من متولى هذا البلد فقيل : الملك الأفضل فقال : هاتوا لى خطة واكتبوا فى الامان شرطة فما زال يرد الرسل حتى طابت الريح فأنطلق وطار بجناح شراعه وفات ادراك من يخرج لاتباعه ومضى اليها وقد خرج منها القومص وقد لاح منها الفرص فأقام فيها وهو على تحصينها يحرص ولما عبر السلطان لم يستح عليها ولم يصح اليها وقال : فتح بيت الله المقدس انعم ونفعمه اتم وأعم وهذه صور ربما طال حصارها واستتطال انصارها والأصوب الأصلح الاشتغال بما هو أنجح وأنجح وكان من قضاء الله تعالى بقاء صور فانها ضمت من الكثر الجمهور وجميعت الحسود والحسور وما فتحنا بلدا الا وانتقل أهلها بالامان اليها ونزلوا حواليتها ومجاورتها فى هذه النوبة أعادت أرماتها وأرخت خناقها وحفر المركيس لها خنادق أحدثها وغور أعماقها وآوى اليها الواصلون من البحر وملأت آفاقها وكانت لما عبرنا بها على ما حكى أمرها سهلا ولكن ما لمراد الله مرد وليس مما قضاء الله وقدره بد .

نكر فتح عسقلان والنزول عليها والاجتماع بالملك العادل والاتفاق على فتحها

قال : كان السلطان على الاجتماع بالملك العادل حريصا ويرى لدولات
الآراء بما يشير به وينص عليه تخصيصا وقد وصل كتابه يستحثه على
انتهاز الفرص في فتح بيت المقدس وقصده والاستغال بما عداه من بعده
فان اوقات الامكان مفقومة وانفاس الاسحار للارتياح باستنشاقها متنسمة .
قال الفتح بن على بن محمد الاصبهاني منتخب الكتاب : حدثني الامير ظهير
الدين غازي بن الامير السعيد مبارز الدين سنقر الحلبي في محرم سنة
اثنين وعشرين وستمائة وهو أحد الأبراء الساطانية الملكية المعظمية قال :
سمعت الملك العادل بحماه يقول لبعض المؤرخين : وما شافهت به السلطان
صلاح الدين في انتهاز الفرصة في فتح القدس مبالغا في ذلك انى قلت :
ان عادتك أن يأخذك القولنج في بعض الاوقات فلو أخذك الليلة وجرى
عليك ما لابد منه من الوفاة علق رهن بيت المقدس في يد الكفر فاجتهد في
ذلك واقضى حق ما انعم الله به عليك بواجب الشكر فقال : اعمل (١) ما تأمر
به وتشير اليه ولا يخالف ما تحكم به وتنص عليه فما فتح القدس الشريف وما
منح ذلك المجد المنيف الابالجد العادلي والجد الناصري قدس الله ارواحها
وسهل الى الفردوس معدلها ومراحها . قال الامام السعيد عماد الدين :
فراح السلطان مغز للفرقة الروح مستفتحا بما هو حل الفتوح وسان واجتمع
بالملك العادل في طريقه وتفاوضا في شكر ما انعم الله به من نصره وتأييده
وشرعا بعد ذكر الاشواق وتبريحها في موازنة الآراء وترجيحها وتنقيح أداة
الصواب وتلقيحها وقد استخار الله تعالى بالنزول على عسقلان يوم الاحد
سادس عشر جمادى الآخرة وكان السلطان قد استدعى من دمشق ملك
الفرنج ومقدم الداوية المأسورين واستصحبهما محمولين بقيادهما وشرط انه
اذا فتح البلاد بهما أطلقهما فلما نزل على عسقلان راسل الملك أهلها
في التسليم فعملوا انه مستكره (٢) فاسقطوا حكمه وعصوا امره فبسط
السلطان عذره وشرع السلطان في مضايقة البلد ونصب عليها من المجانيق
كل جاث على الركب جاث للكرب جالب معاطن الإبل المعاطن سالب بسكون

(١) كذا وفي الأصل كعمل .

(٢) في الأصل : مستكره .

المساكن وما زال الحجار ترفض والجدار ينقض والمنجنيقات تضرب وترض حتى خلا السور من حاميه وأمن المقاتلة نكايه مرأيه فأقدم الثقبون على نفيه ورفعوا عن عروس البلد حجب نفيه وباشروا بالتخريب البواشير ولأنح المساعير المساعير (ورفعوا عن عروس البلد) (١) وقابل المقابيل المدابير فأيسوا من رجاء الانتعاش وتهافتوا على نار الحرب كالفرارث فلما أحس الملك بما أحسوا به من الشدايد راسلهم واستحضر منهم عقلاء لا يحملون (٢٣٥) / قوله على أنه فرد ولا يردون نصحه بالتهمة ومقال : أنتم تطمون أنني لا أريد الخير إلا لأهل ديني وهذا السلطان في عزمه يريدكم ويردني فان سمعتم مني اطعموني في أمري وانقذتموني من أسري أما إذا خلصت وخلصت وكنت أعلاوا عليكم فكيف رخصت وتكررت بينه وبينهم مراسلات وكانوا يلحون حتى علموا أنهم مغلوبون فقبلوا نصيحة الملك ورأسلوا في طلب الأمان بشروط اقترحوها والعفو عن جرائم اقترحوها فان الأمير حسام الدين إبراهيم الحسين المهراني وهو من أكابر الأمراء استشهد على عسقلان فخاف الفرنج أن تثور عليهم الأكراد لثأره فاشتطوا واشتروطوا وسروا إلى ما أجيئوا إليه واعتصموا فسلموا البلد بأنفسهم وأموالهم وخرجوا منها برجالهم ونساءهم وذلك يوم السبت لانسلاخ الشهر وكانت مدة الحصار إلى أن تسلمهاها أربعة عشر يوما أبدر لنا فيها ثمر الظفر والانتصار وعاد بها بدرهم إلى المحاق والمرار وما برح السلطان مقيما بظاهر عسقلان حتى تسلم المعقل المجاورة لها والبلاد المثارية منها .

أما الداروم فقد خاف من بها فسلمها وكذلك غزة وظهرت بظهورنا عليها عزتها وتبدل بالإسلام بعد الكثر ربها والرملة وبينى ظل بها موقف الضلال يهدم ومربع الهدى بينى (٢) وبيت لحم ومشهد الخليل صلوات الله عليه وعليه السلام عاد إلى وطنه منهما الإسلام وأما لد فانها أخرجت منها خصومها اللد ومعصومها في الشرك إلى التوحيد رد وتسلم كل ما كان للداوية مع غزة كبيت جبريل والنطرون وأخلى منهم تلك الحصون وكان مقدم الداوية معه وشرط أنه إذا تسلم معقله فك عنه قيوده وسلاسله نمازال معه على الشرط والشرع المضبوط .

قال : ووصل الملك العزيز واجتمع بوالده بعد فتح عسقلان وكان وصوله ببأسه وصوله وقوته من الله وحوله وبأسه ومعشره وقومه وعسكره

(١) هكذا وردت في الأصل . (٢) في الأصل : وبينى .

وولاية بلاده ووراة زباده وآلافه وآحاده وعدده واعداه فحنا قلب السلطان على كبده ووضع يده فى يده فأعدتها الجود فمدده اليوم من مدده . ولما انتظم شمل كتائب البر وكرم وصولها وصلت مراكب البحر وقدم أسطولها وهى شوانى شوانى للشقاء زواين للغزاة عقبانها منقضة كالبراة وغربانها ناعبة بين الفداة جاءت كقطع من الليل أو دفع من السيل كأنها فى خضراء الخضم كواكب ولرجوم الشياطين ثواقب ، أعلام فى شعار الاعلام العباسية سود وأكام تمدها من أكام الأمواج مدود تولها حسام الدين الحاجب لؤلؤ منظم سموها ومهد الاحكام لنصر أسياها وشروطها واستمرت بالسواحل تكبس وتكسب وتنغم وتجلب فى كل يوم لنا غزوة صحيحة ونوبة شديدة ونابية لذرى الشرك مبيرة مبيدة والحاجب لؤلؤ مجاهد عظيمها ومضى عزائمها كلما التقت مركبا للعدو تالقت وألقت وأسعدها الله وأشقتة وكيف ما أمكن أحرقتة أو أغرقته واجتمعت على جمعه وقرقته ووقع حقها على الباطل فأزهقته .

نكر فتح بيت المقدس

قال : ورحل من عسقلان على سميت القدس وقصدته واستيصال نبات الشرك وحصدته من أرض الله تعالى ونقدس بتطهير الأرض المقدسة باهلاك الطائفة الطاغية النجسة وتقدمه الرعب الى قلوب الفرنج فوقعوا فى الأمر المرتج المضطرب المرتج وكان بالقدس حينئذ البطريرك الأعظم وهو الشانى العظيم الشأن وبائيان بن بارزان وهو وملاكهم فى التسلط سيان والذين أغفلتهم حياطه الحطين من الفرسان الداوية والاسبتارية والبارونية من ذوى الكفر والشنان وقد حشروا وحشدوا وقالوا : السمع عند اللقاء بالمهج ونسيح داما الدماء فى اللجج وما الذى أصاب عزنا حتى نهون ونحن نشعل عليهم الحرب الزبون فأخرجوا اليهم حتى تلقاهم وهذه رماحنا بأيدينا وإذا فأجأناهم فجعلناهم وأوجعناهم وأخذنا منهم بثأر يوم حطين إذا صرنا بمراكزهم بدوايرنا محيطين فقال لبيهم المجرب فارسهم المتدرب عدوا عن هذا الراى وما بلقمت فى الغى الى هذا الفأى وانتم عند مثبرة ربكم تحمونها وتقاتلون دونها والقدس لنا جامع وسوره عن السوء مانع (٢٣٥ ب)/ وإذا خرجنا فما ندري على ماذا نحصل وهل نقطع أو نصل ثم شرعوا فى السر وادروا بالأمر وقسموا على الاسوار أقسام الاسراء ونشروا على كل قطر منه لواء اللواء على كل نيق متجنيقه وحفروا فى الخندق حفرا عميقا وأعادوا كل نهج واسع بما وعروا

به مضيئا وخرج جماعة منهم على سبيل اليزك وأدبلجوا ليلا وجروا للجرأة
 ذيلا وأعترضوا عدة من أصحابنا غارة وعلى طريق السلامة مرة ، وكان قد
 شد من المقدمة المنصورة أمير تقدم وما تحرم وهو جمال الدين شروين بن
 حسن الزرزارى فلما علمه أثبت فى مستنقع الموت رجله وشد من الدنيا
 الى الآخرة رحله وكان فى موضع يعرف بالقبيبات فساء السلطان نعيه (١)
 وسره سعيه وسار سارا وللجحفل الجرار حارا ولم يدع لجفنه فى يومه
 ونومه غرارا ووصل السرى بالسر ليلا ونهارا ونزل على القدس يوم الأحد
 منتصف رجب وقد قضى من حق الله فى طلب بيته ما جب وفى القدس ستون
 ألف مقاتل من فارس وراجل . وخيم فى أول الأمر على غربيه وأقام خمسة
 أيام يدور على البلد ويقسم على حصاره أهل الجلد وابصر فى شمالها
 أرضا راضيها للحصار فانتقل الى المنزل الشمالى يوم الجمعة العشرين من
 الشهر متمكنا من التهر ظاهرا القوة بالله قوى الظهر فشرع فى نصب
 المجانيق فما أصبح يوم الأحد الا على منجنيقات نصبت بلا نصب من كل
 مفتص برد الردا معتصب يشق الجلود بالجلود ويدق الصنجد بالصنجد
 يقضى ختام التأليف ويرضى هام الشراريف وما زالت المجانيق ترمى وترمى
 وتدمى وتدمى والنزال دايم والقتال قائم وفى منطاريات الفرنج من الفرج
 قنوط ولخطيات اليراع بأيدي كتب الكتائب فى الظهور خطوط ولشوموس
 اليزك من أفق الترابك بزوغ ولثعالب العواسل فى ضلوع الاساد ولوغ وكان
 فرسانهم فى كل يوم يباشرون دون الباشورة أمام جموعهم المحشورة
 ويتطاعنون بالذوايل ذوات الذوايل المنشورة ويبرزون يبارزون ويحاجزون
 ويناجزون ومطاعيننا المطيعون لله عليهم يحملون وهم كما قال الله تعالى
 « يجاهدون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » وممن استشهد مبارزا
 ولم يشهد بينه وبين الجنة حاجز الأمير عز الدين عيسى بن مالك كان أبوه
 صاحب قلعة جعبر . وكان فى كل يوم يفرس فوارس ويلقى ببشر وجهه
 وجوه النون العوايس فاغتم المسلمون من صرعه وهان عليهم فى تلف مهجته
 اتلاف الهج وهاجوا وهجموا اكناف الوهج وهجروا الجلد الى الجلد وركبوا
 أصناف الوهج حتى وصاوا الى الخندق فخرّبوه وبددوا جمعه وفرقوه

(١) فى الاصل : سعيه .

والتصتوا بالسور فنبهوه وعلقوه وحشوه وأحرقوه وصدقوا وعد الله في القتال لاعدائه فصدقوه وارهقت المنجنيقات وأزهقت وسنحت وسسحت فتمكن ربنا في قلوبهم وأذنت حربنا بكروبهم وعرف الفرنج أنهم مغلوبون وعن النجاة محجوبون فعدوا بينهم مشورة وقالوا ما لنا الا الاستيمان فخذ أخذ منا بخطه الخذلان والحرمان وأخرجوا كبراءهم ليؤخذ لهم الامان فأبى السلطان الا قتالهم وتدميرهم واستئصالهم وقال ما آخذ القدس منهم الا كما أخذوه من المسلمين منذ احدى وتسعين سنة فاتهم استباحوا القتل ولم يتركوا طرفا يستتير وامنعوا (٣) في رجالهم قتلا ونساءهم (٤) سبيا فقتل باليان بن بارزان في الحضور مستأذنا مستأنا وباح بها بان في فكر الكفر من الشر كما بنا وقال للسلطان : قد رجوناك فلا تخيبننا (٥) ووصلنا فلا تصدنا وجئنا فلا تردنا ومتى استوحشنا وايضا اسقلنا الهلاك واستقلنا وما نخرج من منزل حتى نخربه ولا نظفر بدم محقون حتى نسربه فالديار نخربها والدماء نحرقتها وقبة الصخرة نرميها وعن السلوان نعميها والمصانع نخسفها والمطالع نكسفها وعندنا من المسلمين خمسة آلاف أسير ما بين غنى وفقير وكبير وصغير فنبدأ بقتلهم وشت تسلمهم فقيل للسلطان هؤلاء ان أخرجوا لجوا وأسلفوا الاهوال وأتلفوا الاموال وسسفكوا الدماء وقتلوا الاسراء والصواب ان نحسبهم اسارانا فنبيعهم نفوسهم ندخل في القطيعة رئيسهم ومرعوسهم فاذن بعد اى فيما رآه المسلمون من رأى فما زالوا يتوصلون ويترددون ويتلددون حتى استقر أمرهم على قطيعة اشترى بها المهج ونفوا دونها عنهم الحرج (٢٣٦ أ) وهى عن كل رجل عشرة دنائير وعن كل امرأة خمسة وعن كل نسمة صغيرة أو صغير ديناران الذكر والانثى فيه سببان فمن وفى بالحق خلص من الرق ومن عجز بعد أربعين يوما ضرب الرق عليه ونهج به منهج العبيد والاماء وبذل باليان بن بارزان عن الفقراء ثلاثين ألف دينار وانفصل بما التزمه من قطيعة وقرار وسلموا المدينة في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب أو ان وجوب صلاتها وطلعت الرايات الناصرية على شرافاتها وأغلقت أبوابها بعد تسلمها لحفظ ناسها في طلب القطيعة والتماسها وضاق وقت الفريضة وتعذر أداؤها وللجمعة مقدمات وشروط

(٣) في الاصل : وامنعوا .

(٤) في الاصل : نساءهم .

(٥) في الاصل : غير منقوطة .

ولم يمكن استيفاؤها. وكان الاقصى بلا محرابه مشغولا بالخازير والخنا
مملوءا بما أحدثوا من النسي مغمورا بالنجاسات حتى حرم علينا فى تطهيره
من الوفا فوقع الاشتغال بالاهم الأنفع وهو حفظهم وضبطهم الى أن يؤخذ
قسطهم فرتب السلطان على كل با بأميرا. أمينا فلو أدت الامانة للمأت الخزانة
لكنها اختلفت عليها الايدى وتعدت الى التعدى وكثرت الاقلام الضابطة
فقل الضبط وتزاحم الرابطون فاندل الربط والنواب الاكابر استنابوا اضاعرا
أقاموا فى تقصيرهم المعاذر وقنوا لأنفسهم الفخاير وادعى مظفر كوكبورى
أن بها جماعة من أرمن الرها وعددهم ألف نسمة فجعل اليه أمرها وكذلك
صاحب البيرة ادعى العدة الكثيرة وكذلك كل من استوهب عدة أطلقها وحصل
له مرفقتها ثم تولى الملك العادل استخراجهم وقوم على الاداء منهماجهم
ونسبل بأوفى نصيب ورعى منه فى مرعى خصيب . وكانت بالقدس ملكة
رومية متعبدة مترهبة فى دين التثليث موحدة وعندما حول وخدم وعبيد
وجوار ووصايف ونواب وأمناء وأصحاب وظايف فلما دهتها الداهية
وعراها فى تمسكها بكليستها عراها الراهية عاذت السلطان فأعازها وأبقى
عليها من المصوغات من صلبانها الذهبية المجوهرة جذاذها فخرجت بجميع
مالها وحالها ونسائها ورجالها واستنطاطها واعذالها والصناديق بأقفالها
والتفاريق بأحمالها وتبعها من لم يكن من أتباعها وشيعت بشفاعتها من ليس
من أشياعها وسارت الملكة الرومية لمرامها مالكة ولمالكها ممالكها سالكة .
وكذلك خرجت الملكة زوجة الملك كى ابنة المالك أمارى (١) وهى بأبيها بتسر
ويزوجها بتارى وعزمت على أنها تداوى مرض حالها وتدارى وتسال فى
شيعتها وعيشتها ورزقها ومعيشتها وحاشيتها وغاشيتها فوهب لها جميع
ما سألته وعجل لها نجح ما أمته وكان الملك زوجها مقبها فى برج نابلس من
قيده مطلقا ومن رقه معتتا لكنه موكل به ليوم تسريحه وقد غلب الى زوجته
لاعج تباريحه فأذن لها فى قصده فمرت وسارت بخدنها وجواربها وحليها
وحللها وبسطها وفرشها وأحمالها وأوساقها وجواهرها وألقاها وأقامت
عند زوجها وبلت بغرته غلة أشواقها . وكذلك خرجت الابرنساسة أم هنفرى
وهى زوجة الابرنس الذى سفك يوم حطين دمه وفاء بالنذر وهى صاحبة
الكرك وهى بنوابها محوطة وبرايها منوطة فجاءت سائلة فى ولدها العانى
فوعدت بالجميل وشفاء مالها من الخليل وأنها ان سمحت بحصنها سمح لها

(١) انظر الروضتين (١) ٢ — ٩٦ . وهى ابنة الملك أمارى .

بابنها ثم سلكها فى الاعفاء والاطلاق سبيل الباتيات وعصمت فى نفسها ومالها واصحابها بالراعىات الوافيات .

تذكر وصولى الى خدمة السلطان

قال : سبق ذكر ما ألم بى من السقم وانقطاعى الى دمشق للتداوى فلما سفر وجه صحتى توجهت وللعود الى الخدمة تنبهت فوصلت الى السلطان يوم السبت ثانى يوم الفتح فاستبشر بقدمى وخلع على البشير قبل اوتى، وكان أصحابه يطالبونه بكتب البشائر ليغربوا ويشرقوا ويسيروا فى البلاد ويترقوا وهو يقول لهم : لهذه التوس ثار ولهذه المأذبة نار ولهذا الوادى من سبيل خاطر الفلانى سيل جار ولعله يند ولارواينا يرد ثم اجتمع كتابه فى غيبى وعملوا بالبشارة نسخة منها ينسخ أصلها ويفرع ويفرخ وهم بها مشغلون وبنارها مشغولون حتى أقبلت وجاءهم الريح وركدت الريح (٢٣٦ ب) / وفاح العرار ورمى الشيخ وقالوا : مرحبا بمن صبحنا وجهه الصبيح ولقيني السلطان بكل عرف بهيج وعرف أريج وتقريظ واطراء وتقريب وادناء وأنه من كرامة الفتح اتفاق وصولك واقبال قبورك وقدمك فى هذا اليوم وسموك بهذا السوم وهذا ميدانك فأين جوادك وأين أعلامك فهى اقبال الاقاليم واذا أعوجت فهى للتقويم واستردا الكتب التى تخيروها واستثقل البطاقات التى طيروها فأجريت ضامرى فى المضمار وانتهت تمرى الى الابزار وبريت بقللى للايراد والاصدار وكتبت فى ذلك اليوم سبعين كتاب بشارة وكل كتاب بمعنى بديع وعبارة ثم أردفتها فى تلك الليلة بكتب نابت فى سمائها عن شهب استوعبت فى كل كتاب الشروح واستفتحت بتعظيم وعظمت الفتوح .

تذكر جلوس السلطان يوم الفتح للهنا بالخيم على ظاهر القدس وخطبة الجمعة

قال : وجلس السلطان يوم الفتح ونص النصر ظاهر ووجه العز سافر والامراء والعظماء قيام وجلوس وفى المطالع بدور وشموس وللموايح أنفاس وللمنايح نفوس وهو فى كيكنه وجلالته كالقمر فى هالته والدنيا حاله بحالته والدين مدلول دلالاته وأعين الامثال منتظرة لرأسه والسن الاقبال مثنية على مواسمه وقلوب القبول ممثلة تمتاز وأيدى الآمال متمليه بتبله والجمع

خائف والخطب عال ولبضائع الفضل ارباع ولصنایع الانضال افراح ولاجسام
المكرمات ارواح فلم يتقوض المجلس الا عن مجد مشيد وحمد عتيد وجد سعيد
وسعد جديد ولما كان يوم الجمعة التالية لجمعة الفتح تقدم السلطان
ببسط العراض واخلایها لاهل الاخلاص وتنظيفها من الادناس وكنس ما فى
ارجائها من الأرجاس وكان قد سبق امره من مبدأ الأمر بهدم ما هناك من
أبنية الكفر فقد كان الداوية بنوا غربية دارا وأدخلوه فيها وخلطوه بمبانيها
واتخذوا منه جانبا مستراحا للاعلال وجانبا هريا للاغلال فأمر فى العاجل
بكشف قناعه ورفع الوضع من أوضاعه حتى ظهر موضع المنبر والحراب
واستظهروا باقامة أقدامه من الحجاب واجتمع الخلق فى ذلك الاسبوع على
تفريق ذلك الهدم المجموع وتعاونوا حتى كشفوه ونظفوه ورشوه وفرشوه .
وكان قد أمر باتخاذ منبر فى تلك الأيام فنجروه وركبوه ولما أصبحنا يوم
الجمعة وجدنا العلل مزاحة والهمم مراحة وهناك فضلاء بلغاء وعلماء أنقياء
وكل منهم قد سبق لخطبته الخطبة وأمل الفوز بفضيلة تلك الرتبة وأعد لذلك
المقام مقالا ونشط بشقشقة فصاحته من قرم حصافته عقالا حتى اذا جمل
الداعى وتعين الفرض على الساعى حضر السلطان للصلاة فى (١) قبلة
الصخرة وامتألت تلك العراض والسكون واستعبرت للفرح بما يسيره الله
العيون فعين السلطان القاضى محى الدين ابا المعالى محمد بن على القرشى
بن الزكى للخطبة فصعد فسعد وحمد وأحمد وأبلغت بلاغته وأوردت زناد
القلوب صياغته وأدت المعانى الفاظه وأنبه الأتقاضى والادانى ايقاظه فاهتزت
لمقامه الكنايف المنبر واهتزت لكلامه أعطاف المعشر ودعا لأمر المؤمنين ثم
لسلطان المسلمين ونزل وقام فى المحراب اماما أكمل بصلاته الفرض وأرضى
بسبمت دعواته والطائفة فى ركعاته وسجدياته السماء والارض . وسر
السلطان بنصبه ورفعاه وامتألاً صدره حبورا منه لجلاء بصره وسمعه فقد
أخذت اشعة أنوار الخطبة فى سواد الاهبة وعظمت أخطار المهابة فى
خواطر اللجة . ثم رتب السلطان بعده خطيبا يستمر اقامته الجميع
والجماعات ويستقر ملازمته لاداء الصلوات .

وكان الملك العادل نور الدين محمود بن زكى فى عهده عرف بنور
مراسته فتح البيت المقدس من بعده فأمر فى حلب باتخاذ منبر للقدس

(١) كذا وهى ساقطة فى الأصل .

شعب النجارون والصناع والمهندسون فيه سنين وأبدعوا في تركيبه الأحكام والتزيين وبقي ذلك المنبر بجامع حلب منصوباً سيقاً في صوان الحفظ مقروباً حتى أمر السلطان في هذا الوقت بالوفاء بالنذر النورى ونقل المنبر الى موضعه القدسى فعرف بذلك كرامات نور الدين التى أشرف سناها بعده بسنين وكان من المحسنين الذين قال الله فيهم « والله يحب المحسنين » (٢) ثم أمر السلطان بترخيم الحراب (٢٣٧ أ) / وتعظيمه وتخصيصه فى عمارته بأعم أسباب تكريمه فجاء على ما تشاهده الآن العيون ويتفرع من حسنه واحسانه الفتون .

قال : ولما قضيت الصلاة تلك الجمعة نصيبه سرير الوعظ . وتقدم السلطان الى الفقيه (٣) ابن نجا الواعظ لشرع السرير وينفع بعظاته الصغير والكبير وحضر المجلس برأى منه ومستمع وكان أنور مجلس وأجلى وأشرف جمع ومجمع فحقق ورفق وأشهد وأشهق وذكر الفتوح وبكارتة والقدس وطهارته وما أعده الله لهذه الطائفة من الطارفة الطارفة وما أنزله من الأمن على القلوب الخائفة ووصف ببلاغته ما لا يبلغ اليه اللسان الواصفة وكان يوماً راجحاً وصوماً راجحاً .

وأما الصخرة المقدسة فان الفرنج كانوا بنوا عليها كنيسة وأعادوا رسومها القديمة دريسة وستروها بالابنية وكسوها صوراً هى أشنع من التعرية وملاعوها بتصانيف التصاوير ونبتوها فى ترخيمها أشباه الخزائير فتقدم السلطان بكشف قناعها ورفع أوضاعها ومحو صورها ورخص وضرها فحببت بالقبل وفديت بالقل وغسلت بالادمع واشتعلت بنسار الأضلع ولما ظهرت الصخرة وجدناها قد أبقت بها النوايب جزوزاً فان الفرنج كانوا نقلوا الى بلادهم منها قطعاً وأبدعوا فيها بدعاً حتى قيل أنها بيعت بوزنها ذهباً وأفضى الأمر بها الى أن يكون حجرها منتهياً فغطاها بعض ملوكهم اشفاقاً عليها لئلا تمتد يد ضيم اليها فابقت جزوزها فى القلوب حزازات وما حديث جلالتها فى الاتفاق بروايات واجازات . وتولاها بعد ذلك الفقيه ضياء الدين عيسى فضلها بشبابيك من حديد وثبت أركانها بكل تشديد

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٤٨ .

(٣) فى الاصل : ساقطة .

وأقام السلطان بها أملا أحسن التلاوة وحافظا للقرآن وحمل إليها وإلى المسجد الأقصى ربهات ومباحف ورتب بها للقراءة أوراده وظايف فافتتح فيها بالخطبات وختمت بالدعوات ودعيت بالمصالحات والحمد لله الذى شدد ظهر الارشاد الى صخرته وملأ قلوب الأولياء بمسرة الدين ونصرة أسرته.

ذكر ما شرع فيه الفرنج من أداء القطيعة

قال : وشرع الفرنج فى اخلاء البيوت وبيع ما ذخروه من الأثاث والقوت وأمهلوا حتى باعوا بأرخص الأثمان وكان خروجها بالمجان ولا سيما ما تعذر لثقله نثله وصعب حمله وكان كما قال الله « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فلكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين » (١) فباعوا ما تهيأ على البيع اخراجه وغلبوا على ما فى الدروس الماعسون والمذخور ، وكانت كنيسة قمامة وهى كنيسةهم العظمى مبسطة بالبسط الرقاع مكسوة بالبستور من النسيج والحرير المزوج من ساير الانواع والذين يذكرون انه قبر عيسى عليه السلام محلى بصفايح الفضة العين ومصوغات الذهب واللجين مصنفح بالنضار مقل من نفائس الحلى بالاوثار فاعاده البطرك منها عاطلا وتركه طلالا مائلا فقلت للسلطان هؤلاء انما أخذوا الأمان على أموالهم فما بال هذا المال وهو بالفوف يحملونه فى أثقالهم فقال هم يعرفون هذا التأويل ويقولون لم يحفظوا العهد ولم يلحظوا العقد ونحن نجيبهم على ظاهر الأمان ونغريهم بذكر محاسن الايمان وكانت المهلة انه من عجز بعد أربعين يوما عن أداء ما عليه من القطيعة ضرب عليه الرق فتولاهم النواب بعد خروجنا من القدس وبقي منهم من ضرب عليهم الرق خمسة عشر ألفا فى الحبس ففرقتهم السلطان وتناهت بهم الممالك وحصلت لى منها سبايا نسوان وصبيان وذلك بعد أن وفى بارزان بالضمن وأدى ثلاثين (٢) ألف دينار وأخرج من ذكر أنه فقير بحسب الامكان وكانوا تقدير ثمانية عشر ألفا واعتقد أنه لم يبق فقير وبقي بعد أدائه على ما ذكرناه كثير .

وأما النصارى الساكنون بالقدس فاتهم بذلوا مع القطيعة الجزية ليكنوا (٣) ولا يزعجوا ويؤمنوا ولا يخرجوا وأقروا بوساطة الفقيه عيسى

(١) سورة الدخان آيات رقم ٢٥ — ٢٨ .

(٢) فى الأصل : ساقطة والضبط من الروضتين (١) ٢ — ١١٥ .

(٣) كذا وفى الأصل : لساكنون .

وأقر السلطان من تنسوس النصارى أربعة قوام لقمامة واعفاهم ولم يكلفهم القرامة وأقام بمدينة القدس وأعمالها منهم وكانت برسم الفرنج ومقدميهم مجاورة الصخرة وعند باب الزحمة مقبرة وكتاب معمرة وأحداث وأحداث تعفينا آثارها ورخصنا أوصارها (٢٣٧ ب) / وقلعنا صفايحها المخرمة وأعمدتها المرحمة وسوينا بها الأرض وسلطنا عليها النقض واشير على السلطان بتخريب كنيسة قمامة (٤) فلم يترجح في رأيه تخريبها ولا توضيح عنده تصويبها .

وقام السلطان بظاهر القدس حتى حقق الآمال وفرق الأموال وقسم الانتفال وعصى في طاعة الله بافناء تلك النفايس العزال فقد كان أخوه الملك العادل وجماعته يرون وهو من الرأي الصواب ابقائها للذخاير واعدادها لما يدور من الدواير وكان ذلك أولى في شرع الحزم لكنه جرى من فرط سماحته على الرسم وسمعت الملك العادل يوما في أثناء حديثه في ناديه وهو يجري ذكر أفراطه في بث أياديه أفنى توليت باستيفاء قطيعة القدس فأنفذت له ليلة سبعين ألف دينار وقتلت قد حصل منه على استظهار فجاءني خازنه بكرة وقال : نريد اليوم ما نخرجه على اتفاق مما عندنا فما كان بالأمس باق فأنفذت ثلاثين ألف دينار أخرى في الحال ففرقتها على رجال الرجا بيد النوال ونفذ الى الملوك الذين كانت عساكرهم في الفتوح حاضرة هدايا وتحفا والطاق جازية .

تذكر الرحيل عن القدس على عزم حصار صور وهو يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان

قال : كانت صيدا وبيروت مع الأمير سيف الدين على بن أحمد المشطوب وهما لجاورة صور معرضتان للخطوب قد وصلت كتبه محروسة على حصار صور خاصة وعلى بنان التندم لخوف قوات الفرص عاضة وانها بالرابطة فيها والمصابرة عليها تمالك وفي كل يوم فرصة اذا فانت لا تستدرك

(٤) يقصد كنيسة القيامة وقد اعتاد المؤرخون تسميتها بهذا الاسم . قال في الفتوح : « وأمر السلطان باغلاق أبواب كنيسة قمامة وحرم على النصارى زيارتها .. وتفاوض الناس عنده فيها فمنهم من اشار بهدم مبانيها .. » قارن الفتوح القدسي : ١٤٥ .

والى متى اللبث وحتام المكث ولم يبق فى النفس الا حاجة صور فانهضوا اليها العسكر المنصور فقد أينع فى القلوب غرس ضمها وما بقى فى كنانة الكفر غير سهمها ولا بد من العزم الجزم فى خوض هذا الخضم وكف الملم وكفاية المهم فرحل السلطان عن القدس باليوارق الملتمة والفيالق المجتمعة والافلاك بكواكبها والاملاك بمواكبها وكان الملك الافضل قد رحل قبـلـه بأيام ليحكم ما بعكا التى يتولاها من اسباب واحكام ثم تبعه الملك المظفر تقى الدين ثم رحل السلطان فى اليوم المذكور وودع ولده الملك العزيز وسار معه منزلة واعاد الى مصر عزيزها وجدد بمحاسنه تطريزها وذلك آخر العهد بلقائه وان مد الله سبع سنين بعد الفتح فى حياة السلطان وبقائه ثم استصحب معه الملك العادل واستظهر بصحبته ووصلنا الى عكا يوم الخميس مستهل رمضان وبصور (١) من خبر مصرنا ما اتعد الكفر واقامه وكان المركيز قد حفر الخندق للبلد من البحر الى البحر قداده ووثق سورة وأسعر عليه مساعيره وبنى بواشيره وأحكم « فى التعمير تدبيره » (٢) واستكثر الى جموعه العدد وكثر من جنوده العدد ورحلنا الى صور بقوايم قوية وصوارم ظامية روية ووصلنا اليها يوم الجمعة تاسع الشهر وخيمنا بازاء السور بعيدا منه على النهر واقمنا ثلاثة عشر يوما حتى تلاحقت الاعداد وتكاثفت العدد وتكاثرت الاعداد وهيأنا آلات الحصار وتنكبنا عنها عن نهج الاقتصاد والاقتصار وحول السلطان مضاربه الى تل قريب من السور مشرف منه على الجمهور « وكان تحوله اليها يوم الخميس الثانى والعشرين من الشهر واقام مقامه المصابر الصبور » (٣) وحجز على السفهاء العدى بالحجازات وضايقتهم بالابراج والمنجنىقات والعرادات والدبابات وقد تكفل كل واحد من الملوك بجانب يكفيه فالملك العادل سيف الدين بدر فى جانبه وتحرف الاقران بمضياء مضاربه ، وتقى الدين فى جانب آخر نازل منازل متابل ، والملك الافضل خيمته من وراء السلطان قريية وعزمته لدعاء الصبح مجيبه والامراء والكبراء وعساكر ملوك الاطراف والحاضرون فى الخدمة لا يحصون ولا يحصرون وتحن نرجوا من الله انهم على اعداء الله ينصرون . وفى هذه الايام وصل الملك الظاهر غياث الدين غازى غازيا وللدين بقيامه وافيا واستظهر السلطان بالظاهر ابنه وركن الى شدته لشدة ركنه وانزله بقربه ورتب رجاله فى

(١) فى الاصل : بصور .

(٢) فى الاصل ساقطة والضبط من الروضتين (١) ٢ — ١١٩ .

(٣) فى الاصل : توجد بالهامش .

أماكنها وإبطاله في مكانها وعين لها موافقها في مياسرها وميامنها وتعاقد أولياء الله على قتال أعدائه وانتظروا نزول نصره من سمائه وكانوا يقاتلون (سماء) (٤) صباح مساء وفي كل يوم بل (٥) في كل ساعة بأس شديد وقاتل جديد ونوال مبيد (٢٣٨ ا) / وأما المنجنيقات فأنما شقت حجاب السور بشورة الاحجار وهتكت ما نضدته للمستابر من الستار الابراج فانقضت على الكفر من النضال نجومها وقذفت الشياطين من القوارير رجومها واستدعى السلطان الاسطول المصرى وكان بعكا فجاءت منه شوان عشر لها على القتال (٤) ضم ونشر جبالها « تمر مر السحاب » (٥) وهضابها تجرى في الامواج على الهضاب . وكانت للفرنج في البحر مراكب خفاف وحراريق لها بحريق النصال قذاف وفيها رماه الجروح والزنيوركات والفكبات بالنواكات فهي تجرى بقرب الساحل موتره للمنايا مؤثرة للمنايا يرمون من دنا من البحر ويدمونه ويصممون على ماقاتلهم فلما جاء اسطولنا استطال عليها وأبعدها من صور وحواليها فأجترأنا على الدنو من البحر والهجوم عليهم فيه بالتهرة وأحطنا بهم وقاتلناهم برا وبحرا وصدعنا اكبادهم رعبا وذعرا وكاد الفتح لنا يتم والحتف فيهم يهيمون نحن نحرس ونقتص ونفرس فبينما نحن في هنا ظفر وأصفى ورد وصدر اذا أصبنا ليلة وفجعنا بقطع مدده الموصول وذلك أن رئيسه عبد السلام المغربى ومتوليه بدران الفارسى ومقدميه ورجاله الفوا على الاستقامة أحواله واغتروا بالاقدار ونفسوا ولم يحترسوا عن نوايب الاسحار وذلك أن خمس شوان منها كانت بازاء البلد في بعض الليالى مرساة بارصاد العيون على الكفر معراه فنامت بازاء ميناء صور وقد نسي المقدور وجرت الى السحر ومالت الى راحة العين من تعب السهر فما شعروا الا بهراكب العدو مالكة وبرجالها فأتكة فدخلوا بها الى الميناء « وملك الفرنج خمسة من شوانى المسلمين واسروا مقدميها ورئيسهم عبد السلام المغربى ومتوليه بدران الفارسى وأمراءه » (٦) وبذر أمراؤها المتقدمون وتواقع الى الماء رجالهم الباقون فمنهم من نجا وخلص تحت ستر الدجى ومنهم من

(٤) هكذا وردت في الاصل وهي لا تستقيم مع السياق .

(٥) اضافة يقتضيها السياق وهي في الاصل ساقطة .

(٦) كذا وهي ساقطة في الاصل .

(٧) سورة النمل آية رقم ٨٨ .

(٨) ما بين الحاصرتين ساقط في الاصل والاضافة من الروضتين (١)

قنط من خلاصه المرتجى فاصبحنا وقد وجهنا من تلك الليلة وبفتتنا نبوة تلك النبوة ثم قلنا هذه المراكب التى سلمت لا انتفاع بعدتها القليلة ولا حاجة بنا الى بقاء الباقيات الصالحات عندنا وان الله سينصر بدونها فى حماية الدين جندنا فجزنا لنسير الى بيروت ونجوا من المعرة ونفوت فلما أقذف بهما ملاحوها بصرت بمراكب الفرنج وراءها فخافت اعتراكها وأجتراءها فتواثعت الى الماء خارجة على الوجوه مشفقة من المكروه وكانت مجمعة بجريد وبجفوة مصرية ونجا منها شينى رئيس جيل (١) كأنها الجبل وانحدر على البحر كأنه سيل وكانت رجاله منتخبين بالبأس والبسالة منتخبين وأما الشوانى التى تخلوا عنها ثأنا رفعناها الى الأرض وبسطنا فيها أيدي النقص وعدنا الى ما كنا عليه من قتال البر واطمعت الفرنج شئون تلك الشوانى فقاتل ما هذا أو ان التوانى فاستعدت يوما وقت العصر وخرجت عن الحصر واتقدموا مدججين فى بحر اللجاج ملججين يجرون من ابدان السوابغ ذيولها ويجرون من أمواه السيوف التواطع سيولها فما ترى الا فل الحديد بالحديد وشل العديد بالعديد وهز الصوارم وحز الفلاصم وحطم الموازن وبث المكنون ونقل الكتان وما زالت الرعوس كالزروع تحصد والعوالى فى الضلوع تقصد والقنا فى السابرى تندق والكلى باليسرى تنشق حتى انفل الحديد وتكسر وانخل السديد وتيسر وكانت الدائرة على الكفرة فانفجرت على نصالنا عيون الفجرة وانتكسوا مغلولين مأخوذون وأسر فيمن أسر منهم مقدم كبير قدم سسلبه بأموال وعد لحماسته ولبسالته برجال ما سلم نفسه حتى سلمت دونه نفوس وما غل عنقه حتى طارت دون وقوعه رعوس وتباشر الناس وقالوا أسر المركيس وحصل فى القبض ابليس وكل من يتأمله يشسبه بالمركيس ويمثله . وكان الليل قد جن والليل قد ارجحن فسلمه السلطان الى الملك الظاهر ليحفظه ويعين الحراسة يلحظه فقدم المقدم وضرب بيده عنقه ولما أقمنا صروحا تبين أن المركيس فى الحياة مهله ابليس وعادت بالحروب فى كل يوم يحدد فيها المتون وتدور برحاما الحرب الزبون تجد ويجدون وتشتد ويشتدون ولو أقمنا لرجونا من عون (٢٢٨ ب) / الله تعالى أن ينصرنا وقلنا قد آن للصبح أن يسفر وللنجح أن يظهر لكن مراد الله أمضى وقدره أغلب وأمضى .

نكر الرحيل عن صور وبيان السبب فيه وذلك فى آخر شـؤال

قال : كان اصحابنا قد ألفوا من مفتتح الفتح الحصول من غير تعب على هنى الربح فما التقطوا الا درة ثمينة ولا اشترطوا الا لقمة سمينة فلما حصروا صور وابصروا الامور وشاهدوا الشهادة واحتاجوا الى هجر المعيشة الرحبة المألوفة وانفقوا الاموال فى جلب القوت والعلوفة مشى بعضهم الى بعض وقالوا قد طال مقامنا فاستحال مراننا وقتلت وجرحت رجالنا ومالت الى الزوال اموالنا وفيها جماعة كرهوا الرحيل وقالوا : قد اوهنا العدو ورزقنا الله عليه الغلبة والعلو وقد فرق علينا (١) السلطان من الاموال آلاما مؤلفة حتى استتبت الاسباب فاذا رحلنا احبطنا الاعمال واذهبنا غبنا تلك الاموال وقد قال الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (٢) واذا امتثلتم هذه الاوامر فانكم بوعده الصادق تفلحون وتفتحون ومن الناس من هو ساكن ساكت حتى يبصر ما يكون من حكم القدر ويقضى الله اما بالرحيل واما بالفتح والظفر فجاء الالوف الى السلطان وقالوا : قد بان تعذر الامكان وقد اشرفنا على كانون وكل ومل المؤمنون وما ينتضى يوم الا ويقضى أو يجرح فيه قوم وهؤلاء رجالك فلا تفرط فيهم ولا تحملهم على ما يردىهم وبين ايدينا بلاد أهون من صور فأرح لفتحها عسكري المنصور فقال السلطان : قد ائنهينا فى بحر الاجتهاد العوم فكيف يطرق بالرحيل اليها اللوم وما عذرنا اذا فرجنا عن عداته وخرجنا عن مواقيت عداته وبالصبر ينال الظفر ويتوفيق الله لاتباع أمره يوافق القدر وهذه صور ان بقيت اتعبت وان نفس كريبها اكربت ولم يبق بهذا الساحل مدينة للسوء سواها وما نخاف اجتماع مدد الفرنج الى الساحل لولاها فاذا فتحنا رتاجها فتحنا كل رتاج واوضحنا كل منهاج والحصون والمعاقل الباقية فى يد الكفر مجاورة لبلادنا فى البر وما أهون فتحها اذا يئس رجالها من امداد البحر واذا تركنا هذه الجمرة فى رمادها وهذه الشعلة متوارية فى زناها اعصفت بها نكب الرياح وغنت بوريقها الذى للاقتداح فانتشر حريقها واتسعت للطورق طريقها وقد قرب من نار شره الخمود وتعذرت من سنوره

(١) كذا وفى الاصل عليها .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٢٠٠ .

الحدود وإذا مضينا وتفرقنا فمتى نجتمع ونعود وقد أمكننا القربة وانتم الاسود وقد لاحت الفرصة وقد حميت الحمية فماذا الخمود فتأبوا الى ما رآه واتوا الى رضاه فأقمنا بعد ذلك أياما نؤمى المصابرة حقها والرابطة صدقتها والسلطان يفرق على الرجال الاموال ويحبب الى أولياء الله في سبيله القتال في أنفس المتضجرين بالمقام ما فيها وكم ثبتت متجلدة على ما ينافيها فتمكنت الفترات في عزوماتها وتطرفت السكنات الى حركاتها وصارت تخل بنوب المنجنيق وتدعى سانحات أسباب التعويق ويقول الأمير : رجالي يجرحون فكيف يعدون للنوبة أو يروحون وبقيت المنجنقات واقفة لا فادح لزنادها بحجارة ولا قابل لسومها ببيع ولا اجارة وقد استوفيت شرح ذلك في كتاب الفتح القدسي واديت المعنى باللفظ القسي فغزم السلطان على الرحيل وأمر بنقض الأبراج والمنجنقات ونقل الأثقال والآلات فحمل بعضها الى صيدا وبيروت في البحر والبر وأحرق بعضها لئلا يحصل بها نفع للكفر وانتقل السلطان الى المنزلة الاولى وشرع جمع العسكر في الافتراق كأنهم قد اطلقوا عن الوثاق ورحل الملك المظفر تقي الدين وسار الى دمشق على طريق هونين واستصحب معه عساكر الشرق وجموع الجزيرة والموصل وسنجار وديار بكر وماردين ثم استقل السلطان راجلا وسلطنا بالخيـل في خدمته ورأى الباقيـن فوق الجبل في ثلاث مراحل حتى انخنا بظاهر عكا عند التل وخيم السلطان (٢٣٩) / هناك وأقر الفضل وأرف الظل وعين يوم رحيله امرأه يقيمون على صدر الى أن يعرفوا عبور النقل فان طريق الناقورة في الجبل المطل على البحر ضيقة المسلك لا نعبـر بها الا جمل جمل فعبرت بها الأثقال والاحمال في أسبوع وسار الملك العادل الى مصر والملك الظاهر الى حلب واستأذن أيضا بدر الدين دلدردم الباروقي في المسير وصار هاولا في النجم الغفير والجمع الكثير .

وفي هذا التاريخ استشهد سيف الدين أخو عز الدين جاولي في غزبلا كبسته فرنج حصن كوكب آخر ليلة من شوال وكان محمود السيرة مثبته الغريرة طاهر الذيل من الدرن ظاهر الميل الى الاثر الحسن وكان قد تخلف من الحصون التي لم تملك حصنا كوكب وصفد وإنما طال أمد فتحهما لان في كوكب جمهرة الاسبتار وفي صفد جمهرة الداوية فرأى السلطان الحاجة في فتحهما الى المطاولة والمحااجة من غريهما بالمماطلة فوكل بهما أميرين أمينين فاصلت على أشقياء صفد سيف الدين اللصستي بمبسعود ورأى أن

يوكل^(٢) بكوكب غير محمود وكلاهما استشهد وحكم مراد الله غير مردود فأما محمود فانه أقام فى حصن عفر بلا وهو قريب من حصن كوكب ونقص على المؤمنين فيه المطعم والمشرب وضيق عليهم حتى ضاق خناقهم وحقا أرهاقهم وآن أن ينصأ أرماتهم فدخل الشتاء واعتل الهواء واغتر محمود بمجمود القوم وخمودهم وترك النوم واشتغل بعبادته فى حصنه ولما كان آخر ليلة من شوال وهى ليلة راعدة بارقة خلا محمود خلاله المحمودة وسهر وحرص الى السحر وهو فى غرة فى غار الغير وأخل أصحابه الاحتراس ومالوا « فغلبهم النعاس »^(٤) فما استيقظوا إلا وفرنج كوكب عليهم باركة وللبنة حياتهم هاتكة فمزالوا يدافعون عن أنفسهم حتى استشهدوا ونقل الفرنج الى كوكب ما وجدوا من عدة ومقاع وسلاح وكراع . ووافق نعيه رحيل السلطان من صور فقتدم الى صام الدين قايماز النجمى أن يرايط كوكب فى خمسمائة فارس ولم يزل عليها متيخا حتى تسلما الموضع فى أواخر سنة أربع على ما سيأتى ذكره .

وفى هذه السنة كان فتح حصن هونين أيام مقامنا على حصار صور وذلك انه لما فتحت تبين امتنعت هونين فوكل بها من الأمراء من رابطها وصابرها ولم يزل مقاتلا لها حتى راسلوا فى طلب الامان وتسليم المكان وجاء الخبر الى السلطان فأمر الامير بدر الدين دلدروم اليازوقى فى التوجه الى هناك وخرج الفرنج منها آمنين والحمد لله رب العالمين .

نكر دخول السلطان الى عكا

قال : وأقام السلطان بظاهر عكا فى سرادقه ناظرا فى غاية حقوق الدين وحماية حقايقه وانفتت فى تلك النيالى رياح مختلفة وعواصف مرجفة وكان الملك الأفضل فى برج الداوية متيما فسكن السلطان بالثلعة فى محل البرمه والرفعة واستقر بها الى أن دخلت السنة الاخرى ورتب الامير عزا الدين جرديك واليا وأعاد به عاطل الولاية حاليا وانما عول عليه لنزاهته

(٣) تارن الروضتين (١) ٢ — ١٢٠ حيث يقول : فوكل بصفد جماعة يعرفون بالناصرية مقدمهم مسعود الصلفى ووكل بكوكب الامير سيف الدين محمود .

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط فى الاصل والضبط من الروضتين (١)

ونباهته فسدد المختل وشفى المعتل وأقام السياسة وأدام الحراسة ووقف دار الاستبارة نصفين نصفاً على المتصوفة ونصفاً على المتفقهة وأهل المعرفة من الطائفتين ووقف دار الاسقف الى جمال الدين بن أبى النجيب المتولى بها أمور الشريعة وأدت الحال بتفريق رياضها الوسيعة .

نكر حسن خلق السلطان

قال : كان أيام حصار صور قد فرق أموالاً كثيرة على الولاة فى البلاد لجمع الرجال فلما قضى الله بالارتحال نكر بتلك الاموال فأضرب عن ذكرها ولم يخرج أمره فى أمرها وكان والى أعمال عكا حينئذ شمس الدين على بكريسان وقد سير اليه ألف دينار قبل الرحيل من صور بأيام فلما حم الرحيل كوتب برده المال فقلت للسلطان : أنه من الكماة الكفاه فأنعم عليه بما عنده فلم يعد لذكره بعده واحتسب تلك الاموال للآخرة ذخراً ولم ير لها جبره من كنز انفاقه كسراً .

(٢٣٩ ب) / نكر الرسل الواردين فى هذا التاريخ

قال : فأول رسول وصل وسؤله حصل رسول الديوان النبوى منزل الرسالة ومحل الجلالة وهو أخى تاج الدين أبو بكر حامد بن محمد بن حامد وكان وصوله ونحن على صور فحين وردت البشرى بقربه أمر بعض الامراء بتلقيه ويحميه فى المنزلة التى يبيت بها ويقبىه ولما بكر أمر الامراء بالتبكير لاستقباله والتوفير لجلاله وتلقاه الملوك الحاضرون الملك المعادل والافضل والظاهر وعقدت بمحاسن ذلك المقدم المشهود المحاضر ثم ركب السلطان آخراً وتلقاه وقام بحق الخدمة الامامية ووفاه واستصحبه معه الى موقف القتال ومقام مناصب الابراج ومراكب الامواج وثم أنزله بقربه وحباه بحبه ثم عبر يوماً لحضوره وأدى الرسالة النبوية بحقها وأبدى الجلالة المنيفة فى أنفثها . وكانت معه تذكرة مشتملة على العتب والتقريع فيما مر به الاعداء من السعى الوضيع والوشى الشنيع فقابل العتاب بالاعتاب ورد الخطأ الى الصواب وبين أن الحسود اخترع الزور وشهد أنواره رام أن يستر بظلامه الفلق ومضى أخى الى القدس وزاره وشهد أنواره وأقام الى آخر السنة ومنزلته موقرة معظمة ثم كتبت على يده ما استقام به على جده .

وكان من جملة الواصلين الفقيه كمال الدين الشاشي^(١) قاضى أروز الروم فأسهمه السلطان خصوص انعامه والعموم واتفق وصوله أو ان رحيلنا من حصار صور وسار معنا الى عكا ولقيته وقد أنجز أمره وهو يشكى وسألته عن شكواه فذكر لى اقتراحا يسيرا وشكى تقصيرا فقلت حقك يتضى وتلوت « ولسوف يعطيك ربك فترضى »^(٢) ثم استأذنت له فى تلك الليلة على السلطان وأحضرتة ووفيته حق تبجيله وقربته وقتلت : لعل مولانا ما عرف أنه فقيه عن النظراء متميز وفى المناظرة مبرز فهل يؤذن فى حل مشكلة والكلام فى مسألة فبشئ لذلك القول وهش بالطول فقل : مبارك يشرع ويجيد ونسمع ويفيد فشرع فى مسألة مستدلا معلا وأصفيت له مجلا وهزرت له عطف الاستحسان وأعزرت قدره ومكائنه بقدر الامكان وقربته الى قلب السلطان ثم أعترضت على كلامه وأعدته أحسن اعادة وذيلته من المعانى البديعة .

قلت للسلطان : هذا من الفناء الاعيان يعود الى تلك البلدان ويتحدث باخبار فتوحك وأنباء غدوتك فى الجهاد وصبوحك وقد رغب فى التبرك بما يستصعبه من عدتك فى الغزو والملبوس فان لها قبولاً فى القلوب ونفاسة فى النفوس فأدناه منه تأنيسا وذهب من كل عدة خاصة لها علقا نفيسا حتى أعطاه قميصه المزور عليه وملاً بعوارفه يديه فخرج وودعه وودعته وأشاع حمدى وبالحمد شيعته هذا ولم يزل أدبى وقضاء حقوق الكرام من أنجح أدابى والسلطان يقلدنى فى مذهب سماحه ويقلدنى فى المن فى الارشاد مقصد معارفى هذا^(٣) وانجابه . قال : ومن جملة الواصلين فى التاريخ رسول الاتابك مظفر الدين قزل ارسلان .

ذكر نبذة من أحواله

كان هذا مظفر الدين قزل ارسلان وهو عثمان شمس الدين ايلدكزا مستوليا على بلاد العجم بعد أخيه بهلوان وهو عم السلطان السلجوقى

(١) قارن الفتح القدسي ٨٨ ، والروضتين ج ٢ — ١٢٠ .

(٢) سورة الضحى آية رقم ٥ .

(٣) فى الاصل توجد بالهامش .

ليس (١) معه أمر نافذ ولا بيده في الملومات منه آخذ وقد حكم على البلاد جميعها ارانيه واذربيجان والري واصبهان ومن حد حلوان الى حد خراسان وقد هرب السلطان السلجوقي ليخرج من تحت حكمه ويتسلط على عادة كل سلطان ورسمه ثم قوى وعاد ولم ينتظم لسوء تدبيره أمر ولم يرتفع له قدر فانه كان كثير التحيل من خواصه يرتاب بغش ذوى استخلاصه فاذا اوهموه في أعظم امرائه أمرا عظيما لم ير في الايقاع بهم تهويما ولا تهويما فما يشعر الواقف على رأسه الا ورأسه طاير ودمه ماير فخاته مقربوه وانتزحوا وكل منهم نافر ومازال قزل ارسلان يتتبعه ويرده تارة ويردعه حتى ظفر به وسيره الى بعض القلاع وحبسه وهذا قزل ارسلان كان يجد لى أمرا في السماح والاموال في أنامله كالثشيم على مهب الرياح ومن جملة سجاياه الكريمة أنه تبتى عنده رسل الاطراف مقيمين في ظل الاسعاف مشمولين من تفتقده بكرام الاطاف (٢٤٠ أ) / فلواقام الرسول سنة اقام بتجيله وتشريفه حتى تستغنى بدقيق انعامه وجليله فاذا استأذن في العود اجزل له عطاءه ووفر له الاء واعاده ملوء الحقايب مطوق الجنايب متقلا بالنضار وكان اذا عرف اجتماع الرسل عنده من الامصار واقاصى البلاد وأدانى الديار احضرهم في ايوانه وغمرهم باحسانه فمن وافقته على أنسه اقام ومن عف عن القعود في ذلك المجلس قام . وكان على مذهب ملوك العجم في ادهسان الشرب وسمعت أنه انهب آلات مجلسه الذهبية والفضية وكانت ألوقا لندهما مرارا وكم مرة لم يبق في خزائنه عرضا ولا درهما ولا دينارا وكانت هذه شيمته في دولة أبيه وهو يحبه اذا افتقر ويفنيه فلما اتسع ملكه وتوحد واتسق سلكه وتفرد ولم يخل خليفته ولم يزل طريقته وكلما سحنت الدنيا له سخا بها ووهب الدرر بسخائها والدرر لسحابها . واذا ركب تعد له المواكب وتمد له الجنايب والمراكب مثقلة بالسرقتارات المدثرة والاطواق والسحوت المسجدية المجوهرة وهو راكب ازهاها حليا وابهاها جريا . وحكى أنه انعم على أحد الرسل بمركوب غال فجاءه كل سابع كأنه بحر ساطع كأنه فجر ضامر كأنه صقر ذي حافر كأنه صخر وقد ركب الامير وهو يسايره ويحادثه ويحاوره وتحت الامير مركوب في كون مركوبه بعينه بطوقه وسحته ونضاره وتحت مد فرس الرسول وترح وتجهد فقال : ما بال جوادك الينا يسهل

وعليها يحمل فقال : يطلب رفيقه وينادى شقيقه وهو من غراته على فرق ومن اشتياقه على تلقى غزل الأمير عن حصانه ووهبه له بثلايده وعقبانه وركب غيره وصان ببذله خيره وقبل سايره قاض من قضاة تلك البلاد وهو على بغلة عاطلة هزيلة والأمير على بغلة فارهة جميلة بمصوغات التبر في الحلى ثقيلة فقال يا قاضى : ما لبغلتك قد عجفت فقال : ادمفتها الفرة من أختها فما هى على تختها ولا فى طوقها وسحتها فأعطاه البغلة بسرجه وطوقها وأمر لبغلة القاضى بمثل زينتها لتقرن فيها بقرينتها وزاده عطية لأجل علفها وإزالة هزالها وضعفها فاستغنى القاضى بها بقية عمره ووجد جده وعدمه .

ومن جملة مكارمه أن الأثير الأخسيكى شاعر دهره وسأحر عصره مدحه بسنة أبيات من شعره فجاد له بسنة آلاف دينار من تبره وقال : لو زادنى زدته . وحكى أيضا انه وصل الى المعسكر شاب أديب قد حوى من كل فضل طرفا وحاز من كل غريبه طرفا لكنه فقير قد أدركته حرفة الأدب وأحوجه الأضرار الى الاضطراب وأخرجه الاغترار بالاغتراب فلما وصل الى المعسكر اجتمعوا حوله وسمعوا قوله وعرفوا معرفته ووصفوا صفته ونما الخبر الى الأمير على السنة ندمائه فأمر باحضاره ولما حضر فأكبه وشافهه واستطرف أدبه واستوصف آدابه ونظم فى وصف الحال رباعية بالفارسية فاحضر له ألف دينار حمر وقال : خذ هذه واتسع بها وشفع وقد وصلناك فلا تنقطع فلما بسط الكف وقبض الالف طار من الفرخ كالفرخ الى وكرة وأبعد الدموع الى تلك الدناير عن ذكره ورجع الى البلد وقمرت عين الوالدين بالولد وطلبه مظفر الدين قزل ارسلان فأخبر بانفصاله وانه قنع بما تهيأ به من أفضاله فقال : ما كان أدنى همته ولو عرفنا لاجزلنا عطيته .

ومن جملة انحرافه فى سماحته أن المجير البيلقانى الشاعر بالفارسي تعلق له أمل بجمال فكتب الى قزل ارسلان مقطوعا فى أحد وعشرين بيتا لم يخل كل بيت عن لفظه الجمل بمعنى ليس فى البيت الآخر بديع وسببك نصيع فوهب له أحد وعشرين بازا نجيا . قال : وهذه نبذ من مكارمه ليقبضى بها الكرام ولأتوب فى الشكر عن ثملته الانعام وهو من الملوك الذين سيرت

اليهم البشارة من الملوك وسار بالبشائر والهدايا والتحف والاسارى اليه ابن اختى جمال الدين أبو الفتح اسمعيل بن الحسن بن عبد ربه وكان ينوب عنى فى الكتابة وهو سهم كاف كثير الاصابة فاختره السلطان لهذه السفارة وجعله أمينا على أداء أدوات البشارة ومضى سفيرا فقبول وفوده من القبول بالوفور وأرسل معه أعز من عنده وحمله مشافهة وشكره وهو عز الدين الطالبى فوصل وأوصل الهدايا والتحايا وأحضر لما حضر نفود المكرمات والثنايا وكنا حينئذ بعكا وهى بالاولياء معمورة وبالألاء مغمورة فأنزلناه فى اكرم منزل وشاهد موافق الكرام ومقامات الاقدام وأقام فى (٢٤٠ ب) / إقامة هنية وكرامة مضية وفى كل يوم اهداء مركوب وعطاء غير منسوب فلما آن انفصاله وحن ارتحاله أغناه واعطاه ما لم يخطر فى مناه وعين لصاحبه من أنواع الهدايا ما جاوز تقويمه الالوف وأطاع فى سماحة طبعه الالوف وأخذ الهدية القزلية من الجواهر الثمينة والمستعملات المصرية والثياب المعدنية والعقاق العربية وكل ما حازا به يد الايد فى جهاد من طريف التلاد وعقايل الطرف والتلاد والخوذ والنزول والعقود والسلوك وغير ذلك مما يصلح للملوك وسلم جميع ذلك الى جمال الدين نسيبى وجعل له تلك الرسالة من نصيبى وأهدى لامرائه وخواصه وذوى قربه واختصاصه هدايا على اقدارهم ومنازل كبارهم وصغارهم وتوجه وتوجه الرسول ومعهم رسولنا وقد شملها اقبالنا وقبولنا وكتبت على ايديهم بالفارسية كتباً بالبدايع مشحونة فلما وصلتكم الكتب والرسول تواصلت بيننا وبينهم الصلات وتهادت المهادة واسترسلت المراسلات وانقلبت الى المصافاة الصفات .

قال : وسأذكر نبذا من تخرقه فى السماحة وأغفلتها ثم تندمت كيف أهملتها أصبح يوما فى عنفوان هبوب صباحنا وقد وهب جميع ماله من لبسه وثيابه واصطبله بالآلاته ودوابه وخيمته بما فيها من سبده ولبده وتعد على الأرض متجردا عن كل ملك شاذا من كل عقد وسلك وذلك فى زمان أبيه فلما نعى الخبر اليه بما سخا به وأنه صفر يده أحضره وزجره واستجعله فيما عرف منه واتكره . قال : ومن أنت ومن يقال لك ومن لهذا الطريق الذى سلكه سلك فقال ما معناه أنا أبى خير من أبيك وأشرف وأعظم . أنت الاتاك شمس الدين ايلدكز والدى فمن كان والدك ولا تنكر اذا وردت مواردك وأنت تخاف وتسعد عنه وأخلف عليه أفضل ما كان له وأوفر .

ومن حكايات مغنية (٢) فى مجلس أنسه والتهاب طربه فى طيب نفسه
مقاتل مالدوايرى علف وما لما أنفقه على علفها خلف فقال سرا لخدمة خذا
غراره فأملها بثياب ديباج وحرير وأطلى رأسها بحشيش وشدها وأعدها
وإذا طلبناها أحضرها غلما أحضرت قل لها هكذا هذا الملف خذونى هذه
الساعة إذا كان هذا جودك وموجودك فكنت تخل مجلسك من احضاره
وتبقيه عاريا من عاره فقال لها وحلف أنها تتولى أخذ الفرارة المحشوة
وتفريغ الفرد الملوقة فقامت كرها على القدم لاجل اجلال القسم فأخرجت منها
غنى الابد فخرت ساجدة وفخرت واجدة وعاد منها غنى الاحسان باحسان
الغنى وأخذت فى الاطراب والاطراء .

ومن حكاياته أن شاعرا مدحه بقصيدة سبعين تناهزت أعطائه فقال
يحكم على فيما أعطيك ولا ترضى الا بما يرضيك فقال : قد قنعت بسبعين
دينارا عدد أبياتها فقال له : ما أدنى همتك لو طلبت منى سبعين ألف دينار
ولا حرمتك منها ولا حظرتها ثم أعطاه ألف دينار وحلا وجه أمله وصفح نجحه
بسفور وأسفار . قال : وهذا كله لا يكون فى بحر سلطاننا جدولا ولا لاحد
أمليه فى سماحته منهلا وكان مهذب المذهب طاهر المحفل والموكب وقد خصه
الله بالصدر الارحب والعرق الاطهر الاطيب للخالق تقواه وللمخلوقين جدواه
وانما يريد للآخرة دنياه فلا جرم ختم الله بالحسنى عقباه . قال وفى هذه
السنة سنة ثلاث وثمانين استشهد الأمير الكبير شمس الدين بن المقدم
وهو محمد بن عبد الملك يوم عرفة فى عرفات .

تكر السبب فى ذلك

قال : لما وقع الفراغ من فتح القدس دنا الحج واستقام منه المفلحون
على النهج وقالوا نحرم من المسجد الاقصى الى البيت الحرام ونفوز مع
ادراك فضيلة القدس فى هذا العام بإداء فريضة الجهاد وحج ركنى الاسلام
فاجتمع جمع من أهل ديار بكر والجزيرة والشام وسار بهم الأمير شمس
الدين بن المقدم شيخ امراء الاسلام الكرام فودعه السلطان على كره من مفارقتة
واستمهله ليحج فى السنة الاخرى على موافقته فقال ما معناه : ان العمر

قد فرغ والامل قد بلغ والشبيب قد أنذر والقدر قد حذر واغتنم فرصة الامكان
تبل أن يتعذر فمضى والسعادة تقوده والشهادة تروده حتى وصل الى عرفات
وما عرف الاوقات فشحاع وصوله وسالت سيوله وحالت حيوله وضربت خيامه
وخفقت اعلامه واشتغلوا ليلة عرفة بالمناسك فلما أصبحوا نقرت على العادة
نقاراته ونعرت (١٢٤١) / بوقاته ففاظ ذاك أمير الحاج المراتى ففاض غيظه
وغاض برد رضاه ولفح فيضه وركب اليه فى أحرايه وكما طعانه وضرايه
فأوقع به وباصحابه وأبلاهم بخراجه ونهابه وجرى حكم الله الذى كان ضرب
الطبل أوكد أسبابه وقتل جماعة من حاج الشام وجرحوا وهتكت استارهم
ونقل طاشتكين شمس الدين بن المتقدم الى خيمته وهو مجروح وفيه روح
وحمله معه الى منى فمضى ودفن بالعلى وأرتاع أمير الحاج بما أجترمه
وكيف لم يراقب الله وأحل حرمة وكيف عدا على الحج العائد بالله وسفك
دمه فكتب محضرا على ما اقترفه بعذره فيها اجترحه وألزم أعيان الحاج
على ما عينه من المراد فكتبوا مكرهين ووقعوا له على الانفس والاموال
وسلكوا معه طريق السلامة فى الاحوال وكان عذره انه انكر عليه ضرب
الطبل فأبى وثبت عليه من الحرب السبا فلما انتهت الى الغرض الأشرف
تلك الحالة وأن العثرة أخطأتها الاقالة انكرها انكارا شديدا ونسبها الى
طيش طاشتكين ولم يجد له رأيا سديدا فلا جرم وضع عنده قدره وهى أمره
حتى نكبه بعد سنين وجبسه وأطال سجنه ثم عفا عنه بعد مدة مديدة وثدة
جرت عليه شديدة وولاه حرب بلاد خوزستان وخراجها وأوضح بسياسته
منهاجها ولما وصل الى السلطان خبر استشهاده ابن المتقدم وجماعته لأمه
على ترك الحزم واضاعته واحتسبه عند الله غازيا شهيدا ساعيا الى الجنة
يقدمه سعيدا وأقام ابنه عز الدين ابراهيم فى بلاده مقامه وأقر عليه انعامه
ووجده على سمت أبيه وسمده وهديه وهوده وكبر قدره وعلوه ومثلت يوم
الحضرة الكريمة الفاضلية فتجاذبنا اطراف العوايد وتشاولا أقطاف الفوائد
فوجدت بحر خاطره يتدفق لائق الدرر وسنا رأيه يتألق لبدء الفرر فتفاوضنا
فى همة السلطان وغزاوانه وعزمته وفتكاته ومعجبات كراماته ومعجزات
مكرماته فارتجل الاجل الفاضل بديهيته فى صفة سيوفه مقطوعا علقت بحفظى
من أبياته بعض (١) قطوئه وهى :

(١) كذا وهى ساطة فى الأصل .

ماضيات على الدوام دوام هن فى النصر نجدة الاسلام
 فى يمين السلطان ان جردتها أشبهتها صواعق فى غمام
 تنثر الهام كالخروف فما أشبه هذى السيوف بالاسلام (٢)
 فى محارب حربه البيض صلت وركوع الظبى سجود الهمام

ودعا للسلطان فقال : أدام الله استعباده الاحرار وتحريره العبيد وتبعيده
 من التوب القريب وتقريبه من الامل البعيد . ووصف بحالى انوار سعادته
 اثمار ارادته وقال : طلب موعها فما موعها ومن التحنيس قوله : فيم وقوفنا
 على قوم وقوفنا .

ومنه : لولا كرك بالكرك لما عدمت شوبك بالشوبك
 وانشأ مرتجلا :

أحرق دى كبدى فى خذه الخمر الندى

قال : نكت من مكاتباته . فمنها :

أبا الاسكندر الملك افتديتم فما تضعون فى أرض وبادا (٣)
 وان من النصرات الى مجسر الفرات الى فريق مستزادا

والله يصون الحضرة العالية عن عدواء السكر ورعشائه ويحملها على سهل
 الطريق ومثابه ويمتع بأقوالها التى شفع الناس نيلها وأقوالهم ترهب ذهاب
 غيابه .

قال : ووصف كتب اليه ووقف منها على البلاغة المسرودة الموصوفة
 والجواهر الثمينة المكنونة والثمرات التى اجتنتيتها من شجرة البلاغة الطيبة
 وفى الناس من يجتنى ليجنيها من الشجرة المعونة .

(٢) الاضافة من الروضتين ج ٢ ص ١٢١ .

(٣) هذا البيت يسبقه بيت ناقص والشرط الموجود : وقد أبعدنا فى
 البلاد .

فصل من أخرى : وقفت منه خاطرى الحيران على ما هداه لقصده

وقلبى الظمان على ما جمع بينه وبين ورده ويسرت حلل الانس ورقعت ولولا
القلق لقلت له ورياض القدس وأشرفت على أيام الاعياد وليالى المرس
فلاعدمت ذلك الفضل الواسع والخلق البارع والاطناب (٢٤١) / والمعنى
النافع واللفظ النافع والمعنى الواقع والسرو الطالع والحديث الذى بث فى
الارواح شعاع الروح والعلم الذى يذبح الطروس بوثنى الوشايح والتوائى
التى الى غصون غصون السطور بمنزلة الحمام السواجع وقد علم اننى
ارتاح الى هذه الحلى وأحل لها عقدة الحبى واهتز لقطرها كما يهتز لحب
القطر الربى واننى أقرأها معاودا ثم لا أقتضى منها اربا وقد تهادت الفرقة
والشوق متماد وهلم خاطرى ومنه :

فى كل واد الا وادى السـ	ليس له بواد ولا هو له بـ
أما فى صروف الدهر أن يرجع النوى	بهم ويدل القرب فيهم على البعد
بلى فى صروف الدهر كل الذى	أرى ولكنما اغفلن حظى على عمد

وأما الاخبار الطيبة بتلك السيافة المستعذبة فقد أوردتها بلسان الاحسان
وأحسن فيها العبارة عن الزمان وهو ترجمان الزمان وهو المعيد لبناؤه
للملئ الملوان ولقد جئت أن ذلك البيان مما زين للناس من الشـهوات
ومما حظر عليهم من حوادث النشوات بل هو من نعيم الجنة الذى كلما نفذ
جدد ومن ثمراتها الذى كلما أريد ردد لاعدمت الدولة الناصرة من ثلثة ناصرا
ومن رأيه ناظرا ومن فكره جيشا لجيش الاعداء كاسرا .

ومن أخرى اقلام المجلس السامى اذا صفها صوب فكره اطفأت
كل نار واذا انجدها جد عزمه أخذت كل ثار وأدام الله أسفار وجوه كتبـه
ورسله وسأذكر ما حضرته من قوله الحسن والاحسان والروح والريحان
وثبوت ذهنه على أن الطبع شجاع والفكر صاع وقلمه فى كرسى مملكة يده
نافذ الامر مطاع ، قال : وقد سبق ذكر أخى تاج الدين رسولاً من الديوان
العزیز فى هذه السنة بتذكرة غلظ فيها القول واحفظ منها الصول وأنت الى
العلم الكريم الفاضلى فوصل منه جواب .

فصل : وقفت على ما أشار اليه من حديث التاج أبقاه الله وتأويل
التذكرة وما جدده تأملها من مغايظ وضبايط وما أشار اليه الحاضرون وما نظر
فيه الناظرون واستنجاهه برأى واستمداده بكتابى وانتظاره لما يسفر عنه

من السلطان عن بصره جوابى وقد علم سيدنا اننى املت الاقلام فيما كتبتہ واخفيتہا فيما ادررتہ وحررت المشورة فى دمج هذه القضية وسير هذه الحلية والامساك اما على معنى التخصص أو معنى التربص فرب صبر استقل بحمود العاقبة ورب مكروه الفاتحة ادى الى محمود الخاتمة . وأصل هذه التذكرة مبنى على جواب الباطن والتعاطى الظاهر ومن كان صلاحه التوقى فتساعده عليه ومن كان رضاه القول فنرشده (١) اليه وقد كتبت الان بما اتسع لى أن أكتبه وسألت أن يدفع هذا الفيظ فما جاء ما أوجبہ وأنا واثق من حسن النية أن المولى التاج ابقاه الله يخرج من هذه القضية سالما غائما لا راغما غارما فان حريته وفضل سجيته يجردانه من الذنب ولا يجعلان لقلبه بهذا الامر شغلا فما رأيت قط الثأر العثار الا حيث لا يستقيم اليه ولا يخلص الطوية .

جواب مكاتبة اخرى :

وقفت على كتاب كريم يتضمن من احوال المولى تاج الدين الا من جهتين من جهة المودة ومن جهة أطراح ما يردد فى حتى من المهودة وبالله أقسم لقد بذلت المجهود وما من شرط بذله بلوغ المقصود ووددت لو اطلع على الكتب التى كتبتها فان فيها عذرا ونصحا يقتضيان قبولا ونجحا وقد جددت فى هذا الوقت الذى كسفت فيه وجه النصيحة وأوردت فيها قضية الراى الصحيحة وأرجو أن يسرد على أصغار ولا يرد على ما ورد عليه ما قبل من الغاء ومن فقرة الاسدين فلا بأس فنزل الأنس الدين . أخرى هو مفض على كل مقضب ومجد على كل مجذب يستقل بكل مضلع ويكشف كل معضل وقد علم قاصده انه مفض منه الى مفضل .

قال : وقال استلامت البلاغة بزرد أحرفه فقلت واستنتت المعانى فى طرق طرفه . قال وفى التعزية لشهيد وليس من السنة أن يرتع فى رياض الرضا ونحن نسخط ونسرح فى جنان الجنان ونحن فى الاسى نتورط فان الله لا حكم على علمه ولا علم لنا بحكمه . وله والحر اصبر قلبا والعبد اصبر جسما . وله : كتابى يملى على القلم ويكاد يستمد من الدم . وله : وصمته بما استوى فيه نطقه وصمته ألفت منه ود اللام للالف والواو للحلف ،

(٤) كذا وهى ساقطة فى الاصل .

(٢٤٢) / وله فى التوسط بين الاصدقاء :

ما ادخل بينكم الا كدخول المروء فى الاجفان بيد لها ما ذهب من النور
والغمض وكالنسيم بين الاغصان معطف بعضها على بعض وله : لجئت لواهج
التصغير برويد والضرب بزيد .

ومن دعائه للسلطان : جعل الله الارض التى يملكها مبقلة والارض
التى يطأها مبقلة والارض التى يجر عسكره اليها مثقلة والارض التى يلاقى
عدوه بها مقتله .

استفدته من محاضرة السلطان صلاح الدين

قال كان يعدل فى البذل فقال : احسن ما سمعته فى حب العدل للفقير
زين الدين بن الحكيم .

من ذم عاذله فأتى شساكر للمعدل

ماضهم اغراؤهم بالعدل ان لم اقبل

آمنت الملام عليهم وحلاوة التذكار لى

لهم القلب من ذكر الاحبة ممثلى

وكان نقادا للشعر جيد الفكر ولكنه يلوم اهله على اظهار النظم ويقولون
يتعرضون للذم . وجرى عنده يوما حديث وحيش (١) الشاعر من اهل عصرنا
فقال : استحسنيت أبياته فى التاضى كمال الدين الشهرزورى وقد مطله :

سنة تمر وتقلوها سنة	شهر يكر ويمده شهر
والمدح منى غير مقتصر	ونداك لاقل ولا كثر
واروح بالاحسان مشتملا	حتى كان عطيتى كفر

واستحسن لحسان الكلبى من اهل عصرنا فى وصف دمشق :

لشام شامة وجنة الدنيا	كما ان انسان مقلتها الفضيضة جلق
من روضها لك جنة ما تنقص	ومن الشفيق جهنم ما تحرق

(١) هو أبو الوحش سبع بن خلف بن أحمد بن زيد ذكره المعبراد فى
الخريدة ، انظر شعراء الشام ١ - ٢٤٢ - ٢٤٦ .

تريب الخطو يحسب لو رآنى واست مقيدا لى بقيد

وأنشده عنده :

كان بزاته أمراء جيش على اكتافهم صدا الدروع

واستحسن الفاضل قول الشاعر فى معنى اقتضاء الوقت :

شر من عاش مالـه فاذا حاسبه الله سره الاعدام

وجرى بالمجلس الكريم الفاضلى ذكر حب الصغير وأن القلب الضيق

ربما ضاق عنه فارتجل فى الحال هذه الابيات :

طفـل كناه القلب دارا له	كأنما القلب له قالب
ويوسف الحسن وقلبى له	سجن وما تم له صاحب
أصبح والقلب لبساس	له لا قاصر عنه ولا صاحب
وهو كفىنى وهو اتسانها	وهى له من الخسارج حاجب
ضاق به ضيق عنـساقى له	فلم يسع ما قاله العـسايب

تم الجزء الأول من كتاب سنا البرق التامى

ويتلوه فى الثانى

ودخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة (١) . . .

(١) وهنا تنتهى المخطوطة ولم يستكمل البندارى اختصاره للجزء الثانى .

الفصل الثالث

الفهارس

محتويات المخطوط

صفحة

- مقدمة البندارى للمخطوط ١
- ذكر الوصول الى الشام فى شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمائة ١٦
- ذكر سبب وصولى الى دمشق ١٧
- فصل ١٩
- ذكر دخولى فى خدمة نور الدين ٢٢
- ذكر أسد الدين والانعام عليه بخص ٢٤
- ذكر توجه فخر الدين شمس الدولة تورانشاه من مصر الى بلاد اليمن مستهل رجب سنة سبع وستين ٢٤
- ذكر تفويض شحنة دمشق الى القاضي كمال الدين الشهرزوى رحمه الله ٢٨
- ذكر وفاة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر رحمه الله بقلعة دمشق ٣١
- ذكر تيسير فتح قلعة جعبر ٣٨
- ذكر مسير الفرنج الى مصر ٣٩
- ذكر ما اعتمده أسد الدين عند وصوله الى مصر وكان وصوله اليها فى سابع عشر ربيع الآخر ٤٠
- ذكر وفاة أسد الدين يوم الاحد الثانى والعشرين من جمادى الآخرة وولاية صلاح الدين فى الخامس والعشرين منها . . . ٤٢
- ذكر الزلزال التى عمت بلاد الشام ٤٧
- ذكر توجه نور الدين الى الموصل بعد وفاة أخيه تطلب الدين . . . ٤٩
- ذكر الشيخ عمر الملاء ٥٢

صفحة

- ذكر وفاة الامام المستنجد بالله وولاية الامام المستنضئ أبي
محمد الحسن ووصول رساله اليها ٥٣
- ذكر صديق له ببغداد يقال له علم الدين على بن اسماعيل الزكائدار ٥٥
- ذكر وصول عماد الدين صندل رسولا من دار الخلافة بالخلع
والتشریفات لنور الدين وصلاح الدين ٦٠
- ذكر تفويض اشراف ديوانه الى ٦٣
- ذكر ما سیره صلاح الدين من مصر من الاموال ٦٤
- ذكر خروج الملك الناصر صلاح الدين ونزوله على الكرك والشويك ٦٥
- ذكر بعض المتجددات بالشام ٦٦
- ذكر وفاة نجم الدين أيوب والد السلطان بالشام ٦٨
- ذكر مسير الموفق خالد القيسراني الى مصر ٦٨
- ذكر الوصول الى حلب والتوجه منها الى بلد الروم وفتح قلعتي
مرعش وبهنسى ٧٠
- ذكر عود القاضي كمال الدين الشهرزوي الى بغداد ٧٢
- ذكر مسير الملك الصالح من دمشق الى حلب بتاريخ يوم الخميس
الثالث والعشرين من ذي الحجة ٧٤
- نوبة الكز ونفاته ونوبة اسطول صقلية ٨٠
- ذكر توجه صلاح الدين الى دمشق وتملكه ٨١
- فصل ٨١
- ذكر رحيل السلطان الى حمص مستهل جمادى الاولى ٨٣
- ذكر الوقعة الاولى مع المواصلة والحلبين ٨٦
- ذكر وصول رسل دار الخلافة ٨٨
- ذكر ما أسفر عنه حالي ومال مالى ٨٩
- ووذلت سنة احدى وسبعين ٩٠
- ذكر السبب في ذلك ٩١
- ذكر الوقعة مع المواصلة والحلبين يوم الخميس عاشر شوال ٩٤

صفحة

- ٩٧ — ذكر وصول شمس الدولة تورانشاه أخى السلطان من اليمن
ودخوله الى دمشق فى سابع شوال
- ٩٩ — ذكر النزول على عزاز فى ثالث ذى القعدة
- ١٠٠ — ذكر تفر الحشيشية على السلطان ليلة الاحد حادى عشر
ذى القعدة
- ١٠١ — ذكر مكرمة فاضلية
- ١٠٢ — ذكر فتح عزاز يوم الاثنين حادى عشر ذى الحجة
- ١٠٢ — ذكر خلاص رجل مسلم من نكبة عظيمة بشفاة كريمة
- ١٠٣ — ذكر النزول على حلب منتصف ذى الحجة
- ١٠٥ — ذكر الرحيل من حلب
- ١٠٦ — ذكر كسرة على الفرنج
- ذكر وفاة القاضى كمال الدين فى سادس المحرم وما آل اليه
- ١٠٧ — امر القضاء
- ١١٠ — ذكر وفاة شمس الدين أبى المضاء الوزير
- ذكر مؤيد الدولة أبى الحرث اسامة بن مرشد بن على بن منقذ
وعوده الى الشام عند علمه بوصول السلطان
- ١١٢ — ذكر تفويض القضاء الى ابن أبى عصرون
- ذكر وصلة السلطان للخاتون العصمية بنت الامير معين الدين
فى آخر صفر
- ١١٤ — ذكر الخروج من دمشق بكرة يوم الجمعة رابع شهر ربيع الاول
- ١١٦ — ذكر انهودج من انعامه على بمصر
- ١١٧ — ذكر القاضى ضياء الدين القاسم بن يحيى بن عبدالله الشهرزورى
- ١١٩ — ذكر بناء السور على القاهرة ومصر
- ١٢١ — ذكر اللسان الصنوفى
- ١٢٢ — ذكر وصول الرسل ووقوع بعضهم فى الأسر
- ١٢٤ — ذكر خروج السلطان الى مرج الفاقوس فى ذى الحجة من السنة
- ١٢٥ — وبطلت سنة ثلاث وسبعين

صفحة

- ذكر علم الدين الششتانى ١٢٦
- ذكر بروز السلطان بقصد الغزاة الى غزة وعسقلان ونوبة الرملة ١٢٧
- ذكر ما تجدد فى هذه السنة بالشام ١٣٤
- ذكر نزول الفرنج على حماة يوم الاحد العشرين من جمادى الاولى ورحيلهم عنها بعد اربعة ايام ١٣٥
- ذكر الخروج من القاهرة والتوجه الى بلاد الشام ١٣٧
- ذكر استشهاد عضد الدين وزير الخليفة فى العشر الاولى من ذى القعدة فى هذه السنة ١٤٥
- ذكر مكرمة ههنا ١٤٦
- ذكر عز الدين أقبـورى ١٤٧
- فصل ١٤٨
- ذكر الأمير شمس الدين بن المقدم ١٤٨
- ودخلت سنة أربع وسبعين ١٤٩
- فصل آخر فى حق نقل القضاء ١٥١
- فصل آخر من كتاب فى معنى أخيه شمس الدولة ١٥١
- فصل فى ذم ماء دمشق ١٥١
- فصل آخر فى معنى ازالة المنكرات ١٥٢
- ذكر ما أسقطه السلطان من المكوس بمسكة شرفها الله ١٥٣
- ذكر الحوادث فى هذه السنة ونحن بحمص ١٥٤
- ذكر الظفر بخيل ورجل للفرنـج أغارت على بلد حماه فى العشر الاولى من شهر ربيع الأول ١٥٥
- ذكر مكرمة للسلطان ١٥٧
- ذكر المقياس بمصر ١٥٨
- ذكر حديث بيت الأحزان ١٥٨
- ذكر وصول رسول دار الخلافة ١٥٩
- ذكر نوبة هنترى ومقتله فى أواخر هذه السنة ١٦٠
- ذكر مسير شمس الدولة الى مصر ١٦١
- ودخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة ١٦٤
- ذكر وثيقة مـرج عيسون ١٦٤

صفحة

- ذكر منقبة لعز الدين فرخشاہ ١٦٧
- ذكر غيبة تنقى الدين عن هذه النبوة ١٦٧
- ذكر النزول على حصن بين الاحزان وتيسير فتحه فى اقرب زمان ١٦٨
- ذكر وفاة الامام المستضى وخلافة الامام الناصر رضى الله عنهما ١٧٣
- توجه السلطان الى بلد الروم وولد الأرمن . وفتح حصن الماتوية ١٧٧
- ذكر وفاة شمس الدولة أخى السلطان فى هذه السنة . . ١٧٨
- ذكر وصول الرسل من الديوان العزيز ١٨٠
- ذكر الرحيل الى مصر يوم الاثنين ثامن عشر رجب والوصول الى القاهرة ثالث شعبان ١٨١
- ذكر وفاة صاحب حلب الملك الصالح رحمه الله ١٨٥
- ذكر آفة ضيافة ١٨٩
- ذكر السبب فى القبض عليه ١٩٠
- ذكر عاطفة مستغفرية ١٩٢
- ذكر سهوة تطير ١٩٣
- ذكر بطشة فرنجية وقعت الى البحر ١٩٤
- ذكر ما تم بنهضة عز الدين فرخشاہ ١٩٥
- ذكر نهوض السلطان الى طبرية وبيسان ١٩٧
- ذكر مكرمة للملك عز الدين فرخشاہ ١٩٩
- ذكر مكرمة مشتركة ٢٠٠
- ذكر العزم على قصد حلب وعبور الفرات ٢٠٠
- ذكر وصول رسل دار الخلافة ٢٠٤
- ذكر الرحيل الى سنجار وفتحها ٢٠٧
- ذكر وفاة الملك المنصور معز الدين فرخشاہ بدمشق فى جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين ٢١٠
- ذكر نصره الاسطول المتوجه الى بحر قلزم وكانت فى شوال سنة ثمان وسبعين والمقدم فيه الحاجب حسام الدين لؤلؤ . ٢١٢
- ذكر تولية الامير شمس الدين بن المقدم بعد الملك معز الدين فرخشاہ ٢١٣
- ذكر مكرمة لمظفر الدين كوكبورى ٢١٤

صفحة

- ذكر السبب في ذلك ٢١٦
- ذكر المسير الى آمد وفتحها وكان النزول عليها يوم الاربعاء
صايع عشر ذي الحجة وفتحها يوم الاحد ٢١٨
- ودخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة ٢١٨
- ذكر تسليم مدينة آمد الى نور الدين محمد قرا ارسلان ٢٢٠
- ذكر القوام أحمد بن سهاقة وزير نور الدين محمد بن قرا ارسلان ٢٢١
- ذكر الرحيل عن آمد والتوجه الى الفرات لقصد حلب والولايات ٢٢٢
- ذكر القفول وعبور الفرات وفتح تل خالد ٢٢٣
- فصل من الانشاء الفاضلى فى المعنى ٢٢٣
- المنزلة الاولى ٢٢٤
- المنزلة الثانية ٢٢٤
- ذكر عبرة ٢٢٧
- ذكر القلاع وما ترتب من وجوه الاصطناع ٢٢٧
- ذكر بشاير بوقعات نصر فيها الاسلام ٢٢٨
- ذكر العودة الى الكرك واستدعاء الملك العادل من مصر لتولى
حلب واستنابة الملك المظفر تقي الدين فى مصر وشرح
السبب فى ذلك ٢٣٣
- ذكر الرحيل الى الشام ٢٣٥
- ذكر وصول شيخ الشيوخ وشهاب الدين بشير فى الرسالة
الشريفة الامامية ووصول محبى الدين الشهرزورى معها
رسولا من الموصل ٢٣٥
- ذكر السبب المقتضى لهذه الرسالة فى هذه السنة ٢٣٦
- ذكر كثف الحال ٢٣٧
- ودخلت سنة ثمانين ٢٤٠
- ذكر القفول من الشام واجتماع الفرنج فى الموضع المعروف
بالواله ٢٤٣
- ذكر الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ووصوله مع
عنه الى دمشق وعوده الى مصر فى منتصف شعبان ٢٤٥
- ذكر الشيخ العالم زين الدين أبى الحسن على بن نجا الواعظ
المقيم بمصر ٢٤٦

صفحة

- ذكر صاحب اربل الأمير زين الدين أبى سعيد يوسف نياالتكين
على بن بكتكين وانتمائه الى الخدمة ٢٤٩
- ذكر صاحب ماردین قطب الدين ايلغازى بن تهرتاش بن ايلغازى
ابن ارتق وفاته فى هذه السنة ٢٥٠
- ذكر ما اعتمده السلطان فى باقى هذه السنة ٢٥٢
- ودخلت سنة احدى وثمانين ٢٥٣
- ذكر الامير مظفر الدين كوكبورى صاحب حران ٢٥٤
- ذكر الرحيل من حران وما جرى بعده ٢٥٦
- ذكر ما رآه السلطان من ترك القتال ٢٥٩
- ذكر شرح ذلك ٢٥٩
- ذكر رحيلنا الى ديار بكر ٢٦١
- ذكر وصول صاحب آمد ونحن على ميافارقتين فى جمادى الاولى
ذكر النزول على شاطيء قرامان ومراسلة بهلوان ٢٦٤
- ذكر وصول عماد الدين صندل فى الوساطة وما عرض من مرض
السلطان ٢٦٧
- ذكر شيمة السلطان فى مرضه ٢٦٨
- ذكر الملك العادل سيف الدين ووصوله الى حران ٢٦٩
- ذكر نوع من المكارم السلطانية ٢٧٠
- ذكرى حكاية أخرى ٢٧٠
- ذكر الصدقة فى المرض ٢٧١
- ذكر من توفى فى هذه السنة من اكابر الدولة ٢٧٢
- ذكر العزم على الرحيل من حران ٢٧٤
- ذكر وصولنا الى حمص وتقرير أسد الدين أبى الحرث شيركوه
ابن محمد بن شيركوه مكان أبيه ٢٧٧
- ذكر ما أستأنفه السلطان من نقل الولايات ٢٧٨
- ذكر تسليم حلب الى الظاهر ٢٧٩
- ذكر مكرمة لتقى الدين ٢٨٢
- ذكر ظهور كذب المنجمين فى شعبان هذه السنة ٢٨٣
- ذكر الحوادث فى هذه السنة ٢٨٣
- ذكر جمال الدين محاسن بن محمد المعروف بابن العجمى ووصوله
الى الخدمة السلطانية ٢٨٤

صفحة	
٢٨٦	— ذكر ما أنعم به في شهر رمضان من هذه السنة
٢٨٨	— ذكر ما تجدد من الخلف بين الفرنج
٢٨٩	— ذكر غدر أبرنس الكرك
٢٩١	— ودخلت سنة ثلاث وثمانين
٢٩١	— ذكر مقدمة لذلك مباركة
٢٩٢	— ذكر سبب ذلك
٢٩٥	— ذكر يوم حطين وهو السبت الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر
٢٩٩	— ذكر السبب في نذر السلطان دم أبرنس الكرك
٣٠٤	— ذكر فتح تبين وصيدا وبيروت وجبيل
٣٠٦	— ذكر ما تجدد في صور من خروج القومص منها ووصول المركيز اليها
	— ذكر فتح عسقلان والنزول عليها والاجتماع بالملك العادل
٣٠٧	والاتفاق على فتحها
٣٠٩	— ذكر فتح بيت المقدس
٣١٣	— ذكر وصولي الى خدمة السلطان
٣١٣	— ذكر جلوس السلطان يوم الفتح للهنا بالمخيم على ظاهر القدس
	وخطبة الجمعة
٣١٦	— ذكر ما شرع فيه الفرنج من اداء التطيعة
	— ذكر الرحيل عن القدس على عدم حصار صور وهو يوم الجمعة
	الخامس والعشرين من شعبان
٣١٧	— ذكر الرحيل عن صور وبيان السبب فيه وذلك في آخر شوال
٣١٧	— ذكر دخول السلطان الى عكا
٣٢٤	— ذكر حسن خلق السلطان
٣٢٤	— ذكر المرسل الواردين في هذا التاريخ
٣٢٥	— ذكر نبذة من احواله
٣٢٩	— ذكر السبب في ذلك
٣٣٤	— استفدته من محاضرة السلطان صلاح الدين

فهرس الأعلام

(١)

ابن جبيش القاضى أمين الدين ٢٣٠
 ابن حمدون ١١١
 ابن حنبل ١٣٩ ، ١٥٠
 ابن حيوس ١٥
 ابن الخشاب مقدم الشيعة ٧٤
 ابن الخلال ٥٨ ، ١٤٧
 ابن الخياط ٣٩
 ابن سـمـاـقـة (الوزير) ٢٢١ ،
 ٢٤٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣
 ابن الصورى (الطبيب) ٢٥٢
 ابن عبد القوى الدامى ٢٩
 ابن عبد المؤمن ٧٦ ، ٧٧
 ابن عبيد الفقيه ٦٣
 ابن عسروف شرف الدين ٥٢ ،
 ٥٤ ، ٦٠ ، ١٠٨ ، ١٠٤ ، ١٥١
 ابن عسرون شهاب الدين ٦٢ ،
 ١١٢
 آل عـقـيـل ٣٨
 ابن غفراس اختيار الدين ١٧٦
 ابن قرجلة ٣٩
 ابن القومصية (هو) ١٦٦ ، ١٧٥
 ابن كوخات الامير ٤٠
 ابن لاون مليح ٧١ ، ١٧٧
 ابن المتقدم (شمس الدين) ٣١ ،
 ٨١ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
 ١٦٧ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٣٢٩ ،
 ٣٣٠
 ابن المطران ٢٥٢
 ابن منقذ ٨٥ ، ١١١٠ ، ١٥٧

أبو الرداد عبد الله ١٥٨
 أبو الفرج بن يوسف بن هبة الله
 ابن يسام الجبيلي ٢٦٤
 أبو الفتح سعادة الضرير ١٧١
 أبو القاسم شيخ الشيوخ ١٧٤ ،
 ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
 ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٨٤
 أبو جعفر صاحب الخزن ٥٣
 أبو حامد الغزالي ١٨٣
 أبو صالح بن العجمي ٢٣ ، ٣١ ،
 ٣٣ ، ٣٦ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٨٦ ،
 ١٣٤ ، ١٣٥
 أبو طاهر بن عوف ١٨٨
 أبو طاهر أحمد بن محمد بن السلفى
 الاصفهاني ١٢٠
 أبو العباس السفاح ١٤٧
 أبو على الحسين بن رواحه ١٨٩
 أبو مسلم ١٨٧
 أبو الهيجاء السمين ٢٤ ، ٧٧ ،
 ٨٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩
 أبو يعلى موفى الدين حسن العنزى
 ١٨٩
 ابن البلدى شرف الدين ٥٠ ، ٥٣
 ابن بارزان (باليان) ١٦٥ ، ١٦٦ ،
 ١٧٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠
 ابن جوسلين ١٩
 ابن حسان ٢٣ ، ٤٠

بنو قفجان ٢٦٧

بنو كلب ٢٨

بنو المسيب ٢٨

بنو منقذ ١١٠

بنو هاشم ١٥١

بنو يعقوب ٢٠٩

بهاء الدين قراقوش ٥٨ ، ٥٩ ،

١١٦ ، ١١٩ ، ١٥١ ، ١٨٩ ،

١٩٠ ، ٩١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،

٢٨٣

(ت)

تاج الدين أبو بكر بن حامد ٥٤ ،

٣٢٤ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ،

تاج الدين أبو اليمن الكندي ٢١١ ،

٢١٢

تاج الدين بوري ١٩٥ ، ٢٠٤ ،

٢٠٥ ، ٢١٧ ،

تاج الدين تتش ٢٣١

تقي الدين عمر ٥٨ ، ٨٦ ، ٩٣ ،

١١٤ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٦٣ ،

١٦٧ ، ١٨٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ،

٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ،

٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ،

٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،

٢٨٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ،

٣١٨ ، ٣٢٢ ،

تورانشاه (الملك المعظم) ٢٤ ،

٢٥ ، ٣٠ ، ٤٤ ، ٦٧ ، ٩٧ ،

١٠٦ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٤٩ ،

١٥١ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ،

١٧٩

ابن النحال (كاتب الملك المادل)

٢٧٥

ابن النقاش ١٥٤

ابن نيسان على الرئيس ٢١٤ .

٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ،

ابن هبيرة ٢٢ ، ٥٠ ، ١٤٦ ،

ابرنس الكرك (أرناط) ١٩ ، ٩٤ ،

١٨٥ ، ١٨٨ ، ٢١٢ ، ٢٨٩ ،

٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ،

٣١٢

الابرنساسة صاحبة الكرك ٣١٢

أحمد بن تقي الدين عمر ١٣٠

الاخسيكي الشاعر ٣٢٧

أقطان بن ياروق ١٥٦

آل صمة ١٤٧

(ب)

بدر الدين ابراهيم الهكاري ٢٧٧

بدر الدين حسن ٢٣٧

بدر الدين دلدريم الياروقي ١٦٧ ،

٢٢٧ ، ٢٩٢ ، ٣٢٣ ،

بدر الدين عسكر (شيخ الحنفية)

٢٨٨

بدران الفارسي ٣١٩

برهان الدين مسعود ٢٨٧

البطرك الاعظم ٣٠٩ ، ٣١٦ ،

البنداري (الفتاح بن علي) ١ ، ٤ ،

٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣٣ ،

١٣٨ ، ١٤١ ، ٢٥١ ، ٢٧٣ ،

٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٣٠٧ ، ٣٣٥ ،

بنو امية ١٥١

بنو خفاجة ٥٠

(خ)

الخاتون العصمية ابنة معين الدين أنر
١١٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ،
٢٧٥

الخاتون زوجة قطب الدين ابنسة
قرا ارسلان ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
٢٦٤

خالد القيسراني (الموفق) ٦١ ،
٦٨ ، ٦٩ ، ٧٦

خمارتكين (محمد بن) ٢٢٣

(د)

داود (أبو) ١٥٠

داود القاضي ١١٣

داود بن منكلا ١٠٠

دريد الشاعر ١٤٧

دوا صاحب حبل ٢٩٦

الداوية ١٣١ ، ١٦٨ ، ٢٨٨ ،

٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ،

٣٠٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٤

دولتشاه صاحب أرزن ٢٦٠

دوك الروم ١٩

(ر)

الرشيد ٢٤٩

ريمند الصنجيلي (قومص طرابلس)

١٩ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،

٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ،

٣٠٦

(ج)

جاولى الاسدي ١٠٠ ، ١٦٩ ،
٢٧٣ ، ٣٢٢

جفري ٢٩٦

جمال الدين أبو الفتح اسماعيل
٣٢٨

جمال الدين بن أبي النجيب ٣٢٤

جمال الدين خوشترين ٢٠٣

جمال الدين شروين بن حسن

الرزازي ٣١٠

جمال الدين عيسى ٢١٥

جمال الدين محاسن بن العجمي

٢٨٤ ، ٢٨٥

جلدك ٩٧

جوسلين ٩٤

جى دى لوزنيان (الملك) ٢٩٦ ،

٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،

٣٠٩

(ح)

حسام الدين بن ابراهيم الحسين

المهراني ٣٠٨

حسام الدين تميرك ٩٢

حسام الدين طمان ٢٢٥ ، ٢٤٥

حسام الدين عمر بن لاجين ٢٩٢ ،

٣٠٢ ، ٣٠٣

حسام الدين لؤلؤ (الحاجب) ٢١٢ ،

٢١٣ ، ٣٠٩

حسان الكلي ٣٣٤

الحشيشية ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٠

حطان ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٧

(ش)

شاور ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٥
 شاه أرمن ٤٦ ، ٢١٦ ، ٢٥١ ، ٢٦٤ ، ٢٦١
 شمس الدين بن الفرائش (قاضي
 العسكر) ٣١ ، ١٢٨ ، ١٨٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧
 شمس الدين بن أبي المضاء ١٠٤ ، ١١٠

شمس الدين جاولى ٨١
 شمس الدين على ٣٧ ، ٧٤
 شمس الدين على بن بكريسان ٣٢٤
 شمس الدين ايلدكز ٣٢٥ ، ٣٢٨
 شهاب الدين بن تكش ٨٦ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٣٧
 شهاب الدين بشير ٧٣ ، ١٨١ ، ٢٠٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤
 شهاب الدين محمود بن الياس
 الارتي ٢٤ ، ٤٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٨٩ ، ٢٠٢
 شهاب الدين مالك ٣٧ ، ٣٨
 شيركوه (أسد الدين) ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٦٤ ، ٢٧٧

(ص)

صارم الدين خطلح ٢٠٠
 صارم الدين قايمارز ٢٩ ، ٢٩٨ ، ٣٢٣
 الصفي القبايض ١٤٦ ، ١٧٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦

(ز)

زكريا عليه السلام ٢٤٤ ، ٣٠٣
 زكى بن آقسنقر ٣٨
 زين الدين بن الحكيم ٣٣٤
 زين الدين بن نجا الفقيه ٢٩ ، ٨٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٣١٥
 زين الدين على كوجك ٢٥٧ ، ٢٥٨
 زين الدين يوسف بن بكتكين ٢٣٧ ، ٢٤٩

(س)

سابق الدين عثمان ٧٣
 سعد الدين أبو حامد ١٠٥ ، ١٢٢
 سعد الدين بن مسعود بن أنر ١١٣ ، ٢٠٩ ، ٢٧٢
 سعد الدين كمشتكين ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٢ ، ٦٩ ، ٨٦ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٣٤
 سليمان الداراني ٤٦
 سليمان الديري ١٥٦
 سنقر الحلبي ٣٠٧
 سويد بن غشم المصري ١٣١
 سيف الدين أبو بكر بن السلار ١٠٦
 سيف الدين بكتمر ٢١٦ ، ٢٦١
 سيف الدين جاولى ٣٢٢
 سيف الدين على بن أحمد المشطوب ١٦٣ ، ١٦٧ ، ٢٥٨ ، ٣١٧
 سيف الاسلام طفتكين ٨٣ ، ٨٤ ، ١٣٧ ، ١٩١ ، ٢٨٤٤
 سيف الدين غازي ٣٦ ، ٥١ ، ٧٥ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٨٣
 سيف الدين يازكوج ١٠٠ ، ٢٢٨

٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢١
 ٢٣١ ، ٢٣٠ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧
 ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٣
 ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩
 ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٣
 ٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٠
 ٢٥٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٤
 ٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨
 ٢٦٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٢
 ٢٧٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦٦
 ٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٢ ، ٢٧١
 ٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٦
 ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨١ ، ٢٨٠
 ٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥
 ٢٩٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٢٨٩
 ٢٩٧ ، ٢٩٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٣
 ٣٠١ ، ٣٠٠ ، ٢٩٩ ، ٢٩٨
 ٣٠٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٣ ، ٣٠٢
 ٣١٠ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨ ، ٣٠٧
 ٣١٥ ، ٣١٤ ، ٣١٣ ، ٣١٢
 ٣٢٠ ، ٣١٨ ، ٣١٧ ، ٣١٦
 ٣٢٤ ، ٣٢٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢١
 ٣٣١ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٣٢٥
 ٣٣٤ ، ٣٣٢

الصفدي ٨٠٥ ، ٤

صمصام الدين أباك ١٦٤

صمصام الدين بهرام الارتقي ٢٠٩

(ض)

ضياء الدين أبو بكر البغدادي ١٢

١٢٣

ضياء الدين الحاجب ٦٤

الملك الصالح اسماعيل ٣٠ ، ٣١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ٩٥ ، ٨٦ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٨٥

صلاح الدين الملك الناصر يوسف بن

أيوب ١ ، ٢ ، ٣ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٤٨ ، ٤٤ ، ٦٧ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٨١ ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٤ ، ٦٨ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٩ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١١٩ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ١٣٢ ، ١٢٩ ، ١٢٧ ، ١٢٤ ، ١٤٠ ، ١٣٧ ، ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٤١ ، ١٥٥ ، ١٥٣ ، ١٤٩ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ٥٦ ، ١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، ١٩٧ ، ١٩٥ ، ١٩٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٩ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١٥

عبد السلام المغربي ٣١٩
عبد العزيز بن شداد بن تميم بن
باديس ٢٩٩
عبد اللطيف بن الشيخ أبي النجيب
٣٠٠

عبد النبي الخارجي ٢٢٥
عثمان شمس الدين أيلدكز ٣٢٥
عدنان النجاشي ١٤٦
عثمان الزنجيلي ١٩٢
عز الدين أقبوري ٩٢ ، ١٤٣ ،
١٤٧ ، ١٤٤
عز الدين جاوولي ٣٢٢
عز الدين جرديك ١٠ ، ٣٢٣
عز الدين الطالبي ٣٢٨

عز الدين فرخشاه ٨٦ ، ٩٢ ،
٩٦ ، ١٢٦ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ،
١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،
١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،
١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ،
١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ،
٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤

عز الدين محمد بن الوزير ابن هبيرة
٥٣

عز الدين مسعود ١٠٤ ، ١٨٣ ،
١٨٥ ، ٢٠٤ ، ٢١٦

عز الدين موسك ٨٠
الملك العادل سيف الدين أبو بكر
٨٠ ، ١١٥ ، ١٤١ ، ١٦٢ ،
١٨٢ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٢٩ ،
٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ،
٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،
٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،
٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣١٢ ، ٣١٧ ،
٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤

ضياء الدين القاسم الشـهرزوى
١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٧ ،
١١٨ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٦٠ ،
١٧٤ ، ١٨١ ، ٢٥٧
ضياء الدين مسعود بن القفجـان
٧١

الضياء الرحبي ١٢٢
الضياء الطبري ١٥٦
ضياء الدين عيسى الهكاري ٤٠ ،
١٣١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٥٥ ،
٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٣٠٠ ،
٣٠١ ، ٣١٥ ، ٣١٦

(ط)

طاشكين ٣٣٠
طغرل الجاتدار ١٧ ، ١٥٨

(ظ)

الملك الظاهر ٢٣٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ،
٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٣٢٢ ،
٣٢٤

ظهير الدين سكرمان ٢١٦
ظهير الدين بن منصور المطـار
١١٠ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٧٤
ظهير الدين غازي ٣٠٧

(ع)

عبد الله بن جعفر ١٥١
عبد الرحيم البيهقي (القاضي
الفاضل) ٢ ، ٥٨ ، ٩٠ ،
٩٣ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٥٦ ،
٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ،
٢٥٢ ، ٢٩٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥
عبد الصمد ٢٩

العويس ٢٩

(غ)

غريس الدين قلسج ٤٠

الغريضي ٣٠

غياث الدين غازي ٢٧٩

(ف)

فخر الدين بن الدهان ١٨٣ ، ٢٥٩

فخر الدين قرا ارسلان ٢١٤

فخر الدين عبد المسيح ٤٨ ، ٥٢

فخر الدين مسعود الزعفراني ٣٨ ،

٦٩ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٢٠٢

فضل الفيضي ١٣١

فيليب بن الرقيق ٤٧

(ق)

قزل ارسلان ٢٨٣ ، ٣٢٥

قطب الدين النيسابوري ٢٧ ،

٧٠ ، ٧١

قطب الدين ايلغازي بن تمرثاش

٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،

٢٦٢

قطب الدين سكرمان ٢٦٢ ، ٢٦٤

قطب الدين قايمار ٩١

قطب الدين مودود بن زنكي ٤٨

قطب الدين نيال ٩٩ ، ٢٠٢

قلج ارسلان ٧٠ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ،

٢٥١

القومصية ست طبرية ١٦٦ ،

٢٨٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨

على أبو الفوارس ١٠٠

الملك العزيز عثمان ١٢٠ ، ١٤٣ ،

١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢٤٢ ، ٢٦٨ ،

٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٣٠٨

عماد الدين الكاتب الاصفهاني

٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،

٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،

٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،

٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،

٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،

٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ،

٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،

٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،

٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،

٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،

٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،

٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،

٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،

٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،

٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،

٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،

٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،

٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ،

٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ،

٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ،

٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،

٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ،

٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ،

٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ،

٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ،

٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ،

٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ،

٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ،

٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ،

٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ،

٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ،

٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ،

٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ،

٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ،

(ك)

محمد بن يحيى ٥٢
محمود بن محمد بن ملكشاه ١٧
المركيس ٣٠٦ ، ٣٢٠
المستضىء بالله ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ،
٦٠ ، ١٧٣
المستجد ٥٣ ، ٩١ ، ٩٢
محيى الدين أبو المعالى ١١٣ ،
٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٣١٤
المظفر المعرى الاقترع ٩٦
مظفر الدين كوكبورى ٩٥ ، ٢٠١ ،
٢١٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ،
٢٧٣ ، ٢٩٢ ، ٣١٢
الملك العظيم عيسى ١ ، ١١ ، ١٣ ،
٢٧٣

الكامل بن شاور ٢٤
كلمان ٢٥
كمال الدين أبو الفضل ١٤٥
كمال الدين بن الوزير محمد بن على
ابن منصور ٧٥
كمال الدين الثماني (قاضي أرز
الروم) ٣٢٥
كمال الدين الشهرزورى ٢ ، ١٨ ،
٢٢ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٧٢ ، ١٠٧ ،
٣٣٤
الكند ١٣٥
الكنز ٨٠

(م)

مقدم الداوية ٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧
مقدم الاستبصار الاعور الكبير ٥٦
الملكة الرومية ٣١٢
معاوية ١٥١
معبد ٣٠
معز الدين سنجر شاه ٢٣٧ ، ٢٥٦
الملك المجنوم ٨٤ ، ١٦٥ ، ٢٨٨
الملكة زوجة الملك كى ٣١٢
معين الدين أنر ٢٠٩
معين الدين عبد الرحيم ١٨٦
المسعود النبدهى ١٨٤
مؤمن الخلافة ٥٨
مؤيد الدولة ٨٥
المهذب أبو الحسن ٢٥
المهذب بن أسعد الموصلى ١٧٧ ،
٢٧٤

ماجد غلام هنفرى ٩٠ ، ٢٣٢
المبارك بن منتقد ٢٥ ، ١٨٩
مجاهد الدين قايمان ٥٢ ، ٧٠ ،
١٢٤ ، ١٦٨ ، ٢٠٤ ، ٢١٧ ،
٢٨٤ ، ٢٨٥
مجاهد الدين اياز ٢٦٧
مجد الدين أبو بكر ٣٧ ، ٣٨ ،
٨٢ ، ٨٨
مجد الدين أبو الفضل (استاذ
الدار العزيزة) ١٨٦ ، ٣٠٢
مجد الدين بن رشيق ٢٦١
مجد الدين بن الزكى ١١٣
مجد الدين اليزدى ٥١
مجد العرب العامرى ١١١
محيى الدين الشهرزورى ٧٤ ، ٧٥ ،
٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ،
٨٨
محمد بن خوشبترين ١٦٦

(ن)

ناصر الدين اسماعيل ٢٢٨
الناصر أبو داود سليمان ٢٧٣

٨٤ ، ٨٩ ، ١٠٨ ، ١١١ ،
 ١٢٢ ، ١٧٥ ، ١٨٥ ، ٢٧٢ ،
 ٢٨٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ،
 نور الدين (الملك الانضـل بن
 صلاح الدين) ٢٦٩ ، ٢٧٨ ،
 ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ،
 ٣١٨ ، ٣٢٤ ،
 نور الدين قرا أرسلان ١٢٢ ،
 ١٧٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ ،
 ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ،
 ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥١ ،
 ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٢٨٤

(و)

ولى الدين اسماعيل ٣١ ، ٤٠ ،
 ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٤ ،
 وحيش الشاعر ٣٣٤

(هـ)

الهراس (الكيا) ٥٣ ،
 همام الدين مودود ٣١ ،
 هنفرى ٤٧ ، ١٦٠ ، ٢٩٦ ،
 هنفرى (ابن) ٢٣٢ ، ٣١٢

(ي)

يوزية (زين الدين) ٢٨١ ،
 يوسف عيله السلام ٢٨٦ ،
 يوسف النجيفى ٢٦٢

ناصر الدين شيركوه ٤٩ ، ٨٦ ،
 ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ،
 ١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ٢٦١ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٤

ناصر الدين منكورس ١٥٥ ،
 ناصح الدين خمارتكين ٨٣ ، ١٥٥ ،
 ينصر الدين بن المظفر ٢٠٩ ،
 نصرة الدين بن زنكى ١٠٤ ،
 نجم الدين ايوب ١٦ ، ١٨ ، ٤٦ ،
 ٦٨ ، ١٢١

نجم الدين بن الجاور ١٧٢ ،
 نجم الدين بن أبى عصرون ٢٦٣ ،
 نجم الدين بن مصال ٩٠ ، ١٥٤ ،
 ١٥٥

نجم الدين بن نبهان ١٧٢ ،
 نجم الدين الخبوشانى ١٢٠ ،
 نجم الدين نجاج ٩٢ ،
 نجم الدين الشهرزورى ٥١ ،
 نظام الدين البقشى ٥١

الناصر لدين الله (الامام) ٥٤٠ ، ١٧٣ ،
 نور الدين (الملك العادل محمود بن
 زنكى) ٢ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٠ ،
 ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ،
 ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ،
 ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ،
 ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ،
 ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
 ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
 ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ،
 ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٨٢ ،

فهرس الأماكن

(١)

البيرة ٥٦ ، ٢٠٢ ، ٢٥٣
 أم الفنانم ١٩٩
 أم حكيم ٢٨١
 الانبار ٥٠
 الاهرام ١١٨
 ايله ١٣٧ ، ١٨٢ ، ١٩٥

(ب)

الباب ٣٨
 بارين (يعرين) ٤٨ ، ٨٩
 البارعية ٢١٨
 بارخان ٢٠٧
 باتباس ١٩ ، ٣٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤
 باوشسنايا ١٧٣ ، ٣٠٤
 البركة ٨١ ، ١٣٧
 بدليس ٢٦٠ ، ٢٦١
 بزاعة ٣٨ ، ٩٧ ، ٩٨
 البصرة ١٨
 بصرى ٨١ ، ٩٥ ، ١٨٢ ، ١٩٥
 ٢٣٦ ، ٢٩١
 بطيك ٦٨ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩
 ١٠٦ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٥٧
 ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٧٣ ، ٢٠١
 ٢٣١ ، ٢٥٢
 بفسداد ١٧ ، ٣٦ ، ٥٠ ، ٥٥
 ٧٢ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٤٧ ، ١٧٤
 ١٨١ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧
 البقاع ٦٨ ، ٨٩ ، ١٠٦ ، ١٦٤
 ٢٤٠

آمد ٢٠٢ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩
 ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣٦ ، ٢٥١
 ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٦٥ ، ٢٧١
 ٢٨٤ ، ٢٩٢
 ابريم ٦٨
 ادوم ٣٨
 ادريجان ٣٢٦
 اربيل ٥٢ ، ٧١ ، ٣٧ ، ٢٤٩
 ٢٥٧ ، ٢٥٨
 الاردن ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٣١
 ارز الروم ٣٢٥
 ارزن ٢٦٠
 الاسكندرية ٢٠ ، ٢١ ، ٥٧ ، ٧٧
 ٧٨ ، ٩٠ ، ١٢٠ ، ١٢١
 ١٧٨ ، ١٨٨
 الاسماعيليات ٢٥٦ ، ٢٥٧
 اسوان ٦٨ ، ٧٧ ، ٨٠
 اصفهان ١٢٠ ، ١٧٤ ، ٢٨٣
 ٣٢٦
 افريقية ٢٠٨ ، ٢٨١ ، ٢٩٩
 اطفح ٢٠
 الاقحوانة ٢٩٣
 القاهرة ٢٠ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٧
 ٦٢ ، ٦٨ ، ١١٥ ، ١١٧
 ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٣٢
 ١٣٧ ، ١٥٠ ، ١٦٢ ، ١٨١
 ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠
 ٢١٣

(ج)

جبل ٢٩٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٢٠
الجديدة ٢١٦
جدة ١٥٤ ، ١٨١
جزيرة الذهب ١٠٨
الجزيرة ١١٥ ، ١٥٨ ، ٢٣٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٥٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩
جلق ٣٨ ، ٨٨ ، ٢٧٧
جليجور ٢٦٣ ، ٢٦٤
جنين ٢٤٤
الجزيرة ٢٠ ، ١١٥ ، ١١٨
جى ١٢٠

(ح)

حارم ٢٥ ، ٣٧ ، ٨٣ ، ١٠٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ٢٢٦
جبس جلدك ١٩٦
الحجاز ١٥٤ ، ٢١٢ ، ٢٨٩
حران ٢٣٨ ، ٥٢ ، ٧٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٤
٢١٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨
٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤
٢٧٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩
حزم ٢١٦
الحديثة ٢٢٧
حصن الاكراد ٥٦
حصن زياد ٢٥١
حصن كفا ١١١ ، ١٧٤ ، ٢٠٢
٢٠٧ ، ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥
حصن الماتوية ١٧٧

بلخ ١٢١

بلبيس ١٩ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٨١ ، ١٢٨
بلد ٥١ ، ٩٤ ، ٢٥٧
البلقاء ٢٢٣ ، ٢٨٠
البوازيح ٢٦٧
بوقبيس ٨٣ ، ٩٤ ، ١٥٥
بهنسى ٧٠ ، ٧١
بيسان ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٣١
بيت جبريل ٣٠٨
بيت الاحزان ١٢٢ ، ١٥٨ ، ١٥٩
١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٧٠
بيت لحم ٣٠٨
بيروت ٢٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٧ ، ٣٠٧
البيضاء ٤٣

(ت)

تبريز ٢٥٠
تبنين ٣٠٤
تدمر ٢٧٧
تل باشر ٣٧ ، ١٧٦ ، ٢٢٧
تل توبة ٥١ ، ٥٣
تل خالد ٢٢٣ ، ٢٢٧
تل السلطان ٩٧ ، ٢٥٣
تل الصافية ١٣٠
تكريت ١٦ ، ١٧ ، ٢٣٧ ، ٢٥٨
تهامة ١٨٠
تيماء ١٧٩ ، ١٨٧ ، ١٨٨

(ث)

ثبير ١٦٠

خراسان ٣٢٦
خرتبرت ٢٥١
الخرقانية ٤٣
خشيرشيزر ١٦٢
خلاط ٤٦ ، ٢١٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٩ ،
٢٨٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦١ ، ٢٦.

(د)

دارا ٢٠٩
الداروم ٥٧ ، ٢٢٩ ، ٣٠٨
داريا ٤٦
ديوريه ١٩٦ ، ٣٠٢
درعا ١٩٩
درعين ٣٠٢
الدشت ٢٥٠
دمشق ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ،
٢١ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٤٦ ،
٤٧ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٦ ،
٦٨ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ،
٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ،
٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ،
١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ،
١٥١ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧١ ،
١٧٣ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٥ ،
١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ،
٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٢ ،
٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ،
٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ،
٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ،
٣١٣ ، ٣٢٢ ، ٣٣٤
دمياط ٤٥ ، ٧٨ ، ١٢٠ ، ٢٢٩ ،
٢٩٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٠.

حطين ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،
حماه ٢٢ ، ٤٨ ، ٨٦ ، ٨٧ ،
٨٨ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ١٣٤ ،
١٣٧ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،
٢٠١ ، ٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٢٣٠ ،
٢٣١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٧٦ ،
٣٠٧

حطب ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ،
٤٨ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ،
٧٤ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ،
٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،
١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١٧٧ ،
١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
٢٠٦ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ،
٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٥ ، ٢٥٥ ،
٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ،
٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٣١٤ ، ٣٢٢

الحلة الزيدية ٩٢

حمص ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٩ ، ٤٨ ،
٥٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ،
٨٩ ، ١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ،
١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٣١ ، ٢٥٢ ،
٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧

حلوان (فارسي) ٣٢٦

حوران ٤٠ ، ٤٧ ، ١١٤ ، ١٤٩ ،
١٩٩ ، ٢٣١

حيفا ٣٠٢

(خ)

الخابور ٥٢ ، ٧٥ ، ٨٤ ، ٢٠١ ،
٢٠٣ ، ٢٨٤
خبوشان ١٢٠

سنجبار ٢٠٧ ، ١٨٥ ، ٥٢ ، ٥١
٢٣٩ ، ٢١٦ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨
٢٨٤ ، ٢٦٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤١
٣٢٢ ، ٢٩١
السويدا ٢١٥

(ش)

الشم ٣٥ ، ٢٦ ، ١٩ ، ١٦
٣٦ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٥٦
٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٨
٨٩ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١١٠ ، ١١٥
١١٨ ، ٣٤ ، ١٣٧ ، ١٦٢
٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٨٤
١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٥
١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٨ ، ٢٣٥
٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٦٩
٢٩١ ، ٣٠٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠
٣٣٣٥
٨شراوة ٢٣٣
الشعراء ١٦٣
الشتيف ٣٠٢
الشلالة ٦٧
الشوبك ٦٢ ، ٦٥
شهرزور ٢٦٧
شيزر ٢٣٧ ، ١١٠ ، ١٦٣
شيللا ٥٠

(ص)

صمدر ١٣٩ ، ٣٢٢
صرخد ٨١
صرفند ٣٠٤
صسفند ١٦٨ ، ١٧٣ ، ٣٢٢
٣٢٣

الدولعية ٢٥٦
ديار بكر ١٦٣ ، ١٢٦ ، ١٠٥ ،
٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩

(ر)

رأس الماء ٢١٧ ، ٢١٦
رأس عين ٤٠ ، ٤٧ ، ١٩٩ ،
٢٤١
الراوندان ١٨٦
الرحبة ١٧٧ ، ٨٦ ، ٤٩
الريستاق ٢٦٧
رعبان ١٧٦ ، ١٦٨ ، ١٦٧
الرقعة ٢٠١ ، ٨٤ ، ٧٥ ، ٤٩
الرملة ١٣٢ ، ١٣٠ ، ١٢٧ ، ٥٧
١٣٧ ، ١٤٠ ، ٢٣٣ ، ٣٠٨
الرواديف ١٧٣
الرها ٣١٢ ، ٢٧٣ ، ٢١٣ ، ٨٩
الري ٣٢٥

(ز)

زبيد ٢٠٧ ، ١٩١ ، ١٨٩ ، ٢٥
زرا (زرع) ٦٦
زردنا ٢٤
زلبيا ٢٧٧

(س)

سبسطية ٣٠٣
سروج ٧٥ ، ٣٨
سلمية ٢٧٧ ، ٨٩
سمكين ٦٦

عسقلان ٩ ٣٠٥٧ ١٢٧ ٤

١٢٩ ١٣٣ ٣٠٧ ٣٠٨ ٤

٣٠٩

العسيلة ٢٢٨ ٢٢٩ ٤

عشتر ٤٧ ٥٦ ٦٧ ٢٩٢ ٤

٢٩٩

عزربلا ٣٢٢ ٣٢٣ ٤

العقبة ١٣٧ ١٩٥ ٤

عقبة شستار ١٩٥

العقر ٢٥٨

عقرقوب ٥٠

عكا ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٤

٣١٧ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٨ ٤

العمق ٢٠٢

عين تاب ٣٧ ٢٢٣ ٢٢٧ ٤

عين جالوت ٢٣١

عين الجر ٦٨ ١٠٦ ٤

عيزاب ١٨٠ ٢١٣ ٤

(غ)

غزة ٥٧ ١٢٧ ٣٠٨ ٤

الغسولة ٩٨

(ف)

الفاقوس ٧٨ ٢٤ ١٢٥ ٤

الفسطاط ١٢٠

الفتيع ٤٠ ٢٤٦ ٤

فلسطين ٢٣١ ٣٠٣ ٤

الفوار ٤٠ ٦٦ ١٩٧ ١٩٩ ٤

الفولة ٣٠٢

(ق)

قرا حسا ٨٧ ٨٨ ١٧٥ ٤

صفين ٢٩٣ ٢٩٤ ٤

صفورية ٢٩٢ ٢٩٣ ٣٠٢ ٤

صقلية ٧٦ ١٦٢ ٤

الصنمين ١١٤

صور ٣٠٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٤

٣٢١ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٤

صيدا ٢٩٦ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣١٧ ٤

(ض)

ضرماعا ٢١٤

(ط)

طبرية ١٩٧ ٢٣١ ٢٩٤ ٤

٢٩٨ ٣٠١ ٣٠٢ ٤

طرابلس ٨٣ ٨٤ ١٠٥ ١٦٢ ٤

٢٩٩ ٣٠٦ ٤

طرسونس ١٧٦

طود ٨٠

الطور ٣٠٢

الطيطوانة ٢٦١

(ع)

عدن ٢٥

العدوية ١٨٩ ١٩٠ ٤

عربان ٢٠٣

العراق ٣٦ ٧٠ ١١٨ ٢٠٩ ٤

عرفات (عرفه) ٢١٧ ٣٢٩ ٤

٣٣٠

العريش ١٨٢

مزاز ٣٧ ٩٩ ١٠٢ ١٠٣ ٤

٢٢٨

ماردين ٤٦ ، ١٢٢ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ،

٢٢٣ ، ٢٤١ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،

٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٥ ،

٣٢٢

المجلد ٥٢ ، ٧١ ، ٨٤

مجلد يافا ٣٠١

مخاضة الحسينية ٢٣١

مخاضة المجلد ٨٤

المخزن ١٤٠ ، ١٤٥

مدرسة الجاروق ٧٠

المدينة المنورة ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢١٣ ،

مرعش ٧٠ ، ٧١

مرج الصفر ٩٠ ، ١١٤

مرج عدوسة ١٢٤ ، ٢٠١

مرج عيسون ١٦٤

مشهد الرمان ٢٠٣

مصر ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ ،

٢٩ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ،

٤٦ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٢ ،

٦٨ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٢ ،

٩٣ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ،

١١٦ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،

١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٥٨ ،

١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ،

١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،

١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ،

٢٠٠ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ،

٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،

٢٦٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ،

٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ،

٣٢٢

مصياف ١٠٥

المرة ٨٨ ، ١١٠ ، ١١٢

معليا ٣٠٢

المقرب ٢٠٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨١

قرامان ٢٦٤

القبليات ٢٣٤ ، ٣١٠

القدس ١٧٤ ، ٢٢٦ ، ٢٧٠ ،

٢٨٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ،

٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ،

٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،

٣٢٤ ، ٣٢٩

القسطنطينية ٧٧

قصر السلامة ٢٩١

قلزم ٢١٢

قلعة جعبر ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٨ ،

قوص ٢٧٧

القيروان ٢٩٩

قيسارية ٣٠١ ، ٣٠٢

(ك)

الكرك ٦١ ، ٦٥ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ،

٢١٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ،

٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٨٩ ،

٢٩٦ ، ٣١٢ ، ٣٣١

كفر زمار ٢٦٦

كفر طاب ٨٨ ، ٨٩

الكسوة ٦٦

كوك سو ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٢٥١

كوكب (حصن) ٣٢٢ ، ٣٢٣

كيسون ٧١

(ل)

اللوبة ٥٦

لوبية ٢٩٩

(م)

مآب ٢٣٣

النظرون ٣٠٨	مكة ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٧٤
النوبة ٦٨	الملوحة ٢٨
نيسابور ١٢٠	الموصل ٢٨ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ٥١ ،
نينوى ٢٥٩ ، ٥١	٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٨٤ ، ٨٦ ،
(و)	٩٨ ، ١٠٤ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ،
وادي القرى ٤٧ ، ١٨٧	١٤٨ ، ١٦٨ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،
وادي بني حصين ٢٧٧	١٨٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،
وادي موسى ١٩٥	٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ،
واسط ١٨	٢١٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
الوالاة ٢٤٣	٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ ،
(هـ)	٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ،
الهتاخ ٢٦٣	٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ،
هرون (درب) ٧٢	٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٢٢
همدان ١٧٤ ، ٢٨٥	منبج ٢٣ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ٢٣٥
هيت ٥٠	المنبج ٢٢٦
(ي)	ميفارقين ٢٢٢ ، ٢٥٠ ، ٢٦٤ ،
يبنى ٣٠٨	٢٧٥ ، ٢٨٣
اليمن ٢٤ ، ٢٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ،	الميدان الاخضر ٢٣ ، ٣١ ، ٦١ ،
١٢٣ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،	٢٢٤
١٩١ ، ٢٨٤	(ن)
	نابلس ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٤ ، ٣٠٢
	٣١٢
	الناصره ٣٠١
	نصيبين ٥٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ،
	٢١٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
	٢٦٧ ، ٢٩١

المصكادر

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية :

- ١ — أبو الفرج الاصفهاني : كتاب الاغانى ، ١٣ جزء ، القاهرة ١٩٢٧ — ١٩٥٠ .
- ٢ — أبو الفدا اسماعيل : المختصر فى اخبار البشر ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٢٥ هـ .
- ٣ — أبو صالح الارمني : تاريخ الشيخ أبى صالح تحقيق B. T. Evetts اكسفورد ١٨٩٥ .
- ٤ — أبو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية .. الطبعة الاولى — القاهرة ١٢٧٨ هـ . الطبعة الثانية — تحقيق د. محمد حلمى أحمد ، ج ١ القاهرة — ١٩٥٦ ، ج ٢ القاهرة ١٩٦٢ .
- ٥ — أبو مخزومة : تاريخ ثغر عدن ، تحقيق لوف جرن ليدن ، ج ١ ١٩٣٦ ، ج ٢ ١٩٥٠ .
- ٦ — ابن الاثير عز الدين : الكامل فى التاريخ ، ١٢ جزء ، لندن ١٨٥١ — ١٨٧٦ .
- ٧ — ابن العميد : مختصر تاريخ الطبرى ، مخطوط رقم Laleli 2002 استانبول .. القسم الخاص بالايوبيين ، تحقيق كلود كاهن B.O.E. ١٩٣٥ .
- ٨ — ابن العبري أبو الفرج : مختصر تاريخ الدول ، بيروت ١٨٩٠ .
- ٩ — ابن العميد كمال الدين : زبدة الطب فى تاريخ حلب ، تحقيق د. سامى الدهان ، ٣ أجزاء ، دمشق ١٩٥١ ، ١٩٥٤ ، ١٩٦٨ .
- ١٠ — ابن بكرة مفسور : كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تحقيق عبد الرحمن فهمي ، القاهرة ١٩٦٦ .

- ١١ — **ابن الديبع الثميينى** : قرّة العيون فى اخبار اليمن الميمون ، مخطوط ، المتحف البريطانى رقم OR. 3265 , Add, 2740
- ١٢ — **ابن الديبشى** : ذيل تاريخ بغداد ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٩٦٣ .
- ١٣ — **ابن القرات نصر محمد بن عبد الرحمن** : تاريخ الدول والماوك ج ٤ ، تحقيق حسن الشماع ، البصرة ١٩٧٦ .
- ١٤ — **ابن الفوطى أبو الفضل عبد الرزاق** : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٣٥١ هـ .
- ١٥ — **ابن أبى الهيجاء** : الاول فى تاريخ ابن أبى الهيجاء — مخطوط ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة .
- ١٦ — **ابن الحنبلى ابراهيم** : شفاء القلوب فى مناقب بنى ايوب ، مخطوط ، المتحف البريطانى ، رقم OR. 1371
- ١٧ — **ابن الحسين محمد بن يحيى** : غاية الامانى فى اخبار القطر اليمانى ، تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٦٨ .
- ١٨ — **ابن حاتم بنو الدين بن محمد** : السمط الفالى الثمن فى اخبار الغزبايمن ، تحقيق ركس سميت ، كامبردج ١٩٧٤ .
- ١٩ — **ابن حوقل** : المسالك والممالك ، تحقيق دى خويه ليند ١٨٧٢ .
- ٢٠ — **ابن الجوزى السبىط** : مرآة الزمان ج ٨ ، تحقيق جويت شيكاغو ١٩٠٧ .
- ٢١ — **ابن خلكان أحمد بن محمد** : وفيات الاعيان ، فى جزعين ، القاهرة ١٨٨٢ ، الترجمة الانجليزية ٤ اجزاء ، باريس ١٨٤٣ — ١٨٧١ .
- ٢٢ — **ابن خير الله العمرى** : منية الادباء فى تاريخ الموصل الحدياء ، تحقيق سعيد الديوه جى ، بغداد ١٩٥٥ .
- ٢٣ — **ابو سمرة الجعدى** : طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٧ .
- ٢٤ — **ابن شداد بهاء الدين** : النواذر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيبلى ، الإسكندرية ١٩٦٤ .

- ٢٥ — **ابن شداد عز الدين محمد** : الاعلاق الخطيرة فى امراء الشمام
والجزيرة ، تحقيق سامى الدهان . دمشق ١٩٥٦ .
- ٢٦ — **ابن شاکر الکبکی** : فوات الوفیات ، تحقيق محمد محبى الدين عبد
الحميد ، جزءان ، القاهرة ١٩٥١ .
- ٢٧ — **ابن الشحنة محبى الدين أبو الفضل** : الدر المنتخب فى تاريخ حلب ،
تحقيق عواد سرکيس ، بيروت ١٩٠٩ .
- ٢٨ — **ابن قاضى شهبة** : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ، مخطوط نور
عثمانية رقم ٣٤١٦ .
- ٢٩ — **ابن القلانسی حمزة أبو يعلى** : ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق اميدروز ،
بيروت ١٩٠٨ .
- ٣٠ — **ابن مماتى** : قوانين الدواوين : تحقيق عزيز سوريال عطيسة ،
القاهرة ١٩٤٣ .
- ٣١ — **ابن منظور الفضل بن مکرم** : لسان العرب ٢٠ جزء ، القاهرة
١٣٠٣ هـ .
- ٣٢ — **ابن منقذ أسامة** : كتاب الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، برنستون
١٩٣٠ .
- ٣٣ — **ابن نباتة المصرى** : المختار من كلام القاضى الفاضل ، المتحرف
Add, 1307 البريطانى مخطوط رقم
- ٣٤ — **ابن واصل** : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق جمال
الدين الشيبان ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٣ ، ج ٢ ١٩٥٧ ، ج ٣ ١٩٦٠ .
- ٣٥ — **الباشا حسن** : الالقب الإسلامية ، القاهرة ١٩٥٧ .
- ٣٦ — **البليبي فخر الدين** : شرف نامه ، تحقيق د. يحيى الخشاب ،
القاهرة ١٩٥٧ .
- ٣٧ — **البغدادي عبد اللطيف** : الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة
والحوادث المعينة بأرض مصر ، القاهرة ١٢٨٦ هـ .
- ٣٨ — **البندارى الفتح بن على** : شاه نامه ، الترجمة العربية ، ترجمة
عبد الوهاب عزام ، القاهرة ١٩٣٢ ، نصره الفترة وعصره القطرية ،
القاهرة ١٩٥٠ .

٣٩ — **الدوادارى خليل بن ابيك** : كنز الدرر وجامع القنرر ، مخطوط
أحمد الثالث رقم ٢٩٣٢ .

الدر المطلوب فى اخبار ملوك بنى أيوب ج ٧ ، تحقيق د. سعيد
عائور ، القاهرة ١٩٧٢ .

٤٠ — **الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد** : تاريخ الاسلام وطبقات
المشاهير والاعلام ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٣٦٧ هـ .

تاريخ الاسلام الكبير ، مخطوط سراى رقم ٢٩١٧ .

٤١ — **حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله** : كشف الظنون ، جزءان ،
استنبول ١٩٤١ — ١٩٤٣ .

٤٢ — **حسن حبشى (دكتور)** : نور الدين والصليبيين ، القاهرة ١٩٤٨ .

٤٣ — **الحنفى محمد بن اسماعيل** : كتاب نهاية السؤل والامنية فى تعليم
الفروسية وامور السلطنة ، مخطوط المتحف البريطانى رقم
Add, 18 - 80.

١٢٥٠

٤٤ — **الخرجى ابراهيم** : تاريخ دولة الاكراد والأتراك ، مخطوط
السلمانية حكيم أوغلو على باشا ، رقم ٦٩٥ .

٤٥ — **الخويطر عبد العزيز (دكتور)** : سيرة الملك الظاهر بيبرس ،
(رسالة دكتوراه . لندن ١٩٦٠) .

٤٦ — **عبد الباقي محمد فؤاد** : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ،
القاهرة ١٣٧٨ هـ .

٤٧ — **العدوى ابراهيم (دكتور)** : تاريخ الاساطيل العربية ، القاهرة
١٩٥٧ .

٤٨ — **العرشى حسين بن أحمد** : بلوغ الرام فى شرح مسك الختام فيمن
تولى اليمن من ملك وامام ، القاهرة ١٩٣٩ .

٤٩ — **العرينى الباز (دكتور)** : مصر فى عصر الايوبيين ، القاهرة ١٩٦٠
مؤرخو الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٦٢ .

٥. — عماد الدين الكاتب الاصفهاني : خريدة القصر وجريدة اهل العصر.

شعراء مصر ، تحقيق د. شوقي ضيف ود. احسان عباس ،
جزءان ، القاهرة ١٩٥١ — ١٩٥٢

شعراء الشام ، تحقيق د. شكري الفيصل ، جزءان ، دمشق
١٩٥٥ ، ١٩٥٩ .

شعراء العراق ، تحقيق بهجت الاثرى ، جزءان ، بغداد ١٩٥٥ —
١٩٦٤

شعراء المغرب : تحقيق محمد المرزوقي ، تونس ١٩٦٦ .

البرق الشامي : مخطوط مكتبة بودليان اكسفورد ج ٣ رقم Bruce III
ج ٥ رقم March 425

الفتح القدسي : تحقيق محمد صبيح ، القاهرة ١٩٦٥

نصرة الفترة وعصرة القطرة ، تحقيق هوتسها ، لندن ١٨٨٩ .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

- Al-Allouche et Ragragi, Catalogue des Manuscrits Arabes de Rabat
Bibliothèque general et Archives du Maroc, Paris, Tome 1,
1954, Tome, 11, Rabat, 1958.
- Ashtor, E., — Saladin & The Jews, Hebrew Union College Annual,
XXVI, 1956.
- Atiyya, A. S., The Crusades in The Middle Ages, London 1938.
The Crusades, Historiography & Bibliography, London, 1962.
- Ayalon, D., Studies on The Mamluk Army, B.S.O.A.S., XV, 1954,
- Baldwin, M.W., — Raymon III of Tripoli & The Fall of Jerusalem
1140 - 1178, Prinecton, 1936.
The Decline & Fall of Jerusalem, 1174 - 1189.
The Latin States under Baldwin III & Amalric I 1143 - 1174.
In a History of The Crusades ed. K. Setton & M.w. Baldwin,
University of Philadelphia Press, vol. I, Philadelphia, 1955.
- Barker, E., — The Crusades, The Legacy of Islam , ed. Thomas
Arnold & A. Guillaume, London, 1960.
- Blachere et Sauvaget, J., — Regles pour Editions et Traductions de
Textes Arabes, Paris, 1953.
- Bosworth, C., E., — The Islamic Dynasties, Islamic Survey, 5,
Edinburgh, 1967.
- Brockelmann, C., —Geschichte der Arabischen Litteratur. 2 vols.,
Weimar, Berlin, 1898.
- Browne, E., G., — A Hand List of Muhammadan Manuscripts
Preserved in The Library of The University of Cambridge,
Cambridge, 1890.
Supplementary Hand List, 1922.
A second Supplementary Hand List, A., J., Arberry, Cam-
bridge, 1952.

- Cahen, Cl., — La Syrie du Nord a l'Epoque des Croisades et la Principauté Franque d'Antioche, Paris, 1940.
- The Historiography of The Seljuqid Period, in "Historians of The Middle East, ed : B., Lewis & P., M., Holt Oxford, 1962.
- "The Ayyubids" E.I., New ed., Leiden & London, 1954,
- Editing Arabic Chronicals; A few suggestions", Islamic Studies III, 1962.
- Canard, M., — Fatimids et Burids a l'Epoque du Caliph al-Hafiz le Din Allah, REI, XXX, 1967.
- Dawes, E., A., — The Alexiad of Anna Comina, English trans. London, 1929.
- Delaville le Roulx, J., Les Hospitaliers en Terre Sainte et Chypre, 1100 - 1310, Paris 1904.
- Dozy, R.P.A., — Dictionnaire detaille de Noms Arabes, Amesterdam, 1845.
- Supplement aux Dictionnaires Arabes, Leiden, Paris, 1927.
- Eche, Y., — Les Bibliotheques arabes publiques et semi-publiques en Mesopotamie, en Syrie et en Egypte au Moyen Age, Damascus 1,967.
- Ehrenkreutz, A.,S., — The Place of Saladin in The Naval history of The Mediterranean, JAOS, IXXV, 1955.
- Dar al-Darb, E.I., 2.
- "Extracts from The Manual on the Ayyubid Mint in Cairo", B.S.O.A.S., XV, 1952.
- Elisseff, N., Nur al-Din, — Un grand prince musulman de Syrie au temp des Croisades, 118 - 1174, 3 vols, Damascus, 1967.
- "Hisn al-Akrad", E.I. 2.
- Ernoul, — La Chronique d'Ernoul et Bernard le Tresoriers ed. M.L. de Mas Latrie, Paris, 1871.

Gabrilie, F., — *The Arab Historians of the Crusades*, Los Angeles, 1967.

The Arabic Historiography of the Crusades, *Historians of the Middle East*, ed. B., Lewis & P.M., Holt, Oxford, 1962.

Gibb, H.A.R., — "The Achievment of Saladin".

"The Armies of Saladin".

Studies on Islamic Civilization, London, 1962.

"The Arabic Sources for the life of Saladin" *Speculum*, XXV, 1950.

"Notes on the Arabic material for the history of the early Crusades" *B.S.O.A.,S*, VII, 1935.

"Al-Barq al-Shami" *The History of Saladin by the Katib Imad al-Din al-Isfahani*", W.Z.K.M. Wien, 1953.

Goiten, S.D., — *A Mediterranean Society, Economic Foundations* vol., I, University of California Press, Berkeley & Los Angeles, 1967.

Grousset, R., — *Histoire des Croisades et du Rayaume Franc de Jerusalem*, 3 vols., Paris, 1934 - 1936.

Guyard, S., — "Un Grand Maître des Assassins au temps de Saladin" *Journal Asiatique*, IX, 1877.

Helbig, A.,H., — *Al-Qadi al-Fadil Der Wazir Saladin, Eine Biographie*, Berlin, 1909.

Houtsma, M., Th., — *Recueil de Textes Relatifs à L'Histoire des Seljoucides*, vol., 2, Leiden, 1889.

"AlBundari" *E.I.* 2.

Joinvill & Villehardouin, — *Chronicales of the Crusades*, trans. M.R.B., Shaw. London, 1963.

Kahel, Von Paul., — *Eine Wichtige Quelle Zur Geschichte des Sultan Saladin* "Die Welt des Orients, Stuttgart, 1947-1952,



Levy, R., Mustawfi, E.I., 1.

Lewis, B., — The Arabs in History, London, 1964.

The Assassins A radical sect in Islam, London, 1967.

"Saladin & the Assassins" B.S.O.A.S., 1953, XV.

"The Arabic Sources for the Syrian Assassins" Speculum, XXVI, 1952.

Lewis & Holt, — Historians of the Middle East, Oxford, 1962.

Michael The Syrian, La Chronique de Michael le Syrien, ed. and trans. J.B., Chabot, 4 vols. Paris, 1904.

Mikhailova, A.I., — Catalogue of Arabic Manuscripts in the Institute Nordov part 3, (History), Leningard, 1955.

Minorisky, V., "Prehistory of Saladin", Studies on Caucasian History London, 1953.

"Kurds" E.I. 1., "Kurdistan" E.I. 1.

Nicoll, A., et Pusey, E.,B. — Bibliothecae Bodleianae Codicam Manuscriptorum Orientalium, 2 vols., Oxonii, 1778.

O'Leary De Lacy, History of the Caliphate, London, 1923.

Pearson, J.D., — Index Islamicus, A Catalogue of Articles on Islamic Subjects in Periodicals & other collective publications, Cambridge, 1958. Suppl. 1, 1962. Suppl. 2, 1967.

Popper, W., — Egypt and Syria Under the Circassian Sultans, 1382 - 1468, Systematic notes in Ibn Taghribardi's Chronicals of Egypt, University of California Publicatoin, Semitis Philology, vol. XV, Berkeley, & Los Angeles, 1955.

Riely-Smith, J., — The Nights of St. John in Jerusalem and Syprus, 150 - 1310, London, 1967.

Rohricht, R., — Regesta Regni Hiersolymitani, 2 vols., New York, 1893 - 1904.

- Rosebault, C.J., — *Saladin Prince of Chivalry*, London, 1930.
- Rosenthal, F., — *A History of Muslim Historiography*, Leiden, 1952.
- Runciman, S., — *A History of the Crusades*, 3 vols. London, 1951.
- Saunders, J.J., — *Aspects of the Crusades*, Canterbury New Zealand, 1962.
- Sauvaget, J., — *Introduction to the History of the Muslim East*, Los Angeles, 1965.
- Samil, R.C., — *Crusading Warfare*, New ed. Cambridge, 1967.
- Smith, G.R., — *The Ayyubids & Rasulids, The transfer of Power in 7th - 13th Century Yemen, Islamic Culture*, vol. XLIII, No. 3, 1969.
- Stevenson, W.B., — *The Crusaders in the East*, Cambridge, 1907.
- William of Tyre, — *A History of Deeds Done Beyond the Sea*, English trans. E.A. Babcock & A. Krey, Columbia University Record of Civilization, 2 vols. New York, 1943.

رقم الإبداع بدار الكتب ١٩٧٩/٣٠٦٢

مطبعة الجلاء
٢٢ شارع النهضة البروقية - شبرا